



مَشْرِئُ الْأِمَامَةِ

وَرَاءِ سَحْبِ الْغَيْبِ

دراسة عن الإمام المهدي عليه السلام وغيبته وانتظاره

بقلم

السيد هادي الموسوي

إهداء
إلى
مجلس الشورى الإسلامي
والرئاسة العامة للإفتاء
بمكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَمْسُ الْإِمَامَةِ

ISBN 978-9933-489-65-6



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٣ - ٣٤٣

الموسوي، هادي

شمس الإمامة وراء سحب الغيب: دراسة عن الإمام المهدي عليه السلام وغيبته وانتظاره / تأليف السيد هادي الموسوي؛ تقديم محمد علي الحلوا - ط. ١ - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٤ق. = ٢٠١٣م.

ص ٧٢٧ - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية: ١١٢).

المصادر: ص ٧١٧ - ٧٢٠؛ وكذلك في الحاشية.

١. محمد بن الحسن (عج)، الإمام الثاني عشر، ٢٥٥ هـ - غيبة - دراسة وتحقيق ٢٠. المهدوية - انتظار .
٣. محمد بن الحسن (عج) الإمام الثاني عشر، ٢٥٥ هـ. السيرة. ٤. محمد بن الحسن (عج) الإمام الثاني عشر، ٢٥٥ هـ - أصحاب ٦. محمد بن الحسن (عج)، ٢٥٥ هـ - طول العمر - شبهات وردود . ألف. الحلوا، محمد علي، ١٩٥٧ - ، مقدم . ب. العنوان.

BP 166.93 . M974 2013

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

شَمْسُ الْإِمَامَةِ وَرَاءِ سَحَابِ الْغَيْبِ

دراسة عن الإمام المهدي عليه السلام وغيبته وانتظاره

بقلم

السيد هادي الموسوي

إصدار
مركز الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

الموقع الإلكتروني: imamhussain-lib.com

البريد الإلكتروني: info@imamhussain-lib.com

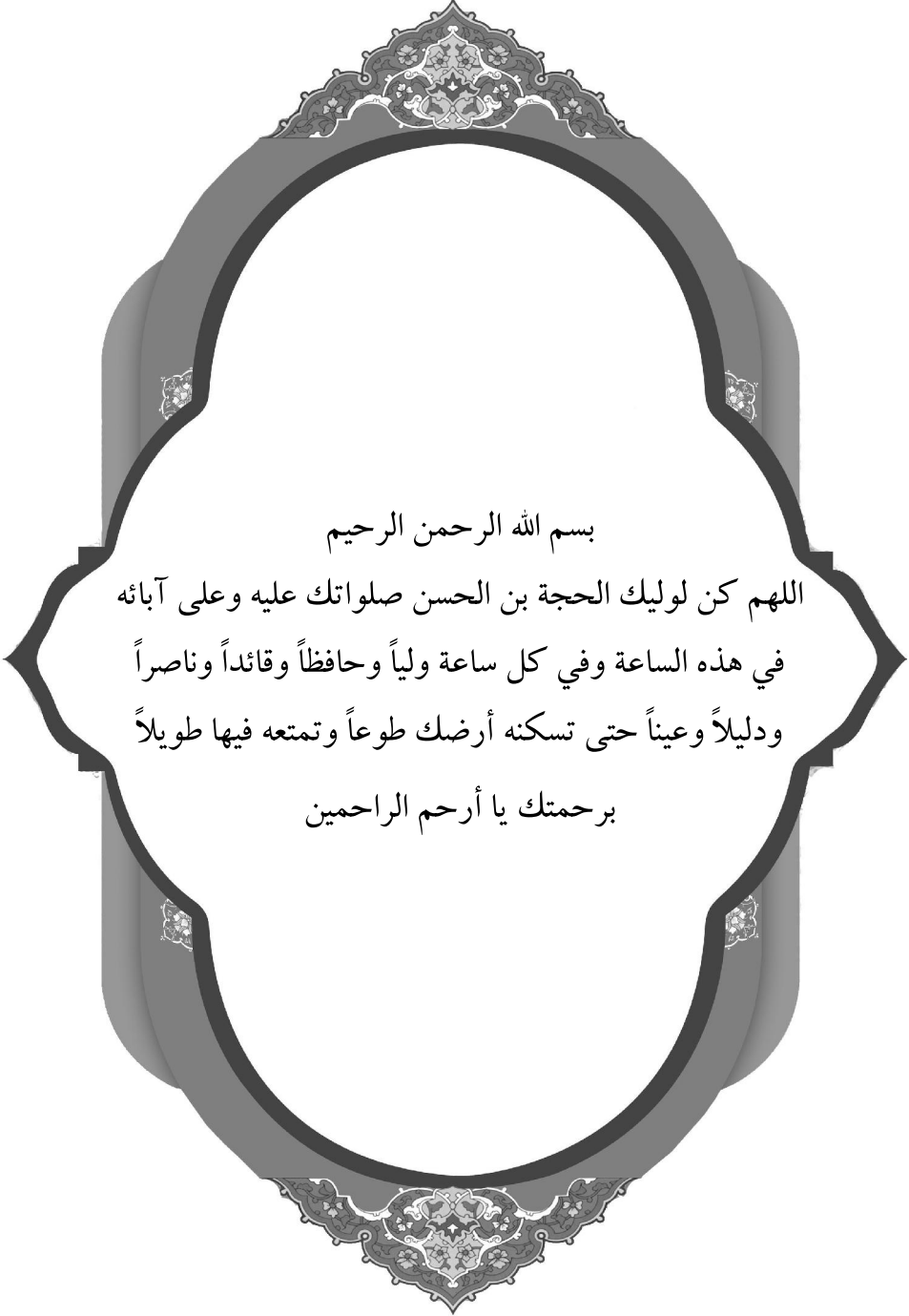
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ

(٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزَلُ

الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ

(٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)



بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه
في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً
ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً
برحمتك يا أرحم الراحمين

مقدمة اللجنة العلمية

الحديث عن الإمام المهدي عليه السلام لا يختصره كتاب، ولا يحتويه خطاب، فهو قضية الإسلام منذ بزوغه، ومآل الدين منذ نشوئه، بل هو جهد الأنبياء، وحقيقة الأوصياء، وإذا كان الإمام المهدي عليه السلام مسيرة حياة الأنبياء وجهادهم وكفاحهم فلا يمكن اختصاره في بحث، وإن اختصرنا الأنبياء بسيرتهم في شخصه فإن ذلك كفيل أن يطالعنا الكثير وأن يوقفنا على الأكثر، وما تقدمه الدراسات المهمة في شأن الإمام المهدي عليه السلام أسهمت بشكلٍ جدي في بيان حقائق حاولت السلطات إخفاءها، وسعت بعض الجهود إلى ازوائها، وانبثقت من بين كل هذه الملاحظات دراسات أسهمت في بيان ما اختلط على الكثير وما جهله الأكثر، ولا نجد قضية مطاردة من قبل الأنظمة بكل إمكاناتها تكتسح كل الأوساط وتعزز مصداقيتها في كل الأحوال كما هي قضية الإمام المهدي عليه السلام التي تسببت هذه الملاحظات في نشرها، وسعت كل هذه المضايقات إلى تجددتها، وعملت كل المطاردات إلى معرفتها بشكل لا ينبغي لأي سلطة إيقاف مدها، فهي شعاعٌ نوري قدسي ينبثق من بين دواعي الإعجاز، وهي شمسٌ تسطعُ

في كل الأحوال، ولعل ما عنون به بحثه السيد هادي الموسوي الموسوم (شمس الإمامة وراء سحب الغيب) ليثبت ان هذه الشمس من شأنها أن تنشر أشعتها في كل حين، فهي إذا كانت خلف سحب الحقيقة فإن من شأنها أن ترسل بخيوط أشعتها إلى كل بقعة من بقاع النفوس التي ما فتئت تبحث عن الحق. والغيب الذي عبّر عنه الباحث يُعطي بُعداً آخر عن قضية الإمام المهدي عليه السلام بأنها تختبئ كثير من حقائقها وراء الغيب وفي خلجات العلم الإلهي الذي أحاط بهذه القضية حتى أغدق عليها من أسرارهِ سبحانه ما يعجز عن معرفته النابهون، ومالا يحتويه الساعون إلى رصدِها، مع أن المكلفين مأمورون بالسعي إلى معرفتها، والبحث عن معالمها فلعل ذلك يُسهم إلى حدٍ ما في إضفاء معالم المعرفة التي لا تزال مختصرة في كثير من بحوثها ولعل ما أسهمت به هذه الدراسة ستضيف معلماً آخر من معالم المعرفة المهدوية التي يحتاجها الجميع ويسعى إليها الكثير، نسأل الله بعونه أن يمد الجميع من توفيقه وتسديده للوصول إلى الحقيقة ومعرفة دواعيها، فإنه ولي التوفيق.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

شكراً وإمتنان إلى:

كل من ساهم معي في هذا الكتاب بكلمة أو رأي أو فكرة أو إقتراح أو تشجيع
معنوي أو مادي وأخصُّ بالذكر أخواني الذين أشرفوا على التصحيح والمراجعة
وهم:

الأستاذ الباحث: الدكتور ناصر حسين النجفي - العراق

الأستاذ الباحث: الشيخ عبدالعزيز كريمي - إيران

الأستاذ الباحث: الشيخ الحسين أحمد السيّد - سوريا

أتقدّم بهذه البضاعة المزجاة إلى شمس الشموس، وأنيس النفوس، وغريب
طوس إلى مقام سيدي ومولاي عليّ بن موسى الرضاء عليه السلام وآبائه الأطهار، وأبنائه
الأبرار (صلوات الله عليهم)، الذي كان له الفضل الأوّل في حصولي على هذا
التوفيق لإصدار هذه البحوث بحقّ الحجّة بن الحسن مهديّ آل محمّد عليه السلام،
وأسأل الله القبول، وأسأله أن يزيدني الكيل، ويتصدّق عليّ بالشفاعة، يوم لا ينفع
مالٌ ولا بنون إلّا مَنْ أتى الله بقلب سليم، ومن جاء بحبّهم والبراءة من أعدائهم.

سيدي - يا ابن الأطهار - هل تقبل منّي بضاعتي هذه..؟

مولاي - يا ابن الأطهار - هل تكون عندك أقل من تائية دعبل...؟

رجائي - يا ابن الزهراء البتول - أن تتقبّلها منّي.. وتشفع لي ولوالديّ الذين
غرسا في

حنايا قلبي، محبّتكم، وزرعا في سويداء فؤادي عشقكم حتّى الهيام..

يا ابن الكرام... تكرّم علينا بنظرة..

يا ابن الأطهار.. طهّر عيشنا بجذوة..

يا ابن الأطهار.. طهّر آخرتنا بشفاعة..

فكلي أمل.. ورجاء - يا سلطان السلاطين - أن تكون بضاعتي مقبولة عندك
وعند، وعند سلطان زماننا الحجّة.

ابن الحسن، مهدي العباد، ومخرجهم من الضلال إلى الرشاد..

هل تتقبّل يا مولاي.. ذاك الأمل..

هادي الموسوي

استهلال

أحمدُ الله كما هو أهله حمداً زينة عرشه، ومدادَ كلماته، وما أحصاهُ علمه، وأحاط به كتابه، حمداً أبداً سرمداً دائماً متواصلاً متواتراً مترادفاً لا انقطاع له، يصعد أوله ولا ينفد آخره، لا أول له ولا منتهى لآخره.

أحمده كما يستحقّه حمداً كثيراً مباركاً طيباً.. حمداً تعجز الملائكة عن إحصائه، ولا تسعه البحار بأمواجها، ولا نسيمات الهواء، ولا حبات التراب، ولا ذرات الفضاء..

أحمده كما حمده الحامدون، وأشكره كما شكره الشاكرون على كلّ نعمة أسبغها عليّ، وعلى ما هداني إلى معرفته، وصراطه، والتزام ولاته وصفوته من خلقه محمد المختار، وعليّ الكرّار، وأمّ الأَطهار، فاطمة الزهراء وأولادها النجباء الأخيار (صلوات الله عليهم جميعاً).

الحمد لله على حلمه بعد علمه، وطول أناته في غضبه، وهو قادرٌ على ما يُريد. الحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مُدرك الهارين، نكال الظالمين، صريح المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين.

الحمد لله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدٌ، الذي لا تُدرّكه الأبصار وهو يُدرّك الأبصار وهو على كلّ شيء قدير.

ثمّ أصليّ أفضل الصلوات على أشرف الكائنات، وأفضل البريّات، منقذ العباد من الظلمات، المؤيّد بالكرامات، المبعوث بالرحمات، محمد المصطفى، وعليّ وصيّ عليّ المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن المجتبي، والحسين المصطفى، وعليّ أولاده التسعة الأُمّناء؛ عليّ بن الحسين، ومحمد بن عليّ، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمد بن عليّ، وعليّ بن محمد، والحسن بن عليّ، والخلف الصالح المهدي المنتظر، والعدل المشتهر، القرآن الناطق، والوعد الصادق، خليفة الرحمن، وشريك القرآن، إمام الإنس والجان، بقيّة الله في أرضه،

١٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وحجّته على عباده، وأمينه في بلاده...

سلالة النبوة، وبقية العترة والصفوة...

أمل الأنبياء، وخاتم الأوصياء، ونور الأولياء، وملهم الفقهاء، وسيّد الحكماء، وأُسوة العلماء...

السيف القاطع، والنور الساطع، والنجم اللامع...

قامع الكفرة، وقاتل الفجرة، ومذلّ الظلمة، منكّس الرايات، مزيل الظلمات، محقّ الحقّ ومبطل الباطل...

ذخيرة النبيين، وصفوة الوصيّين، ووارث المرسلين، وبقية الصالحين.

إنّه الإمام المأمول المنتظر، المهدي الثاني عشر من الأئمة الغرر، الذي يحيي به الله العباد، ويطهرّ به البلاد، ويقمع الشرك والظلم من الأرض، ويقمّ دولة الحقّ على كلّ شبر في الارض، بعد طولِ الأمل، وقسوة القلوب، ونيران الحروب، وشدة الكروب.

إنّنا ننتظر نسيم ذلك الفجر بعد طول الليل الخالك، حتّى يعيدَ لنا الحياة ويحيي النفوس، وينورَ لنا الدروب، ويمحق الباطل ويزيح الظلم عن كاهل المستضعفين، ويُعيد الحقّ إلى نصابه، ويطهرّ الأرض من الفساد، ويزيّنّها بالعدل والفضيلة.

إنّه منتهى الغايات، ومعدنُ الخيرات، الذي بشر الله تبارك وتعالى عباده به في كتابه المجيد بقوله تعالى: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود/٨٦].^(١)
والذي وعد عباده الصالحين، من الأولين والآخرين وأنزل ذلك في كتب السالفين قائلاً في الكتاب الخاتم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ

(١) ينظر تفسير فرات الكوفي: ١٩٣.

الْأَرْضَ يَرُثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ [الأنبياء/ ١٠٥]. (١)

وهو النعمة والمنّة على خلقه، والأمل الذي كان - وما زال - ينتظره المستضعفون من الأئمة الذين وصفهم الله في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص/ ٥]. (٢)

وإنتظاراً ذلك اليوم نرفع أيدينا لرب العالمين في آناء الليل وأطراف النهار بالدعاء، لتعجيل فرجه منتظرين لمقدمه الميمون، وأن نكون من أنصاره. وأعوانه والمجاهدين بين يديه، والشهداء تحت لوائه.. ونسأل الله بحقه أن يوفّقنا إلى معرفته، والثبات في غيبته، والاستقامة على طريقه حتى ظهوره... وهذه المسألة هي من أهم الأمور التي يجب أن تشغل فكر الإنسان ونفسه، لأن المعرفة تجعل المؤمن يتمسك بدينه، وتنير بصيرته في ظلمات الفكر المنحرف، والتيارات الزائفة، والمذاهب الباطلة، فهي حرزٌ يُحَرِّزُ به، وحصنٌ يُحَصِّنُ به أمام موجات التشكيك والتدليس، وما يقوم به أصحاب السامري في هذا الزمان من لبس الحق بالباطل.

وذلك لأن الإنسان مسؤول يوم القيامة عن أمر عقيدته وعمّن يواليهم. وأهم تلك المعارف، التوحيد والنبوة والإمامة... وحيث إنّ هذه الأمور قد

(١) ينظر: الإرشاد: ٢/ ٣٤٠.

(٢) ينظر: الإرشاد: ٢/ ٣٤٠.

١٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

حصلت للإنسان بفطرته في عالم الأظلة، وعالم الذر^(١)، فما على المؤمن إلا أن يطلب من الله الثبات على هذه المعرفة، ويطلب من الله الزيادة، ويذكر نفسه من خلال التأمل في القرآن الكريم، وبما ورد عن أهل بيت النبوة ومعدن العلم (عليهم السلام) من روايات، وليسلم لأقوالهم حتى يزداد بصيرة في عقيدته.

وهذا الكتاب - الذي بين يديك أخي الكريم - يتعرض إلى هذا الموضوع، وهو معرفة الإمامة، وخصوصاً معرفة الإمام الحجة الثاني عشر - المهدي المنتظر ابن الإمام الحسن العسكري، وفوائد غيبته، والحكمة منها، وما عليه تجاه مواليه وشيعته، وواجب المؤمن في غيبته، وشيء من مقاماته وخصوصياته. هذا وقد بوبته على الشكل التالي:

الفصل الأول: ضرورة الخلافة والحجة في الأرض

الفصل الثاني: الغيبة؛ آثارها وفوائدها

الفصل الثالث: علّة الغيبة

الفصل الرابع: ماذا تعني غيبة الإمام (عليه السلام)؟

الفصل الخامس: معرفة النسب والاسم

(١) عالم الأظلة وعالم الذر: وفي بعض الروايات عالم الأشباح وعالم النور وهو إشارة إلى عوالم ما قبل عالم الدنيا على حسب المراتب والمراحل حيث أخذ الميثاق على الإنسان بالتوحيد والطاعة للرسول محمد ﷺ والطاعة للولي أمير المؤمنين عليّ ﷺ والآية المباركة التالية إشارة على عالم الذر: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى...﴾ [الأعراف/ ١٧٢] ينظر: بصائر الدرجات: ٩ - ٩٢.

الفصل السادس: ولادة النور

الفصل السابع: معاني أسمائه وألقابه المباركة

الفصل الثامن: شمائله الجسميّة والمعنويّة

الفصل التاسع: مقام الإمام المهدي (عليه السلام) عند الله

الفصل العاشر: معرفة الإمام المهدي (عليه السلام) ومقاماته

الفصل الحادي عشر: أصحاب الإمام ومنازلهم وأقسامهم

الفصل الثاني عشر: تكاليفنا في زمن الغيبة

باب الزيارات

نسأل الله أن نُوفّق في بيان بعض ذلك، ونسأله أن يوفّقنا لنيل رضى صاحب الزمان ومعرفته، والثبات في غيبته، ونصرته عند ظهوره، إن شاء الله تعالى.

ويرجع الفضل في إصدار هذا الكتاب إلى عناية ولطف مولانا الإمام الرضا (عليه السلام) المجاورين له، وتشجيع بعض العلماء الأفاضل، والزاماً منّي على نفسي بنذر نذرتة لله، بإصدار شيء عن إمام الزمان روعي فداه، لقضاء حاجة قضيت بفضل الله تعالى.

وأسأل الله أن يتقبّل منّي ذلك ويغفر لي سهو القلم وأن يحشرني مع ساداتي وآبائي من آل رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم أجمعين.

بقلم السيّد هادي الموسوي

مشهد المقدّسة ١١ / ذي القعدة

١٤٢٩

المصادف يوم ميلاد الرضا (عليه السلام).

بحث تمهيدي

لابد لنا من تقديم بعض المقدّمات، والتنبيه ببعض الكلمات، قبل الخوض في غمار البحث، وهي إجابات سريعة ومختصرة عن بعض التساؤلات نُلخصها بما يلي:

ما هي أسباب التشكيك في الحقائق الثابتة؟

هنالك حقائق كونية فطرية وجدانية كالشمس الساطعة، ومع ذلك يذهب أصحاب القلوب المريضة إلى التشكيك فيها، ومن هذه الأمور وجود الإمام الثاني عشر، وولادته سرّاً، وغيبته سرّاً، وظهوره فجأة، وبسط العدل في أرجاء الدنيا كلّها بظهوره المبارك!!

فيا ترى ما هي الأسباب التي تجعل هؤلاء ينكرون ويشكّكون بهذه الحقيقة؟!

الأسباب عديدة ويمكن حصرها في أمور:

أولاً: مخالفة العقل واتباع الهوى:

العقل هو نورٌ يكشف الظلمات والجهل، فيجعل الإنسان يبصر. الحقائق بوضوح، فإذا تجرّد الإنسان منه، واتبع هواه والدنيا والعواطف والجهل، فإنّه لن يبصر إلى الحقائق تماماً كالسائق الذي يسير في طريق مظلم، فعندما يطفئ ضوء السيارة، فإنّه لن يبصر، فتراه يتخيّل الأشياء أمامه وعلى جانبيه خلاف الحقيقة. فبالعقل، والفطرة، والوجدان يُرى عدلُ الله في أرضه، ولطفه بعباده، ورحمته الواسعة بخلقه، وإنّه خلقهم ليرحمهم ويهديهم، لا ليعذبهم ويضلّهم. ،وان هذه الصفات والكمالات لا تتوقّف عند الله لحظة واحدة، فإذا رفع الله أسباب هذه

١٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الرحمة والهداية لخلقه فإنه يعرّضهم للهلاك والضلال والعذاب، وهذا لا يليق بساحته القدوسية.

فإنه سبحانه وتعالى ومنذ أوجد هذا الخلق جعل الخليفة قبل الخليفة، لأنّ الخليفة هو الذي يكون سبباً للرحمة والهداية حتّى آخر المطاف؛ فجعل على نفسه أن يثيب من صدق، وأطاع، واهتدى، ويعاقب من عاند وكذب.

فأرسل للبشر السفراء الهداة من الأنبياء والأوصياء، فكان كلّما مضى واحد خلفه آخر استمراراً للطفه ونوره، ولما آل الأمر إلى هذه الأمة المرحومة، بعث إليها أفضل أنبيائه وخاتمهم محمد المصطفى ثمّ أوصيائه من بعده اثني عشر وصياً، كلّما مضى واحد خلفه الآخر إتماماً للحجّة والرسالة، فلمّا صار الأمر إلى الثاني عشر من أوصياء النبي، وهو خاتمهم، وحيث أنّه لا يوجد حجّة لله بعده، ولا بدّ من استمرار منّة الله ولطفه، وهدايته لهذا البشر، أخفاه عنهم حتّى لا يعمدوا إلى تكذيبه وقتله، كما صنعوا بحجج الله على خلقه السابقين له.

كما أنّ عقلاء الدنيا يقرّون بأنّ الناس لا بدّ لهم من رئيس، أو إمام، أو ملك يسوسهم، وينصف المظلوم من الظالم، والمحقّ من المبطل، والضحية من الجاني ويقرّون أيضاً أنّه إذا أراد السفر، أو شَعَرَ بخطر على حياته، فإنه يعيّن لهم خليفة حتّى لا يؤول أمرهم إلى الفوضى والشتات.

وإذا كان عقلاء العالم يقرّون على أنفسهم بذلك، أليس الأجدر أن يقرّوا بذلك للشارع المقدّس؟ كيف لا وهو رئيسهم وموجدهم وسيدّ العقلاء؟! فإنّ الله سبحانه وتعالى تأبى رحمة، ولطفه، وحكمته، أن يترك عباده في فوضى واضطراب وحيرة وضلالة... ولذا فإنه لا يقطع حجّته على عباده لحظة واحدة، وما نعتقد بوجود مولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه وحفظه في غيبته

حتى قيامه إلا لهذا السبب.

ثانياً: الجهل:

الجهل من أعظم موجبات الإنكار والتشكيك. والجاهل بالشئ كمن هو في صحراء مظلمة لا يبصر ما حوله، فعند ما لا يرى الأشياء في ذلك المكان لا يعني أنها غير موجودة.

فمن لم يطلع على حقائق الوحي، ولم يعرف بصائر القرآن، ولا يعرف معانيه ولا تفسيره ولا تأويله، فمن شأنه الإنكار والاحمود. فليس لكل من يقرأ القرآن، ويحفظه أن يدعي العلم، فهناك الكثير من طغاة التاريخ وعلماء السوء الذين كانوا يدعون أنهم يؤمنون بالقرآن ويحفظونه، ولكنهم يجهلون أبسط المعاني الأولية فيه. (١)

والعلماء الحقيقيون هم الذين استناروا بالعلم من أهله، ومصدره، وينبوعه، وهم الذين عناهم الله في كتابه، وأنزل عليهم تنزيله وتأويله، فقال عنهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران/ ٧]. ثم يصف من يتبع هذا العلم ويهتدي به، وهم المقتدون بهؤلاء العلماء ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَكْثَرُ الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران/ ٧].

(١) ويذكر لنا التاريخ الخوارج وأصحاب الجباه السود الذين كانوا يحفظون القرآن ولكن خرجوا على عدل القرآن الإمام علي عليه السلام وكذلك الذين خرجوا لقتال سيد الشهداء عليه السلام بأرض الطف كان الكثير منهم ممن حفظ حروف القرآن وأضاع حدوده. ينظر: تاريخ مدينة دمشق: ٣٨٧/٥٦.

٢٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وإذا رجعنا إلى الروايات، فإنّها تعيّن وتخصّر الراسخين بالعلم بآل البيت عليهم السلام الذين نزل القرآن في بيوتهم، فوهبهم علمه وتأويله، فأوجب على المتعلّمين من الأُمَّة الرجوع إليهم للأخذ عنهم، فقال عزّ من قائل: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل / ٤٣].^(١)

فمن لا يرجع إلى هؤلاء العلماء، سوف يبقى في جهله وحيرته وضلالته، فقد جعل الله سبل الهداية والعلم لدى أئمّة أهل البيت عليهم السلام وجعلهم الرسول صلى الله عليه وآله ضماناً الهداية عن الضلالة إلى الأبد، فقال في الحديث المشهور بين المسلمين، المتواتر لفظاً ومعناً:

«تركت فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنيما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».^(٢)

أمّا غيرهم فلا ضمانه لهم من الاختلاف والضلالة، لأنّهم مأمورون بالاتباع لأهل الحقّ والقرآن، فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس / ٣٥].

فأغلب المشكّكين هم الذين لا يتّبعون السبل المنصبة للعلم والمعرفة، ولذلك يقعون في الجهل والتشكيك والارتياب، لأنّهم لا يستطيعون فهم الروايات أو هضم حقائق التاريخ والسنن السابقة للأنبياء عليهم السلام في غيبتهم عن أقوامهم لممدد متفاوتة.

(١) ينظر: تفسير القمّي: ٦٨ / ٢.

(٢) الكافي: ٤١٥ / ٢، مستدرک الوسائل: ٣٧٤ / ١١، كنز العمال: ١٧٢ / ١ - ١٨٥.

ثالثاً: مرض القلب:

أمراض النفس أخطر من أمراض البدن؛ لأن البدن يُصاب بالأمراض الظاهرية والتي أغلبها تعالج ويزول أثرها.

أمّا أمراض الروح والعقل فهي أشدّ على الإنسان، لأنّها تقضي- على كيانه وفكره وسلوكه وآخرته، وهي ليست سهلة العلاج. وأمّا أمراض البدن فهي وإن كانت شديدة الوطأة إلا أنّ الروح سليمة وطيّبة.

والتشكيك مصدره النفس المريضة بتحريك من الشيطان الرجيم، الذي يستخدم أسلوباً يحاكي حالة النفس المريضة فيدخل إليها من أوسع الأبواب المؤثرة فيها بحيث يوقع الإنسان في الباطل، فيلبس عليه الحقّ بالباطل..

فإذا رأى الشيطان من له القابليّة ومن يتكلّف معرفة الحقّ والدعوة إليه بطريقته أوقعه في الباطل، حيث يقول ربُّنا في القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...﴾ [آل عمران/٧].

فالآيات المباركات تبين أنّ القرآن فيه الآيات الواضحات المحكمات، وفيه آيات متشابهات لأناس لم يصلوا إلى مستوى المعرفة فيجب عليهم الرجوع إلى أهل العلم حتّى يعرفوا ذلك.

ولكن أصحاب القلوب المريضة بدل أن يرجعوا إلى العلماء الربّانيين الراسخين في العلم يقولون برأيهم وهواهم بتفسير وتأويل الآيات المتشابهة من أجل أن يوقعوا الآخرين في ضلالتهم ومرضهم، فيدّعون علماً وفضلاً.

ولكن القرآن في نفس الآية أعطى المقياس الحقيقي للعلم والمعرفة لدى

٢٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الراسخين الذين يعلمون القرآن ويعلمون تأويله، ويسلمون له ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون، ومن تكون هذه صفتهم وجب اتباعهم والاقتداء بهم والأخذ عنهم، وليس اتباع الذات، والهوى، والرأي، انطلاقاً من النفس المريضة. والذين يشككون في أمور العقائد، وفي خصوص ولادة الإمام المهدي عليه السلام وفي غيبته، إنما يسعون إلى حب الشهرة والجاه والرئاسة غالباً، لأنهم برأيهم قد جاؤوا بأمر جديد خفي على العلماء والناس.

رابعاً: ضعف الإيمان بالغيب وطغيان المادية.

يدّعي الماديّون أنهم متحضرون متقدمون بسبب تعقلهم وانفتاحهم على الحياة ونظرتهم الواقعيّة للأُمور!! بعكس الذين يعتقدون بالغيب، فإنهم متخلّفون ولا يستخدمون عقولهم، وإنما يلجؤون إلى الغيب للهروب من الواقع!! وللإجابة على هذه الشبهة نقول:

الغيب من الأصول والمعتقدات التي تفرض نفسها؛ سواءً آمنّا بها أو لم نؤمن بها، لأن الغيب يحيط حياة الإنسان من جميع الجوانب إلا أن الإنسان بسبب الانكباب على الدنيا والمادّة، جعله لا يسلم لحقائق الغيب.

فالغيب ظاهر في كلّ ذرّة في الكون، وفي كلّ نسمة هواء، وقطرة ماء، وومضة نور، ودقّة قلب.. وكلّ نفس من أنفاس البشر.

فأول ما نفتح عيوننا في الصباح ونحن نَسْبُحُ في الغيب، لا نعرف كيف نامت عيوننا، ولا نعرف كيف استيقظنا، ولا نعرف كيف نحيا ولا كيف نموت، ولا نفهم عالم البرزخ، ولا بقيّة العوالم الأخرى التي سبقت هذا العالم، وإنما هو بما أخبرنا الله سبحانه عن طريق أنبيائه وأوصيائهم، فما نجهله أكثر ممّا نعرفه!!

والسؤال: أين موضع العقل إذاً من هذه الحقائق؟! فهل يراد القول: إنَّ الغيب يُعطلُّ العقل؟! كلا، بل الإيمان بالغيب هو قِمةُ التعقُّل، والانفتاح، والواقعية. لماذا؟ لأنَّ العاقل عندما يجهل شيئاً لا ينكره، وإنَّما يقول: لا أعرفه تواضعاً، لأنَّ الفطرة السليمة، والعقل يدعوانه إلى القول بالحقِّ والاعتراف بالعجز. كما أنَّ العاقل لا ينكر الحقائق التي لا يراها إذا شاهد آثارها، فعقلاء الدنيا يقرُّون أنَّ هنالك جاذبيَّة للأرض، ولكن لا يدَّعون أنَّهم يرونها. والعقلاء الموحِّدون المؤمنون آمنوا بكلِّ الرسالات والأنبياء والكتب والمعجز الصادرة عنهم، لأنَّهم لا يفعلون ولا يقولون إلَّا من عند الله سبحانه وتعالى. والكتب السماويَّة وأصحابها الأنبياء أخبرونا عن الغيوب وعن الجنَّة وما فيها، والنار وما فيها، والسماء وما فيها، والملائكة والجنَّ والشياطين، والعالم الآخر بكلِّ منازل وأحواله، وعقولنا لا تبلغ ذلك، ولكن مع ذلك فقد صدَّقتها وآمنت بها وسلَّمت لها.

وحقيقة الإمام المهدي بن الحسن عليه السلام من حيث ولادته وغيبته وظهوره تأتي ضمن سلسلة المغيَّبات.

فالمؤمن والعاقل الكامل هو من ينصاع لله ويطيعه ويطيع رسوله بكلِّ ما قاله، ولا يأخذ بعضاً ويترك بعضاً، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله المبعوث المصدِّق الذي جاء بدين الإسلام هو الذي أخبرنا بكلِّ أخبار المهدي بن الحسن عليه السلام من الولادة السريَّة، والغيبة الطويلة، وعن ظهوره وبسط دولة العدل، فمن يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله لابدَّ أن يُسلِّم بجميع ما قاله!!

أمَّا القول بأنَّ كلَّ ما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله ليس صحيحاً، فهذا بحث آخر له

٢٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

منهجه وأسلوبه للتقصّي الصحيح عنه، أمّا الإنكار المطلق أو الإنكار الانتقائي فهو المرفوض لدى العقلاء فضلاً عن المشرّعة..

وبمعنى آخر: ذوق الإنسان، أو عدم استحسانه، أو عدم استيعابه، ليس مقياساً لصحة الحقائق، فمن يرفض الحقائق المسلّمة، لا بدّ أن يقدّم دليلاً وبرهاناً على عدم الصحة، وليس يدّعي فقط، إنّ ذلك غير صحيح أو محرّف أو غير ثابت!! فعملية الإنكار سهلة جداً!!

والإثبات بالدليل هي طريقة العقلاء.

والسؤال: هل الذين أنكروا الحقائق والغيبيات - حين أنكروها - عن تفهّم وتعقّل وعن دليل؟!

حسب استقراء التاريخ وأقوام الأنبياء أنّ الذين كانوا يطالبون بالكرامات والمعاجز في كلّ صغيرة وكبيرة لم يكن - غالباً - بغاية معرفة الحقّ، وإنّما لتعجيز الأنبياء وقصد إحراجهم.

فالمنكرون من قوم عيسى المسيح عليه السلام كثيرون، رغم مشاهدتهم معاجزه اليومية من إحياء الموتى، وشفاء المرضى، وغيرهما، إلّا أنّهم غارقون في بحار المادّة التي تحجبهم عن رؤية الحقيقة، وكذلك قوم نبي الله صالح عليه السلام الذين طلبوا منه إخراج ناقة من الجبل، فأخرجها وجعلها معجزة حيّة في حياتهم، ولكنّهم كانوا مصرّين على عنادهم وتكذيبهم.

وكذلك قوم موسى عليه السلام الذين أراهم معجزة العصا، ثمّ آمنوا، ثمّ ارتدّوا، ثمّ آمنوا، وكلّما كذبوا وأنكروا أظهر لهم معجزة، إلّا أنّهم يعودون إلى حالتهم الأولى!!

وفي سورة البقرة شاهد صدق تكشف عن نفسية بني إسرائيل المتمردة، كيف

أن موسى كلما طلب منهم قضية كانوا يتهرّبون بطلب أمر أعلى منه، وكلما قدّم لهم معجزة وكرامة، وأخرجهم من محنة أو أنزل عليهم ربّ العالمين نعمة، يدخلون في مشكلة ومعصية جديدة!

وقد ذكّرهم بنعمة نجاتهم من فرعون وإغراقه في البحر، ولكنّهم سرعان ما انقلبوا على أعقابهم بعبادتهم العجل الذهبي، عندما تأخّر موسى عشرة أيام، ثمّ تاب عليهم ربّ العالمين، ولكنّهم عادوا ثانية يطلبون من موسى ﷺ رؤية الله فأُنزل عليهم ربّ العالمين الصاعقة، ثمّ بعثهم ربّ العالمين ثانية، وأنزل عليهم الغمام والمنّ والسلوى، ولكنّهم نسوا المعاصي السابقة، فعادوا يعاندون ويرفضون أمر موسى بالدخول سُجّداً إلى القرية، مع القول «حِطَّةٌ»، استهزاءً بأمر الله، فأُنزل عليهم العذاب، ثمّ أعطاهم ربّ العالمين العيون التي انفجرت لموسى وأمرهم بعدم الفساد في الأرض، ولكنّهم لم يرضوا ولم يقنعوا بهذه النعم العظيمة التي أُعطيت لهم، فراحوا يطلبون المزيد من البقل، والقثاء، والفوم، والعدس، فضربت عليهم الذلّة والمسكنة، وغضب ربّ العالمين، فراحوا يقتلون الأنبياء. وهكذا تستمرّ معاناة موسى والأنبياء ﷺ مع بني إسرائيل، كلما كشف عنهم ربّ العالمين العذاب والسوء وأنزل عليهم النعم، أخذوا يعصونه.

والآيات [١٢٣-٣٩] من سورة البقرة تفصّل هذا المعنى، ومنها:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا

بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَإِذْ
قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ
فَاذْكُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ *
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ
وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا
كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿البقرة/ ٤٧-٥٩﴾.



الفصل الأول

ضرورة الخلافة والحجّة في الأرض

مدخل:

هنالك شبهة لدى بعض الناس القاصري النظر، تقول: إن الحجة في الأرض يمكن أن تنقطع عن الناس لفترة زمنية طويلة، بحيث يمضي على الناس زمان ليس فيه نبي أو وصي نبي!! وربما تنزل البعض إلى القول بالحجية، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الحجة نبي أو وصي، ويكفي وجود عالم مؤمن، أو رجل صالح يكون حجة الله على الناس!!

وهناك من يزعم أن الحجة لا يشترط وجودها على وجه الأرض، وإنما يكفي وجود الحجة في عالم الأرواح، أو الأنوار، أو الأَصْلَاب!!
أو هناك من يدعي أن خلافة الله في الأرض هي لكل الناس، وعليه فإن الخليفة الذي يختاره الناس هو الخليفة الشرعي من الله، حتى لو كان حكمه بالتسلط والقوة!!

وتُصَبُّ هذه الشبهات في قناة واحدة مفادها أن الإمام المهدي عليه السلام لم يولد في أيام العسكري عليه السلام وإنما يولد قبل خروجه!! هذه المزاعم يُفَنِّدُهَا القرآن الكريم من خلال آياته المباركة، ونكتفي بالرد عليها من خلال آيات الاستخلاف من سورة البقرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ*﴾ [البقرة/ ٣٠ - ٣٤].

الروايات الواردة في شأن الآيات:

تاريخ الأرض وساكنيها والاستخلاف:

ففي كتاب علل الشرائع: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الصَّقَّارُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيْسَى عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمَقْدَامِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا بِيَدِهِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا مَضَى الْجِنُّ وَالنَّسَنَاسُ فِي الْأَرْضِ سَبْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ، قَالَ: وَلَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عليه السلام لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّقْدِيرِ كَمَا هُوَ مَكُونُهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَلَّمَهُ لَمَّا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَشَطٌ ^(١) عَنْ أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: انْظُرُوا إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ خَلْقِي مِنَ الْجِنِّ وَالنَّسَنَاسِ، فَلَمَّا رَأَوْا مَا يَعْمَلُونَ فِيهَا مِنَ الْمَعَاصِي وَسَفَكِ الدِّمَاءِ وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ بَغِيرِ الْحَقِّ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَغَضِبُوا اللَّهَ وَأَسْفَوْا عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَمْ يَمْلِكُوا غَضَبَهُمْ أَنْ قَالُوا: يَا رَبِّ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ الْجَبَّارُ الْقَاهِرُ الْعَظِيمُ الشَّانُ، وَهَذَا خَلْقُكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ فِي أَرْضِكَ يَتَقَلَّبُونَ فِي قَبْضَتِكَ، وَيَعِيشُونَ بِرِزْقِكَ وَيَسْتَمْتَعُونَ بِعَافِيَتِكَ، وَهُمْ يَعْصُونَكَ بِمِثْلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، لَا تَأْسَفُ وَلَا تَغْضَبُ وَلَا تَنْتَقِمُ لِنَفْسِكَ لَمَّا تَسْمَعُ مِنْهُمْ وَتَرَى، وَقَدْ عَظُمَ ذَلِكَ عَلَيْنَا وَأَكْبَرَنَاهُ فِيكَ، فَلَمَّا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لِي عَلَيْهِمْ فَيَكُونُ حِجَّةً لِي عَلَيْهِمْ فِي أَرْضِي عَلَى خَلْقِي، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ:

سُبْحَانَكَ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

(١) كشط الغطاء عن الشيء: كشفه عنه. المصباح المنير: ٧٣٣ (م/كشط).

وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴿١﴾

وقالوا: فاجعله منّا فإنّا لا نفسد في الأرض ولا نسفك الدماء، قال جلّ جلاله: يا ملائكتي إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَ خَلْقًا بِيَدِي أَجْعَلَ ذُرِّيَّتَهُ أَنْبِيَاءَ مَرْسَلِينَ وَعِبَادًا صَالِحِينَ وَأَثَمَةً مَهْتَدِينَ أَجْعَلُهُمْ خَلَفَائِي عَلَى خَلْقِي فِي أَرْضِي يَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَيَنْذِرُونَهُمْ عَذَابِي، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِي، وَيَسْلُكُونَ بِهِمْ طَرِيقَ سَبِيلِي وَأَجْعَلُهُمْ حُجَّةً لِي عَذْرًا أَوْ نَذْرًا، وَأُبَيِّنُ النَّسَنَاسَ ^(١) مِنْ أَرْضِي فَأُطَهِّرُهَا مِنْهُمْ وَأَنْقُلُ مَرْدَةَ الْجَنِّ الْعَصَاةَ عَنْ بَرِّيَّتِي وَخَلْقِي وَخَيْرَتِي وَأُسْكِنُهُمْ فِي الْهَوَاءِ وَفِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ لَا يَجَاوِرُونَ نَسْلَ خَلْقِي وَأَجْعَلَ بَيْنَ الْجَنِّ وَبَيْنَ خَلْقِي حِجَابًا، وَلَا يَرَى نَسْلَ خَلْقِي الْجَنِّ وَلَا يُوَاسُونَهُمْ وَلَا يَخَالُطُونَهُمْ وَلَا يَجَالِسُونَهُمْ فَمَنْ عَصَانِي مِنْ نَسْلِ خَلْقِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ لِنَفْسِي - اسْكُنْتَهُمْ مَسَاكِنَ الْعَصَاةِ وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَهُمْ وَلَا أُبَالِي، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا أَفْعَلُ مَا شِئْتَ لَا عِلْمَ جَلْنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَتَمَامَ الْحَدِيثِ مَتَّصِلًا بِهَذَا مَذْكُورٍ فِي الْحَجَرِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر/ ٢٨]. ^(٢)

الملائكة أمام الامتحان الإلهي:

وفي كتاب (علل الشرائع) بإسناده إلى يحيى بن أبي العلاء الرازي عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل فيه: أن رجلاً سأل الإمام عليه السلام فقال: وأخبرني عن هذا البيت كيف صار فريضة على الخلق أن يأتوه؟

(١) أي أخرجهم.

(٢) علل الشرائع: ١/ ١٠٤-١٠٥.

٣٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

قال: فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليه وقال: ما سألتني عن مسألتك أحد قط قبلك، إن الله عز وجل لما قال للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: يَا رَبُّ إِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ جَاعِلٌ فِي أَرْضِكَ خَلِيفَةً فَاجْعَلْهُ مِنَّا مِمَّنْ يَعْمَلُ فِي خَلْقِكَ بِطَاعَتِكَ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَظَنَّتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ ذَلِكَ سَخَطَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ. فَلَاذُوا بِالْعَرْشِ يَطُوفُونَ بِهِ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ بَيْتَ مِنْ مَرْمَرٍ سَقَفَهُ يَاقُوتَةُ حُمْرَاءَ وَأَسَاطِينُهُ الزَّبَرَجَدُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ لَا يَدْخُلُونَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ. ^(١)

وياسناده إلى علي بن حديد عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن أحدهما عليهما السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ابْتِدَاءِ الطَّوَافِ؟

فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ خَلْقَ آدَمَ عليه السلام قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَقَالَ مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ فَوَقَعَتِ الْحَجَبُ فِيمَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ اللَّهِ، وَكَانَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُورُهُ ظَاهِرًا لِلْمَلَائِكَةِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْحَجَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ سَخَطَ قَوْلُهُمَا، فَقَالَا لِلْمَلَائِكَةِ: مَا حِيلَتُنَا وَمَا وَجْهَ تَوْبَتِنَا؟

فَقَالُوا: مَا نَعْرِفُ لَكُمَا مِنَ التَّوْبَةِ إِلَّا أَنْ تَلُودَا بِالْعَرْشِ، قَالَ: فَلَاذَا بِالْعَرْشِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبَتَهُمَا، وَرُفِعَتِ الْحَجَبُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا، وَأَحَبَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَعْبُدَ بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ، فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَيْتَ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ عَلَى الْعِبَادِ الطَّوَافَ حَوْلَهُ، وَخَلَقَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فِي السَّمَاءِ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ لَا

(١) علل الشرائع: ٢ / ١٠٥.

يعودون إليه إلى يوم القيامة. ^(١)

وبإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلت لأبي عبد الله لم صار الطواف سبعة أشواط؟

قال: لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَرَدُّوا عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ قَالَ اللَّهُ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَكَانَ لَا يُحِبُّهُمْ عَنْ نُورِهِ، فَحَجَّبَهُمْ عَنْ نُورِهِ سَبْعَةَ آلَافٍ عَامٍ، فَلَاذُوا بِالْعَرْشِ سَبْعَةَ آلَافٍ سَنَةٍ فَرَحِمَهُمْ وَتَابَ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ لَهُمُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَجَعَلَهُ مَثَابَةً، وَوَضَعَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ تَحْتَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، فَجَعَلَهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، فَصَارَ الطَّوَافُ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ وَاجِبًا عَلَى الْعِبَادِ لِكُلِّ أَلْفٍ سَنَةٍ شَوْطًا وَاحِدًا. ^(٢)

وفي (عيون الأخبار): بإسناده إلى الحسين بن بشار عن أبي الحسن علي ابن موسى الرضا عليه السلام قال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن لو كان كيف كان يكون؟ فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْعَالَمُ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ كَوْنِ الْأَشْيَاءِ، قَالَ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الحاقة/ ٢٩].

وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام/ ٢٨]. فقد علم عز وجل أنه لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه، وقال للملائكة لما قالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠].

(١) علل الشرائع: ١٠٦/٢.

(٢) علل الشرائع: ١١٠/٢.

٣٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فلم يزل الله عز وجل علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها فتبارك الله ربنا وتعالى علواً كبيراً خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك ربنا لم يزل [ربنا] عالماً سميعاً بصيراً.^(١)

وفي كتاب (علل الشرائع): بإسناده إلى أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال سأل أبي عبد الله عليه السلام رجل وقال: «حدثني عن الملائكة حين ردوا على الرب حيث غضب عليهم وكيف رضي عنهم؟ فقال: إن الملائكة طافوا بالعرش سبع سنين يدعونه ويستغفرونه ويسألونه أن يرضى عنهم فرضي عنهم بعد سبع سنين، فقال: صدقت» ومضى، فقال أبي عبد الله عليه السلام: هذا جبرائيل عليه السلام، أتاكم يعلمكم معالم دينكم، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.^(٢)

وفي (مجمع البيان): روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم وقالوا: نحن نقديسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا، قال: فلما أجيئوا بما ذكر في القرآن علموا أنهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً، فأمر الله تعالى آدم بعد هبوطه أن يبني له في الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون، فقال الله تعالى للملائكة: إنني اعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾»^(٣)

وفي تفسير الكوفي قال: حَدَّثَنَا فَرْجُ بْنُ فَرُوةَ قَالَ حَدَّثَنَا مَسْعَدَةُ عَنْ صَالِحِ بْنِ مِثْمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا فِي السُّوقِ إِذَا أَتَانِي الْأَصْبَغُ بْنُ نُبَاتَةَ فَقَالَ لِي وَيْحَكَ يَا مِثْمُ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) علل الشرائع: ٢/ ١١١.

(٣) مجمع البيان: ١/ ١٤٩ - ١٥٠.

لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنِفًا حَدِيثًا صَعْبًا شَدِيدًا فَإِنْ يَكُونُ كَمَا ذَكَرْتُ قُلْتُ
وَمَا هُوَ قَالَ سَمِعْتُهُ [سَمِعْتُ] يَقُولُ إِنَّ حَدِيثَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ صَعْبٌ مُسْتَضَعَبٌ لَا
يَحْتَمِلُهُ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ مُؤْمِنٌ قَدْ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ قَالَ
فَقُمْتُ مِنْ فَوْرِي فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جُعِلْتُ فِدَاكَ حَدِيثٌ
أَخْبَرَنِي بِهِ الْأَصْبَغُ عَنْكَ قَدْ ضِيقْتُ بِهِ ذُرْعًا قَالَ فَمَا هُوَ فَأَخْبَرْتُهُ بِهِ [فَتَبَسَّ ثُمَّ] قَالَ
لِي اجْلِسْ يَا مِثْمُ أَوْ كُلِّ عِلْمٍ الْعُلَمَاءُ يُحْتَمَلُ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [التوبة/ ٣] فَهَلْ رَأَيْتَ
الْمَلَائِكَةَ اخْتَمَلُوا الْعِلْمَ قَالَ قُلْتُ هَذِهِ وَاللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ قَالَ وَالْآخَرَى مِنْ
مُوسَى عليه السلام أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ فَظَنَّ أَنْ لَا أَحَدَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنْهُ فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ
تَعَالَى أَنْ فِي خَلْقِي مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ وَذَلِكَ إِذْ خَافَ عَلَى نَبِيِّهِ الْعُجْبَ قَالَ فَدَعَا رَبَّهُ
أَنْ يُرْسِدَهُ إِلَى [ذَلِكَ] الْعَالَمِ قَالَ فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَضِرِ عليه السلام فَخَرَقَ السَّفِينَةَ
فَلَمْ يَحْتَمِلْ ذَلِكَ مُوسَى وَقَتَلَ الْعِلَامَ فَلَمْ يَحْتَمِلْهُ وَأَقَامَ الْجِدَارَ فَلَمْ يَحْتَمِلْ ذَلِكَ وَ
أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ نَبِيَّنَا [قَالَ فَنَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ] أَخَذَ بِيَدِي يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَقَالَ
اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ فَهَلْ رَأَيْتَ الْمُؤْمِنُونَ اخْتَمَلُوا ذَلِكَ إِلَّا مَنْ
عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُمْ أَلَا فَأَبْشِرُوا ثُمَّ أَبْشِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّكُمْ بِمَا لَمْ يُخَصَّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ
وَالنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِمَا اخْتَمَلْتُمْ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(١).

مقدمات البحث:

قبل الخوض في تفاصيل بحث الآيات يجب الوقوف عند الحقائق المهمة التالية:
أولاً: إن الله أخبر الملائكة وأشهدهم على أهم وأخطر حدث سيكون في الأرض وهو إقامة الخلافة والإمامة الإلهية، وهي الغاية من إيجاد هذا الخلق على وجه الأرض، وإن باقي الخلق تابع لهذه الغاية .

والآية تفيد أن وجود الخليفة على الأرض قبل الخلق أبلغ من وجود الخليفة، ولذلك بدأ به رب العالمين لأنه حكيم، والحكيم هو من يبدأ بالأهم دون المهم.
حيث إن الناس لا يصلح لهم أن يكونوا لحظة واحدة على الأرض من دون حجة عليهم، وإلا كانوا معذورين في ما يأتونه من أعمال باطلة وشريرة، وقد أبى الله إلا أن تكون له الحجة عليهم ابتداءً ودواماً إلى يوم القيامة، لكي لا يقول أحد: «لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً مُنْذِراً وَأَقَمْتَ لَنَا عِلْماً هَادِياً فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى»^(١) وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

ولولا ذلك لعرضهم للتلف والهلاك والضلال، وهو مستحيل على الله عز وجل العادل الحكيم، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٦٥].

ثانياً: مسألة الخلافة الإلهية ليست هي خلافة المخلوقات السابقة على وجه الأرض كما فهم البعض من الروايات السابقة - وقد يكون الحديث بالمناسبة - وإنما هو لحكمة أشارت إليها الآيات نتعرض إليه فيما بعد.

ثالثاً: إخبار الملائكة كي يعلموا إن هذا الخليفة أفضل منهم وأنهم مكلفون

(١) من دعاء الندبة: بحار الأنوار: ٩٩/ ١٠٥.

بطاعته، والإنصياح لأمره، والتعلم منه وإنهم تحت سلطانه وولايته .
رابعاً: إستفهام وتعجب الملائكة ليس من اصل الأستخلاف وإنما هو لإعتقادهم أن هذا المخلوق الأرضي فيه قابلية المعصية والفساد وسفك الدماء وأنهم المسبّحون العابدون أصلح منه للخلافة ولم يكن ذلك معصية منهم وإعتراضاً على رب العالمين وإنما هو لنقص في علمهم في مآل هذا المخلوق الأرضي وهو من قبيل استنكار نبي الله موسى عليه السلام على الخضر الذي قتل الغلام وخرق السفينة وأقام الجدار وقد أشارت إليه رواية ميثم عن أمير المؤمنين عليه السلام السابقة .

خامساً: من هذا الامتحان الإلهي للملائكة أمام الحضرة الإلهية وما أصابها من ارتباك وعدم القدرة في درك المصلحة من جعل الخليفة وعدم إصابتها في الرأي والاختيار نستنتج أنّ جميع المخلوقات وإن كانت قريبة من الله سبحانه ومعصومة بفضله لا يسعها إلاّ الخضوع والتسليم لله تعالى في سلطانه وعظمته وتديره خلقه لأنّه العالم بأسرار خلقه.

معالم وخصائص الخلافة والإمامة الإلهية:

أولاً: اختيار وجعل الخليفة من مختصات الله تعالى

هل الإنسان قادرٌ على اختيار خليفة الله؟
قد تبين من اخبار الباري عز وجل الملائكة بجعل الخليفة أنّها ليست بمستوى معرفة مصلحة أسرار الخلق، وبالتالي عدم قدرتها في الاختيار وإبداء الرأي أمام المشيئة والتدبير الحكيم لله سبحانه وتعالى.
فإذا كانت الملائكة على قربها ومنزلتها من الله وعصمتها وطاعتها لله، ما

٣٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

استطاعت استيعاب موضوع الاستخلاف وإمامة الخلق، فياترى هل للإنسان الذي يعصي الله ولا يدرك حقائق الغيب أن يختار لنفسه الخليفة الأصلى؟! وهل يستطيع الإنسان العاجز عن إدراك حقائق نفسه ومخالفة هواه أن يكون خليفة الله في الأرض؟!!

فإذا كانت الملائكة التي تعبد الله ليلاً ونهاراً ولا تفر عن عبادته، لا يصح لها الخلافة، فقد ادّعت وقالت إنّنا أحقّ بالخلافة من الإنسان الذي يعصيك، ونحن لا نعصيك و«نسبح بحمدك»!! وقد جاء في الخبر عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) واصفاً حال الملائكة: «... قالوا: فاجعله منا فإننا لا نفسد في الأرض ولا نسفك الدماء، قال الله جلّ جلاله: يا ملائكتي ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَ خَلْقاً بِيَدِي، أَجْعَلُ ذُرِّيَّتَهُ أَنْبِيَاءَ مَرْسَلِينَ وَعِبَاداً صَالِحِينَ وَأُثَمَّةً مُهْتَدِينَ؛ أَجْعَلُهُمْ خُلَفَائِي عَلَى خَلْقِي فِي أَرْضِي، يَنْصَحُونَهُمْ عِنْدَ الْمَعَاصِي، وَيَنْذِرُونَهُمْ عَذَابِي، وَيَهْدُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِي، وَيَسْلُكُونَ بِهِمْ طَرِيقَ سَبِيلِي، وَأَجْعَلُهُمْ حُجَّةً لِي عَذراً أَوْ نَذراً» (١)

ولما أخبرهم بذلك اعترفوا بعجزهم وعدم معرفة الحكمة، قائلين: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

وعندما أراهم نقصهم وعدم قدرتهم على اختيار الخليفة الأصلى، أبرز لهم الخليفة المجمعول من الله تعالى، قائلاً لهم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

عندها علموا أنّ إرادة الله متعلّقة في تفضيل آدم بالعلم كونه الخليفة عليهم

(١) تفسير نور الثقلين: ١/ ٥١-٥٢ ح ٨٠.

وعلى البشر، فقالوا: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، معترفين بعلم الله وحكمته، وأنهم ليسوا كذلك..

يقول الشيخ الصدوق رحمته الله: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي فَضْلِهِمْ وَعَصْمَتِهِمْ لَمْ يَصْلُحُوا لاختيار الإمام، حَتَّى تَوَلَّى اللَّهُ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ دُونَهُمْ، وَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى عَامَّةِ خَلْقِهِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ مَعَ صِفَاتِهِمْ وَوَفَائِهِمْ وَعَصْمَتِهِمْ، وَمَدَحَ اللَّهُ إِيَّاهُمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِثْلَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٦-٢٧].

وكقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم/ ٦]. ثمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ بِمَا فِيهِ مِنَ السَّفْهِ وَالْجَهْلِ كَيْفَ وَاتَى يَسْتَتَبُّ لَهُ ذَلِكَ، فَهَذَا وَالْأَحْكَامُ دُونَ الْإِمَامَةِ مِثْلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَكِلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ إِلَى خَلْقِهِ، فَكَيْفَ وَكَلَّ إِلَيْهِمُ الْأَهَمَّ الْجَامِعَ لِلْأَحْكَامِ كُلِّهَا وَالْحَقَائِقَ بِأَسْرَها»^(١)

ويؤيده قوله تعالى لنبیه داود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص/ ٢٦]

وقوله عز وجل لنبیه ابراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة/ ١٢٤]
وقد ورد في الكافي المرفوعة عن عبد العزيز عن الرضا عليه السلام في حديث طويل: أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ الْعَلَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ رَفَعَهُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ الرِّضَا عليه السلام بِمَرَوْ فَاجْتَمَعْنَا فِي الْجَامِعِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي بَدْءِ مَقْدَمِنَا فَأَذَارُوا أَمْرَ

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٩ / ١.

الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت على سيدي ﷺ فأعلمته
 خوض الناس فيه فتبسّم ﷺ ثم قال: «يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن
 آرائهم إن الله عز وجل لم يقبض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن
 فيه تبيان كل شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج
 إليه الناس كملاً فقال عز وجل - ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام/ ٣٨] و
 أنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره ﷺ ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
 عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة/ ٣] وأمر الإمامة من تمام الدين
 ولم يمتص ص حتى بين لأئمة معالم دينهم وأوضح لهم سبلهم وتركهم على قصد
 سبيل الحق وأقام لهم علياً ﷺ علماً وإماماً وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا
 بينه فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ومن رد كتاب الله
 فهو كافر به هل يعرفون قدر الإمامة ومحللها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم إن
 الإمامة أجل قدراً وأعظم شأنًا وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن
 يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم إن الإمامة
 خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل ﷺ بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة
 شرفه بها وأشاد بها ذكره ١ فقال ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ [البقرة/ ١٢٤] فقال
 الخليل ﷺ سروراً بها - ﴿و من ذريتي﴾ قال الله تبارك وتعالى - ﴿لا ينال عهدي
 الظالمين﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة
 ثم أكرمهم الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال ﴿و وهبنا له
 إسحاق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمة يهتدون بأمرنا و

أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿[الأنبياء/ ٧٣] فَلَمْ تَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى وَرَثَهَا اللَّهُ تَعَالَى النَّبِيُّ ص فَقَالَ جَلَّ وَتَعَالَى - ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ٦٨] فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةٌ فَقَلَّدَهَا ﷺ عَلِيًّا ﷺ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَسْمِ مَا فَرَضَ اللَّهُ فَصَارَتْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءُ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم/ ٥٦] فَهِيَ فِي وَلَدِ عَلِيٍّ ﷺ خَاصَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِذْ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِزْتُ الْأَوْصِيَاءِ إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللَّهِ وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَ مَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَ مِيرَاثُ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ ﷺ» (١)

حيث إن موضوع الخلافة في الأرض مرتبط بغاية الخلق، وكلا الأمرين بيد الله سبحانه وتعالى، وما على المخلوق أمام الخالق إلا السمع والطاعة، كما قال الباري عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب/ ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

وإذا علمنا أن تنصيب الخليفة على الناس لله تعالى كونه الأعراف بمصالحهم،

٤٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

علمنا بطلان المدّعين^(١) لخلافة رسول الله من بعده، وبطلان النظريّات الاجتهاديّة المعلّلة لهذا الادّعاء، التي تقول: إنّ الخليفة بالاختيار و«الشورى» أو ما يختاره أهل الحلّ والعقد.

وإذا بطلت هذه النظريّات وتبيّن عجز ما يختاره الناس، فكيف بالدعوى التي تقول: إنّ الإنسان - مطلقاً - هو خليفة الله في الأرض، فهذه باطلة من باب أولى!!

المعنى الاصطلاحي «لخليفة» لا يطابق المراد القرآني:

لو تأملنا في هذه الكلمة القرآنيّة «الخليفة» وأردنا تطبيقها على المعنى المتداول والمصطلح المعروف بين الناس، لرأينا أنّها لا تتناسب مع مراد الله تعالى.

ففي اللغة أنّ معنى الخليفة: «هو الذي يُستخلفُ ممّن قبله»^(٢)

وقيل: «الخليفة من يقومُ مقامَ الزاهب ويسدُّ مسدّه»^(٣)

فهل هذا المعنى ينطبق على الخليفة في الآية المباركة؟

كلاً!! لماذا؟ لأنّ الخليفة هو الشخص المستخلف من قبل السابق عليه، إمّا بسبب الموت أو العجز أو السفر، كما يستخلف الملوك نوابهم وأعوانهم في هذه الحالات المختلفة لحاجتهم إليهم. وعليه فإنّ الخليفة في اللغة والعرف الذي يخلف الحاكم السابق ويسدُّ مكانه.

ولكن ربّ العالمين لا أحد يخلفه، ولا يحتاج إلى أحد ولا يذهب ولا يغيب

(١) المدعين للخلافة من غير أئمة الهدى عليهم السلام الذين نص عليهم الرسول ﷺ بذلك.

(٢) لسان العرب: ٨٣ / ٩.

(٣) لسان العرب: ٨٩ / ٩.

حتى يكون من يسدُّ مسدَّه، وحيث إنَّ ربَّ العالمين نسب الفعل إلى نفسه ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لا يمكن تطبيق المعنى اللغوي والاصطلاحي عليه.

نعم، يمكن تنزيل المعنى مجازاً، فإنَّ السابق رتبةً وعلوًّا ومكانةً يستخلف الذي أقلَّ شأنًا منه، ومع ذلك حتى لو قلنا بذلك فإنَّ استخلاف الله لأدم وسائر الخلفاء ليس من باب الحاجة والعجز والغياب، فلا بدَّ من تنزيه ربِّ العالمين من جميع النواقص والتشابه مع الخلق، لأنَّه الخالق المتعالى عن خلقه، الحكيم الصانع، حيث لا يمكن لخلق أن يشاهدوه أو يلامسوه أو يباشره أو يحاجَّوه، كما جاء في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ لِلزُّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَهُ: مِنْ أَيْنَ أَثْبَتَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ؟ قَالَ: «إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا، صَانِعًا، مُتَعَالِيًا عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيمًا مُتَعَالِيًا، لَمْ يَجْزُ أَنْ يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ وَلَا يُلَامِسُوهُ؛ فَيَبَاشِرَهُمْ وَيُبَاشِرُوهُ، وَيُحَاجَّهُمْ وَيُحَاجُّوهُ، ثَبَتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَآؤُهُمْ، فَثَبَتَ الْأَمْرُونَ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ فِي خَلْقِهِ، وَالْمُعَبِّرُونَ عَنْهُ جَلَّ وَعَزَّ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، حُكَمَاءُ مُؤَدِّينَ بِالْحِكْمَةِ، مَبْعُوثِينَ بِهَا، غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ - عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ هُمْ فِي الْخَلْقِ وَالتَّرْكِيْبِ - فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، مُؤَيَّدِينَ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحِكْمَةِ، ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ؛ لِكَيْلَا تَخْلُوَ أَرْضُ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِ وَجَوَازِ عَدَالَتِهِ». ^(١)

٤٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ولذلك جعل له في الأرض سفراء عبّر عنهم بـ«الخلفاء» الذين هم يمثلونه وخلفاؤه على الناس، يُعبّرون عنه إلى خلقه، ويدلّونهم على مصالحهم، ويرشدونهم إلى الحق والخير من عنده.

وإن كان هذا المعنى قريباً، ولكن المراد من خليفة الله في أرضه، أن المستخلف على الناس تارةً منسوب إلى اختيار الناس، سواءً من قبل السلطان السابق باختياره وتعيينه، أو اختيار الناس كلّهم أو بعضهم، أو ما يسمّى بالاقتراع والانتخابات، وتارةً يكون هذا الخليفة اختيار الله وجعله بأمره ومشيتته البالغة خليفة على الناس، مؤيّداً من قبل الله بالحكمة والعلم والفضيلة، فهو مجعول حصراً لا حق للناس في اختيار ذلك، كما قال تعالى لنبيّه داود: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص/٢٦] وقد تحصّل أن خليفة الله في أرضه هو المعيّن حصراً من قبل الله تعالى، ليس للناس حق في اختياره، وهذا ما نصّت عليه الآية الكريمة: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ...﴾ [القصاص/٦٨]

قال شيخ الصدوق رحمته الله: «جاعل» منون^(١): صفة الله التي وصف بها نفسه، وميزانه، قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص/٧١].

منونة، ووصف به نفسه، فمن ادّعى أنّه يختار الإمام وجب أن يخلق بشراً من طين، فلمّا بطل هذا المعنى بطل الآخر، إذ هما في حيّز واحد.^(٢)

وعليه فإن القرآن يُبطل النظريّات التي تقول: إنّ الخليفة الذي اختاره الناس

(١) «منون» أراد بالتنوين في قوله: «جاعل» أفاد الحصر.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٩ / ١.

عن رضا أو إكراه هو خليفة الله في الأرض، لأن الإنسان العاجز القاصر لا يمكن أن يختار مثله لجميع الخلق، وهذا الفعل من مختصات الله، ليس للبشر القدرة والصلاحية في الاختيار، فالله ينتخب خلفاءه وسفراءه بحكمته وعلمه، وليس بجهل الناس وعجزهم، وإذا كانت هذه النظرية باطلة، فما بالك بالنظرية الشائعة بين الناس أن الإنسان (مطلق الإنسان) خليفة الله في الأرض!!

والرواية التالية تحدد وتعين خلفاء الله المنصوص عليهم المنصبون من قبله

تعالى:

في عيون الأخبار: حدثنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن إسحاق رحمته الله قال: حدثنا أبو سعيد النسوي قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن هارون قال: حدثنا أحمد بن الفضل البلخي قال: حدثني خالي يحيى بن سعيد البلخي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: بينما أنا امشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طويل كث اللحية بعيد ما بين المنكبين، فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ورحب به ثم التفت إلي فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته، أليس كذلك هو يا رسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: بلى، ثم مضى فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له؟ قال: أنت كذلك والحمد لله، إن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والخليفة المفعول فيها آدم عليه السلام وقال عز وجل: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص/٢٦]. فهو الثاني، وقال عز وجل حكاية عن موسى حين قال لهارون: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف/١٤٢]. فهو هارون إذ استخلفه موسى عليه السلام في قومه وهو الثالث، وقال عز وجل: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ

٤٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴿التوبة/٣﴾.

فكنت أنت المبلغ عن الله عز وجل وعن رسوله، وأنت وصيي ووزير
وقاضي ديني والمؤدي عني، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي
بعدي، فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ، أو لا تدري من هو؟ قلت: لا،
قال: ذاك أخوك الخضر عليه السلام، فاعلم. ^(١)

ثانياً: مركز الخلافة على وجه الأرض على جميع المخلوقات:

الظاهر من كلمة ﴿الأرض﴾ أن تكون متعلقة بالضمير المستتر في ﴿خليفة﴾
لأنها مشتق وعلى هذا الاحتمال تكون دائرة الخلافة مطلقة غير محددة،
والمستخلف مقيد بكونه أرضياً دائرة خلافته مطلقة فتشمل كل عالم الخلقة
بدليل تحميله العلم الإلهي وتفوقه على الملائكة، وأمرهم بالتعلم منه والسجود
له ^(٢)

وهذا التفضيل بالعلم والخضوع بالطاعة يشير إلى سعة ولايته التكوينية. أما
وجود هذا الخليفة على وجه الأرض مع سعة ولايته الشاملة لجميع المخلوقات
فلحكمة قدرها الله تعالى لنعلمها كما قال لملائكته ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾
وفي ذلك عظيم الامتحان على الملائكة أن يكون الخليفة مخلوق ترابي،
ومركز خلافته الأرض وولايته عليهم، واعتقادهم أنهم أشرف المخلوقات، كما
أنه امتحان للمكلفين على الأرض ﴿الجن والأنس﴾ ولكي تكون الحجة عليهم
أبلغ كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٢-١٣.

(٢) الإمامة والخلافة ص ٣١٣ للشيخ محمد السند

بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ [النساء/ ١٦٥]. وهو جواب لمن يدّعي أنّ الإمام المهدي عليه السلام لم يولد بعد! وقد أُجيب عنه بأنّه لابدّ للناس من حجة عليهم في كلّ زمان! فإن قال: لا ينافي كون الإمام المهدي حجة وهو في عالم الأَصْلَابِ أو في عالم الأنوار أو الأرواح أو ما شابه ذلك!

هذه الدعوى باطلة، لمخالفتها الآية المباركة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فكلّمة «الأرض» واضحة المعنى والدلالة، فلا تحتاج إلى مزيد من التفسير والتأويل. فالبشر- يعيشون على هذه الأرض منذ أن أهبط الله نبيّه آدم عليه السلام عليها، فاصطفاه وجعله إماماً وخليفةً على الأرض قبل أن يخلق ذريّته عليها، لكي تكون الحجّيّة والخلافة والإمامة هي الأساس والحكمة والغاية من الخلق.

ثالثاً: الخليفة واحد في كلّ زمان:

نصّت الآية المباركة على ضرورة وجوب الخليفة الواحد في كلّ زمان على الأرض، ولفظ «الخليفة» مفرد، يدلّ على أنّه لا يوجد إمامان في وقت واحد. ورغم أنّ الله أرسل أنبياء متعدّدين إلى الناس في وقت واحد، إلّا أنّه كانت الحجة لواحد منهم على الآخر، كما كان نبيّ الله إبراهيم الخليل إماماً لنبيّ الله لوط عليه السلام.

هذه السنّة جارية في جميع الأزمنة والأمكنة، وكذلك جارية في هذه الأمّة. فقد كان الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام في وقت واحد، ولكنّ الحسن حجة على أخيه الحسين.

٤٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فقد جاء في الخبر عن الحسين بن أبي العلاء، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام تكون الأرض ليس فيها إمام؟

قال: «لا»

قلت: يكون إمامان؟

قال: «لا، إلاّ وأحدهما صامت» ^(١)

كما أن مطلق الجعل في الآية المباركة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ من دون تقييد يدل على أنه شامل لكل زمانٍ ومكانٍ، ولكل المخلوقات من دون استثناء .

ويؤيده ماورد في الخبر لدى الفريقين ، عن النبي صلى الله عليه وآله:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةُ الْإِمَامِ أَوْ لَيْسَ فِي عُنُقِهِ عَهْدُ الْإِمَامِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». ^(٢)

رابعاً: الخليفة افضل الخلق وهو وسيلة الله والحبل الممدود

لماذا أخبر سبحانه وتعالى الملائكة بتنصيب الخليفة في الأرض؟

ولماذا أراهم بالعيان والوجدان بأن الخليفة مفضلٌ عليهم؟

ولماذا أمر آدم أن يعلمهم الأسماء؟

ثم لماذا أمرهم بالسجود له؟

ما جرى على الملائكة من الامتحان لهم في موقف الاستخلاف لآدم إنّما هو يعبر عن سنته في هذا الخلق منذ اليوم الأوّل، على أن يجعل ما بينه وبين خلقه الوسيلة والحبل المتّصل بين السماء والأرض.

(١) الكافي: ١/ ١٧٨ .

(٢) كنز الفوائد؛ ج ١ ؛ ص ٣٢٨

والملائكة مع قريهم ومنزلتهم العظيمة عنده تعالى إلا أنه أعلمهم بأنني جاعل في الأرض خليفة، فعلموا أنه الوسيلة إلى الخلق، فطلبوا من رب العالمين هذا المنصب العظيم. ولما لم يحصلوا على مرادهم أراهم رب العالمين أن هذا المنصب لأناس مخصوصين بالفضل والعلم من خلال تعليمه لآدم العلم وأمره بتعليمهم تلك الأسماء، وأمرهم بالسجود له ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٣٤] ليفهمهم ويفهم الخلق أجمع بأن قبول الطاعة والعبادة مشروط بإتيان الوسيلة والطاعة لها، وأن العلم قد استودع عند الوسيلة؛ فمن أراد أن يحصل على المعرفة والعلم فلا بد من إتيان الباب المخصوص لذلك كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بأن وسيلة العلم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنه باب علم رسول الله ﷺ في قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها؛ فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها» (١)

وقد بنى الله نظام هذا الخلق على أساس الوسيلة، فأمر المؤمنين منذ اليوم الأول بالتزام الوسيلة المعينة من قبله، وليس لهم الحق في اختيار ما يريدون، قائلاً لهم في كتابه المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة/ ٣٥].

وهل يمكن لهذا المخلوق أن يرفض الوسيلة لطاعة الله؟ كلا!! وليس له

(١) العمدة لابن البطريق: ٢٩٢-٢٩٣. ورواه الحاكم بسنده عن مجاهد عن ابن عباس وقال

هذا حديث صحيح الإسناد ومستدرک الصحيحین ج ٣ ص ١٣٦ و المتقي في كنز

العمال وغيرهم.

٥٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الاختيار إلا ما اختار الله له. فإن الملائكة تمثل منهج الطاعة واتباع الوسيلة الصحيحة، عندما أطاعت الأمر الإلهي بالتعلم من آدم وبالسجود له..
أما إبليس فإنه يمثل منهج المعصية لله وعدم اتباع الوسيلة، فقد رفض السجود لآدم مدعياً استعداده للسجود لله. ولكن هذا العرض لم يلق استجابة من رب العالمين، لأنه مخالف للسنة الربانية في اتباع الوسيلة المعينة، وهي آدم ومن هم في صلبه من الهداة الأطهار، محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبي والحسين المصطفى وأولاده التسعة الأئمة عليهم السلام. وخسر إبليس برفضه السجود (مرة واحدة) لآدم عبادته الطويلة حيث صلى في السماء ركعتين في أربعة آلاف سنة ولكنه صار من الملعونين المطرودين من رحمة الله لتكبره وكان من الكافرين العاصين لله - في الطاعة حيث أنه في الظاهر موحداً - ولكنه أصبح منهجاً للنفاق والشرك لمنتحلي الدين وإماماً لهم الذين يقرون بالتوحيد ويرفضون الوسيلة المنصوبة من الله سبحانه وتعالى. وقد أوضح ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته في النهج قائلاً:

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُمَا جَمِيٍّ وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ وَاضْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ فَعَدَّوْا اللَّهَ إِمَامًا الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبَرِيَّةِ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ أَلَا [يَرُونَ] تَرَوْنَ

كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبِيرِهِ وَوَضَعَهُ بِتَرْفُعِهِ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْهُوراً وَأَعَدَّ لَهُ فِي
الْآخِرَةِ سَعيراً^(١).

خامساً: الخليفة المخصوص بالعلم من الله وهو أعلم الخلق:

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة/ ٣١] التعليم الذي تمّ لآدم عليه السلام هو الإفاضة من الباري عز وجل، بنحوٍ خارق للعادة من حيث السعة والإحاطة والوفور، ومن حيث العلم بالأمور العالية إلى أن يتنزل وينتهي إلى الأمور العادية^(٢).

إن العلم الذي تعلمه آدم من قبل الحق تعالى لم يكن بالتعليم الكسبي الحسولي إنما هو بالعلم الحضورى، وهو نوع من الارتباط والرقى للروح إلى عوالم عالية.... عياناً وحضوراً. والحديث هنا ليس في مقام الرسالة والنبوة بل في مقام الخلافة وخليفة الله^(٣).

فالعلم المذكور هنا هو خارج حدّ الملائكة لذا نفى التعليم عنهم حتى بعد إنباء آدم يدل على أنّ هذا المقام هو غير مقام النبوة بل هو مقام الإمامة والخلافة كما ترتب عليه إطواع وإتباع الملائكة لهم^(٤).

وتمكن آدم عليه السلام بهذا العلم الشريف وامتحان الملائكة من خلال

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٢٧

(٢) مناهج البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٧٩

(٣) الإمامة الإلهية ج ١، ص ٣١٨

(٤) الإمامة الإلهية ج ١، ص ٣١٨

عرض الأسماء عليهم وعجزهم عن المعرفة لتعريفهم أنهم لا يعلمون كل شيء، وأن الغيوب المجهولة لهم أكثر من المعلومة لهم، وأن آدم متفوق عليهم بالعلم وأنهم المتعلمون في حضرة المعلم بنحو التعلم الحسولي الكسبي لا الحضوري كالذي حصل لآدم بدليل الآية المباركة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة/ ٣١] فالتعليم هنا أفيض على آدم من الله تعالى مباشرة بلا واسطة الملك، وثانياً: ﴿الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة/ ٣١] يدل على سعة العلم وعدم محدوديته ابتداءً من أسمائه الحسنی إلى الأمور العادية، لأن الاسم في اللغة هو السمة، فإن كل شيء وقعت عليه يد الخلق والجعل منه تعالى فهو أسم له تعالى وعلامة وبرهان وسمة له جل شأنه حتى الألفاظ والأصوات. فلا إلزام لتأويل الأسم بالمسمى فأعرف الناس بالخلق أعرفهم بالله وأجهل الناس بالخلقة وأنواعها وأشخاصها وأسرارها وحكمها وفوائها أجهلهم بالله. وحيث ان الله سبحانه علم آدم الأسماء كلها ما عرفناه وما لم نعرفه بعد من أسمائه العظمي و آياته الكبرى فيمكن ان يقال قوله: ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ بالجمع المحلى بالاف واللام وتأكيده بقوله ﴿كلها﴾ أنه شامل للعرش الذي هو علم كل شيء فالعلم بهذه المعنى غيب مطلق عند عامة الخلق وشهادته عند المصطفين من الأنبياء والأوصياء وهو الذي يتحير ويدهش فيه الأحلام والالباب. ^(١)

ثالثاً: الذي عُرِضَ علي الملائكة من الأسماء وعجزت عن معرفتها ليست كلها وانما هو بعضها بدليل التفكيك بين ضمير قوله ﴿كلها﴾ المختص لآدم و ضمير قوله ﴿عرضهم﴾ للملائكة .

(١) مناهج البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٩٧

رابعا: ان الذي وصل للملائكة من تعليم آدم لهم بعض العلم لإبقاء التفوق عليهم بطريق الإنباء وليست بالتعليم (فالتعليم هو العيان الحضوري اما الإنباء فهو إخبار بالعلم الحسولي) ^(١)

وبهذا التفوق العلمي لآدم ﷺ استحق منصب الخلافة الالهيه ، ومن هنا نعلم ان منصب الخلافة و الإمامة هو منصب الهى لمن افاض الله عليه بالعلم الرباني وجعله متفوقا علي سائر الخلق ولم يتأتى هذا إلا لمن اصطفاهم الله من الأنبياء والأوصياء.

ولكي يعلم الخلق أنّ هؤلاء الوسائل هم أفضل الخلق، وأن طاعتهم طاعة الله ورضاهم رضا الله، وأن الله لا يقبل الطاعة إلا من خلال طاعتهم، ففضّلهم بالعلم والمنازل الرفيعة، وأمر الخلق بإتيان أبوابهم للتعلّم منهم، كما جعل الملائكة تتعلّم من آدم وتسجد له إكراماً وطاعةً له وعبوديةً لله سبحانه.

وقد أمدهم بالعلم والوحي الإلهي، وعصمهم من الزلل حتّى يكونوا أمناء على وحيه، وخزّاناً لعلمه، ومستودعاً لحكمته، صادقين مصدّقين، ومستغنين عن الخلق، والخلق كلّهم محتاجون إليهم، وليعرفوا أنّ منصب الإمامة لمن هو أعلم الناس وأفضلهم، وأنّ علمه ليس كما يتعلّم الناس من المعلمين والمربّين والساعين بالكسب، وإنّما هو لمن خصّه الله بالوحي والإلهام، وأنّ العلم الحقيقي هو الصادر عنه سبحانه وتعالى عبر أبوابه المنصوبة، كما ذكر في محكم كتابه العزيز: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة/ ٣١]

٥٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

دالة على أنّ الخلفاء يعلمون كلّ شيء بإذن الله، وهذا شرط الخليفة الربّاني على الخلق، فعندما يجهل الناس يعلمهم^(١)، لكي لا يكون لهم حجة على الله يوم القيامة.

وعرض الأسماء أمام الملائكة لامتحانهم وإثبات عجزهم عن المعرفة، وأنّ حصول العلم ليس بالتمني ولا بالطلب والكسب، وإنما هو نور من الله يقذفه بقلب من أراد له التفضيل والرئاسة، والإمامة على الناس: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة/ ٣١]

ولما عجزت الملائكة عن المعرفة، اعترفت لله سبحانه بالضعف والحاجة إلى أن يأتوا الوسيلة المنصبة ليتعلموا منها، قائلين: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٣].

ولما اعترفوا بالحق والضعف، ورجعوا إلى أنفسهم بأنهم ليسوا أهلاً لذلك، عرفهم منزلة آدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة/ ٣١]

فأخبر الملائكة أنّ غيبه وعلمه يُطلعه على أصفائه من خلقه.

أهل البيت ورثة علم الأنبياء:

فقد ورثوا علم جميع الأنبياء المرسلين، وأمر الله سبحانه وتعالى المكلفين بالتعلم منهم، كما أمر الملائكة بالتعلم من نبي الله آدم عليه السلام، والناس ليسوا أفضل من الملائكة المأمورين بالتعلم من الخلفاء والإئمة المهتدين، فقد جاء في

(١) اي الله جل وعلا يعلم الناس مقام الوسائل ووجوب أتباعهم وطاعتهم.

الكافي عن زرارة وفضيل عن أبي جعفر عليه السلام: «إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عليه السلام لَمْ يُرَفَعْ وَ الْعِلْمُ يُتَوَارَثُ وَ كَانَ عَلَيَّ عليه السلام عَالِمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ إِنَّهُ لَمْ يَهْلِكْ مِنَّا عَالِمٌ قَطُّ إِلَّا خَلَفَهُ مِنْ أَهْلِهِ مَنْ عِلْمٍ مِثْلَ عِلْمِهِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ»^(١).

و جاء في تفسير فخر الرازي: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٣٣] قال: قال علي عليه السلام: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم و استنبطُ من كل باب ألف باب»، قال: فإذا كان حال المولى هكذا فكيف حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.^(٢)

و عن سعيد ابن مسيب قال: «ما كان أحد من الناس قال سلوني غير علي ابن أبي طالب». ^(٣)

و جاء في تفسر- الآية ﴿وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس/ ١٢] عن أبي جعفر عليه السلام عن ابيه عن جده عليه السلام، قال: «لما نزلت هذه الاية علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس/ ١٢] قام أبوبكر وعمر من مجلسهما و قالوا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: (لا)، قالوا فهو الإنجيل؟ قال: (لا)، قال: فهو القرآن؟ قال: (لا)، قال: فأقبل امير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو هذا، انه الإمام الذي احصى الله تبارك فيه علم كل شيء». ^(٤)

(١) الكافي ج ١، ص ٢٢٢

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٨، ص ٢١

(٣) الإستيعاب ج ٢/ ص ٤٦٢، أسد الغابة ج ٤/ ص ٢٢.

(٤) معاني الاخبار ج ١ ص ٩٥

أهل البيت عليهم السلام ابواب العلم:

و نستفيد من الأمر الإلهي ﴿أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة/ ٣٣] إلى أفضيلة الأصفياء كونهم أعلم الخلق حتى من المقرّين من الملائكة وأنّ عليّ الناس القصد إلى بيوتهم للتعلم منهم لأنهم أبواب العلم الذي أبى الله ألا أن تؤتى البيوت من أبوابها، وهو من أعظم الامتحانات عليّ الناس لأنّ التعلم يحتاج الى تطهير النفس من التكبر و الغرور و الحسد و تذليل النفس بالتواضع و الطاعة، فهناك من يدعي أنه موحد ولكنه لا يأتي البيوت من أبوابها، رافضاً بذلك الوسيلة الموصلة الى الله سبحانه و تعالى، و قد امر الله المكلفين بالسؤال و التعلم من أهل الذكر صلوات الله عليهم كما جاء في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام: في قول الله عز و جل: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/ ٤٣] قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الذكر أنا، و الأئمة أهل الذكر».

و قوله عز و جل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف/ ٤٤] قال أبو جعفر عليه السلام: « نحن قومه و نحن المسؤلون ».

أما الذين في قلوبهم مرض فلا يتحملون ذكر أهل البيت عليهم السلام فقالوا إن أهل الذكر هم اليهود و النصارى! وهو غريب لأمرين الأول: كيف يدّعون أن الله يأمر أن نسأل اليهود و النصارى حتى نأخذ منهم دينهم! الثاني: كيف يرضون لليهود و النصارى بالرجوع اليهم في تفسير القرآن و غيره و لا يرضون لرسول الله و للأئمة من أهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين كما أشار إلى ذلك الإمام الباقر عليه السلام فعن محمد ابن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال: «إن من عندنا يزعمون أن قول الله عز و جل ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/ ٤٣] أنه اليهود و النصارى، قال: إذا يدعونكم إلى دينهم، قال: فأشار بيده الى صدره نحن أهل

الذكر ونحن المسئولون».

سادساً: الخلافة والإمامة للصفوة من الخلق (الأنبياء والأوصياء وذريتهم)

هنالك من يدّعي ويقول أن عموم الإنسان هو خليفة الله في الأرض! وكيف يكون الإنسان العاصي لله المتمرد المعاند هو خليفة الله؟ قد أتضح أن المراد من الخلافة في الآية هي الخلافة الإلهية والإمامة والنيابة والسفارة والتبليغ عن الله والحجة بين الله وبين خلقه و الأمين على علمه وأسراره والحبل الممدود بينه وبين خلقه . فهل هذا المعنى ينطبق على كل إنسان؟! طبعاً كلا؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يجعل خليفة يقوم بأمره عاصياً لأوامره متبعاً لهواه جاهلاً بأحكامه. وقد ثبت أن خلفاء الله هم الأمناء على وحيه، العلماء بأحكامه، الولاة على خلقه، المطاعون بأمره، وهو ينطبق على الأنبياء والأوصياء المعصومون المطهرون، ابتداءً من نبي الله آدم حتى خاتم الأوصياء الإمام المهدي الذي يرث الأرض، والموعود بالخلافة، وبذلك تبطل النظرية القائلة الإنسان خليفة الله في الأرض. ويؤيد ذلك الروايات التالية:

جاء في عيون أخبار الرضا عليه السلام قال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ النَّسَوِيُّ ^(١) قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ ^(٢) قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ

(١) على وزن الحلبي منسوب الى النسا بالفتح و القصر و هي بلدة بسرخس قال في القاموس: قرية بفارس و قرية بسرخس و كرمان و همدان. و الظاهر هنا نسا سرخس.

(٢) و في النسخة العتيقة المصححة: «مروان».

أَبُو الْفَضْلِ الْبَلْخِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي خَالُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْبَلْخِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ إِذْ لَقِينَا شَيْخًا طَوِيلَ كَتُ اللَّحْيَةِ (١) بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمُتَكَبِّرِينَ فَسَلَّمَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَرَحَّبَ بِهِ ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَابِعَ الْخُلَفَاءِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَلَيْسَ كَذَلِكَ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلَى ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا الَّذِي قَالَ لِي هَذَا الشَّيْخُ وَتَصَدِّقُكَ لَهُ قَالَ أَنْتَ كَذَلِكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة/ ٣٠] وَالْخَلِيفَةُ الْمُجْعُولُ فِيهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص/ ٢٦] فَهُوَ الثَّانِي وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةً عَنْ مُوسَى حِينَ قَالَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف/ ١٤٢] فَهُوَ هَارُونَ إِذَا اسْتَخْلَفَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْمِهِ فَهُوَ الثَّلَاثُ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة/ ٣] فَكُنْتَ أَنْتَ الْمُبَلَّغُ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْتَ وَصِيِّي وَوَزِيرِي وَقَاضِي دِينِي وَالمُؤَدِّي عَنِّي وَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي فَأَنْتَ رَابِعُ الْخُلَفَاءِ كَمَا سَلَّمَ عَلَيْكَ الشَّيْخُ أَوْ لَا تَدْرِي مَنْ هُوَ قُلْتُ لَا قَالَ ذَاكَ أَخُوكَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَعْلَمَ». (٢)

(١) كث اللحية: اجتمع شعرها وكنف و جعد من غير طول.

(٢) ابن بابويه، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٠ - طهران الطبعة

ما هي الأسماء التي علّمها الله لآدم وعرضت على الملائكة، وعجزت عن معرفتها؟ كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟

الذي يبدو من كلمة «عرضهم» إشارة إلى ضمير العاقل، ويؤيده بالتأكيد سياق الآية إلى استخدام أسماء الإشارة للعاقل أيضاً «بأسماء هؤلاء». والآية التي بعدها تؤكد نفس الضمائر في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾.

فمنهم الأسماء؟ وما الغاية من عرضهم على الملائكة؟

سياق الآيات ولحن الخطاب يظهر منه تحدي الملائكة وبيان عجزهم وعدم علمهم بالمستقبل، حيث إنهم ادّعوا معرفتهم بأن الخليفة الأرضي المنصب من قبل الله سوف يسفك الدماء، فامتحنهم بذات الدعوى، فعرض عليهم الأسماء إن كانوا يعرفونها: ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

نجد الإجابة الشافية في روايات أهل البيت عليهم السلام فقد جاء في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى علّم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلّها ثمّ عرضهم - وهم أرواح - على الملائكة، فقال: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأنكم أحقّ بالخلافة في الأرض لتسيحكم وتقديسكم من آدم، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ﴾ بها وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره، فعلموا أنهم أحقّ بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريّته، ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم، وقال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي

٦٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أَعْلَمَ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمَ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١﴾ .

أهل البيت عليه السلام خلفاء الله الذين يرثون الأرض ومن عليها:

قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة/ ٣٠] فيها إشارة إلى الاستخلاف منذ بدو الخلقة إلى يوم القيامة.

والإستخلاف هو نوع من التملك و التمكين من الأرض وما فيها ومن عليها لأصفیائه ولكن الظالمين و الغاصبين الذين حاربوا أولياء الله و أنبيائه غصبوهم حقهم أو قد جعل الله لهم الحق في إرجاعها بالسيف حتى تفيئ الأرض إلى أهلها وقد قضى ذلك بذلك قضاء حتماً وكتب على نفسه القدوس أن يرد الأرض وما فيها وسلطانها إلى أهلها المصطفين وأن يرثها عباده الصالحين.

وقد أشار القرآن وأحاديث أهل البيت عليه السلام إلى أن الذين يرثون الأرض ويكونون الخلفاء على هذه الأرض هم الأئمة من أهل البيت عليه السلام، وذلك وعد من الله تعالى للمؤمنين والأنبياء والصالحين.

عن عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله جلّ جلاله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور/ ٥٥] قال: هم الأئمة. ^(٢)

وفي كتاب الاحتجاج جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فدار حديثاً طويلاً فقال عليه السلام: «... ويقترب الوعد الحق الذي بينه الله في كتابه بقوله:

(١) تفسير نور الثقلين: ٥٤ / ١

(٢) الكافي: ٢٤٩ / ١

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، وغاب صاحب الأمر بإيضاح العذر له في ذلك، لاشتغال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له، وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها، ويظهر دين نبيه ﷺ على يديه على الدين كله ولو كره المشركون»^(١)

سابعاً : الخليفة هو المطاع بأمر الله تعالى

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة / ٣٤].

بعد ما جرى على الملائكة من إخبارهم بجعل الخليفة وتعريضهم للامتحان في معرفة الأسماء وهم الخلفاء الذين سيجعلهم الله في أرضه، عرضهم مرة أخرى للامتحان، وربما يكون أشد صعوبة من الأول، وهو الطاعة والعبودية لله والتواضع وتعظيم الوسائل المنصوبة من قبله.

ومن هنا نعلم أن الله سبحانه وتعالى يمتحن عباده بعد المعرفة بالتعبّد والطاعة والمحبة لأشخاص إصطفاهم على خلقه والإقرار بفضلهم والتدين بالخضوع لمجدهم أو هو من أعظم الإمتحانات على الخلق، لأنّ الإنسان ينزع الى الأنا والكبر والعصبية التي تحول بينه وبين الإذعان والطاعة للأشخاص الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم والإقرار بفضلهم ومحبتهم. وقد نجحت الملائكة في الإمتحان بعد معرفتهم لآدم وفضله وإنشروا صدورهم لطاعته وتشرفت

(١) الإحتجاج: ١ / ٣٨٢.

٦٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بالسجود له، وقد أبى إبليس أن يسجد تكبراً وحسداً لآدم وذريته، وكان إبليس يعبد الله ظاهراً مع الملائكة، فحسبته الملائكة أنه منها، ولكن أظهر ما في قلبه من الكفر والطمع والتكبر والحسد. كما في الآية المباركة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٣٤].

وكما في قوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف/ ٧].

وفي الحقيقة إن إباء إبليس إنما هو في الطاعة والإذعان والإنصياع لأمر الله و التواضع لآدم ولم يكن الإباء عن أصل العبادة فكان من الكافرين (في الطاعة والإذعان).

قال الشيخ الصدوق طيب الله ثراه: «واستعبد الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً له، لما غيبه عن أبصارهم، وذلك أنه عز وجل إنما أمرهم بالسجود لآدم لما أودع صلبه من أرواح حجج الله تعالى ذكره، فكان ذلك السجود لله عز وجل عبودية، ولآدم طاعة، ولما في صلبه تعظيماً، فأبى إبليس أن يسجد لآدم حسداً له، إذ جعل صلبه مستودع أرواح حجج الله دون صلبه، فكفر بحسده وتأبى، وفسق عن أمر ربه، وطرد عن جواره، ولعن وسُمي رجيماً، لأجل إنكاره للغيبة، لأنه احتج في امتناعه من السجود لآدم بأن قال:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف/ ١٢] فجحد ما غيب

عن بصره، ولم يوقع التصديق به، واحتج بالظاهر الذي شاهده، وهو جسد آدم عليه السلام، وأنكر أن يكون لما في صلبه وجوداً ولم يؤمن بأن آدم إنما جعل قبله للملائكة وأمروا بالسجود له تعظيماً لما في صلبه»^(١)

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ١٣.

وهو مضمون ما جاء في روايات عديدة، منها هذه الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل، وفيه: «إنَّ الله تبارك وتعالى خلق آدم، فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله تعالى عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون؟!»^(١).

وقد أمر الله تعالى بالطاعة لآوليائه بعد طاعته كما قال في كتابه المجيد: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء/ ٥٩] وفي قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء/ ٨٠] وطاعة الولي المنصوب من قبل الرسول هي طاعته وعصيانه عصيان الله تعالى أوقد أمر الله تعالى الأخذ بما قاله الرسول صلى الله عليه وآله في قوله تعالى ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر/ ٧] ومن أهم ما أمر الرسول ﷺ به هو محبة آل وولايتهم «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقوله صلى الله عليه وآله «علي مني وأنا منه».

ومن هنا يعلم أنَّ معرفة الله وعبادته لا تتم إلا بمعرفة الخليفة والإمام في كل زمان أو الرجوع إليه والتعلم منه أو هذه هي عقيدة الإمامية التي تقرّ أنَّ الإمامة و الخلافة هي جعلٌ من الله في كل زمان حتى قيام الساعة أو إنه لا يحقّ للناس أن يختاروا لأنفسهم إماماً وخليفة أو أنَّ عليهم الإذعان والطاعة للأئمة المنصوبين من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وأله بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى كما جاء في الكافي: عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ صَالِحِ بْنِ السَّنْدِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٣٨/١.

عَبْدُ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «نَحْنُ الَّذِينَ فَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَنَا لَا يَسْعُ النَّاسُ إِلَّا مَعْرِفَتَنَا وَلَا يُعَذِّرُ النَّاسُ بِجَهَالَتِنَا مَنْ عَرَفَنَا كَانَ مُؤْمِنًا - وَمَنْ أَنْكَرَنَا كَانَ كَافِرًا وَ مَنْ لَمْ يَعْرِفْنَا وَلَمْ يُنْكِرْنَا كَانَ ضَالًّا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْهُدَى الَّذِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ طَاعَتِنَا الْوَاجِبَةَ فَإِنْ يَمُتْ عَلَى ضَلَالَتِهِ يَفْعَلِ اللَّهُ بِهِ مَا يَشَاءُ». (١)

وكما جاء في الرواية عن الإمام الصادق ﷺ:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن الخالد البرقي، عن القاسم بن محمد الجوهري، عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله - عليه السلام - الأوصياء طاعتهم مفروضة؟

قال: نعم [هم] الذين قال الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء/ ٥٩] وهم الذين قال الله - تعالى - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة/ ٥٥]. (٢)

ثامنا : غيبة الخلفاء امتحان للخلق:

عندما حصلت المعرفة للملائكة بأسماء حجج الله، وصار ذلك حجة عليهم، أراهم أنوارهم في ذلك العالم، غيبهم عن أبصارهم واستعبدتهم بولايتهم ومحبتهم، كما في خبر الإمام الصادق ﷺ. (٣)

وفي روايات أخرى أنّ الامتحان جرى للملائكة قبل خلق آدم بسبعائة

(١) الكافي ج ١ ص ١٨٧

(٢) نفس المصدر ١ / ١٨٩، ح ١٦.

(٣) تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب - طهران الطبعة الاولى، ١٣٦٨ ش.

(٤) ينظر: تفسير نور الثقلين: ١ / ٥٤.

عام. (١)

الامتحان الذي جرى لهم بالسجود هو امتحان في الإيمان بالغيب والغيبة والتعظيم لحقّ الأسماء التي عرّفها لهم.

وقد مدّح الله تعالى المتّقين بهذه الصفة، قال تعالى: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة/ ١-٣].

وقد فُسّر الغيب هنا بغيبة مولانا الحجة المهدي بن الحسن عليه السلام كما في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام فقال: «المتّقون شيعة علي عليه السلام والغيب هو الحجة الغائب» (٢).

وفيه أنّ الإيمان بالغائب هو كمال الطاعة والعبودية والإخلاص لله تعالى، لأنّ البيعة للإمام الحاضر ربّما لا يكون فيها كمال الإخلاص، وإنّما هو لأغراض متعدّدة، ولكن الاعتقاد بغيبة خليفة الله في الأرض - وهو مستور عن الأعين - أشدّ وأبلغ. وإذا كانت سنّة الله جرت منذ بدء الخليقة بالغيبة، فكيف لا يكون ذلك في آخرها ومنتهاها؟

يقول شيخ المحدثين الصدوق طيّب الله ثراه: «فمثل من آمن بالقائم عليه السلام في غيبته مثل الملائكة الذين أطاعوا الله عزّ وجلّ في السجود لآدم، ومثل من أنكر القائم عليه السلام في غيبته مثل إبليس في امتناعه من السجود لآدم» وإذا كانت أشدّ الامتحانات على الملائكة وعلى إبليس التصديق والطاعة

(١) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ١١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ١٨.

٦٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

للخليفة الغائب، فإنّ الامتحان في هذا الزمن بغيبة وليّ الأمر الإمام المهدي المنتظر هو أشدّ على المؤمنين، لطول المدّة وكثرة الفتن والمحن والظلم والجور الذي يجري عليهم.

وما يظهر الإيـان بالغيب والتسليم عند المؤمنين هو حبّهم ومواساتهم لوليّ الأمر صاحب الزمان كونه مضطراً خائفاً من أعداء الله الذين يريدون إطفاء نوره، ولذا فالمؤمنون يتوسّلون إلى الله عزّ وجلّ في حفظه وإطالة عمره.

الغيبة سنة الله الجارية في الأولين والآخرين:

كما جرت سنة الله في بداية الخلق على الملائكة وإبليس الرجيم ما يناسب ذلك العالم، كذلك جرت تلك السنة في بداية تاريخ البشرية على وجه الأرض بعد نبيّ الله آدم عليه السلام، حيث غاب الأوصياء من بعده حتّى زمن نوح عليه السلام خوفاً من الظالمين، وكذا الذين بعد نوح حتّى زمن نبيّ الله هود، واستمرّت غيبات الأوصياء لفترات طويلة. وربّما كانت فترات الغيبة أكثر من فترات الشهود، ومن ذكر من الأنبياء في القرآن هم أقلّ بكثير ممّا لم يذكروا، وهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي.

والأخبار تحكي بعض تاريخ الأنبياء وأوصيائهم، وما جرى على نبيّنا وأوصيائه من بعده، فقد جاء في الخبر المفصّل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام، قال: «... ثمّ إنّ هبة الله لما دفن آدم أباه أناه قابيل، فقال له: يا هبة الله إنّني قد رأيت آدم أبي حصّك من العلم بما لم أُحصّ به، وهو العلم الذي دعا به أخوك هابيل فتقبّل منه قربانه، وإنّا قتلته لكيلا يكون له عقب فيفتخرون على عقبي، فيقولون: نحن أبناء الذي تقبّل قربانه وأنتم أبناء الذي لم يتقبّل قربانه، وأنك إن أظهرت من العلم الذي اختصّك به أبوك شيئاً، قتلتك كما قتلت أخاك هابيل.

فلبث هبة الله والعقب منه مستخفين بما عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة حتى بعث نوحاً، وظهرت وصية هبة الله، حين نظروا في وصية آدم، فوجدوا نوحاً قد بشر به أبوهم آدم فأمنوا به واتبعوه وصدقوه...

وإنما عرفوا نوحاً بالعلم الذي عندهم، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [هود/٢٥] (١)

وكان ما بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن، فلم يسموا كما سُمي من استعلن من الأنبياء، وهو قول الله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء/١٦٤] (٢)

يعني من لم يسمهم من المستخفين كما سُمي المستعلنين من الأنبياء. فمكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يشاركه في نبوته أحد، ولكنه قدم على قوم مكذّبين للأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم، وذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء/١٠٥].

يعني من كان بينه وبين آدم، إلى أن ينتهي إلى قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٢٢].

ثم إن نوحاً لما انقضت نبوته واستكملت أيامه، أوحى الله إليه: يا نوح، إنه قد

(١) ينظر: تفسير العياشي: ١/ ٣١٠-٣١١.

(٢) كمال الدين واتمام النعمة: ٢١٥-٢١٦.

انقضت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوة في العقب من ذريتك عند سام، فإنني لن أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين بينك وبين آدم، ولن أدع الأرض إلا وفيها عالم يُعرف به ديني، وتُعرف به طاعتي، ويكون نجاة لمن يولد فيما بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر، وليس بعد سام إلا هود، فكان ما بين نوح وهود من الأنبياء مستخفين ومستعلنين.. وكان بين هود وإبراهيم من الأنبياء عشرة أنبياء.. ثم أرسل الله عز وجل الرسل ترى ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [المؤمنون/ ٤٤] وكانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم نبين وثلاثة وأربعة، حتى أن يقتل في اليوم الواحد سبعون نبياً، ويقوم سوق قتلهم في آخر النهار، فلما أنزلت التوراة على موسى بن عمران عليه السلام تبشّر بمحمد ﷺ.

وكان بين يوسف وموسى عليهما السلام من الأنبياء عشرة.. فبشّر موسى وعيسى عليهما السلام بمحمد ﷺ، كما بشرت الأنبياء بعضهم بعضاً حتى بلغت محمد ﷺ، فلما قضى محمد ﷺ نبوته، واستكملت أيامه، أوحى الله إليه: أن يا محمد قد قضت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي ابن أبي طالب عليه السلام، فإنني لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم، وذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤] (١)

(١) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ١/ ٢١٥-٢١٧.

الشاهد من هذا الخبر أمور:

أولاً: أن سلسلة الأنبياء والأوصياء لم تنقطع عن الدنيا لحظة واحدة منذ أن أهبط الله آدم إلى الأرض، وهي متصلة إلى زمان نبينا محمد ﷺ، واستمرت في أوصيائه الأئمة الطاهرين، وهي مستمرة في صاحب الزمان المهدي بن الحسن من دون فاصلة بينه وبين الأوصياء، وهو في غيبته حتى ظهوره في الوقت المعلوم.

ثانياً: أن العلم والإيمان وآثار النبوة والاسم الأكبر كان ينتقل من واحد إلى آخر في الأعقاب من نفس الذرية الطاهرة، إما في أولادهم أو إخوانهم «ذرية بعضها من بعض» لأن الله لا يدع الأرض إلا وفيها عالم يُعرف به الدين وطاعة الله، ويكون نجاة للخلق.

ثالثاً: لقد جرت سنة الغيبة والاستخفاء على الأنبياء وأوصيائهم خوفاً على الدين وتقية من أعدائهم الذين يريدون قتلهم حسداً وطمعاً في الإمامة، كما جرى على هابيل من قبل أخيه قابيل، واضطر هبة الله أن يخفي الوصية ولم يعلن نبوته، وكذا الذين من بعده عشرة إلى زمن نوح... وإن المستخفين من الأنبياء والأوصياء أكثر من المعلنين، حيث أشار القرآن إلى ذلك ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]

رابعاً: تلك السنة جارية في هذه الأمة، لأن الأمة سارت على درب الأمم السابقة في تكذيب الأوصياء وقتلهم واحداً بعد واحد، فقد قُتل الأئمة الأطهار من ذرية رسول الله كلهم، مما اضطر آخر الأوصياء إلى الغيبة بأمر الله تعالى لحفظه من القتل كي لا يطفأ نور الله وحجته في الأرض مما يؤدي إلى هلاك الدنيا بما فيها.

تاسعاً: الخليفة الحجة في الأرض قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق:

٧٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

إنَّ الغاية من إيجاد هذا الخلق رحمتهم وهدايتهم وحفظهم وعدم تعريضهم للهلاك والعذاب المعنوي والمادي في الدنيا والآخرة، ولا يكون ذلك إلا بوجود الحجة، حتَّى لا يقول أحدٌ يوم القيامة: ﴿لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه/١٣٤] ولذا فإنَّ الله يحتجَّ على خلقه بالرسول يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء/١٥]، وإنَّ الأرض لا تصلح لحظة واحدة من دون نور الله في الأرض، وإنَّه قد وعد المؤمنين أنَّه مُتِّمُّ نوره ﴿وَاللَّهُ مُتِّمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف/٨] وذلك في أعقاب ذرِّيات الأنبياء واحداً بعد واحد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فقد روى الشيخ الصدوق بالسند المتصل عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «ما ترك الله الأرض بغير إمام قطّ منذ قبض آدم عليه السلام، يُهتدى به إلى الله وهو الحجة على العباد؛ من تركه ضلَّ ومن لزمه نجا، حقّاً على الله»^(١).

وروى بسنده إلى عمّار الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته وهو يقول: «لم تخل الأرض منذ كانت من حجة عالم يحيي فيها ما يميّتون من الحقّ»، ثم تلا هذه الآية ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِّمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) وروى بسنده إلى أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق»^(٣).

ثم صرّحت النصوص بأنَّ الحجة الربانيّة لا بد من أن يكون إماماً من الله تبارك

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١.

وتعالى. فقد روى الكليني بسنده إلى داود الرقي عن العبد الصالح عليه السلام قال: «إنَّ الحُجَّةَ لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام حتى يُعرف»^(١).

ومفهوم الإمام في خطابات ونصوص الوحي خاصة ومحصورة في مصطلح واضح كما في الرواية التالية: فقد روى الكليني بسنده المتصل عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال إنَّ الأئمة في كتاب الله إمامان، قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء/ ٧٣] لا بأمر الناس يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم.

ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص/ ٤١] يقدمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل.^(٢)

وحيث إنَّ البشر يجهلون ويعصون الله سبحانه ويدخلون في الباطل وأنَّ الله لا يرضى بذلك، فقد وضع لهم الضمانة لعدم الوقوع في الفساد الذي يرشدهم ويهديهم إلى الحق.

وروى الكليني طيب الله ثراه بسنده إلى أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام - يعني الباقر أو الصادق - قال: قال: «إنَّ الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك

(١) الكافي: ١ / ١٧٥.

(٢) الكافي: ١ / ٢١٦.

٧٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

لم يُعرف الحقّ من الباطل»^(١)

وروى الصدوق بسنده إلى الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ العلم الذي أنزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، وما مات منّا عالم إلاّ ورّث علمه [من بعده]، إنّ الأرض لا تبقى بغير عالم»^(٢)

عاشرا: كون الخليفة إماماً معصوماً من الله تعالى:

الذين تشبّثوا بعدم ولادة الإمام الحجة اضطرّوا إلى تكذيب النصوص المستفيضة (من الآيات والروايات) في كون حجة الله في الأرض نبياً أو إماماً معصوماً بنصّ من الله تعالى!

وقصص الأنبياء والأوصياء في القرآن كثيرة تفضح هذه الشبهة، وكذا العقل يشهد بأنّ الغاية من بعث الأنبياء والأوصياء هو لطف الله بالعباد ورحمتهم، وعدم تعريضهم للعذاب والهلاك والضلالة، ولا يكون ذلك إلاّ باستمرار حجج الله في الأرض، وأنّه يستحيل أن يموت النبي أو الوصي من دون أن يوصي للخليفة من بعده.

وإنّ الحكيم لا يخالف فعله صفته، فمن مقتضى الحكمة أن يقدّم الأهمّ على المهم، والفاضل على المفضول، والكامل على الناقص، والعالم على الجاهل، والمعصوم على المذنب، والأمين على الخائن.

وحيث إنّ الله يآتمن حجّته على إبلاغ دينه إلى الناس، لا بدّ أنّه يختار الأمين الحافظ العالم المعصوم الذي لا يخون ولا يجهل لحظة واحدة.

(١) الكافي: ١/ ١٧٨.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٤.

فلو أنه جعل عليهم مَنْ يذنب ويجهل - ولو لحظة واحدة فقد - عرّض عباده للجهالة والضلالة، وأصبحوا معذورين امامه يوم القيامة. وقد ثبت في تاريخ العلماء الأتقياء والمراجع الكرام أنّهم يقعون في هفوات وزلات، ويخطئون الحكم الواقعي، لأنّهم غير معصومين، وربّ العالمين منزّه عن أن يجعل حججه على كلّ العباد مَنْ كان شأنه الخطأ والجهل. وهذا لا ينافي أن يكون العلماء العدول مراجع وقادة وحجج على الناس في زمان الغيبة، ولكن لا بدّ من وجود الحجة المعصوم من الله عليهم، وإلاّ تعرّض هؤلاء العلماء أيضاً إلى الهلاك والضلال، لأنّ وظيفة الإمام المعصوم هو إرشادهم وتسديدهم، فقد وردت في هذا الشأن عن صاحب الزمان عليه السلام الرواية المشهورة: «وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»^(١)

وعند التأمّل في الحديث نجد أنّ امتياز هؤلاء إنّما كونهم حجج على الناس، لأنّهم يمثلون الإمام، ويبلّغون الأحكام الصادرة عن أهل البيت، ويروون أحاديثهم، وبهذا الشرط جعلهم الإمام وكلاء وممثّلين، ومع ذلك فإنّ الرواية لم تمنحهم الاستقلال والإطلاق في الحجّية، وإنّما هي لإضافة حجّية الإمام عليه السلام عليهم. ويظهر لنا هذا الحديث كم هو عظيم منصب المراجع والمجتهدين! وكم هو دقيق وخطير! حيث إنّ العلاقة والرابطة بإمام الزمان تشترط بالتزام أهل البيت عليهم السلام علماً وعملاً، عندئذ يصبحون تحت رعاية وتسديد الإمام صاحب

(١) مستند الشيعة: ١٧: ١٩.

العصر والزمان عنه السلام

أما الأدلة اللفظية في كون الحجّة «معصوما» فلا يمكن حصرها، والآيات القرآنية والنصوص الشريفة تؤكد ذلك، لأنّ الله جعل حجّتين متلازميتين لا تنفكان عن بعضهما أبداً، وهي: كتاب الله، وأهل البيت، كما جاء في حديث الثقلين. وتكفي الإشارة إلى هذه النصوص القرآنية المؤيدة بالأخبار الشريفة، ومنها: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد/٧].

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود/١٧].

وقوله سبحانه: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر/٤].

والوجه فيها: أنّ الأرض لا تخلو من هادٍ في كلّ زمان، وهو على نهج رسول الله عليه السلام ومن نفس الذرّية ونفس النبي، وهو الذي يتلو النبي ويخلفه، وأنّه لا بدّ من وصيّ يتلو السابق يكون على نفس النهج ونفس الصفة، وهي الأمانة والعصمة، وأنّه يكون مؤهلاً لنزول الملائكة عليه بالعلوم والأحكام، ولا يكون من هذه صفته إلاّ نبياً أو وصيّاً لنبيّ معصوم من الله سبحانه وتعالى.

ومن تكون هذه صفته فهو شخص الإمام الثاني عشر المهدي بن الحسن من دون فصل بينه وبين آبائه وإلاّ كذبنا هذه النصوص المباركة، وخالفنا ضرورة استمرار الهداية ونزول الملائكة واتّصال الوصيّة.

فقد روى الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فقال: «رسول الله عليه السلام المنذر، ولكلّ زمان منّا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبيّ الله عليه السلام، ثمّ الهداة من بعده عليّ ثمّ الأوصياء واحد بعد واحد». (١)

(١) الكافي: ١/ ١٩١-١٩٢.

وإذا لم نقرّ بهذه الحقيقة، وهي اتصال الهداة من آل البيت واحداً بعد واحد إلى قيام الساعة، فقد كذبنا القرآن وقلنا بتعطيله وإبطاله!!

والقرآن لا يبطل ولا يتعطل كما ورد عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام «...رحمك الله يا أبا محمد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنه حيٌّ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى»^(١) وهذا الأمر لا ينطبق في هذا الزمان إلا على صاحب الأمر المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام عليه السلام. كما ورد في الخبر عن عبد الرحيم القصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

فقال: «رسول الله ﷺ المنذر وعليّ الهادي، أما والله ما ذهب منا وما زالت فينا إلى الساعة»^(٢)

وربّ العالمين منزّه عن النقص والضعف والظلم، ومن كماله وعدله وعظمته أن لا يترك الأرض من دون إمام معصوم من الله تعالى، فقد ورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله أجّل وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عدل»^(٣)

وعن الحسن بن عليّ الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول:

(١) الكافي: ١/ ١٩٢.

(٢) الكافي: ١/ ١٩٢.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢٩.

٧٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

«إنَّ أبا عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ الْحِجَّةَ لَا تَقُومُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا بِإِمَامٍ حَتَّى يُعْرِفَ»^(١)

وقد ثبت بالأدلة القطعية النقلية والعقلية الكثيرة وفي جميع ما يتعلق بالأئمة والأوصياء المجعولين من قبل الله أنهم معصومون مطهرون لأنهم أمناء الله على خلقه وعلى علمه.

ما هي مهام الخليفة ووظائفه للناس؟

أولاً: «الخليفة» الواسطة والسفير بين رب العالمين وخلقهم:

لماذا؟ لأنَّ ربَّ العزّة هو الخالق المتعالى الذي لا يجانس خلقه ولا يباشرهم، ولا يشاهدونه ولا يلامسونه، فهو لا يشبهه شيء، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، والمطلع على كلِّ حال، وهو الظاهر والباطن الذي ليس كمثله شيء، والعالم في أمره والحكيم في أفعاله، وإنَّما خلق الخلق ليرحمهم ويُعرفهم مصالحهم، ويهديهم إلى الحقِّ ويُبعدهم عن الباطل.

ولذا فإنَّه تعالى بعث الأنبياء ليقوموا بهذه المهمة الكبيرة التي لا يتحمّلها إنسان عادي، فأيدهم بالوحي، وسدّدهم بالتوفيق، وأدّبهم بآدابه، وإنَّ المصلحة تقتضي استمرار رسالة السماء بين الناس إلى قيام الساعة، حتّى ولو كان الأنبياء والأوصياء مستترين، وهذه السنّة التي جرت في الماضين لا بدّ أن تجري في هذه الأئمة، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «القدّة بالقدّة، والنعل بالنعل»

(١) الكافي: ١ / ١٧٧.

والرواية التالية تسلط الضوء على هذه الحقيقة:

عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله: من أين أثبت الأنبياء والرسل؟

قال: «إنّا لما أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجوز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، فيباشروهم ويباشروه، فيحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه جلّ وعزّ، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شيء من أحوالهم، مؤيّدون من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علمٌ، يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته»^(١)

الرواية واضحة الدلالة في أنّ السفراء هم الحجج من الصفوة من الأنبياء والمرسلين الذين ثبتت عصمتهم وعدالتهم وصدقهم من خلال البراهين والعلوم التي كانوا يحملونها ويثبتون بها، وهم مؤيّدون من عند الله ومؤدّبون بالفضائل الربّانية، ولا تنطبق هذه الصفات إلّا على من عصمهم الله من الزلل والدنس وأكرمهم بالمعاجز، وكلّ ذلك لغاية وهدف كما ذكر الإمام عليه السلام، وهو لكيلا تخلو

(١) الكافي: ١/ ١٦٨.

الأرض من حجة يكون صاحب علم وأمانة وعدالة.

ثانياً: أبواب الهداية:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح / ٢٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة / ٢].
فلولا رسالات الأنبياء لبقى الناس كالبهائم يعيشون في الظلمات والجهل، وحيث إن الله خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً، فهو يحمل في طياته الجهل والضلال والموت.. ولولا عناية الله وإمداده بالنعم التي لا تُحصى، وأولها العقل وبعثة الأنبياء لبقى الإنسان بحالة لا توصف من الحيرة والضلالة.

وشاءت إرادة الله أن يجعل لهم في كل زمان حجة عليهم يردّ الجاهل عن جهله، والظالم عن ظلمه، والفاسق عن غيّه إلى قيام الساعة، ولا يكون ذلك إلاّ باستمرار رسالات الأنبياء واحداً بعد واحد.

ولما اكتملت عدّة الأنبياء، وكان نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وأُمته آخر الأمم، أبى الله إلاّ أن يتمّ نوره في هذه الأمة إلى قيام الساعة بأوصياء اثني عشر- من بعده، كما كانت السنّة في الأمم السابقة «القذّة بالقذّة»، يهدونهم إلى الحقّ ويكونون عليهم حججاً، وإن كذبوهم وقتلوهم.

وشاءت إرادة الله حفظ الإمام الثاني عشر- آخر الأوصياء، لكي لا تنكسف شمس الهداية عن هذا الوجود، وليبقى مصدر النور متوقّداً خلف السحاب، ليعطي الحياة الدفء والنور الضروري لحفظ الحياة من التلاشي والانعدام.

فما هي مهمّة الإمام لهذا الخلق؟

جاء في الخبر عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله، وهو حجة على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده»^(١).

١ - فالمهمّة الموكولة إلى الإمام عليه السلام: هو بثّ نور الهداية إلى الخلق أجمع، ولا يكون ذلك إلا من خلال تعرّضهم لنوره المبارك، لتحقيق النفع والفائدة، فمثله كمثل المصباح، فحيث ما استفيد منه فإنّه يشعّ لصاحبه النور والاهتداء من الظلمات، ومن لا يتعرّض لنوره المبارك فسوف يبقى يعاني العمى والضلال. فوجود الإمام عليه السلام ضروريّ في كلّ زمان ومكان كضرورة الشمس لأهل الأرض، وكما أنّ الشمس التي تحتجب خلف السحاب لفترة زمنيّة لا تنعدم ولا تتوقّف فوائدها الكثيرة، كذلك الإمام الحجة المهدي الغائب، فإنّ نوره يضيء القلوب بنور الإيمان والولاية، ويعرج بها إلى ربّ الأرباب، فهو حبلٌ ممدودٌ بين السماء والأرض، لكي لا تظلم هذه الأرض، ولكي لا تنفصل عن نبع النور الفيّاض، ولذا فإنّ الإمام قال: «يهتدى به إلى الله».

٢ - حاجة الناس إليه لتمييز الحقّ من الباطل: فإنّ الناس في كلّ زمان ومكان غالباً ما يختلفون في تفسير الحقّ والباطل، فكلّ يدّعي أنّه صاحبه والآخر هو الباطل. وما أشدّ ما يختلفون في أمور الدين، حتّى يكثُر الجدل والخصام والاختلاف والافتتال.

(١) الكافي: ١ / ١٧٩.

٨٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وهذا الأمر جارٍ في جميع الأمم، وفي هذه الأمة أكثر من غيرها، كما تنبأ لها رسول الله ﷺ بأنها ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة.

ولكنه ﷺ لم يترك الحبل على الغارب، وإنما وضع العلاج والمخرج من هذا الاختلاف، عندما أبان لهم الضمان من الضلالة، فذكر لهم حديث الثقلين، وهما الكتاب والعترة، لأنهم أبواب العلم والعلماء لهذه الأمة والحجج عليها، فهم أعلم الأمة وأقضاهها، كما قال ﷺ: «أعلمكم عليٌّ.. وأفضاكم عليٌّ عيسى...»، وقال: «لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم».^(١)

فألزم الأمة الرجوع إليهم في أمور الدين، كما أكد ذلك القرآن الكريم أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/٤٣].

وواقع حال الأمة أكبر شاهد على حالة الاختلاف والتفرق والتناحر وتعدد المذاهب والفرق، وكلُّ يدعي وصلاً بليلى.

فإذا كان رب العزة يعلم بما يقع الناس فيه من الاختلاف بعد رسول الله ﷺ، ولا يضع لهم المخرج والمنهج لحل الاختلاف، فقد عرّض عباده للهلاك والضلal، وهو منزّه عن النقص والظلم والجهل.

لكنه تعالى اصطفى خيرة خلقه، وجعلهم أئمة على الناس ليهدوهم إلى الحق ويبيدوهم عن الباطل إلى يوم القيامة، قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ

(١) المواقف: ٦٢٧-٧٥٦.

وإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿[الأنبياء/ ٧٣].

فكانت مهمة الأنبياء وأوصيائهم على طول الدهر منذ آدم حتى نبينا محمد ﷺ وأوصيائه من بعده - القيام بهذه الأدوار التي عينها لهم رب العالمين، ومن أهم هذه الأدوار بيان الحق ورد الناس عن الباطل، لأنهم ضمانة المجتمع من الاختلاف في الحق - عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: قال: «إن الله لم يدع الأرض بغير عالم ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل»^(١)

٣- بيان الأحكام الإلهية: تفاصيل الأحكام الإلهية تحتاج إلى من يعرفها للفقهاء وللناس كما أرادها الله سبحانه وتعالى، وليس كما يفهمها الناس، حيث إنه العالم بالمحكم والمتشابه والناسخ من المنسوخ والخاص والعام.

وهذه الصفة لا تنطبق إلا على من وصفهم رب العالمين في كتابه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت/ ٤٩]،

وفي قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران/ ٧].

فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله»^(٢) وجاء عن عبد الله بن سلمان العامري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما زالت الأرض إلا والله فيها الحجة، يُعرف الحلال والحرام، ويدعو الناس إلى سبيل الله»^(٣) وهذا الأمر لا بد أن يكون في كل زمان لنفس العلل السابقة، ولكي

(١) الكافي: ١/ ١٧٨.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٣١٦.

(٣) الكافي: ١/ ١٧٨.

لا يجهل الناس الأحكام الإلهية الصحيحة.

حتى زمن الغيبة الصغرى كانت الأسئلة الشرعية تصل إليه من شيعته عبر نوابه وسفرائه الأربعة، وكانت الإجابات تصدر عنه ثم تصل إلى أصحابها. أمّا في زمن الغيبة الكبرى فإن الإمام عليه السلام قد فوّض للفقهاء الوكالة العامة لإفتاء الناس وتعليمهم الحلال والحرام، ومن المعروف أنه عليه السلام له عنايات خاصّة بالفقهاء العدول بطرقه الخاصّة المختلفة والمستمرة بلا انقطاع، ولولا هذه العنايات لبقى العلماء بحيرة في كثير من الأحكام الشرعية.

والفقهاء العظام يدركون هذه الحقيقة الساطعة، فهم يستغيثون ويتوسّلون بالإمام لحلّ مشكلاتهم ومعضلاتهم الفقهية، وظهرت مواقف عديدة للفقهاء مع صاحب الزمان، سجّلت في تاريخهم. فلورجعنا لتراجهم لوجدنا أنّ كثيراً منهم له عناية وموقف من الإمام سلام الله عليه، هذا عدا ما لم يذكر من قبلهم عليهم الرحمة، لتواضعهم وإخلاصهم وللخوف من قبل الناس.

والرواية التالية تبين هذه المهمة للإمام عليه السلام وعنايته للفقهاء والمؤمنين الصالحين فعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم»^(١)

والرواية واضحة الدلالة على أنّ وظيفة الإمام المعصوم في كلّ زمان تسديد المؤمنين عندما يخطؤون في فهم الحكم أو تطبيقه، أو يتقصون في الحكم الشرعي أو يزيدون فيه، وكلاهما يخرج المكلف عن الصواب. فالإمام عليه السلام يردهم عند الزيادة ويتمّ لهم عند النقص، ولا يكون ذلك إلّا عند العلماء والفقهاء غالباً، لأنّهم

(١) الكافي: ١/ ١٧٨.

المتصدّون في بيان الحكم والفتيا، وليس عند عوام الناس .

ثالثاً: الشهداء على الخلق:

جرت سيرة البشر وخصوصاً عند العقلاء منذ القديم بأنهم يُشهدون الشهود على أمورهم المهمّة، كالعقود والإيقاعات والمنازعات والودائع وغيرها. وهذه السيرة مستمرة إلى يومنا هذا وماضية في القوانين البشريّة.

فإذا كانت هذه السيرة حسنة عند المخلوقين، فكيف لا تكون عند خالقهم وسيّدهم وهو أحكم الحكماء وسيّد العقلاء؟ فقد بعث الأنبياء والأوصياء إلى الناس يعرفونهم دينه، ووعدوهم بالثواب والجنّة على الطاعة، وأنذروهم بالعقاب والنار عند المعصية، فأطاع من أطاع وعصى من عصى. فلو أنّ أحداً احتجّ على الله يوم القيامة بأنني معذور على ما اقترفت من معاصي، لأنّ أحداً لم يبلغني الحقّ ويردّني عن الباطل!!

فإنّه سبحانه وتعالى يأتي بشهوده ليوم القيامة، وهم الأنبياء والأوصياء على أقوامهم - وكفى بالله شهيداً - وحينما جعل هذه السنّة في خلقه فلا بدّ أن يعمل بها إلى يوم القيامة عند المحكمة الكبرى. وقد شهد جميع الأنبياء على أقوامهم في الزمان الذي عاشوا فيه.

فقد ذكر القرآن المجيد شهادة نبيّ الله عيسى عليه السلام على قومه عندما كان فيهم، وبعد انتقاله إلى جوار ربّه صارت الشهادة لله سبحانه وتعالى. والآيات التالية تصوّر الحوار التالي للمحاكمة الإلهيّة في يوم الجزاء لقيومه وعيسى المسيح عليه السلام وقومه من الذين اتّخذوه وأُمّه إلهين من دون الله، فالحاكم هو ربّ العزّة والجلالة، والشاهد هو عيسى، والخصم هم بنو إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

٨٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

«أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» [المائدة/ ١١٦-١١٧].

رب العالمين على كل شيء شهيد، إلا أنه أجرى سنة الشهادة في الدنيا والآخرة، ولذا فإن عيسى سوف يتبرأ إلى الله يوم القيامة من مقالة بني إسرائيل، وسوف يقبل الله تعالى شهادته عليهم. فقد أكد نبي الله عيسى عليه السلام حقيقة الشهادة التي يريد بها الله من حججه، وهي «كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم». وهذه الشهادة التي يبتغيها الله في يوم الجزاء عند المحاكمة الكبرى، جرت على جميع الأمم السابقة، وكذا جرت في هذه الأمة، وهي مستمرة إلى يوم القيامة من دون انقطاع لحظة واحدة، لأن الشاهد لا بد من حضوره عند تفاصيل القضية التي يشهد عليها، ولذا فإن شهادة مولانا صاحب الزمان تجري على هذه الأمة منذ أن تولى الإمامة بعد أبيه إلى يوم خروجه وشهادته عليه السلام، وهذا لا ينافي أن الأنبياء والأوصياء الذين رحلوا إلى ربهم أحياء عند ربهم يرزقون، حيث إن عالمهم مشرف على عالم الشهود، فهم مطلعون على هذا العالم، إلا أن الشهادة المطلوبة التي تحج الخصم هي تلك الشهادة العينية الوجدانية، كقول عيسى: «ما دمت فيهم».

القرآن يؤكد شهادة الأئمة الأطهار عليهم السلام لهذه الأمة إلى يومنا هذا:

قال تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى

هُؤْلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

[النحل / ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا...﴾ [النحل / ٨٤].

فقد جاء في تفسيرها عن علي بن إبراهيم قال: «لكل زمان وأمة إمام، يبعث كل أمة مع إمامها»^(١)

وفي تفسير مجمع البيان في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني يوم القيامة، بين سبحانه أنه يبعث فيه من كل أمة شهيداً، وهم الأنبياء والعدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم.

وقال الصادق عليه السلام: «لكل زمان وأمة إمام، تبعث كل أمة مع إمامها»^(٢)

أقول: الظاهر من كلامه عليه الرحمة: «والعدول من كل عصر»، هم الأئمة عليهم السلام بقرينة السياق: «الأنبياء والعدول من كل عصر». والقرينة الأخرى استشهاده بقول الإمام الصادق عليه السلام مباشرة: «لكل زمان وأمة إمام...».

وما يؤكد أن المقصود من الآية هم أهل البيت عليهم السلام الروايات التالية:

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ قال: «نحن الشهود على هذه الأمة»^(٣)

قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

(١) تفسير القمّي: ٣٨٨ / ١.

(٢) مجمع البيان: ١٨٨ / ٦.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب: ٣١٤ / ٣.

٨٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بَشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴿[النساء/ ٤١] .

قال: «نزلت في أمة محمد ﷺ، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم،
ومحمد ﷺ شاهد علينا» (١)

وعن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل:
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

قال: «نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه».
قلت: قول الله عز وجل: ﴿مَلَّةٌ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج/ ٧٨].

قال: «إيانا عنى خاصة ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج/ ٧٨].
في الكتب التي مضت (وفي هذا) القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾
فرسول الله ﷺ الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عز وجل، ونحن الشهداء على
الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه يوم القيامة» (٢)

رابعاً: عرض أعمال العباد عليهم:

حيث إن الله تعالى جعل الرسول وأهل بيته الطاهرين خلفاء على الأمة، ولهم
الإمامة والرئاسة والولاية والشهادة، وكذا حق الاطلاع على أعمال رعاياهم؛
الصالحة والفاصلة، حتى يشهدوا أعمال الناس ويحضر-وا عندهم وقت مماتهم؛
فمن كان محسناً ومتبعاً لهم أعانوه في تلك الساعة العصيبة، ومن كان مسيئاً
وعاصياً وجاحداً لولايتهم ساء حضورهم عنده، وكان ذلك وبالاً عليه...

كما أنهم يفرحون لأعمال مواليهم وأتباعهم الصالحة، ويحزنون على تلك

(١) الكافي: ١ / ١٤٤

(٢) الكافي: ١ / ١٦٣ .

الأعمال السيئة. فقد ورد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تعرض الأعمال على رسول الله ﷺ، أعمال العباد كل صباح؛ أبارها وفجارها فاحذروها، وهو قول الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا فَمَنْ يَرَى اللَّهَ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة/ ١٠٥] وسكت»^(١)

وروى الكليني بالسند إلى سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «مالكم تسوؤون رسول الله ﷺ؟!»

فقال رجل: كيف نسوؤه؟

فقال: «أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى معصية ساء ذلك فلا تسوؤوا رسول الله ﷺ وسروه»^(٢).

وعن عبد الله بن أبان الزيات قال: قلت للرضاء عليه السلام: ادع الله لي ولأهل بيتي، فقال: «أولست أفعل؟ والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة».

قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: «أما تقرأ كتاب الله عز وجل؟» ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: «هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٣).

وعن يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: «هم الأئمة»^(٤).

(١) الكافي: ١/ ٢٧٦.

(٢) الكافي: ١/ ٢١٩.

(٣) الكافي: ١/ ٢١٩-٢٢٠.

(٤) الكافي: ١/ ٢١٩.

٨٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

إنما يشهد رسول الله والأئمة عليهم السلام أعمال العباد، لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

والآية المباركة تشهد على ذلك ﴿اعْمَلُوا فَمَا يَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، والفعل «فسيرى» يدل على الاستقبال والاستمرار، فهي نص قطعي في عرض الأعمال على رسول الله ﷺ.

وقوله: «والمؤمنون» إنما عنى بها الأئمة الأطهار عليهم السلام.

فإذا كان هذا حال الذين مضوا فإنهم يشهدون، فما بالك بالذي يعيش بروحه وبجسمه فيما بيننا، وهو الإمام المهدي صلوات الله عليه؟
فإنه مطلع على جميع أعمالنا الحسنة منها والسيئة، فإنه يفرح بالجميل منها ويحزن على السيئ منها. وجاء في دعاء الندبة: «بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَحُلْ مِنَّا، بِنَفْسِي- أَنْتَ مِنْ نَارٍ مَا نَزَحَ عَنَّا».

كيفية عرض الأعمال عليهم؟

إن الله تعالى القادر على أن يجعل الدواب والحشرات والنمل تدرك الحقائق عبر الوحي، وعبر ما يعطيها من قدرات وإدراك، فإنه من باب أولى أن يعطي هذه القدرات لأوليائه وصفوته من خلقه، ويجعل الملائكة خدماً لهم..

فتارةً يمدّهم الله تعالى بالقوة والقدرة بحيث لا يصبح هنالك حجاب بينهم وبين العباد، فإن حواسهم وأرواحهم مطلعة على أعمال العباد حتى في بطون أمهاتهم، وتارةً يجعل لهم عموداً من نور من السماء إلى الأرض، فيصبح الغيب شهوداً عندهم، وتارةً ينصب لهم في كل قرية ومنطقة عمود نور يرون به أعمال الناس..

والروايات في ذلك كثيرة، نقتصر على ذكر بعضها.

فمنها: ما رواه الصفار القمي بالسند إلى أبي محمد بن مروان، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا دخل أحدكم على الإمام فليُنظر ما يتكلم به، فإن الإمام يسمع الكلام في بطن أمه، فإذا هي وضعت سقط لها نور ساطع إلى السماء، وسقط وفي عضده الأيمن مكتوب: ﴿وَمَتَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام/١١٥].

فإذا تكلم رفع الله له عموداً، ويشرف به على الأرض يعلم به أعمالهم»^(١) وبسنده إلى الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الإمام ليسمع الكلام في بطن أمه، حتى إذا سقط على الأرض أتاه ملك، فيكتب على عضده الأيمن: ﴿وَمَتَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فإذا شبَّ رفع الله في كل قرية عموداً من نور مقامه في قرية، ويعلم ما يعمل في القرية الأخرى»^(٢)

اهتمام الأئمة بشيعتهم:

الأئمة عليهم السلام مهتمون بأحوال شيعتهم ومطلعون عليها لأن الله سبحانه وتعالى أمدهم بالاطلاع على الغيب وعلى الضمائر والنفوس بحيث لا يخفى عليهم خافية في المشرق والمغرب، ومن تلك الأمور التي يهتم بها الأئمة الأطهار أحوال شيعتهم في حال مرضهم وبلائهم وحزنهم، فإنهم يمرضون لمرضهم ويحزنون

(١) ينظر: بصائر الدرجات: ٤٥١.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥٦.

لحزنهم.

والشواهد في ذلك كثيرة، تقتصر على واحدة منها:

روى أبو جعفر الصِّقَّار القمِّي بسنده إلى أبي سعيد الخدري عن رميلة قال: وعكْتُ وعكاً شديداً في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، فوجدت من نفسي خفة في يوم الجمعة وقلت: لا أعرف شيئاً أفضل من أن أفيض على نفسي من الماء، وأُصَلِّي خلف أمير المؤمنين عليه السلام، ففعلت، ثمَّ جئت إلى المسجد، فلما صعد أمير المؤمنين عليه السلام المنبر عاد عليّ ذلك الوعك، فلما انصرف أمير المؤمنين عليه السلام ودخل القصر دخلت معه، فقال: «يا رميلة، رأيتك وأنت متشبَّك بعضك في بعض»، فقلت: نعم، وقصصت عليه القصة التي كنت فيها والذي حملني على الرغبة في الصلاة خلفه، فقال: «يا رميلة، ليس من مؤمن يمرض إلا مرضنا بمرضه، ولا يحزن إلا حزننا بحزنه، ولا يدعو إلا أمناً لدعائه، ولا يسكت إلا دعونا له»، فقلت له: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، هذا لمن معك في القصر، أرايت من كان في أطراف الأرض؟ قال: «يا رميلة، ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها»^(١)

خامساً: نزول الملائكة بالأحكام والمقادير عليهم في ليلة القدر:

قال الله تعالى في سورة القدر: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر/٤].

وقال تعالى في سورة الدخان: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان/٤].

لقد أعطى الله أهمية كبيرة لليلة القدر، لأنها أول ما خلق من الأيام في الدنيا،

(١) بصائر الدرجات: ٢٧٩ - ٢٨٠.

وفيهما خلق أول نبيٍّ وأول وصيٍّ.. وجعلها ليلة مباركة - خيرٌ من ألف شهر، وأنزل فيها القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ، وجعلها ليلة الأمن والسلام، وهبوط الملائكة على الأنبياء والأوصياء في كل عام منذ نبي الله آدم وأوصيائه من بعده إلى نبينا ﷺ وأوصيائه من بعده إلى قيام الساعة.

والسؤال: بماذا تنزل الملائكة في هذه الليلة؟

إنما تنزل الملائكة في كل عام منذ خلق الله الدنيا على خلفائه في الأرض بالعلوم والأحكام ومقدّرات العباد طوال العام، وهذه المقدّرات تشمل جميع الجوانب كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كُلُّ أَمْرٍ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٌ﴾.

وهي تشمل جميع الأحكام وجميع ما يحتاج إليه العباد، وما هو مقدّر عليهم من الخير والشرّ والموت والحياة والرزق والمرض وما شابه ذلك.

جاء في عيون الأخبار: قال سليمان المروزي للرضا عليه السلام: ألا تخبرني عن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ في أي شيء نزلت؟

قال: «يا سليمان، ليلة القدر يقدر الله فيها ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت أو خير أو شرّ أو رزق، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم»، قال سليمان: الآن فهمت جعلت فداك. ^(١)

والسؤال الآخر: إذا علمنا أنّ الملائكة والروح تنزل على الأنبياء فإذا مضوا على مَنْ تنزل؟ إذا قلنا: إنّها خاصّة بالأنبياء ولا تنزل على غيرهم، فقد كذبنا القرآن

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٦١ / ٢.

٩٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، حيث إنّ الآية ناصّة بوضوح وكلام عربيّ مبين بصيغة الفعل «تنزل»، وهي تفيد الحال والاستمرار، فإذا كانت الملائكة «تنزل» باستمرار إلى قيام الساعة، فعلى مَنْ تنزل بعد رسول الله إلى يومنا هذا؟!!

لم يدع أحد من المسلمين بعد رسول الله ﷺ أنّ الملائكة تنزل عليه بالأوامر والنواهي التي تخصّ العباد إلاّ عترته من أهل بيته الأطهار الذين زكّاهم القرآن وصدّقهم في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

فمن لم يصدّق كلامهم فقد كذب القرآن، ومن كذب القرآن فقد كفر به، والروايات التالية تبين هذا المعنى:

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس في جملة كلام طويل: «.... إنّ ليلة القدر في كلّ سنة، وإنّه ينزل في تلك الليلة أمر السنة، وإنّ لذلك الأمر ولادة بعد رسول الله ﷺ»، فقلت: مَنْ هم؟

فقال: «أنا وأحد عشر من صُلبي أئمة محدّثون». ^(١) فقد يسأل سائل، ويقول:

كيف يرسل الله الملائكة إلى الأوصياء وهم ليسوا أنبياء؟

قد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام ابن عباس عن هذا السؤال، حيث قال في ضمن كلامه: «إنّهم محدّثون»، والفرق بينهم وبين الأنبياء أنّ النبي يرى الملك، ويسمع الكلام، ويرى في النوم، أمّا المحدث فإنّه يُحدّث فيسمع الصوت فقط، فيوقر في أذنه ويعي بقلبه ويُلهم إلهاماً..

(١) الكافي: ١/ ٢٤٧.

وعليه فإن وصول الوحي إليه لا محالة، حيث إن الملائكة والروح في ليلة القدر تنزل بالأمر الحكيم من عند الله إلى الأرض، وإن أهل الأرض لابد لهم من ولي يتحاكمون إليه عند الاختلاف، وهذا الولي لابد أن يكون مؤيداً من الله تعالى إماماً عالماً معصوماً، لا يخفى عليه حكم الله تعالى.

فقد روى الكليني بالسند إلى أبي جعفر عليه السلام قال:

«لقد خلق الله جلّ ذكره ليلة القدر أول ما خلق الدنيا، ولقد خلق فيها أول نبي يكون وأول وصي يكون، ولقد قضى أن يكون في كل سنة ليلة يهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة، من جحد ذلك فقد ردّ على الله عزّ وجلّ علمه لأنه لا يقوم الأنبياء والرسل والمحدثون إلا أن تكون عليهم حجة بما يأتيهم في تلك الليلة مع الحجة التي يأتيهم بها جبرئيل عليه السلام».

قلت: والمحدثون أيضاً يأتيهم جبرئيل أو غيره من الملائكة عليه السلام؟

قال: «أما الأنبياء والرسل صلى الله عليهم فلا شك، ولا بدّ لمن سواهم من أول يوم خلقت فيه الأرض إلى آخر فناء الدنيا - أن تكون على أهل الأرض حجة ينزل ذلك في تلك الليلة إلى من أحبّ من عبادته، وأيم الله لقد نزل الروح والملائكة بالأمر في ليلة القدر على آدم، وأيم الله ما مات آدم إلا وله وصي، وكل من بعد آدم من الأنبياء قد أتاه الأمر فيها ووضع لوصيه من بعده، وأيم الله إن كان النبي ليؤمر فيما يأتيه من الأمر في تلك الليلة من آدم إلى محمد عليه السلام أن أوصي إلى فلان، ولقد قال الله في كتابه لولاة الأمر من بعد محمد عليه السلام خاصة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ - إِلَى قَوْلِهِ - فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/ ٥٥]

يقول: أستخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم كما استخلف وُصاة آدم من بعده حتى يبعث النبي الذي يليه، يَعْبُدُونَنِي لَا يَشْرِكُونَ بِي شَيْئاً يقول: يعبدونني بإيمان لا نبي بعد محمد ﷺ فمن قال غير ذلك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فقد مكّن ولادة الأمر بعد محمد بالعلم ونحن هم، فاسألونا فإن صدّقناكم فأقروا وما أنتم بفاعلين، أمّا علمنا فظاهر، وأمّا إبان أجلا الذي يظهر فيه الدين منّا حتى لا يكون بين الناس اختلاف، فإنّ له أجلاً من ممرّ الليالي والأيام، إذا أتى ظهر وكان الأمر واحداً، وأيم الله لقد قُضِيَ الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلافٌ ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد ﷺ علينا ولنشهد على شيعتنا ولتشهد شيعتنا على الناس، أباي الله عزّ وجلّ أن يكون في حكمه اختلافٌ أو بين أهل علمه تناقضٌ.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «فضل إيمان المؤمن بجملة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ وبتفسيرها على من ليس مثله في الإيمان بها كفضل الإنسان على البهائم، وإنّ الله عزّ وجلّ ليدفع بالمؤمنين بها عن الجاحدين لها في الدنيا - لكمال عذاب الآخرة لمن علم أنّه لا يتوب منهم - ما يدفع بالمجاهدين عن القاعدين ولا أعلم أنّ في هذا الزمان جهاداً إلاّ الحجّ والعمرة والجوار»^(١)

وبالسند نفسه قال: وقال رجل لأبي جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله، لا تغضب عليّ، قال: «لماذا؟»

قال: لما أريد أن أسألك عنه، قال: «قل»، قال: ولا تغضب؟ قال: «ولا أغضب»، قال: رأيت قولك في ليلة القدر وتنزل الملائكة والروح فيها إلى

الأوصياء يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله ﷺ قد علمه أو يأتونهم بأمر كان رسول الله ﷺ يعلمه؟ وقد علمت أن رسول الله ﷺ مات وليس من علمه شيء إلا وعليّ عليه السلام له واع، قال أبو جعفر عليه السلام: «مالي ولك أيها الرجل؟ ومن أدخلك عليّ؟».

قال: أدخلني عليك القضاء لطلب الدين.
قال: «فافهم ما أقول لك، إن رسول الله ﷺ لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جلّ ذكره علم ما قد كان وما سيكون، وكان كثير من علمه ذلك جملاً يأتي تفسيرها في ليلة القدر، وكذلك كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد علم جملة العلم ويأتي تفسيرها في ليلة القدر كما كان مع رسول الله ﷺ».

قال السائل: أو ما كان في الجملة تفسير؟ قال: «بلى، ولكنه إنما يأتي بالأمر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي ﷺ وإلى الأوصياء: إفعل كذا وكذا، لأمر قد كانوا علموه، أمروا كيف يعملون فيه». قلت: فسّر لي هذا، قال: «لم يمت رسول الله ﷺ إلا حافظاً لجملة العلم وتفسيره».

قلت: فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو؟
قال: «الأمر واليسر فيما كان قد علم».
قال السائل: فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علموا؟
قال: «هذا مما أمروا بكتمائه ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلا الله عز وجل».
قال السائل: فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟ قال: «لا وكيف يعلم وصي غير علم ما أوصي إليه».
قال السائل: فهل يسعنا أن نقول: إن أحداً من الوصاة يعلم ما لا يعلم الآخر؟

٩٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

قال: «لا، لم يمت نبيٌّ إلا وعلمه في جوف وصيِّه وإنَّما تنزَّل الملائكة والروح في ليلة القدر بالحكم الذي يحكم به بين العباد».

قال السائل: وما كانوا علموا ذلك الحكم؟ قال: «بلى قد علموه ولكنهم لا يستطيعون إمضاء شيء منه حتَّى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السنة المقبلة».

قال السائل: يا أبا جعفر، لا أستطيع إنكار هذا؟

قال أبو جعفر عليه السلام: «مَنْ أنكره فليس منّا».

قال السائل: يا أبا جعفر، أرأيت النبيَّ ﷺ هل كان يأتيه في ليالي القدر شيء لم يكن علمه؟

قال: «لا يحلّ لك أن تسأل عن هذا، أمّا علم ما كان وما سيكون فليس يموت نبيٌّ ولا وصيٌّ إلا والوصيُّ الذي بعده يعلمه، أمّا هذا العلم الذي تسأل عنه فإنَّ الله عزَّ وجلَّ أبى أن يُطلع الأوصياء عليه إلا أنفسهم».

قال السائل: يا بن رسول الله، كيف أعرف أنَّ ليلة القدر تكون في كلِّ سنة؟ قال: «إذا أتى شهر رمضان فاقراً سورة الدخان في كلِّ ليلة مائة مرّة، فإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فإنَّك ناظرٌ إلى تصديق الذي سألت عنه»^(١)

سادساً: شفعاء الخلق يوم القيامة لن يعرفهم في الدنيا:

كما أنَّ الله تعالى جعل أوليائه سادة أهل الدنيا وأبوابه التي يؤتى منها، فقد أعطاهم هذه السيادة أيضاً في الآخرة، وإنَّ سيادتهم في الآخرة هي أعظم من الدنيا.

(١) ينظر: الكافي: ١/ ٢٥٢.

ومن ذلك الملك العظيم في الآخرة أن جعل لهم حق الشفاعة بإذن الله تعالى؛ فمن عرفهم في الدنيا واتبعهم حق الاتباع عرفوه وشفعوا له في تلك الساعة، ومن لم يعرفهم ويصدقهم فقد أصابه الخزي والخذلان.

روى الكليني بالسند إلى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الاسراء / ٧١].

قال المسلمون: يا رسول الله، ألسنت إمام الناس كلهم أجمعين؟

قال: فقال رسول الله ﷺ: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي، يقومون في الناس فيكذبون، يظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم؛ فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعهم وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء»^(١) ولذلك صار من اللازم على كل مؤمن معرفة إمام زمانه، لأن هذه المعرفة هي معرفة الله وسبب الهداية، والسييل إلى طاعة الله وولايته وعبادته.

عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذا ضلالاً». قلت: جُعِلت فداك، فما معرفة الله؟ قال: «تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله ﷺ وموالاته علي والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله من عدوهم، هكذا يعرف الله»^(٢).
أما من لم يعرفهم، ومن لم يتبعهم فقد مات على الجاهلية والكفر والضلال.

(١) الكافي: ١ / ٢١٥.

(٢) الكافي: ١ / ٢٣٥.

روى النعماني بسنده إلى يحيى بن عبد الله قال: قال لي أبو عبد الله جعفر ابن محمد عليه السلام: «يا يحيى بن عبد الله، من بات ليلة لا يعرف فيها إمامه مات ميتة جاهليّة». (١)

وروى بسنده إلى محمد بن مسلم الثقفى قال: سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام يقول: «كُلَّ مَنْ دَانَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ يَجْهَدُ فِيهَا نَفْسَهُ وَلَا إِمَامَ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَسَعِيهِ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وَهُوَ ضَالٌّ مُتَحَيِّرٌ، وَاللَّهُ شَانِئٌ لِأَعْمَالِهِ، وَمِثْلُهُ مِثْلُ شَاةٍ مِنَ الْأَنْعَامِ ضَلَّتْ عَنْ رَاعِيهَا أَوْ قَطِيعِهَا، فَتَاهَتْ ذَاهِبَةً وَجَائِيَةً، وَحَارَتْ يَوْمِهَا، فَلَمَّا جَنَّهَا اللَّيْلُ بَصُرَتْ بِقَطِيعِ غَنَمٍ مَعَ رَاعِيهَا، فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَاغْتَرَّتْ بِهَا، فَبَاتَتْ مَعَهَا فِي رِبْضَتِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ وَسَاقَ الرَّاعِي قَطِيعَهُ أَنْكَرَتْ رَاعِيَهَا وَقَطِيعِهَا، فَهَجَمَتْ مُتَحَيِّرَةً تَطْلُبُ رَاعِيَهَا وَقَطِيعِهَا، فَبَصُرَتْ بِسَرَحِ غَنَمٍ آخَرَ مَعَ رَاعِيهَا، فَحَنَّتْ إِلَيْهَا وَاغْتَرَّتْ بِهَا، فَصَاحَ بِهَا رَاعِي الْقَطِيعِ: أَيَّتُهَا الشَّاةُ الضَّالَّةُ الْمُتَحَيِّرَةُ الْحَقِي بِرَاعِيكَ وَقَطِيعِكَ، فَإِنَّكَ تَائِهَةٌ مُتَحَيِّرَةٌ قَدْ ضَلَلْتَ عَنْ رَاعِيكَ وَقَطِيعِكَ، فَهَجَمْتَ ذِعْرَةَ مُتَحَيِّرَةً تَائِهَةً، لَا رَاعِي لَهَا يَرْشِدُهَا إِلَى مَرْعَاهَا، أَوْ يَرُدُّهَا إِلَى مَرْبُضِهَا، فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ اغْتَنَمَ الذَّنْبُ ضَبْعَتَهَا فَأَكَلَهَا.

وهكذا - والله - يابن مسلم، من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله عز وجل أصبح تائهاً، متحيراً ضالاً، إن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، واعلم - يا محمد - أن أئمة الحق وأتباعهم هم الذين على دين الله، وأن أئمة الجور لمعزولون عن دين الله وعن الحق، فقد ضلّوا وأضلّوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرّون ممّا كسبوا على شيء وذلك هو الضلال

(١) الغيبة للنعماني: ١٢٦.

البعيد». (١)

من أنكر واحداً فقد أنكر الجميع:

عن حمran بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأئمة عليهم السلام فقال: «مَنْ أنكر واحداً من الأحياء فقد أنكر الأموات». (٢)

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أرأيت مَنْ جحد إماماً منكم ما حاله؟ فقال: «مَنْ جحد إماماً من الله وبرئ منه ومن دينه، فهو كافر مرتد عن الإسلام، لأنَّ الإمام من الله، ودينه من دين الله، ومَنْ برئ من دين الله فدمه مباح في تلك الحال، إلا أن يرجع أو يتوب إلى الله تعالى ممّا قاله». (٣)

سابعاً: الولاية المطلقة على الناس:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة/ ٥٥].

ولاية الله مطلقة على الدنيا والآخرة وعلى جميع ما خلق، وهذا السلطان العظيم والكبير قد أعطاه الله لرسوله ولأمر المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام. فهذه الولاية والسلطان لا يتجزأ، فهو نظام متكامل مصدره الله سبحانه المالك والخالق فيتصرف في ملكه وسلطانه كيف يشاء، لأنّه حكيم لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

(١) الغيبة للنعماني: ١٢٦-١٢٧.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٢٨.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٢٨.

١٠٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فقد حوّل وأعطى من ولايته نبيّه ووليّه، لأنّ من سنّته في خلقه أن يجعل الأسباب ويجعل الوسائل إليه، فقد جعل المعصومين من آل البيت وسيلة الولاية إليه «فمَنْ والا هم فقد والى الله، ومَنْ عاداهم فقد عاداه».

فهذه الولاية جبل متّصل لا يتجزّأ، فمَنْ تمسّك بعليّ والأئمّة من ذريّته فقد تمسّك بالعروة الوثقى، ومَنْ تخلّى منهم فقد خرج من ولاية الله تعالى وأصبح في ولاية الشيطان. فالقرآن يرى أنّها مترابطة حلقة في حلقة، وكذلك النبيّ الأعظم ﷺ عندما قال في غدير خمّ لأصحابه: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟!». قالوا: بلى، قال: «مَنْ كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ والِ مَنْ والا، وعادِ مَنْ عاداه، وانصرْ مَنْ نصره، واخذلْ مَنْ خذله».

أبى الله أن يجعل الدنيا من دون أولياء يتصرّفون ويمارسون ولايتهم عليها؛ لأنّه عزّ وجلّ منزّه عن مجانسة خلقه ومباشرتهم وملاستهم ورؤيتهم إيّاه، فقد حكم وحكمه النافذ أن يمتحن خلقه بطاعتهم.

ولم تقتصر هذه الولاية على الناس، وإنّما جعلها شاملة على جميع المخلوقات من الجنّ والإنس والنبات والجماد والحيوان والكواكب، وكلّ شيء في هذا الكون حتّى الملائكة والأنبياء وأهل السماء والأرض.

ولم تقتصر هذه الولاية لزمان دون زمان، وإنّما هي شاملة لجميع العوالم، ورسول الله ﷺ هو سيّد الأنبياء جميعاً وشافعاً لهم في الآخرة، وعليّ هو قائد لوائه ووصيّ الساقى على الحوض، وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين وسيّدة نساء أهل الجنّة، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة...

وهذه الولاية التي أعطاها الله إيّاهم جعل حقّ الطاعة المطلقة على جميع الخلق

ضرورة الخلافة والحجة في الأرض..... ١٠١

فقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء/ ٥٩] فقرن طاعتهم بطاعته، وجعلها «الملك العظيم لهم».

في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٥٤].

ووظيفة الولاية على جميع الخلق لا تقتصر على جانب الخلافة الظاهرية والقيام بأمر السياسة وإدارة الحكم، فإذا رفض الناس طاعتهم وأنكروا حقهم فلا يعني أن ولايتهم نقصت أو بطلت، فإنهم متخلّقون بأخلاق الله، يحلمون عمّن يجهل حقهم ويظلمهم، فإنهم مع ذلك يقومون بوظيفتهم في تدبير شؤون العباد من حفظ الدين وهداية الناس وبث العلم وإظهار الحق، وحفظ الكون من التلف، فما من قطرة ماء تنزل، وما من هبة نسيم ولا موت ولا حياة إلاّ تحت تصرّفهم، فإنّ الله قد أعطاهم حقّ الولاية التكوينية بالإضافة إلى التشريعية.

ولذلك وظيفة الأئمة جارية إلى يومنا هذا تحت ولاية صاحب الزمان، فهو وليّ العصر ووليّ الخلق جميعاً بلا استثناء.



الفصل الثّاني

الغبية؛ آثارها وفوائدها

قد عرفنا فائدة وضرورة وجود الإمام المعصوم بين الناس كونه «خليفة الله وحبته على خلقه» له صلاحية الولاية والرئاسة المطلقة على العباد، والبلاد وعليه تنزل المقادير والأحكام والعلوم حتى يُنظّم شؤونهم، فيستفيدون من محضره ويرجعون إليه عند الحاجة والضرورة، ولكن يبقى السؤال حول الإمام المهدي المنتظر الثاني عشر من الحجج، وهو آخر الأوصياء والبقية من الأصفياء: كيف يمكن أن يصبح حجة الله على الناس وإماماً لهم وهو مستور غائب عنهم؟ فما وجه الفائدة في ذلك؟

هذا السؤال أجابت عنه روايات أهل البيت عليهم السلام:

عن جابر الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: «إي والذي بعثني بالنبوة إنهم ينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله». قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»^(٢).

وورد في التوقيع الصادر عن صاحب الزمان عليه السلام على يد محمد بن عثمان: «وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار

(١) بحار الأنوار: ٩٣/٥٢.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٥٣.

١٠٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

السحاب، وإنِّي لأمانٌ لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمانٌ لأهل السماء». (١)

وجه الشبه بين غيبة الإمام عليه السلام والشمس المجللة بالسحاب:

قال العلامة المجلسي- نور الله ضريحه: التشبيه بالشمس المجللة بالسحاب يؤمّي إلى أمور:

الأوّل: أنَّ نور الوجود والعلم والهداية يصل إلى الخلق بتوسطه عليه السلام إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنَّهم العلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم، وبركتهم والاستشفاع بهم، والتوسّل إليهم يظهر العلوم والمعارف إلى الخلق، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحقّ الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال/ ٣٣].

ولقد جرّبنا مراراً لا نحصيها أنَّ عند انغلاق الأمور وإعضال المسائل، والبُعد عن جناب الحقّ تعالى، وانسداد أبواب الفيض، لما استشفعنا بهم وتوسّلنا بأنوارهم، فبقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت تنكشف تلك الأمور الصعبة وهذا معانٍ لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان.

الثاني: كما أنَّ الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها، ينتظرون في كلّ آن انكشاف السحاب عنها وظهورها ليكون انتفاعهم بها أكثر، فكذلك في أيام غيبته عليه السلام، ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كلّ وقت وزمان ولا يياسون منه.

الثالث: أنَّ منكر وجوده عليه السلام مع وفور ظهور آثاره كمنكر وجود الشمس إذا غيّبها السحاب عن الأبصار.

(١) الغيبة للطوسي: ٢٩٢.

الرابع: أن الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد من ظهورها لهم بغير حجاب، فكذاك غيبته ﷺ أصلح لهم في تلك الأزمان، فلذا غاب عنهم.

الخامس: أنهم ﷺ كالشمس في عموم النفع، وإنما لا ينتفع بهم من كان أعمى كما فسّر به الأخبار قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الاسراء/ ٧٢] (١)

مقارنة بين نور الشمس ونور الإمام القائم عجل الله فرجه:

الجهة الأولى: هل يمكن تصوّر الدنيا بلا شمس الإمام ﷺ؟
كما أن الدنيا لا يمكن تصوّرها من دون الشمس كذا لا يمكن تصوّرها من دون نور شمسها المباركة!! لماذا؟!

لأن الشمس إذا انعدمت فإنّ الكائنات الحيّة تنعدم أيضاً، حيث تفقد الحرارة من الأرض وتصبح الأرض قطعة من الصفائح المتجمّدة، وعندها لا يمكن للكائنات الحيّة من الحياة على وجه الأرض، كذا وجود الإمام على وجه الأرض يعطيها الحياة والبقاء وعدم نزول العذاب والبلاء عليها، كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال/ ٣٣]

وقول النبي ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض». (٢)

(١) بحار الانوار: ٩٤ / ٥٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٠٥.

١٠٨ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وكذا في التوقيع السابق عن صاحب الزمان عليه السلام: «وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء...»^(١)

الجهة الثانية: إن فقدان الشمس تماماً يعني انعدام النور من الوجود وصيرورته إلى ظلام دامس، وهو أمر لا يطاق، فإن البشرية تنعم بنور الشمس عند غيابها خلف السحاب، ويبقى أثر نورها على الكائنات الحية وعلى وجه الأرض، وكذا نور شمسها المباركة يعم البلاد والعباد، ولولا نوره الوضاء لأصبحت البشرية منطمسة في الظلمات والمفاسد التي لا حد لها، بحيث لا يوجد نور الإيمان ولا نور العمل الصالح ولا نور العبادة، وبالتالي لا يوجد للدين من أثر في الحياة، لأنه نور الله في أرضه، وقد ورد في تفسير الآية المباركة ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر/ ٦٩].

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم عليه السلام أشرقت الأرض بنور ربها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة»^(٢).

هذا في حال ظهوره المبارك حتى إلى درجة الاستغناء عن نور الشمس بنوره الميمون، ولكن في حال الغيبة حاله حال الشمس المستورة بالسحاب، فإن بعضاً من أنواره الضرورية تصل إلى أرواحنا فتنعشها بنور الحياة، ولولا ذلك لأصبنا بأمراض الروح الفتاكة، وصرنا كالبهائم التي ترتع في المراعي، فنوره المبارك يحول الدنيا إلى نهار مشرق بعد ظلمات الليل الحالك.

الجهة الثالثة: كما أن الشمس التي تسترها السحاب تظهر عند قوم وتغيب عند آخرين، كذا نور مولانا الحجة، فإنه يظهر للبعض ويغيب عن الأكثرية، كما

(١) الغيبة للطوسي: ٢٩٢.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٣٥٦/٤.

ذكر الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ - إِلَى قَوْلِهِ - يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/ ٣٥] فقد ورد في تأويلها أنه نور القائم عليه السلام. (١)

فمن أحبه الله أحب هدايته إلى نور القائم، ومن أراد الله أن يعمي قلبه ويضله، فلا يوفقه للإيمان به ولظهوره.

الجهة الرابعة: كما أن نور الشمس لا بد له أن يخرق حجب السحب يوماً فينعم الخلق بظهوره بعد طول الغياب أو قصره، كذلك فإن الله تعالى بإرادته ومشيئته وقد وعد عباده المؤمنين أنه متمد نور في الأرض على رغم أنوف المشركين والكافرين والفاستقين، كما ذكر في كتابه المجيد: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

فكما أن الخلق لو اجتمعوا ليطفئوا نور الشمس لا يستطيعون، كذلك فإنهم لا يستطيعون إطفاء نور الله في أرضه وهو نور الحجة، فلربما استطاعوا أن يحجبوا نوره ظاهراً لفترة مؤقتة، كما يستطيع الناس حجب نور الشمس بسحاب صناعي لفترة مؤقتة، إلا أنهم لا يستطيعون أن يطمسوا ذات الشمس، فإن عمل الأعداء في محاولاتهم القضاء عليه مثل من يحاول إطفاء نور الشمس بفيه.

الجهة الخامسة: كما أن الذين تغيب عنهم الشمس لفترة طويلة يفرحون بشعاعها عندما يلوح في الأفق لهم، كذلك المؤمنون المنتظرون للقائم عليه السلام، فإنهم يترقبون طلعه المضيئة لحظة بلحظة ويدعون له بالفرج والنصر، وأن يكونوا من

(١) ينظر: غاية المرام: ٣/ ٢٦٤.

١١٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أنصاره حتّى بعد مماتهم، ولذا فإنّ بشائر طلعتة تصل إليهم في قبورهم، لأنّ حياة البرزخ تشرف على عالم الدنيا، فقد ورد في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم/ ٤-٥] أنّه قال: «في قبورهم بقيام القائم عليه السلام». (١)

فوائد الغيبة:

يمكن ذكر خلاصة الفوائد التالية استناداً إلى الأخبار المذكورة، إضافة إلى بيان العلامة المجلسي:

أولاً: تحقيق الغاية من الخلق:

وهي عبادة الله وطاعته، ليستحقّوا بذلك الرحمة والفوز بالجنة. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨]. ولقد أبان ربّ العزّة عن الهدف من خلقهم ليس لحصول النفع لذاته المقدّسة، وإنّما هو لهم لأنّه مستغن عن خلقه والخلق مفتقرون إليه. كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في وصف المتّقين: «أمّا بعد، فإنّ الله - سبحانه وتعالى - خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم». (٢)

(١) دلائل الإمامة: ٤٦٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لأبْن أبي الحديد: ١٣٢/١٠.

ولكي تتحقق هذه الغاية العظمى جعل وسائل إليه ليُذكَروا الناس بعبادته وطاعته وجعل طاعتهم طاعته، فمن التزم منهم وطريقهم فقد أصاب الغاية وحقق الهدف.

ولأن أكثر الناس كذبوهم وعاندوهم وحاربوهم، فلم يؤمن إلا القليل منهم، فقد غيَّب حججه عنهم لفترات متعدّدة، لكي لا يبطل دينه ونور الهدى من أرضه، ولا يصيبهم الضلال المبين والهلاك الشامل، فزادهم امتحاناً بالإقرار والطاعة لهم وهو غائب عنهم.

وهذا هو أحد أسرار غيبة إمامنا وسيّدنا المهدي بن الحسن عجل الله فرجه، ولذا علّل الإمام الصادق (عليه السلام) غيبته «... ولولا ذلك لم يعبد الله»^(١).

ثانياً: الاستضاءة بنور ولايته:

رغم التشابه بين ستر الشمس بالسحاب وغيبته سلام الله عليه، إلا أنّ هناك فرقاً جوهرياً بين الاثنين، وهو أنّ أثر الشمس أثر مادّي ظاهري، أمّا أثر الإمام فهو معنويّ باطني، فهو نور القلوب، وسراج النفوس، ومشعل الأرواح، وفيضه لا يتوقّف عن المؤمنين، وولايته لا تنفصم أبداً، لأنّها متّصلة بحبل الله، ولو انفصلت لأظلمت الدنيا بأسرها، لأنّ ولايته شاملة في الدارين وللثقلين ولأهل السماء ولأهل الأرض.

إنّ وجوده يعني استمرار الضمان والهداية والتمسك بالثقلين الأكبر والأصغر، كما ذكر النبي (صلى الله عليه وآله): فقد روى الصدوق بسنده إلى زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما

(١) امالي الصدوق: ٢٥٣.

لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^(١).

وعليه فلا يمكن الاستغناء عن نور فيضه لحظة واحدة، فإنّ الانقطاع يساوي الضلال الممين، والتمسّك به يعني التمسّك بولاية الله والتنوّر بهديه. وقد أجاب النبيّ عن سؤال جابر بأنّ الشيعة ينتفعون بولايتيه ويستضيئون بها حتّى في حال الغيبة تماماً، كما ينتفع الناس بالشمس وإن جلّلتها السحاب. لأنّ الله ما ترك الأرض منذ خلقها من إمام يهتدى به إلى الطريق المستقيم:

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلّا وفيها إمام يهتدى به إلى الله، وهو حجّته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده»^(٢).

ولكي تستمرّ أنوار رسالات الأنبياء إلى آخر يوم في الدنيا، لابدّ من وعاء يحمل هذه الأنوار، لكي يستضيء به الخلق، ويكون الأمين بين ربّ الأرباب وعباده المفتقرين إليه.

ثالثاً: أمان لأهل الأرض:

هل أنّ وجود حجة الله على أرضه له آثار تكوينيّة؟ من حكمة الله وتدبيره وعظمته أنّ خلق هذا الوجود منظماً متكاملاً مترابطاً على وفق الحقّ والخير، ورغم أنّ حركة الكون حركة منظّمة ودقيقة إلّا أنّها بيد الله سبحانه وتعالى، يزيد فيها وينقص حسب المصلحة والحكمة، ويحدث بعض الطوارئ والتغيّرات غير

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٣٤.

(٢) الكافي: ١/ ١٧٩.

المرتقبة كالفيضانات والزلازل والكسوف وغير ذلك.

وهذه الأمور لها ارتباط بأعمال البشر على وجه الأرض، فإنَّ عمل الخير يؤثر في النظام الكوني إيجاباً، وعمل الشرِّ يحدث آثاراً سلبية في النظام الكوني. وقد أشار القرآن إلى الترابط بين أعمال البشر المعنوية والذنوب التي يقترفونها، وظهور التغيرات السلبية في الكون كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. وكلَّ ما يحدث من حدث سلبيٍّ كالأمراض الخطيرة، وموت الفجأة، والجنون، والانتحار، وقلة الأمطار، والكوارث، والحروب، إنما هي بسبب ذنوب البشر، وقد أشارت الروايات إلى هذا المعنى:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «وجدنا في كتاب علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهر الزنا كثر موت الفجأة، وإذا طُفِّف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلَّها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلَّط الله عليهم عدوَّهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمرُوا بمعروف ولم ينهوا عن منكر ولم يتَّبِعُوا الأخيار من أهل بيتي سلَّط الله عليهم شرارهم، فيدعو عند ذلك خيارهم فلا يُستجاب لهم»^(١). والعكس كذلك صحيح، فإذا التزم الناس بالدين واستقاموا عن المنهج الذي رسمه لهم، فإنَّ الحال يتغيَّر إلى الأفضل، كما يشير إليه القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا

(١) بحار الأنوار: ٧٠ / ٣٧٢.

فَأَخَذْنَا هُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ [الاعراف/٩٦].

وللأسف العالم في كل يوم يزداد فساداً على جميع المستويات ولكن قلّ مَنْ يعتبر بما يحصل من أمراض وزلازل وحروب مدمّرة.

وربّ العالمين يرسل هذه الكوارث نتيجة لبعض المعاصي، وليس كلّها كمنبه لعقل الإنسان كي يتنبّه ويعود إلى صوابه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

يشير القرآن أنّ من أعظم الذنوب الخطيرة التي ارتكبتها المسلمون ولا تزال آثارها إلى يومنا هذا، هي تخليهم عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وتركه وعدم الالتزام ببيعته التي أخذها عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدير خمّ قبل رحيله عن دار الدنيا، ومن آثارها تسلّط الظالمين والكفّار واليهود والتفكّك والتناحر وتعدّد المذاهب في البلاد الإسلاميّة.

وقد جاء في تفسير الآية المباركة عن أبي جعفر (عليه السلام)، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله عزّ وجلّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ قال: «ذلك والله حين قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير». (١)

وكلّ هذه الذنوب التي تمارس إلى هذا اليوم من قبل عموم البشر يستحقّون عليها العقوبة الربّانيّة، ولكنّ الله رحيم ولطيف بعباده يمهّلهم لعلّهم يرجعون.

وهذه الرحمة واللفظ قد جعل الله إليه سبباً، وهو وجود الإمام المعصوم الحجة بن العسكري الغائب.. لأنّ الله أودع عنده العلم والأسرار، وأعطاه من القدرات التي يحقّق بها الغاية النهائيّة لهذه الدنيا، وهي إزالة الفساد والظلم وإقامة الحكومة العالميّة العادلة على وجه الأرض.. كما قال النبي (صلى الله عليه وآله): «لو لم يبق

من الدنيا إلا يوماً واحداً لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي يواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً»^(١).
وإنما تُحفظ الأرض ومن عليها من الهلاك ببركات وجوده ودعائه وعبادته،
أمّا باقي العباد فهم أهل الذنوب والمعصية لا يستحقّون الأمن والسلامة
والرحمة.

ولذا ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة
لماجت بأهلها كما يمج البحر بأهله»^(٢).

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتبقى الأرض بغير إمام؟
قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «واعلموا أنّ الأرض
لا تخلو من حجة الله، ولكن الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم
على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجة الله لساخت
بأهلها»^(٤).

وهذه الأخبار مضمون التوقيع الذي صدر عن الإمام المهدي عليه السلام ردّاً على
سؤال إسحاق بن يعقوب:

(١) روضة الواعظين: ٢٦١.

(٢) الكافي: ١/ ١٧٩.

(٣) الكافي: ١/ ١٧٩.

(٤) مكيا المكارم: ١/ ٤١.

١١٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

«وَأَمَّا وَجْهَ الْإِنْتِفَاعِ بِي فِي غَيْبِي فَهُوَ كَالْإِنْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَهَا عَنْ
الْأَبْصَارِ السَّحَابُ، وَإِنِّي لِأَمَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانَ لِأَهْلِ
السَّمَاءِ»^(١).

وظائف الإمام تجاه مواليه حال الغيبة:

ولربما سأل سائل: كيف يمارس الإمام مهامه ووظائفه تجاه الأتباع والموالين
المعتقدين به وهو غائب عنهم؟

نقول: إن غيبة الإمام لا تعني إنه غير موجود في الواقع الخارجي، ولكن هو
إنسان يعيش بين الناس ويخالطهم ويطلع على أحوالهم، ولكن لا يعرفونه:
وجاء في الأخبار عن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إن
في القائم سنة من يوسف عليه السلام...» إلى أن قال عليه السلام: «فما تنكر هذه الأمة أن يكون
الله عز وجل يفعل بحجته ما فعل بيوسف، أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ
بسطهم وهم لا يعرفونه، حتى يأذن عز وجل أن يُعرفهم بنفسه كما أذن
ليوسف»^(٢).

فالإمام عليه السلام له أدوار عديدة بين الناس منها:

أولاً: اتصاله بالعلماء ومراجع الأمة وتسديده إياهم:

موقع العلماء في الأمة موقع محوري، لأنهم مركز القيادة والتوجيه والفتيا
والتعليم، حيث يسند الناس إليهم الثقة في أمور دينهم، ويأخذون منهم

(١) الدرّة الباهرة: ١٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ١٤٤ - ١٤٥.

تكاليفهم الشرعية، وهم حلقة الوصل في زمن الغيبة بالدين والإمام المعصوم، حيث أعطى لهم الوكالة العامة عند غيبته، فقد صدر عنه عليه السلام التوقيع التالي: عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً، قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم». ^(١) وروي عن أبي محمد العسكري عليه السلام:

«فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه...». ^(٢)

ولأنّ الأئمة عليهم السلام أمروا شيعتهم بالرجوع إلى الفقهاء رواة الحديث عنهم، منّ لهم القدرة على الفهم والاستنباط بشرط العدالة والتقوى، فإنّه لا بدّ للإمام عليه السلام أن يشملهم بالعناية والتسديد، وإذا لم يصلهم بذلك فيعني انقطاع اللطف الإلهي بهذه الأئمة، وتعريضها للضلالة والخيبة والهلاك، وهو مخالف لعلّة وحكمة بعثة الأنبياء والرسل والأوصياء لهداية الناس.. والفقهاء فرعٌ متفرّع من ذلك الأصل، غير أنّهم ليسوا معصومين وقابليّة الخطأ واردة عندهم، ولكن وجود الإمام المعصوم الغائب الذي أعطاهم هذا التوكيل لا بدّ أن يشملهم بلطفه ورعايته.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤، مستند الشيعة: ١٧: ١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٧/ ١٣١.

١١٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وهناك عشرات الشواهد والقصص في اتصال الإمام عليه السلام بالفقهاء العدول
الأتقياء وتأَييده إِيَّاهم وحلّ مشكلاتهم والإجابة عن مسائلهم بطرق مختلفة؛ إمَّا
بصدور التوقيع عنه والمراسلة، أو المشافهة مباشرة، أو إرسال الإمام إليهم
شخص من قبله، أو ما شابه ذلك:

الإمام المهدي عليه السلام والشيخ المفيد رحمته:

ومن تلك العناية التي تلطّف بها الإمام على الشيخ المفيد رحمة الله عليه
إرساله الرسائل إليه وهي تبين دعم الإمام للشيخ وتزكيته وإعطاء ثقة الجمهور به
وإعطاءه التوجيهات للأُمَّة.

وقد نقل المترجمون له تلك الرسائل، ومن أهمّها رسالتان ينقلها أهل الترجمة،
وهذه خلاصتهما:

الأوّل: وصلت إليه في شهر صفر لسنة ٤١٠، جاء في مطلعها:

«لأخ السديد، والوليّ الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان أدام الله إعزازه، من مُستودع العهد المأخوذ على العباد.

أمّا بعد: سلامٌ عليك أيّها المخلص في الدّين، المخصوص فينا باليقين، فإنّا
نحمد - إليك - الله الذي لا إله إلاّ هو، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا ونبينا
محمد وآله الطاهرين. ونُعَلِّمُكَ - أدام الله توفيقك لنصرة الحقّ، وأجزل مثوبتك
على نُطقك عنّا بالصدق -: أنّه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة، وتكليفك ما
تؤدّيه عنّا إلى موالينا قبلك - أعزّهم الله بطاعته، وكفاهم المهمّ برعايته لهم
وحرصته - فقف - أمّلك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه - على ما تذكره
واعمل في تأديته إلى مَنْ تسكن إليه، بما نرسمه إن شاء الله...».

ثمّ ختم كلامه التوقيع المبارك:

«هذا كتابنا إليك أيّها الأخ الوليّ والمخلص في وُدِّنا الصّفي، والناصر لنا الوفيّ، حرسك الله بعينه التي لا تنام، فاحتفظ به، ولا تظهر على خطّنا- الذي سطرناه، بما له ضمّناه- أحداً، وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء الله، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين»^(١).

ونلاحظ في هذه الرسالة المباركة علامات عظمة الشيخ المفيد وجلالته وثقته وعدالته وعلمه وإخلاصه، حتّى خصّه الإمام بالمراسلة والمدح والثناء، وسمّاه أخاه السديد والمخلص والصفي والناصر والرشيد، حتّى أنّه قدّم اسمه في المراسلة على اسمه الشريف، ثمّ وثّقه بالصدق واليقين..

الثانية: ووصلت رسالة أخرى إلى الشيخ المفيد من الناحية المقدّسة مؤرّخة يوم الخميس، الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة لسنة ٤١٢ هـ، هذا بعضها: «من عبدالله المرابط في سبيله إلى مثلهم الحقّ ودليله.

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك أيّها الناصر للحق، الداعي إليه بكلمة الصدق، فإنّا نحمدُ الله إليك الذي لا إله إلاّ هو، إلهنا وإله آبائنا الأوّلين، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين، وعلى أهل بيته الطاهرين. وبعد.. فقد كنّا نظرنّا مناجاتك، عصمك الله بالسبب الذي وهبه الله لك من أوليائه، وحرسك به من كيد أعدائه، وشفّعنا ذلك...».

وجاء في بعضها:

«ونحن نعهد إليك - أيها الوليُّ المخلص المجاهد فينا الظالمين، أيُّدك الله بنصره الذي أيَّد به السلف من أوليائنا الصالحين، إنَّه من اتَّقَى ربَّه من إخوانك في الدِّين، وأخرج بما عليه إلى مستحقِّين، كان آمناً من الفتنة المبطلَّة، ومحنيا المظلمة المضلَّة...».

ومن خلال هذه الرسائل يتبيَّن لنا منازل العلماء العدول لدى صاحب الزمان، وما يحظون بالعناية الفائقة عنده، وإنَّه لا يُهمَل أمر المجتهدين الذين يرفعون الأُمَّة في كلِّ تفاصيلها، فإنَّه يدعم ويُسدِّد ويُصحِّح بعض الفتاوى الصادرة عن العلماء، ويأمر بعض العلماء بإقامة الدرس الفلاني أو تأليف الكتاب الكذائي حسب أهميَّة الموضوع، ويعالج مشاكل طُلَّاب العلوم ويدعم بعض المراجع ويمنحهم الثقة، والنماذج والقصص في ذلك لا عدَّ لها ولا حصر.. وقد ألَّفت عدَّة كتب في ذلك، منها:

ما كتبه العلامة المجلسي في كتابه (بحار الأنوار)، وما كتبه العلامة النوري في (النجم الثاقب)، و(جنَّة المأوى)، وكتاب (تذكرة الطالب فيمن رأى الغائب)، وكتاب (تبصرة الوليِّ فيمن رأى الغائب)، و(دار السلام فيمن فاز بسلام الإمام) للشيخ محمود الميثمي العراقي، و(بدائع الكلام فيمن اجتمع بالإمام) للسيد جمال الدين محمد بن الحسين اليزدي الطباطبائي، و(البهجة فيمن فاز بلقاء الحجة) للميرزا محمد تقي الألماسي الإصفهاني، و(العقري الحسان في تواريخ صاحب الزمان) للشيخ علي أكبر النهاوندي... وغيرها من الكتب، هذا ما عدا الكتب غير المستقلة في هذا الشأن فهي كثيرة.

ونكتفي بذكر موقفين وشاهدين على ذلك:

تدخله في تصحيح الفتيا: نقل العلامة النوري في (جنة المأوى) هذه القصة عن الشيخ المفيد، حيث يُذكر أنّ أحد القرويين سأله ذات يوم عن امرأة حامل ماتت، فهل تدفن مع ولدها أم يجب إخراجها منها؟ فظنّ الشيخ المفيد أنّ الولد ميّت في بطنها، فقال: لا حاجة لفصله عن أمّه، بل يجوز أن يدفن معها وهو في بطنها، فلمّا حملت إلى قبرها أتى إلى النسوة شخص فقال: إنّ الشيخ يأمر أن يشقّ بطن الحامل ويخرج الجنين إذا كان حيّاً منها، ويخاط الشقّ ولا يحلّ أن يدفن معها، فعملت النسوة بما أوصى إليهنّ ذلك الشخص، ثمّ أخبر ذلك القروي بعد مدّة الشيخ المفيد بما وقع، فقال له: إنّّه لم يرسل أحداً، ولا شكّ أنّ ذلك الشخص هو صاحب الزمان، وأسقط الشيخ المفيد في يده بأنّه أخطأ في الفتوى، فترك الفتيا والتزم بيته لا يغادره حتّى جاءه الأمر: «أفديا مفيد، فإنّ أخطأت فعلينا التسديد» فما كان من الشيخ إلّا أن عاود الجلوس على منبر الفتيا. ^(١)

إجاباته عن أسئلة محيرة للعلماء:

ذكر العلامة المجلسي رحمته الله أنّه سمع من جماعة أخبروه عن السيّد الفاضل أمير علام، قال: كنت في صحن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ساعة متأخرة من الليل، فرأيت رجلاً مقبلاً نحو الروضة المقدّسة، فاقتربت منه، فإذا هو العالم التقي مولانا أحمد الأردبيلي - قدّس الله روحه - فاخفيت عنه، فجاء إلى باب الروضة - وكان مغلقاً - فانفتح له الباب، ودخل الروضة، فسمعتّه يتكلّم كأنّه يخاطب أحداً، ثمّ خرج وأغلق الروضة، فتوجّه نحو مسجد الكوفة وأنا خلفه أتبعه وهو لا

(١) جنة المأوى: ٢٨٦. موجود بكتاب رعاية الامام ص ٦٠ يراجع هذا الهامش

١٢٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

يراني، فدخل المسجد وقصد نحو المحراب الذي استشهد فيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومكث هناك طويلاً، ثم رجع نحو النجف وكنث خلفه أيضاً، وفي أثناء الطريق غلبني السعال، فسعلتُ، فالتفت إليّ وقال: أنت أمير عَلام؟ قلت: نعم. قال: ما تصنع هاهنا؟

قلت: كنت معك مُنذ دخولك الروضة المقدّسة إلى الآن وأقسمُ عليك بحقّ صاحب القبر أن تُخبرني بما جرى عليك من البداية إلى النهاية؟ قال: أخبرك بشرط أن لا تخبر به أحداً ما دمتُ حيّاً، فوافقت على الشرط. فقال: كنتُ أتفكّر في بعض المسائل الفقهيّة الغامضة، فقرّرت أن أحضر- عند مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأسأله عنها، فلما وصلتُ إلى باب الروضة انفتح لي الباب بغير مفتاح، فدخلتُ الروضة وسألتُ الله تعالى أن يُجيبني مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك المسائل، فسمعت صوتاً من القبر: أن ائتِ مسجد الكوفة، وسل القائم، فإنّه إمام زمانك، فأتيت المسجد عند المحراب، وسألت الإمام المهدي عليه السلام عنها، فأجابني عن ذلك، وها أنا راجع إلى بيتي. ^(١)

وفي ذات الشأن نُقل عن آية الله الشيخ زين الدين النجفي رحمته الله أنّه سُئل عن حكم الطبول التي تضرب في عزاء الإمام الحسين عليه السلام، وعن ضرب السيوف والتشابه، أهي جائزة أم حرام؟ فأجاب: إنّي كنت متوقّفاً في هذه المسألة ومتردّداً فيها، فلا أدري هل أفتي بالجواز أم أفتي بالحرمة؟! فذهبت إلى مسجد السهلة ووصلت بخدمة سيدي الحجّة بن الحسن عليه السلام، وعرضت المسألة عليه وسألته

(١) ينظر: بحار الأنوار: ١٧٥ / ٥٢.

عنها، فأفتاني بالجواز، وأنا أفتي كما أفتى سيدي ومولاي بالجواز. ^(١)

أمره سلام الله عليه للشيخ الصدوق بتأليف كتاب في الغيبة:

قد ذكر الشيخ الجليل رئيس المحدثين الشيخ الصدوق قصة تأليفه لكتابه المشهور القيم (كمال الدين وتمام النعمة) في مقدمته قصة طويلة، وخلاصتها: فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيما خلّفت ورائي من أهل وولد وإخوان ونعمة، إذا غلبني النوم، فرأيت كأني بمكة أطوف حول بيت الله الحرام وأنا في الشوط السابع عند الحجر الأسود أستلمه وأقبله، وأقول: «أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة»، فأرى مولانا القائم صاحب الزمان - صلوات الله عليه - واقفاً بباب الكعبة فأدنو منه على شغل قلب وتقسم فكر، فعلم عليه السلام ما في نفسي بتفرسه في وجهي، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال لي: «لم لا تصنّف كتاباً في الغيبة حتّى تكفى ما قد أهتمك؟» فقلت له: يا ابن رسول الله، قد صنّفت في الغيبة أشياء، فقال عليه السلام: «ليس على ذلك السبيل، أمرك أن تصنّف الآن كتاباً في الغيبة، واذكر فيه غيبات الأنبياء عليهم السلام».

ثم مضى عليه السلام، فانتبهت فزعاً إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوى إلى وقت طلوع الفجر، فلما أصبحت ابتدأت في تأليف هذا الكتاب ممتثلاً لأمر وليّ الله وحجّته مستعيناً بالله ومتوكّلاً عليه... ^(٢)

(١) بيان الأئمة: ٢/ ٤٦٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣-٤.

١٢٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وهناك عشرات القصص والشواهد التي تحكي لقاءات العلماء مع الإمام صاحب الزمان، فمن أراد الزيادة يرجع إلى الكتب المذكورة بالإضافة إلى تراجم العلماء ومقدمات كتبهم.

تشرف الشيخ الأنصاري بقاء الإمام الحجة ليسأله عن بعض المطالب:

نُقل عن أحد تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري رحمته الله قال: في إحدى زيارتي المخصوصة لكربلاء، خرجت في إحدى الليالي بعد منتصف الليل إلى الحمام، ولما كانت الشوارع مكسوة بالطين فقد أخذت معي سراجاً، فلاح لي من بعيد شخص شبيه بالشيخ الأنصاري، فلما اقتربت منه قليلاً وجدته الشيخ الأنصاري نفسه، فاتّبعته أثره حتى لا يتعرّض لمكروه من أحد، وكنت أخطو خطوات خفيفه في اقتفاء أثره، حتى رأيته وقد وقف على باب دار خربة، وقرأ الزيارة الجامعة، ثم دخل الدار الخربة، فسمعتة يتحدث مع شخص إلاّ إنّي لم أراه ثمّ ذهبت إلى الحمام، وبعدها تشرفت بزيارة الحرم، فرأيت الشيخ في الحرم الشريف.

وبعد انتهاء مراسم الزيارة عدت إلى النجف الأشرف، وبمجرد تشرفي بزيارة الشيخ انتهزت الفرصة وسألته عمّا رأيته تلك الليلة، وبعد الإلحاح الشديد منّي عليه، قال: أحياناً ولأجل الوصول بخدمة إمام الزمان عليه السلام أطلب الاستئذان منه، وكنت قد ذهبت إلى ذلك المنزل الذي رأيته على بابه اقرأ الزيارة الجامعة، لأطلب الاستئذان من الحضرة الشريفة والتشرف بلقائه، لأسأله عن بعض المطالب ثم بعد ذلك أقسم عليّ الشيخ، وأخذ منّي عهداً على أن لا أبوح لأحد بما جرى ما دام على قيد الحياة.^(١)

(١) ينظر: رعاية الإمام المهدي للمراجع والعلماء الأعلام: ١١٦-١١٧.

ثانياً: دعاؤه وحفظه للمؤمنين من الأعداء:

وردت في رسالته ﷺ للشيخ المفيد فقرة: «إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاّواء (الشدائد) واصطلمكم الأعداء». ^(١) وورد في رسالته الثانية للشيخ المفيد أيضاً:

«.. لأنّنا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يجب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب». ^(٢)

أنزل الله سبحانه أوليائه منازل رفيعة الشأن وجعلهم صنائعه، والخلق بعد ذلك صنائعهم، كما ورد عنه (صلوات الله عليه) في التوقيع المروي في الاحتجاج: «ونحن صنائع ربّنا، والخلق بعد صنائعنا». ^(٣)

ولأنّهم العلة الغائيّة في الخلق فقد أكرمهم الله جلّ جلاله، بحيث إذا سأله شيئاً لا يردّهم، فهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم وإعظماً لحقّهم، وبالتالي فهم ﷺ الوسائط في إيصال الفيوضات الإلهيّة إلى سائر المخلوقات، وقد أُشير إلى هذا المعنى أيضاً في دعاء الندبة: «أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ» ونسبة الفعل إلى السبب والواسطة كثيرة جداً في

(١) الاحتجاج: ٢/ ٣٢٣.

(٢) الاحتجاج: ٢/ ٣٢٣-٣٢٤.

(٣) الاحتجاج: ٢/ ٢٧٨.

العرف واللغة. (١)

ولذا فإنَّ الإمام (صلوات الله عليه) يرعى مواليه بالدعاء ويشملهم بلطفه وحنانه وذكره إياهم عند الله سبحانه، ولولا ذلك لنزلت بهم الشدائد والمحن، ولأنَّ أعداء آل محمد وشيعتهم هم أعداء الدين والإيمان والقرآن فقد اجتهدوا طوال ألف وأربعمائة عام على استئصال شأفتهم بالقتل والسجن والمطاردة وحرمانهم من العطاء ومضايقتهم وعزلهم واتهامهم بالرفض والتفرقة وما شابه ذلك، ولكن خاب سعيهم، ففي كلِّ يوم يزداد أهل الإيمان والولاء لأهل البيت، وفي كلِّ يوم تظهر الحقائق بشكل أجلى للعالم، ويعرفون الظالم من المظلوم، والمحقَّ من المبطل.

وكلَّ ذلك ببركة حفظ الإمام ودعائه، وقد أكَّد عليه في التوقيع الأوَّل والثاني، وزاد في الثاني إعطاء الطمأنينة للمؤمنين والثقة بالكفاية لهم وحفظهم من الأعداء في المستقبل كلِّما حاولوا اجتثاثهم من الأرض..

ولكن الإمام أشار لشيعته بضرورة الالتزام بالمنهج وطاعة الله والالتزام بالحق وعدم تجاوز المنهج المرسوم لهم من أهل بيت العصمة.

وكنموذج لرعايته ودعائه وحفظه من الأعداء نذكر هذه القصة:

روى الشيخ المجلسي عن الشيخ العابد المحقق شمس الدين محمد بن قارون، قال: كان في مدينة الحلَّة رجل، يقال له: أبو راجح الحماصي، وحاكم ناصبي اسمه مرجان الصغير، وذات يوم أخبروا الحاكم بأنَّ أبا راجح يسبُّ بعض الصحابة! فأحضره وأمر بضربه وتعذيبه، فضربوه ضرباً مهلكاً على وجهه وجميع بدنه، فسقطت أسنانه، ثمَّ أخرجوا لسانه وأدخلوا فيه إبرة عظيمة، وثقبوا

(١) ينظر: مكيال المكارم: ٣٧/١.

أنفه، وجعلوا في الثقب خيطاً وشدّوا الخيط بحبل، وجعلوا يدورون به في طرقات الحلة والضرب يأخذه من جميع جوانبه، حتّى سقط على الأرض. فأمر الحاكم بقتله، فقال الحاضرون: إنّه شيخ كبير، وسوف يموت من شدة الضرب وكثرة الجراحات، فتركوه على الأرض، وجاء أهله وحملوه إلى الدار، وكان بحالة فظيعة لا يشكُّ أحد أنّ الرجل سيفارق الحياة، ممّا نزل به من التعذيب الوحشي.

وأصبح الصباح، وإذا الرجل قائم يُصليّ على أحسن حالة، وقد عادت إليه أسنانه التي سقطت، والتأمت جراحاته، ولم يبق في بدنه أثر من ذلك التعذيب!! فتعجّب الناس من ذلك، وسألوه عن واقع الأمر؟! فأخبرهم أنّه استغاث بالإمام المهدي «عجل الله ظهوره» وتوسّل إلى الله تعالى به، فجاءه الإمام إلى داره، فامتلاّت الدار نوراً.

قال أبو راجح: فمسح الإمام بيده الشريفة على وجهي، وقال لي: اخرج وكِدّ على عيالك فقد عافاك الله تعالى، فأصبحت كما ترون. ورآه محمد بن قارون وقد عادت إليه نضارة الشباب، واحمرّ وجهه واعتدلت قامته.

وشاع الخبر في الحلة، فأمر الحاكم بإحضاره، وكان قد رآه يوم أمس وقد تورّم وجهه من الضرب، فلمّا رآه صحيحاً سليماً ولا أثر للجراحات في جسمه، خاف الحاكم خوفاً شديداً، وغير سلوكه مع شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، وصار يُحسن المعاملة معهم.

وكان أبو راجح بعد تشرّفه بلقاء الإمام كأنّه ابن عشرين سنة، ولم يزل كذلك

حتى أدركته الوفاة. ^(١)

ومن الأدلة الساطعة على حفظه لنا من الهلاك والاجتثاث القصة المشهورة التي وقعت في البحرين، المعروفة بـ «واقعة الرمانة»:

عندما دخل البرتغاليون البحرين مستعمرين لها في العام (١٠١١ هـ الموافق ١٦٠٢ م) قام الشعب بمقاومة هؤلاء المستعمرين، وعندما أراد أن يرحل عن هذا البلد لشدة الضغوط الداخلية والخارجية من منافسيه المستعمرين الآخرين، قام بتعيين حاكم ناصبي على البلد، لعلمه أن أكثرية هذا الشعب من موالي أهل البيت، لكي يعاملهم معاملة قاسية، وكان لدى الحاكم وزير ومعاون أشد بغضاً منه للشيعة.

وفي يوم من الأيام جاء الوزير إلى الوالي برمانة مكتوب عليها: «لا إله إلا الله»، محمد رسول الله، أبوبكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله» فنظر الوالي إلى كتابة الرمانة، فظن أن تلك الخطوط كتبت بقلم القدرة، وليست من صنع البشر، فقال للوزير: هذه آية بيّنة، وحجة قوية على إبطال مذهب الرافضة (يقصد الشيعة).

فاقترح الوزير أن يجمع الوالي علماء الشيعة وشخصياتهم ويريهم الرمانة، فإن تخلّوا عن مذهب التشيع واعتنقوا مذهب أهل السنة، تركهم بحالهم، وإن أبوا إلا التمسك بمذهبهم، خيرهم بين ثلاثة أمور:

الأول: أن يدفعوا الجزية كما يدفعها غير المسلمين من اليهود والنصارى والمجوس.

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٥٢ / ٧٠ - ٧١.

الثاني: أن يأتوا بجواب لردّ وتفنييد الكتابة الموجودة على الرمانة.

الثالث: أن يقتل الوالي رجالهم ويسبي نساءهم وأولادهم، ويأخذ أموالهم بالغنيمة!

فأرسل الوالي إلى شخصيات الشيعة وأحضرهم وأراهم الرمانة، وخيّرهم بين الأمور الثلاثة المذكورة، فطلبوا منه المهلة ثلاثة أيام.

فاجتمع رجالات الشيعة وأهل الحلّ والعقد، يتذكرون فيما بينهم حول كيفية التخلص من هذه المشكلة، وبعد مذاكرات طويلة اختاروا من صلحائهم عشرة رجال، واختاروا من العشرة ثلاثة، وتقرّر أن يخرج في كلّ ليلة واحد من الثلاثة إلى الصحراء، ويستغيث بالإمام المهدي عليه السلام للتخلص من هذه المحنة.

فخرج أحدهم في الليلة الأولى، فلم يتشرف بلقاء الإمام ولم تنحل المشكلة، وهكذا حدث للثاني أيضاً، وفي الليلة الثالثة خرج الشيخ محمد ابن عيسى الدّمستاني، وكان فاضلاً تقيّاً، فخرج إلى الصحراء حافياً حاسر الرأس، وقضى ساعات من الليل بالبكاء والتوسّل والاستغاثة بالإمام المهدي عليه السلام لكي يُنقذهم من هذه الورطة والبلاء، وفي الساعات الأخيرة من الليل حضر الإمام المهدي وخاطبه: «يا محمد ابن عيسى، مالي أراك على هذه الحالة؟ ولماذا خرجت إلى هذه البرية؟» فامتنع الرجل أن يذكر حاجته إلاّ للإمام المهدي عليه السلام.

فقال له الإمام: «أنا صاحب الأمر فاذكر حاجتك». قال محمد بن عيسى: إن كنت صاحب الأمر فأنت تعلم قصّتي، ولا حاجة إلى البيان والشرح.

فقال الإمام: «نعم، خرجت لما دهمكم من أمر الرمانة، وما كُتب عليها».

فلما سمع محمد بن عيسى ذلك، أقبل إلى الإمام، وقال: نعم يا مولاي، تعلم

١٣٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ما أصابنا، وأنت إمامنا وملاذنا، والقادر على كشفه عنا.

فقال الإمام: «إنّ الوزير - لعنه الله - في داره شجرة رمان، فلمّا حملت تلك الشجرة، صنع الوزير شيئاً (أي قالباً) من الطين على شكل الرمانة، وجعله نصفين، ونحت في داخله تلك الكلمات المذكورة، ثمّ جعل رمانة من الشجرة في ذلك القالب، وشدّ القالب على الرمانة، فلمّا نبتت الرمانة وكبرت، دخل قشرها في تلك الكتابة المنحوتة.

فإذا مضيت غداً للوالي فقل له: جئتُك بالجواب، ولكني لا أبديه إلاّ في دار الوزير، فإذا مضيت إلى داره، فانظر عن يمينك ترى غرفة، فقل للوالي: لأجيبك إلاّ في تلك الغرفة، وسيمنع الوزير عن ذلك، ولكن عليك بالإلحاح، وحاول أن لا يدخل الوزير تلك الغرفة قبلك، بل ادخل معه، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوةً فيها كيس أبيض، فانفض إليه وخذه، فترى فيه تلك الطينة (القالب) التي عملها هذه الحيلة، ثمّ ضعها أمام الوزير، ثمّ ضع الرمانة فيها حتّى ينكشف أنّ الرمانة على حجم القالب».

ثمّ قال الإمام المهدي عليه السلام: «يا محمد بن عيسى، قل للوالي: إنّ لنا معجزة أخرى، وهي أنّ هذه الرمانة ليس فيها إلاّ الرماد والدخان، فإن أردت صحّة هذا الخبر فأمر الوزير بكسرها، فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته!»

انتهى اللقاء، ورجع محمد بن عيسى وقد غمره الفرح والسرور، وانصرف إلى الشيعة يُبشّر بحلّ المشكلة.

وأصبح الصباح ومضوا إلى الوالي، ونقذ محمد بن عيسى كلّ ما أمره الإمام عليه السلام، فسأله الوالي: من أخبرك بهذا؟

قال: إمام زماننا، وحجة الله علينا! فقال: ومن إمامكم؟
فأخبره بالأئمة الاثني عشر واحداً بعد واحد، حتى انتهى إلى الإمام المهدي
صاحب الزمان عليه السلام.

فقال الوالي: مُد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله،
وأن الخليفة بعده بلا فصل أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم أقر بالأئمة
الطاهرين عليهم السلام وأمر بقتل الوزير، واعتذر إلى أهل البحرين. ^(١)
وقبر محمد بن عيسى معروف في قرية الدمستان في البحرين في مسجد يُسمى
«أبو رمانة» نسبة إلى محمد بن عيسى صاحب الرمانة.

ثالثاً: إجابته عليه السلام للمضطربين والملهوفين:

من أعظم الآثار والفوائد التي يجنيها المحبون والموالون من الإمام هو إجابة
دعواهم واستغاثاتهم عند الضرورة وعند الشدائد وقضاء حوائجهم وشفاء
مرضاهم وإرشاد الضالّ وهداية مَنْ يحتاج إلى الهداية من الباحثين عنها.
وقد حدثت عشرات بل مئات القصص في هذا الشأن للمؤمنين، رواها الأعلام
في كتب عديدة، وإنك لا تكاد ترى مؤ من إلا ولديه قصة وشاهد، إما لنفسه وإما
لشخص يعرفه حدث له كرامة وإجابة من صاحب الزمان سلام الله عليه.

ونحن لا نريد التوسّع في هذا المجال، وإنّا نكتفي بشاهد واحد أو شاهدين
على المطلوب، لكي لا يبقى هناك أيّ شك أو تردّد في القلوب أنّ الإمام صاحب
الزمان هو حاضر بين الناس، يعالج مشاكلهم ويقضي حوائجهم، وإنه يتألم لما

(١) ينظر: الإمام المهدي عليه السلام من المهد إلى الظهور: ٢٥٦، عن بحار الأنوار: ٥٢ / ١٧٨.

يصيبهم.

ومن هذه القصص قصّة ياقوت الدهان: روي عن الشيخ الجليل، العالم النبيل، الشيخ علي الرشتي، وكان من أجلاء العلماء الأتقياء، قال: سافرت من مدينة كربلاء المقدّسة إلى النجف الأشرف عن طريق (طويريج)^(١) فركبنا السفينة وفيها جماعة كانوا مشغولين باللهو واللعب وبعض الأعمال المنافية للوقار والأدب، ورأيت رجلاً معهم لا يشاركهم في أعمالهم، بل يحافظ على وقاره وأخلاقه، ولا يشترك معهم إلاّ عند تناول الطعام، وكانوا يستهزئون به ويخاطبونه بكلام لاذع، وربّما طعنوا في مذهبه!

فسألته عن سبب ابتعاده عن تلك الجماعة وعدم اشتراكه معهم في اللهو واللعب؟

فقال: هؤلاء أقاربي، وهم أهل السنّة، وأبي منهم ولكن والدتي من أهل الإيمان (أي إنّها شيعيّة) وأنا أيضاً على مذهبهم، ولكن الله تعالى منّ عليّ بالتشيع ببركة الإمام الحجّة صاحب الزمان عليه السلام.

فسألته عن سبب هدايته وتشرفه بالتشيع؟

فقال: اسمي ياقوت الدهان في مدينة الحلّة، ثمّ بدأ يحكي لي قصّة هدايته، فقال: خرجت في بعض السنين إلى البراري خارج الحلّة، لشراء الدهن، فاشتريت كمّيّة من الدهن ورجعت مع جماعة، ووصلنا ليلاً إلى منزل في الطريق، فبتنا فيه تلك الليلة، فلمّا انتبهت من النوم رأيت أنّ الجماعة قد رحلوا جميعاً،

(١) طويريج: مدينة تبعد عن كربلاء حوالي ١٥ كيلومتراً تعرف اليوم بقضاء الهندية، وقد

كان الناس يسافرون بالزوارق والقوارب من كربلاء إلى طويريج، ومنها إلى النجف.

فخرجت في أثرهم، وكان الطريق في البرّ الأفقر، وأرض ذات سباع، فضلت الطريق، وبقيت متحيراً خائفاً من السباع والعطش.

فجعلت أستغيث بالخلفاء!! وأسألهم الإغاثة، فلم يظهر منهم شيء! وكان فيما مضى قد سمعت من أمّي، أنّها قالت: إنّ لنا إماماً حياً، يُكنّى أبا صالح، «وهو يرشد الضالّ ويغيث الملهوف ويعين الضعيف» فعاهدت الله تعالى إن أغاثني ذلك الإمام أن أدخل في دين أمّي (أي أعتنق مذهب الشيعة).
فناديت: يا أبا صالح!

وإذا برجل في جنبي وهو يمشي معي وقد تعمّم بعمامة خضراء، فدلّني على الطريق، وأمرني بالدخول في دين أمّي، وقال: «ستصل إلى قرية أهلها جميعاً من الشيعة».

فقلت له: ألا تأتي معي إلى هذه القرية؟
قال: «لا.. لأنّه قد استعاث بي الآن ألف إنسان في أطراف البلاد، وأريد أن أغيّهم» ثمّ غاب عني، فمشيت قليلاً، فوصلت إلى القرية، وكان تبعد عن ذلك المنزل - الذي نزلنا فيه ليلاً - مسافة بعيدة، ووصلت الجماعة إلى تلك القرية بعدي بيوم!

ودخلت الحلة، وذهبتُ إلى دار السيّد مهدي القزويني فذكرتُ له القصّة، وتعلّمت منه معالم الدّين... إلى آخر كلامه. ^(١)

رابعاً: قضاء حوائج المؤمنين وشفاء مرضاهم:

(١) الإمام المهدي من المهد إلى الظهور: ٣٠٩.

١٣٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقد جرب الكثير من المؤمنين ذلك وحصلوا على مرادهم، وقد شاهدوا بأُفٍّ أعينهم ذلك. ونلفت الانتباه في ذلك إلى الملاحظات التالية:

١. إنَّ الإجابة مشروطة بالإخلاص والإلحاح والتوجُّه الشديد واليقين بذلك.
 ٢. إنَّ تأخير الإجابة غالباً لمصلحة الداعي إمَّا لدنياه وإمَّا لآخريته.
 ٣. إنَّ رؤيته للإمام وإجابة استغاثته يعتمد على مؤهلات هذا الإنسان وجدارته، أهو من أهل الطاعة والإيمان والولاية أم لا؟...
- والقصة التالية شاهد وعبرة لأصحاب الحوائج، وهي قصة الشيخ محمد حسن النجفي:

ذكر الشيخ النوري في كتاب (جَنَّة المَأْوَى) عن بعض علماء النجف الأشرف أنَّه كان في النجف رجلٌ من طُلاب العلوم الدينيَّة اسمه الشيخ محمد حسن سريرة، وكان يُعاني ثلاث مشاكل:

- ١ - يقذف الدم من صدره.
 - ٢ - يعيش في فقر شديد.
 - ٣ - يُحبُّ الزواج من امرأة امتنع أهلها أن يُزوّجوها إيَّاه لفقره.
- فلما يئس من ذلك، قرَّر الذهاب إلى مسجد الكوفة^(١) أربعين ليلة أربعاء، لأنَّه قد اشتهر بين المؤمنين أنَّ من وازب على زيارة مسجد الكوفة أربعين ليلة أربعاء، فلا بدَّ أن يرى الإمام المهدي صاحب الزمان عليه السلام.

(١) مسجد الكوفة: مسجد عظيم مبارك، يقع في مدينة الكوفة بالقرب من النجف الأشرف، فقد كان الإمام علي عليه السلام يصلي بالناس فيه، وفيه قتل، وجُدِّد بناؤه عدَّة مرَّات.

فواظب الرجل على ذلك، أملاً في أن يتشرف بقاء الإمام، ويعرض عليه حوائجه الثلاث.

فلما كان في الليلة الأخيرة وكانت ليلة ظلماء باردة ذات ريح عاصفة، جلس الرجل على دكة باب المسجد في الخارج.

لأنه لم يستطع اللبث في المسجد، بسبب الدم الذي كان يقذفه من صدره عند السعال، وجعل يفكر في أنه لم يوفق لزيارة الإمام المهدي عليه السلام بالرغم من أنه في آخر أسبوع من الأسابيع الأربعين.

كان الرجل مُتَعَوِّداً على شرب القهوة، فأشعل النار لصنع القهوة، وإذا به يرى رجلاً قصده، فانزعج من ذلك وقال في نفسه: إن هذا الأعرابي سيشرب القهوة كلها، ولا يبقى لي شيء!

يقول: فوصل الرجل وسلّم عليّ باسمي، فتعجّبتُ من معرفته باسمي، وجعلتُ أسأله: من آية طائفة أنت، من طائفة فلان؟ فيقول لا، حتّى ذكرتُ أسماء طوائف متعدّدة، وهو يقول: لا، لا.

وأخيراً سألتني: ما الذي جاء بك إلى هنا؟

فقلت له: ولماذا تسأل عن ذلك؟ فقال: وما يضرك لو أخبرتني به؟! فصبت له القهوة في الكأس المعروفة بـ (الفنجان) وقدمته له، فشرب قليلاً منه، ثم ردّ الفنجان وقال لي: أنت اشربها، فأخذت الكأس منه وشربتُ ما تبقى من القهوة. ثم بدأت ببيان حوائجي.

فقلت له: أنا في غاية الفقر والحاجة، ومُصابٌ بقذف الدم مُنْذَسِنين، وقد تعلّق قلبي بامرأة، وامتنع أهلها من تزويجها إليّ.

١٣٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقد خدعني بعض رجال الدين إذ قالوا لي: اقصد في حوائجك الإمام صاحب الزمان عليه السلام واذهب إلى مسجد الكوفة أربعين ليلة أربعاء، فتقضى حوائجك، وقد تحمّلت المشاق والمتاعب في هذه الليالي، وهذه هي الليلة الأخيرة ولم أر فيها أحداً!

فقال لي وأنا غافل: أمّا صدرك فقد برأ، وأمّا المرأة فستزوّج بها قريباً، وأمّا الفقر فلا يُفارقك حتّى الموت.
.. ولما أصبح الصباح شعرت أنّ صدري قد برأ، وبعد أسبوع تزوّجت تلك المرأة، وبقي الفقر على حاله ^(١).

خامساً: الاطلاع على أوضاعنا ورعاية شؤوننا:

ورد في رسالته - روعي وأرواح العالمين له الفداء - للشيخ المفيد:
«فإنّا نُحيط علماً بأنّائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذلّ الذي أصابكم، مُذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف اصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون» ^(٢).
وهذا الأمر متفرّع من ولايته المطلقة على العباد والبلاد، ومن الطبيعي إنّه يهتم ويطلع على أمور رعيّته ويرعاهم ويشملهم بلطفه وعنايته وإن كان في حالة الغيبة عنهم.

ولكن كثير من القضايا السلبية التي تحصل للمؤمنين من المشاكل والشدائد وتعرّض الأعداء لهم، إنّما هو بسبب تقصيرهم وعدم التزامهم بتعليمات سادتهم

(١) جنة المأوى (الحكاية الخامسة عشر) المطبوع ضمن بحار الأنوار: ٥٣ / ٢٤٠ - ٢٤٣.

(٢) الإحتجاج: ٢ / ٣٢٣.

وقادتهم من آل البيت عليهم السلام.

فقوله عليه السلام: «ومعرفتنا بالذَّل الذي أصابكم مُذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً».

وإنَّه سلام الله عليه مع ذلك لا ينسى مواليه رغم تقصيرهم في طاعته فإنَّه بحنانه وقلبه الكبير يغيث رعاياه رغم عقوقهم له، كما ذكر سلام الله عليه: «إنَّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللاّواء، واصطلمكم الأعداء...».

فإنَّه عليه السلام في الحالات الضرورية يشملنا بعنايته، ويخفّف عنّا الآلام والمشاكل، ولا يعزب عنه شيء من أمورنا، سواء كانت خيراً أو شراً، فإنّ لديه أعواناً يحضرون عند الناس ويشاركونهم في معاناتهم، ويشتركون معهم في الدفاع عن حصن الأمة في الأوقات العصيبة. وقد ذكر آية الله الشيخ وحيد الخراساني مدّ الله ظلّه العالي هذه القصّة العجيبة عن الشيخ علي أكبر النهاوندي والمرحوم الشيخ علي أكبر النوغاني.

يقول الشيخ: كنّا نحضر عند معلّم في مشهد المقدّسة، وكان يحضر معنا طبيب صاحب هذه القصّة، ولكنني سمعتها من المصدرين المذكورين.

يقول ذلك الطبيب: كنت في غزو روسيا لإيران، أثناء الحرب العالميّة الثانية أعمل قريباً من الجبهة طبيباً جراحاً، وذات يوم جاءني شخص وقال لي: أصابتنِي رصاصة فأجر لي عمليّة الآن واستخرجها.

قلت له: العمليّة ليست شيئاً بسيطاً، لابدّ أن يحضر طبيب التخدير ويعطيك المخدّر، قال: لا تنتظر المخدّر وجئ بوسائلك وأجر لي العمليّة الآن، فرأيت

١٣٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

نفسى أتحرك لتنفيذ أمره كالمُسَيَّر بإرادته، فأحضرت وسائلى وتمدد هو، وقال:
بسم الله النور، بسم الله النور، ثم تلفظ بإخفات بكلمتين أو ثلاث كلمات، فرأيته
نام كأنه بدن بلا روح! عرفت أنه رجل له قدرة على خلع روحه وتجريدها من بدنه،
فقلت في نفسى: لقد وجدت كنزاً!

وما أن أتممت العملية وخياطة الجرح حتى رأيته حرك شفثيه بهدوء، وأعاد
نفس الكلمات وجلس!

فسألته عن حاله وتحدثت معه، فعرفت أنه له ارتباطاً بصاحب الزمان (عليه السلام)،
فسألته: هل رأيته؟

فقال: هيهات، هيهات! وهل أنا بمستوى مَنْ يراه ويتحدث معه؟!
أين أنا منه؟!

قلت له: إذن ما هو عملك؟ قال: أنا مأمور أن أتواجد هنا!

قلت له: أليس للمولى عناية بنا؟!

ماذا يلاقي المسلمون من هذا الجيش الروسي والآذربيجاني من مصائب؟!
فنظر إليّ ثم قال: ليرحلوا.. وغاب عني!

وفي عصر ذلك اليوم وصلت برقيّة من مركز القيادة الروسية تأمر
بالانسحاب الفوري، وأخذ الجيش الروسي والآذري بالانسحاب من فورهم!
حينئذ عرفت أنني وجدت ما أبحث عنه!

وفهمت أن الشخص من أصحاب الإمام المهدي روحى فداه، وأنه يمتلك
شعاعاً من تلك الإرادة الربّانية القاهرة، فهو يقول: ليرحلوا، فيرحلوا!

قال: قلت له: هل رأيته نفسه؟

قال: لا هيهات... أنا أرتبط بسبعة أشخاص، هم يرونه.^(١)

سادساً: حضور الإمام عليه السلام مواسم الحج والمناسبات الدينية وشعائر أهل البيت عليهم السلام.

كان الأئمة من آبائه عليه السلام مواظبين على حضور هذه المناسبات باستمرار وفي كل عام، بل هم المقدمون فيها وأمرؤها، لأن الحج من الأمور العبادية العظيمة التي يرى الإنسان فيها عظمة الله سبحانه، ويرى نفسه وضعفه وذلته أمام مولاه الخالق، فهم يمارسون حالة الطاعة والعبودية الحقّة لله سبحانه، وإن كانوا هم في قمة الطاعة والقُدوة للناس، كما أنّ حضورهم له فوائد وأدوار تعليمية وإرشادية، ويعتبر بركةً ولطفاً للناس وقيادة لهم حيث إنّهم يلتقون بالمؤمنين ويشاركونهم في همومهم وقضاء حوائجهم، وهو دليل على أنّ الإمام لا يتخلف لحظة واحدة عن مواليه ومحبيه لمتابعة شؤونهم، ولذا اعتبر القرآن اللقاء بإمام الزمان والاستفادة منه وتأكيد الولاية والعهد معه عليه السلام من الفوائد العظيمة للحج وحضور الموسم.

فقد ورد في تفسير الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج / ٢٩] في كتاب الكافي بسنده إلى عبدالله بن سنان عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ الله أمرني في كتابه بأمر فأحب أن أعمله، قال: «وما ذاك؟».

قلت: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ قال: «ليقضوا

(١) الحقّ المبين في معرفة المعصومين: ٥٤٨.

١٤٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

تفثهم»: لقاء الإمام، و«ليوفوا ندورهم»: تلك المناسك».

قال عبدالله بن سنان: فأتيت أبا عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك، قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾؟

قال: «أخذ الشارب وقصّ الأظفار وما أشبه ذلك».

قلت: جعلت فداك، إن ذريح المحاربي حدثني عنك بأنك قلت: «ثم ليقضوا تفثهم»: لقاء الإمام «وليوفوا ندورهم»: تلك المناسك؟ فقال: «صدق وصدقت، إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومنّ يحتمل ما يحتمل ذريح؟»^(١).

وأيضاً روى الكليني عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ورأى الناس بمكة وما يعملون، قال: فقال: «فعال كفعال الجاهليّة، أما والله ما أمروا بهذا، وما أمروا إلا أن يقضوا تفثهم وليوفوا ندورهم، فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم»^(٢).

كيف نلقى الإمام في الموسم؟ وهو غير معروف:

صرّحت رواية العمري أنّه يحضر الموسم فيرويه ولا يعرفونه، في واقع الأمر إنّ هذا الأمر يؤلم الموالي المحب، ولكن كما عرفنا أنّ المصالح الربانيّة لغيبة الإمام أعظم وأكبر ممّا نعرفه، لأنّها من الأسرار التي خفيت علينا. وفي الإجابة عن السؤال، نقول: هنالك كثير من التكاليف والواجبات

(١) تفسير نور الثقلين: ٣/ ٤٩٢.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٣/ ٤٩١.

الشرعية التي نقوم بها في هذا الزمان تجاه إمام زماننا ونحن ملزمون بها كالتصديق بالولاية، والتسليم له، والبراءة من عدوّهم، والتصديق بإمامته وولادته وغيبته وانتظاره والاستعداد لنصرته، وهنالك أمور أخرى، حيث نستغيث به، وندعو له ونصلي عليه، ونسلم عليه ونزوره ونتصدق عنه، فإنّ زيارته والدعاء له هو بمثابة التعاهد معه والاستعداد لنصرته، وكم يتمنّى المؤمن الموالى أن يلتقي بإمام زمانه فيعرفه وجداناً، حتّى يتزوّد منه ويُسّر برؤيته ويتعلّم منه ويرتشف من نسيم بركاته ولطفه ورحمته.

مع ذلك فإنّ الإمام يحضر معنا وتشملنا ألطافه وعنايته ونحن لا نعرفه، ومن هذه الأمور أنّه يؤمّن على دعائنا، فيكون موجّباً للقبول والعناية الإلهية: فقد ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، قال لأحمد بن إسحاق القميّ وقد أتاه ليسأله عن الخلف: «وإنّه ليحضر الموسم في كلّ سنة، ويقف بعرفة فيؤمّن على دعاء المؤمن...»^(١).

وهنالك كثير من المواقف التي تثبت أنّ حضور صاحب الزمان له منافع وفوائد كثيرة في حضوره موسم الحجّ وأنّ له عناية بالمؤمنين ويلاقيهم هناك. ويحضر الإمام الموسم وإن كان الناس لا يعرفونه إلاّ أنّه يعرفهم ويبارس دوره في حفظ المؤمنين والعناية بهم، وربّما يلتقى بأحد المؤمنين عياناً وأرشده إلى ما يصلحه إذا كان هذا الشخص لديه اللياقة، وقد حدث لعدّة أشخاص في الزمن السابق وفي زماننا هذا.. ولأنّ الإمام هو إمام الناس فلا يمكن أن يتخلف

(١) منتخب الأثر: ٣٤٣.

١٤٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

عن هذه الأماكن المهمة المشرفة. ولذا فقد ورد في الأحاديث الشريفة عنهم (صلوات الله عليهم):

روى الصدوق الروايات التالية: بسنده إلى محمد بن عثمان العمري رحمته الله قال: سمعته يقول: «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه» ^(١).

وفي رواية أخرى عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يفقد الناس إمامهم، فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه» ^(٢).

والمقصود من الرواية الثانية «ولا يرونه» بمعنى لا يعرفونه بقرينة الرواية الأولى فهذا محمد بن عثمان العمري الذي يروي عنه روايات مهمة فيما يتعلق بصاحب الزمان قد روى عن الإمام أنه يحضر الموسم فيرى الناس ويعرفهم ولا يعرفونه، ويروي عنه أنه رآه عياناً في الموسم أيضاً، وليس بالسماع منه فقط، والرواية التالية شاهدة على ذلك.

فقد روى الصدوق بسنده إلى الحميدي، قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمته الله فقلت له:

أرأيت صاحب هذا الأمر؟ فقال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني» ^(٣).

وبنفس السند قال: سمعت محمد بن عثمان العمري رحمته الله يقول: رأيت

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤٠.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٦.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤٠.

صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: «اللهم انتقم لي من أعدائي»^(١).

ومن هذه الروايات يتبين أن الإمام عليه السلام يقوم بدور الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، فإنه يعتبر نفسه عبداً مطيعاً لله سبحانه، ويرى أنه مضطر ومأمور وباجة إلى الدعاء.

فهو يدعو لنفسه ويدعو على أعدائه ويدعو لمواليه، ويرى حالة مواليه وما هم عليه من الطاعة والالتزام والعبادة، ويرى ما هم عليه من التقصير أيضاً.. وهناك من القصص والحوادث والحكايات الكثيرة جداً، نقل واحدة للاستدلال وللاعتبار:

قصة الحسن بن وجناء النصيبي:

روى الصدوق بسنده عن أبي محمد الحسن بن وجناء النصيبي، قال: كنت ساجداً تحت الميزاب في رابع أربع وخمسين حجة بعد العتمة، وأنا أتضرع في الدعاء إذا حرّكني محرّك، فقال: قم يا حسن بن وجناء، قال: فقامت فإذا جارية صفراء نحيفة البدن، أقول: إنها من أبناء أربعين فما فوقها، فمشت بين يدي وأنا لا أسألها عن شيء، حتى أتت بي إلى دار خديجة عليها السلام، وفيها بيت باب في وسط الحائط وله درج ساج يرتقي، فصعدت الجارية وجاءني النداء: اصعد يا حسن، فصعدت فوقفت بالباب، فقال صاحب الزمان عليه السلام: «يا حسن، أترأى خفيت عليّ، والله ما من وقت في حجك إلا وأنا معك فيه»، ثم جعل يعدّ عليّ أوقاتي، فوقعت [مغشياً] على وجهي، فأحسست بيد قد وقعت عليّ، فقامت، فقال لي: «يا حسن، الزم دار

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤٠.

١٤٤ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

جعفر ابن محمد عليه السلام، ولا يهمنك طعامك ولا شرابك، ولا ما يستر عورتك»، ثم دفع إليّ دفترًا فيه دعاء الفرج وصلاة عليه، فقال: «بهذا فادع، هكذا صلّ عليّ، ولا تعطه إلا محقّي أوليائي، فإن الله جلّ جلاله موفّقك». فقلت: يا مولاي، لا أراك بعدها؟ فقال: «يا حسن، إذا شاء الله».

قال: فانصرفت من حجّتي ولزمت دار جعفر بن محمد عليه السلام، فأنا أخرج منها فلا أعود إليها إلا لثلاث خصال: لتجديد وضوء، أو لنوم، أو لوقت الإفطار، وأدخل بيتي وقت الإفطار فأصيب رباعياً مملوءاً ماءً ورغيفاً على رأسه وعليه ما تشتهي نفسي بالنهار، فأكل ذلك فهو كفاية لي، وكسوة الشتاء في وقت الشتاء، وكسوة الصيف في وقت الصيف، وإني لأدخل بالنهار فأرّش البيت وأدع الكوز فارغاً، فأوتي بالطعام ولا حاجة لي إليه، فأصدّق به ليلاً كيلا يعلم بي من معي. (١)

حضور الإمام عليه السلام ماتم أهل البيت وخصوصاً يوم عاشوراء:

فهو كابائهم عليهم السلام حين كانوا يحيون ذكرى عاشوراء، فيكون ويأمرون الشعراء برثاء الحسين عليه السلام.

أمّا صاحب العصر فإنّ مصيبة جدّه الحسين من أعظم المؤثرات في نفسه، وهي المصيبة التي يخرج للثأر لها، بل إنّ المطالبة بدم الحسين هي شعاره الأساسي:

فقد جاء في دعاء الندبة: «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمُقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ، أَيْنَ الْمُنْصُورُ عَلَى

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤٣-٤٤٤.

مَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِ وَافْتَرَى»^(١).

وجاء في زيارة الناحية المقدسة في وصف حالة الإمام وحزنه على جده الحسين عليه السلام:

«وَلَا بَكِيَّ عَلَىكَ صَبَاحاً وَمَسَاءً، وَلَا بَكِيَّ عَلَىكَ بَدَلُ الدُّمُوعِ دَمًا».

وتجسيدا لما ورد في دعاء الندبة الذي هو اسم على مسمى: «فَعَلَى الْأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا فَلْيَبْكُ الْبَاكُونَ وَإِيَّاهُمْ فَلْيَنْدُبِ النَّادِبُونَ وَلْيُثْلِهِمْ فَلْيَتَذَرِفِ الدُّمُوعُ وَلْيَصْرِخِ الصَّارِخُونَ وَيَضْجِ الصَّاجُونَ وَيَعْجِ الْعَاجُونَ. أَأَيْنَ الْحَسَنُ، أَأَيْنَ الْحُسَيْنُ، أَأَيْنَ أَبْنَاءِ الْحُسَيْنِ...».

فإن الإمام صاحب الزمان يقوم بهذه الشعائر وخصوصاً في أيام عاشوراء.

الإمام صاحب الزمان عليه السلام يشارك في عزاء طويريج:

كما اشتهر في كربلاء وعند العلماء والجماهير بأن سماحة المرجع الراحل السيد مهدي بحر العلوم رؤي في عزاء طويريج في يوم عاشوراء يشارك في العزاء ويهرول مع المعزين وقد رفع ملابسه وكشف رأسه وهو حافي القدمين، فجاء له بعض المخلصين من المؤمنين وقالوا له: سيّدنا، هذا الصنيع الذي تقوم به لا يليق بك وأنت المرجع الكبير! فأجابهم: كيف لأصنع ذلك وأنا أرى سيدي ومولاي صاحب الزمان وهو في مقدّمة العزاء يهرول مع المعزين!

سابعاً: همّه وغمّه لنا وتألّمه من أعمالنا السيئة:

وورد عنه سلام الله عليه هذا التوقيع: «إنّه أنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في

(١) مفاتيح الجنان: ٦١١.

١٤٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الدين، وما دخلهم من الشكّ والحيرة في ولاية أمرهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لأنّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره، والحقّ معنا فلن يوحشنا مَنْ قعد عنّا، ونحن صنائع ربّنا، والخلق بعد صنائعنا». ^(١)
وورد توقيع آخر:

«يا محمد بن علي قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ومَنْ دينه جناح البعوضة أرجح منه» ^(٢)

ثامناً: اهتمامه بتأسيس مراكز الإشعاع الديني:
وهي كثيرة جداً، وللاختصار نذكر هذين النموذجين:
الأوّل: قصّة بناء مسجد جمكران: وهو من المراكز العباديّة المشهورة المعروفة في أطراف قم الذي يقصده اليوم الملايين للدعاء والتوسّل بصاحب الزمان عليه السلام.
والقصّة كما يلي:
جاء في كتاب (النجم الثاقب) أنّ الشيخ العفيف والعبد الصالح المدعو حسن بن مثله الجمكراني نقل الرواية التالية:

كنت ليلة الأربعاء في السابع عشر من شهر رمضان المبارك لعام ٣٦٣ هجري قمري نائماً في بيتي في قرية جمكران عندما أقبلت مجموعة من الرجال إلى داري وأيقظوني من النوم وقالوا: انهض يا حسن فإنّ صاحب الزمان الحجة بن الحسن عليه السلام قد أقبل ويريد أن يراك. فنهضت مسرعاً للقاء وليّ العصر روعي له

(١) الإحتجاج: ٢/ ٢٧٨.

(٢) الإحتجاج: ٢/ ٢٨٩.

الفداء، ومن عجالتني حاولت ارتداء قميصي ولكن يبدو أنني ارتديت قميصاً غير قميصي، وإذا بصوت يصدر من الجماعة خارج الدار: أن اترك هذا القميص فهو ليس لك، ثم عمدت إلى ارتداء سروالي ولكن العتمة أوقعني مرةً أخرى في الخطأ نفسه فارتديت سروالاً آخر وجاء الصوت مرةً ثانية: أن اخلع هذا السروال فهو ليس لك يا حسن! ثم حاولت البحث عن مفتاح الباب لكن الصوت جاء للمرة الثالثة وهو يقول: لا تبحث عن المفتاح فإن الباب مفتوح، فنزلت حتى باب الدار فالتقيت بجماعة من الأكابر والأشراف التي تبدو على محيّاهم العظمة والعزة. وكان ذلك المكان هو مسجد جمكران الحالي.

ولما دققت النظر، رأيت سريراً قد نُصب في الفلاة وقد تدلّت من جوانبه المفارش، وجلس عليه شابّ في سنّ الثلاثين وبجانبه شيخ هرم وقف لخدمته وقد فتح كتاباً يقرأ فيه.

كما رأيت أكثر من ستين شخصاً حول ذلك السرير وهم مشغولون بالصلاة وقد ارتدى بعضهم الألبسة البيضاء والبعض الآخر ألبسة خضراء. ثم دعاني الرجل الكهل وكان الخضر عليه السلام وأجلسني بالقرب من ذلك الشاب الذي لم يكن سوى صاحب الزمان عليه السلام.

ثم لفظ ذلك الشاب اسمي قائلاً:

«يا حسن مثله، اذهب إلى حسن مسلم وقل له: لقد مضت عدّة سنوات وأنت تزرع هذه الأرض وتستغلّها ومن الآن فصاعداً لا يحقّ لك أن تستثمرها. كما أنّ النقود التي حصلت عليها خلال السنوات الماضية يجب أن تنفقها في بناء

مسجد في هذا المكان».

ثم قال روعي له الفداء: «كما عليك أن تقول لحسن مسلم بأن هذه الأرض هي من الأراضي الشريفة المقدسة وقد اختارها الباري عز وجل لقدسيتها ولكنك ألحقته بأراضيك وعليك الآن أن تتخلى عنها وإن لم تفعل فسيحل عليك عذاب لم ولن تتصوره».

ثم قلت لصاحب الزمان عليه السلام: يا سيدي ومولاي، إنني إذا قلت هذه الأشياء لحسن مسلم أو للناس فإنهم سوف لا يصدقوني فأرجوك أن تعطيني علامة أو إثباتاً لذلك.

فقال الإمام الحجة عليه السلام: «إننا سنظهر لك علامات على ذلك ولا تفكر بالأمر وعليك أن تذهب إلى أبي الحسن وتأخذه معك إلى حسن مسلم وتقول له ما قلته لك وتأخذ منه الأرض وتبني عليها المسجد بالنقود التي حصل عليها حسن مسلم من زراعة الأرض. وإذا احتجتم إلى أموال أخرى فخذوها من أوقافي في ناحية أردغال حيث إنني أوقفت نصفها لهذا المسجد، كما عليك أن تخبر الناس بضرورة الاهتمام والرغبة في هذا المسجد وأن يعتزوا به وقل لهم أن يصلوا فيه أربع ركعات كالتالي: الركعتان الأولى والثانية باعتبارهما تحية للمسجد تُقرأ فيهما سورة الحمد، ثم سبع مرّات سورة التوحيد أمّا التسبيحات ففي الركوع والسجود سبع مرّات أيضاً.

أمّا الركعتان الثالثة والرابعة فهما صلاة صاحب الزمان عليه السلام حيث تُقرأ جملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في سورة الحمد مائة مرة وتسبيحات الركوع والسجود سبع مرّات أيضاً.

ثم عليهم أن يقوموا بتسبيحات فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ويسجدوا

بعدها ويقولوا (اللهم صل على محمد وآل محمد) مائة مرة.

ثم أضاف المهدي المنتظر (عليه أفضل الصلاة والسلام): «فمن صلاهما فكأنما صلى في البيت العتيق».

ثم أشار علي بالانصراف فانصرفت متوجّهاً نحو بيتي ولم أتقدّم سوى أمتار معدودة حتّى ناداني ﷺ وقال لي: «في قطع الراعي جعفر كاشاني توجد عنزة بلقاء وشعرها كثيف ولها سبع علامات؛ أربعة منها في أحد الطرفين والثلاثة الباقية في الطرف الثاني. وعليك أن تشتري تلك المعزة وإذا لم يساعدك أهالي قرية جمران في شرائها فاشترها بنقودك الخاصة ثم اذبحها غداً مساءً وهي ليلة السابع عشر من شهر رمضان المبارك. واعلم بأن أي مريض أو معاق إذا أكل من لحمها فإنه سوف يُشفى بإذن الله (تعالى)».

ثم أشار للمرّة الثانية فانصرفت من حضرته، ولم أتقدّم إلا قليلاً حتّى ناداني مرّة أخرى وقال: «إنني هنا سبعة أيّام أو سبعة يوماً».

ثم رجعت إلى داري ونمت حتّى الصباح. وبعد الصلاة توجّهت إلى دار علي المنذر وقصصت عليه ما جرى لي ليلة أمس بكلّ حذايرها، فقال: تعال نذهب سوياً إلى ذلك المكان.

وفعلاً ذهبنا إليه فوجدنا علامات من صاحب الزمان ﷺ حيث وجدنا في مكان هذا المسجد سلاسل ممدودة وأوتاداً مضروبة في الأرض، فرجعنا سوياً إلى ساحة العلامة السيّد أبي الحسن الرضا وطرقنا باب داره ففتحه لنا الخادم وقال: إنّ السيّد ينتظركما! ثم سألني: هل أنت من أهالي قرية جمران؟ فقلت له: نعم. ثم قادنا إلى باحة الدار حيث دخلنا إحدى الغرف وسلّمنا على السيّد الرضا.

١٥٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقبل أن أقول شيئاً تحدّث قائلًا: لقد شاهدت ليلة أمس وأنا في المنام شخصاً قال لي: إنّ أحد أهالي قرية جهمكران واسمه حسن مثله سوف يأتي إليك ويقصّ عليك حكاية فصّدقه.

لأنّ قوله هو قولنا وعليك أن لا تردّه خائباً ثمّ أفقت من نومي ومنذ ذلك الحين وأنا أنتظر ك يا حسن مثله!

ثمّ بدأت فسرّدُ عليه القصّة بكاملها فأمر بتهيئة السروج على الخيل وركبنا نحن الثلاثة ووصلنا قرية جهمكران وعندما اقتربنا منها شاهدنا الراعي جعفر كاشاني وهو يرعى قطيعه، فذهبتُ إلى القطيع ولَفَتَ انتباهي تلك المعزاة التي وصفها إمام العصر والزمان عليه السلام بكلّ مواصفاتها وأوصافها فأمسكت بها وقلت لجعفر الراعي: إنّني أريد شراء هذه المعزاة، فنظر إليها مستغرباً وقال: إنّني أقسم لك بأنّني لم أر هذه المعزاة قبل اليوم بين القطيع ولمّا حاولت صباح اليوم الإمساك بها، فَرَّتْ من يدي ولم أستطع اللحاق ولا الإمساك بها بينما أراك أمسكتَ بها وقد استكانت لك!

ثمّ أخذتُ المعزاة إلى ذلك المكان وحسب أوامر صاحب الزمان ذحبتها ثمّ دَعَوْنَا حسن مسلم وأمر السيّد بأن يدفع فوائده وأرباح السنين الماضية. وتمّ تشييد المسجد على المكان المحدّد بالسلاسل والأوتاد.

أمّا لحم المعزاة فقد وزّعناه على المرضى والمعاقين والمعلولين فتمّ شفاؤهم بإذن الله.

ثمّ رفع السيّد أبو الحسن الرضا السلاسل والأوتاد بعد تشييد جدار المسجد ووضعها في صندوق مُحْكَم، حيث كان المرضى يستشفون بها خلال حياته.

ولكن هذه السلاسل والصندوق فقدت بعد وفاته!

وينقل المرحوم الحاج نوري في كتابه (النجم الثاقب) عن الشيخ الطبرسي في كتابه (كنوز النجاة) بأن المهدي المنتظر عليه السلام أوصى بالترتيب والدعاء التالي لكل ذي حاجة أو يخاف من أذى الناس:

أن يصلي صلاة الحجة التي ذكرناها في البداية ثم يقرأ الدعاء التالي:
«اللَّهُمَّ إِنْ أَطَعْتُكَ فَلَمُحَمَّدُ لَكَ، وَإِنْ عَصَيْتُكَ فَالْحُجَّةُ لَكَ، مِنْكَ الرُّوحُ وَمِنْكَ الْفَرْجُ، سُبْحَانَ مَنْ أَنْعَمَ وَشَكَرَ، سُبْحَانَ مَنْ قَدَرَ وَعَفَرَ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ عَصَيْتُكَ فَإِنِّي قَدْ أَطَعْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهُوَ الْإِيْمَانُ بِكَ، لَمْ أَتَّخِذْ لَكَ وَلَدًا وَلَمْ أَذْغُ لَكَ شَرِيكًَا مَنَّا مِنْكَ بِهِ عَلَيَّ لَا مَنَّا مِنِّي بِهِ عَلَيْكَ، وَقَدْ عَصَيْتُكَ يَا إِلَهِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْمَكَابَرَةِ وَالْخُرُوجِ عَنْ عُبُودِيَّتِكَ وَلَا الْجُحُودِ لِرُبُوبِيَّتِكَ، وَلَكِنْ أَطَعْتُ هَوَايَ وَأَزَلَّنِي الشَّيْطَانُ، فَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَالْبَيَانُ، فَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَبِذُنُوبِي غَيْرُ ظَالِمٍ لِي، وَإِنْ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي فَإِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ».

وتقول: «يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ» حتى ينقطع النفس. ثم تقول:
«يَا أَمِنًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ خَائِفٌ حَذِرٌ أَسْأَلُكَ بِأَمْنِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَخَوْفٍ كُلِّ شَيْءٍ مِنْكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُعْطِيَنِي أَمَانًا لِنَفْسِي- وَأَهْلِي وَوَلَدِي وَسَائِرِ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ حَتَّى لَا أَخَافَ وَلَا أَحْذَرَ مِنْ شَيْءٍ أَبَدًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. يَا كَافِي إِبْرَاهِيمَ مِنْ تُمْرُودَ، وَيَا كَافِي مُوسَى مِنْ فِرْعَوْنَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَكْفِيَنِي

شَرَّ فُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ».

الثاني: بناء مسجد الإمام الحسن عليه السلام في قم المقدّسة: كتب سماحة آية الله الشيخ لطف الله الصافي صاحب كتاب (إجابات الأسئلة العشرة) في الصفحة ٣١ يقول: من الحكايات العجيبة والصادقة التي حدثت في زماننا هذا هي حكاية بناء مسجد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام الواقع في الطريق بين طهران ومدينة قم المقدّسة الذي يبعد عدّة كيلومترات من مدخل مدينة قم حيث شيّده الحاج يدالله رجبیان أحد أخصّيار مدينة قم.

وفي ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من شهر رجب المرجّب لعام ١٣٩٨، سمعت حكاية هذا المسجد من لسان السيّد أحمد عسكري كرمانشاهي وبحضور الحاج رجبیان وفي منزله، حيث نقل العسكري، فقال: قبل سبعة عشر عاماً وأثناء تعقيبات صلاة العصر، طرق باب دارنا ثلاثة شبّان يعملون في إصلاح السيّارات وكانوا يحضرون جلسات واجتماعات التوجيه الديني وتعليم القرآن التي كنت أقيمها في داري لمرضاة الله تعالى.

وعندما دخلوا الدار سألونا راجين أن أصحابهم إلى مسجد جمكران في قم لإقامة صلاة الحجّة والزيارة، ونظراً لإصرارهم اضطررت إلى إجابة طلبهم فركبنا السيّارة وأنجّهنّا صوب مدينة قم، وقبل الوصول إلى مدخل المدينة وعند موقع مسجد الحسن المجتبي الحالي، توقّفت السيّارة وكلّمنا حاولوا إصلاحها لم يوفّقوا إلى ذلك، ثم أخذت قدح ماء من السيّارة وذهبت بعيداً عنهم لأقضي حاجتي وفي هذه الأثناء، وبعد ابتعادي عن الجماعة لاحظت وجود شابّ وسيم يرتدي ملابس بيضاء ناصعة ويضع على رأسه عمامة خضراء وبيده رمح يرتفع إلى أكثر من مترين، وهو يخطّط الأرض برمحه. فتقدّمت منه وقلت له:

يا ولدي العزيز، إنّ العصر عصر الطائرات والدبّابات والقنابل وأنت تحمل
رحماً! أليس الأفضل لك أن ترجع إلى مدرستك وتقرأ دروسك؟! ثمّ ذهبت
لقضاء حاجتي.

وإذا به ينادي عليّ: يا سيّد عسكري لا تجلس هناك فإنّني خطّطت المكان
وهذا الموقع الذي تجلس فيه هو مسجد للصلاة.
وكطفل صغير يأمره أبوه، قلت له: سمعاً وطاعةً وقمت من مكاني وابتعدت
قليلاً ثمّ جلست لقضاء الحاجة.

وفي هذه الأثناء خطرت على بالي الأسئلة التالية لأسأله:
١ - هل هذا المسجد الذي تروم تشييده للجنّ أم للإنس وهو يبعد فرسخين
من قم؟

٢ - إذا لم يشيّد المسجد لحدّ الآن، فلماذا طلبت منّي أن أُغيّر مكاني؟
٣ - هل سيصليّ في هذا المسجد الذي تشيّده، جنٌّ أم ملائكة الرحمن؟
وفي هذه الأثناء حينما كنت أريد أن أطرح هذه الأسئلة على السيّد تقدّم إليّ
وضمّني إلى صدره وهو يبتسم ويقول: اسأل ما تريد! فقلت له: ماذا تعمل في
هذا الوقت بدل الجلوس في قاعات الدرس؟!

فقال: إنّني أخطّط لتشييد مسجد هنا، ثمّ أضاف: في هذا المكان وقع أحد
أعزّاء فاطمة الزهراء عليها السلام ثمّ استشهد فيه وهنا سيكون محراب المسجد، ثمّ أخذ
يشير بيده إلى هنا وهناك ويقول هذا مكان الضوء وهذا مكان التواليت
وهكذا... ثمّ أخذ يبكي ويؤشّر إلى مكان ما وهو يقول وهنا ستكون حسينية،
فلم أتمالك نفسي من البكاء أيضاً، وقلت له:

يا بن رسول الله، إنني أوافق على الشروط التالية.

١ - أن أكون حياً حتى تشييد المسجد. فقال: إن شاء الله.

٢ - أن يشيّد هنا فعلاً مسجدٌ كبير. فقال: بارك الله فيك.

٣ - إذا تمّ تشييد المسجد سأجلب ولو كتاباً واحداً لمكتبة المسجد، ثمّ قلت مازحاً، لماذا لا تترك هذه الأفكار من رأسك يا بن رسول الله وتذهب إلى مدرستك. فتبسّم وضمّني للمرّة الثانية إلى صدره! فقلت له: نسيت أن أسألك: من الذي سيّشيد المسجد؟ فقال: يد الله فوق أيديهم. ثمّ أضاف: وحينما يتمّ تشييده أرجو أن توصّل سلامي إليه، فرجعت إلى السيّارة وأنا أسمع هدير محرّكها وقد بدأ بالعمل، ثمّ سألتوني: مع مَنْ كنت تتحدّث؟ قلت: مع ذلك الشاب السيّد الذي يحمل رماً كبيراً، ألم تلاحظوا ذلك؟ فقالوا: أيّ سيّد تتحدّث عنه؟ نحن لم نر شيئاً.

وعند ذلك أدّرت وجهي صوب مكان السيّد الجليل الوسيم فلم أر شيئاً؛ لا السيّد ولا رحمه ولا حتى التلّة التي قضيت حاجتي خلفها!! عند ذلك أحسست وشعرت برجفة في جميع أوصالي وعندها جلست في السيّارة وأنا شارّد الذهن لا أفهم ماذا حصل؟!

وأخيراً جئنا إلى مسجد جمكران وصلّينا وأكلنا ثمّ استرحنا قليلاً. وبعدها قمت لأصلي الجماعة وكان على يميني كهل أشيب وعلى يساري شابّ في ريعان شبابه، وبعد الصلاة أخذت أبكي وأتوسّل إلى صاحب الزمان وأطلب حاجتي منه. وفي هذه الأثناء جاء رجل لم أتبيّن ملامحه لأنني كنت في حالة السجود، فوقف بجانبني وقال: سلام عليكم يا سيّد عسكري، فارتجفت مرّة أخرى وأنا في حالة السجود حيث كان صوت هذا الرجل شبيهاً بصوت الشابّ الوسيم الذي

تحدّث عن تشييد المسجد في طريق قم! ثمّ قلت في نفسي- دعني أقطع صلاتي لأسأله لكنني استغفرت ربّي وواصلت صلاتي حتّى نهايتها ثمّ انتبهت وإذا بالشاب قد غادر المكان، فسألت الرجل الكهل بجانبني:

ألا تدري أين ذهب ذلك الشاب الذي سلّم عليّ وأنا في حالة الصلاة؟ فقال: لم أر شابّاً ولا أدري عمّن تتحدّث! ثمّ سألت الشاب الذي بجانبني عنه فكان جوابه بالنفي! فأصابني الرجفة مرّة ثانية واهتزّ كياني بأجمعه وهنا أدركت أنّ ذلك الشاب في الحالتين كان صاحب الزمان عليه السلام.

ثمّ أغمي عليّ فرشوا الماء على وجهي ولما استيقظت طلبت الرجوع فوراً إلى طهران وعند وصولنا ذهب مباشرة إلى أحد علماء طهران وشرحت له الحكاية بحذافيرها فأكد لي بأنّه فعلاً المهدي المنتظر عليه السلام، وقال: على أيّة حال، أنتظر حتّى يتمّ تشييد المسجد الذي تحدّثتما عنه.

وبعد فترة توفّي والد أحد أصدقائي فاجتمعنا بمجموعة من المعارف والأصدقاء وأخذنا جثمانه إلى مدينة قم لدفنه هناك. وعندما وصلنا إلى مشارف المدينة وفي نفس المكان الذي ظهر لي ذلك الشاب، لاحظت عمّالاً في المكان وبناءً يُشيّد وقد ارتفع إلى متر تقريباً، فتوقّفت حالاً وسألت وأنا في السيّارة بصوت عال: من يشيّد هذا البناء وما هو؟ فقال العمّال: إنّ مسجد يُسمّى مسجد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ويشيّده أولاد الحاج حسين السوهاني.

ثمّ تابعنا سيرنا إلى مدينة قم وقلت لرفاقي - خلال فترة الغداء -: سوف ألحق بكم في الحرم الشريف، ثمّ أخذت سيّارة أجرة وذهبت مباشرة إلى محلات أولاد الحاج حسن السوهاني وسألت ولده: هل أنتم تشيّدون المسجد الفلاني؟ قال:

كلاً. قلت: ومن يشيّد؟ قال: إنّ الحاج يدالله رجبیان. ولما لفظ كلمة يدالله، ازدادت ضربات قلبي سرعةً وأخذ العرق يتصبّب من جميع أعضاء جسدي، فتعجّب صاحب المحل وجلب كرسيّاً وأجلسني عليه، وقال: ماذا حصل لك أيّها الرجل؟ فقلت - وأنا أدمدم مع نفسي - : (يد الله فوق أيديهم) الجملة التي ذكرها إمام العصر والزمان عندما سألته: مَنْ يشيّد المسجد!!

ثم رجعت فوراً إلى العالم الذي رويت له الحكاية وشرحت له ما سمعته في ذلك اليوم، فقال: أسرع وابحث عنه، ثمّ اشتريت أربعمئة كتاب مفيد ثمّ توجّهت إلى قم، وبحث عنه حتّى وجدته وكان صاحب مصنع للغزل والنسيج الصوفي، ولم يكن الحاج يدالله في مكتبه فسألت رجلاً كان في ذلك المكتب عنه فقال: إنّ في البيت، فقلت له: أرجوك أن تتصل به تلفونياً لأنني قادم من طهران وبحاجة إليه.

فاتّصل بالحاج فسلمت عليه وقلت له: لقد جلبت لك أربعمئة كتاب لتكون في مكتبة المسجد الذي تشيّد، فقال متعجباً: مَنْ أنت؟ وكيف عرفت أنّ في المسجد مكتبة؟ فقلت: إنّني أضعها وقفاً في المسجد. فقال: لكن لماذا؟ فقلت له: لا يمكن شرح ذلك بالهاتف، فقال: تعال ليلة الجمعة القادمة ومعك الكتب وهذا عنواني، وأعطاني عنوان بيته.

ثم رجعت إلى طهران وهيأت الكتب وفي ليلة الجمعة سافرت إلى قم مرّة ثانية وحسب العنوان وصلت إلى دار الحاج يدالله رجبیان وعندما جلسنا سوياً قال: لا آخذ الكتب حتّى تحكي القصّة، فسرّدت عليه الحكاية كاملة ثمّ رجعت إلى المسجد وصلّيت ركعتين وتذكّرت لقائي بصاحب الزمان فبكيت وتضرّعت إلى الباري عزّ وجلّ أن يحسن عاقبتني.

هذا وتحدّث الحاج يدالله رجبیان عن حكاية المسجد بالنسبة إليه، وقال: أثناء بناء المسجد، جاء أحد العمّال وأعطاني خمسين تومانا وقال: لقد جاء سيّد جليل القدر وقدم هذا المبلغ قائلاً: هذه مساعدة لبناء المسجد، فغضبت من ذلك وقلت له: كيف تأخذ هذا المبلغ وأنت تعلم بأنني أقوم بتشيد المسجد على حسابي الخاص قرّةً إلى الله؟

ولكن قل لي كيف كان وكيف وصل إلى المكان؟ فقال العامل: عندما أعطاني المبلغ تبعته لأرى بآية وسيلة جاء إلى المنطقة ولكنني بعد خطوات معدودة لم أجده وقد اختفى تماماً عن ناظري.

ويضيف الحاج رجبیان فيقول: ببركة ذلك المبلغ الزهيد، لا أدري كيف تمّ تشيد المسجد بكلّ سرعة وسهولة والحمد لله. ^(١)

(١) ينظر: اللقاء مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام: ١٧-٢٢.

الفصل الثالث

علّة الغيبة

للإمام المهدي عليه السلام غيبتان: صغرى وكبرى؛ ابتدأت الصغرى بعد شهادة أبيه العسكري عليه السلام، وكان عمره ما يقارب خمس سنوات منذ سنة ٢٦٠ هـ واستمرت حتى عام ٣٢٩. حيث لم يطلع على مكانه خلال هذه الفترة أحد من الناس إلا خاصة مواليه، وكان يرسل شيعته عبر وُسطاء وُنُواب أربعة واحد بعد واحد، كلما مات أحدهم أقام الإمام النائب الآخر لإدارة أمور الشيعة وحلّ مشاكلهم وإجابة مسائلهم الشرعية وقبض الأموال وغير ذلك، وهم بالترتيب الشيخ محمد بن عثمان بن سعيد العمري أبو عمرو الأسدي وبدأت سفارته بعد شهادة الإمام العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ ثم تلاه ابنه محمد بن عثمان بن سعيد العمري، ثم خلفهما الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، ثم خُتِمت السفارة وانتهت هذه الغيبة بعد وفاة النائب الرابع أبي الحسن عليّ بن محمد السمرى عام ٣٢٩ هـ في النصف من شعبان، وفي نهاية سفارته خرج التوقيع من الإمام يخبر الناس بانتهاء الغيبة الصغرى وبدء الغيبة الكبرى، حيث كتب عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم:

يا عليّ بن محمد السمرى: أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين سنّة أيام، فاجمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم». ^(١)

(١) الغيبة للطوسي: ٣٩٥.

١٦٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

من هنا يرد السؤال التالي: إلى متى تستمر هذه الغيبة؟ وما العلة في ذلك؟!
أمر الغيبة من الغيوب التي اختصَّ الله بها، ولا يعلم أحدٌ إلى كم تستمر، وإنه
قد صدر النهي عن أهل البيت عليهم السلام بالتوقيت في ذلك، وإِنَّهم لا يوقِّتون، بل
كذبوا كلَّ من يضع وقتاً محدوداً للظهور.

نعم قد ذكروا علامات خاصّة وعلامات عامّة عند قرب الظهور، وإِنَّها مع
ذلك ليست من الحتميَّات، ولكن خروج الإمام عندما يبلغ الكتاب أجله من
الأُمور الموعودة من قِبَل الله تعالى، ووعد الله لا يتخلف كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور/ ٥٥].

الغيبة سرٌّ من أسرار الله:

هل يمكن لنا معرفة العلة والحكمة من غيبته عليه السلام؟
لا يمكن معرفة ذلك، لأنَّه سرٌّ لا ينكشف إلَّا بعد ظهوره عليه السلام، فهو أمرٌ من
أوامر الله وسرٌّ من أسرارهِ، وقد صدر النهي عن السؤال والتفتيش عن الحكمة
في ذلك.

كما جاء التوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام إلى إسحاق بن يعقوب: «وَأَمَّا
عَلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ
أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة/ ١٠١].

إلى أن قال: «فأغلقوا باب السؤال عمّا لا يعينكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد

كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم». ^(١)
وروى عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «وإنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل». فقلت له: ولم جعلت فداك؟

قال: «لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم»، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال عليه السلام «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات مَنْ تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، وإنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلّا وقت افتراقهما، فيا ابن الفضل، إنّ هذا أمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا» ^(٢).

ونحن وظيفتنا التسليم لما ورد في هذه النصوص من إغلاق باب السؤال عمّا لا يعيننا وما كفيينا علمه، لأنّ مَنْ حاول معرفة ذلك فقد تكلف، ومَنْ تكلف حمّل نفسه أكثر من طاقتها، وهذا مستحيل على البشر. وكذا التصديق بأنّ ما يفعله الله لمصلحة البشر، لأنّه الحكيم لا يغفل، فإذا ستر عنّا شيئاً فإنّما هو لوجوه المصلحة التي لا ندركها. وإنّنا مع اعترافنا بأنّه لم تنكشف العلل الحقيقيّة لغيبته عليه السلام إلّا أنّ أهل

(١) الغيبة للطوسي: ٢٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ٩١ / ٥٢.

١٦٤ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الذكر ﷺ كشفوا اللثام عن بعض الحكم والأسباب الظاهرية، ولعل ذكر هذه الأسباب زيادة في تثبيت المؤمنين واعتقادهم بالغيبة.

فما هي الحكم والعلل التي ذكروها؟

العلّة الأولى: حفظ الإمام من القتل:

لابد من المحافظة على شخص الإمام، لكي لا تخلو الأرض من حجة الله على عباده، لأنه هو آخر الأوصياء وهو الحجة والبقية الباقية من سلالة الأنبياء والمرسلين، والمدخر لتحقيق الوعد الإلهي الكبير في الأرض، وهو إقامة الحكومة الإسلامية العالمية العادلة على وجه الأرض.

ولأن الظالمين ما فتئوا يحاربون الأنبياء والصالحين طوال مسيرة البشرية طمعاً في مقامهم وإمامتهم للمجتمع، فكانت أول عملية إجرامية وقعت في تاريخ البشرية هو قتل هابيل من قبل أخيه قابيل حسداً وطمعاً في الوصاية التي خصّها الله تعالى هابيل دونه. وهكذا استمرت دائرة الصراع بين الظالمين والصالحين، ممّا أضطر أوصياء الأنبياء إلى الاستتار والتقية بأمر من الله تعالى.

وكان عدد الأوصياء بين نبي الله آدم ونبي الله نوح عشرة أوصياء كلّهم كانوا في حالة الغيبة، حتّى إذا ظهر لم يؤمن به إلا عدد قليل، فكذبته الأكثرية رغم طول الدعوة التي استمرت ألف عام تقريباً، حتّى قال القرآن على لسانه: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح/٦] وهكذا بعد كلّ نبيّ ظاهر يستتر الأوصياء لمدة طويلة، ثمّ يظهر النبي الذي بعده، ففي زمن صالح كذبوه واستضعفوه، وقتلوا الآية التي جاء بها من عند الله على مشهد منهم، وهي الناقة وفصيلها، حتّى نزل بهم العذاب العظيم، قال تعالى عنهم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ

فَسَوَّاهَا* وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿[الشمس/ ١٤-١٥].

وكذلك قوم نبيّ الله إبراهيم رفضوا دعوته، وحاولوا قتله بطريقة فظيعة، حيث صنعوا له ناراً عظيمة وألقوه فيها، فأنجاه الله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الانباء/ ٦٩].

وكذلك قوم نبيّ الله لوط الذي لم يؤمن به إلاّ بناته، وكانوا قوماً مسرفين في الشهوات المحرّمة حتّى نزل بهم ما نزل من العذاب.

وقتل نبيّ الله يحيى، وقطّعوا رأسه الشريف وأهدوه إلى بغية من بغاياهم. ثمّ نبيّ الله موسى الذي حاول فرعون قتله، فقتل الكثير من النساء والأطفال خوفاً من ولادته، ولما استتر موسى في ولادته عاش بقدره الله في بيت الطاغية فرعون، فلما عرفوه حاولوا قتله ففرّ مستتراً عنهم سنوات عديدة. وكذا نبيّ الله عيسى الذي كذّبوه وآذوه وحاولوا قتله، ولكن الله رفعه إليه، فستره عنهم وهو إلى الآن في حالة الغيبة.

ثمّ استمرّت سيرة الأنبياء والأوصياء في الاستتار والغيبة إلى زمن نبينا محمد ﷺ.

فقد آذوه قومه وطرده وحاصروه وغيبوه لمدة ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، ثمّ هاجر من مكّة مستتراً مضطداً وعاد إليها فاتحاً وأقام الدولة الإسلامية في الجزيرة العربية التي كانت تعجّ بالحروب والتناحر بين القبائل، فأصبحت بلاد موحّدة قويّة.

ولما قرب رحيل النبي ﷺ عهد إلى الأمّة الالتزام بالأوصياء من بعده، وهم أهل بيته المطهّرين المعصومين؛ أوّلهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم الإمام الثاني

١٦٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

عشر المهدي عليه السلام، وإنّه يجب على الأمة طاعتهم واتباعهم، وأن لا يتقدموا عليهم..

لكن الذين أذعنوا للإسلام خوفاً وطمعاً اشرأبت أعناقهم للسلطة وخلافة النبي صلى الله عليه وآله ممّا حدا بهم للتخطيط بمختلف الوسائل لإبعاد أهل البيت عن ساحة الخلافة، وقد نجحوا في ذلك المخطط، ولم يكتفوا بالاستيلاء على السلطة، وإنما أخذوا في قتل أهل البيت واحداً بعد واحد، لكي لا يفكروا بالعودة إلى دور الخلافة والوصاية لرسول الله، فقتل جميع الأئمة الأحد عشر، من عليّ بن أبي طالب ثمّ الحسن والحسين والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام.

ولمّا لم يبق من الصفوة الأوصياء إلاّ آخرهم المهدي بن العسكري، شاءت إرادة الله وحكمته البالغة أن يستره عن أعين الناس فولد الإمام عام ٢٥٥هـ وكتمت ولادته حتّى على أقرب المقربين إليه إلاّ الخُلص من شيعته من أجل معرفة أمره والالتزام به، تماماً كما حصل لنبيّ الله موسى عليه السلام، عندما علم فرعون أنّ رجلاً من بني إسرائيل سيولد عن قريب فيزول ملكه على يديه، فأخذ في قتل الذكور من بني إسرائيل وبقر بطون الحوامل ممّا جعل أمّ موسى تكتم أمر مولودها، وأن تتمثل لإرادة الله بالقاءه في النهر، لتحرسه العناية الإلهية بيد عدوّه الذي يفتش عنه لقتله، فإذا به يتربّى في بيت عدوّه ليقضي فترة الغيبة الأولى، ولما انكشف أمره خرج خائفاً يتكتم أمره، ليقضي- فترة الغيبة الثانية في مدين ما يقارب عشر سنوات، حتّى إذا بلغ الكتاب أجله عاد مرّة أخرى لقومه ليخرجهم من الذلّ والعبوديّة إلى عزّ الدين والإيمان بالله الواحد الأحد..

كذلك ظلمة هذه الأمة الذين كانوا يحكمون باسم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله،

حيث كانوا يعلمون من الأخبار النبوية المتواترة والمشهورة لدى المسلمين، أنّ الأئمة من آل البيت اثنا عشر، وأنّ الإمام الثاني عشر هو الذي يزيل دولة الظلم ويقضي على أئمة الجور والطغيان، فكان بنو العبّاس يترقّبون هذا الأمر، فوضعوا الإمام الحادي عشر الحسن العسكري (عليه السلام) تحت الإقامة الجبريّة في بيته بسامراء، كما وضعوا نساءه تحت الرقابة المباشرة.

وبعد شهادته (عليه السلام) قامت السلطة بمداهمة منزله مرّات عديدة من أجل معرفة أمر الإمام المهدي والقبض عليه، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل. فوضعت نساء الإمام تحت الإقامة الجبريّة، وقد ادّعت أمّ الإمام (نرجس) حملاً من أجل التغطية على أمر الإمام، فسجنت عند القاضي بسامراء لمدة سنتين. فكانت هذه الظروف والأسباب التي دعت الإمام المهدي (عليه السلام) إلى الغيبة للحفاظ على نفسه، ولكي لا يُقتل كما قتل آباؤه جميعاً، وقد صرّحت الروايات بذلك، وذكرت أنّ خوفه من القتل هو السبب لغيبته سلام الله عليه:

عن ابن أبي عمير عن أبان وغيره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (ﷺ): «لا بدّ للغلام من غيبة، فقل له: ولم يا رسول الله؟ قال: يخاف القتل». (١) والرواية تصرّح بأنّه غلام، كإشارة إلى الغيبة الصغرى مباشرة بعد شهادة أبيه العسكري، وعمره الشريف خمس سنوات.

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر (عليه السلام)، فقلت له: يا ابن رسول الله، أنت القائم بالحق؟ فقال (عليه السلام): «أنا القائم بالحق، ولكنّ القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله، ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً، هو الخامس

(١) علل الشرائع: ١/ ٢٤٣، بحار الأنوار: ٩٠/ ٥٢.

١٦٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

من ولدي، له غيبة يطول أمدّها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها آخرون»^(١).

وهي تشير إلى الغيبة الكبرى بقرينة «يطول أمدّها ويرتدّ فيها أقوام...». عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ للغلام غيبة قبل ظهوره»، قلت: ولم؟

قال: «يخاف»، وأوماً بيده إلى بطنه، قال زرارة: يعني القتل.^(٢) وعن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «للغلام غيبة قبل قيامه»، قلت: ولم؟ قال: «يخاف على نفسه الذبح».^(٣)

وفي البحار عن الباقر عليه السلام قال: «إذا ظهر قائمنا أهل البيت قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الشعراء/ ٢١] خفتكم على نفسي وجئتكم لما أذن لي ربّي وأصلح لي أمري».^(٤)

ولذلك فإنّ التشديدات الأمنيّة والإحاطة السريّة بولادته من قبل والده، لكي لا يشيع أمره عند السلطات العباسيّة، فتقوم بالبحث عنه والقبض عليه وقتله.

ولذا حرّم على الشيعة ذكره باسمه في ذلك الوقت، بل لم يعلن عن اسمه الصريح للناس حتّى لا يكون بداية البحث عنه سلام الله عليه.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦١.

(٢) بحار الأنوار: ٩١ / ٥٢.

(٣) بحار الأنوار: ٩٧ / ٥٢.

(٤) بحار الأنوار: ٣٨٥ / ٥٢.

وقد صدر التوقيع عن الإمام المهدي عليه السلام لمحمّد بن عثمان العمري رحمته الله في علّة عدم ذكره باسمه: «فإنّهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه»^(١).

والسؤال المفروض: إذا كان الله قد ادّخره حتّى يحقّق به إقامة الحقّ والعدل في الأرض، لماذا لا يحافظ عليه من القتل وهو ظاهر؟!

يجيب عن السؤال شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله:

«فإن قيل: هلاًّ منع الله من قتله بما يحول بينه وبين مَنْ يريد قتله؟ قلنا: المنع الذي لا ينافي التكليف هو النهي عن خلافه والأمر بوجوب اتّباعه ونصرته، وإلزام الانقياد له، وكلّ ذلك فعله تعالى، وأمّا الحيلولة بينهم وبينه فإنّه ينافي التكليف وينقض الغرض، لأنّ الغرض بالتكليف استحقاق الثواب، والحيلولة تنافي ذلك، وربّما كان في الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة للخلق، فلا يحسن من الله فعلها.

ثمّ يقول: فإن قيل: أليس آباؤه عليهم السلام كانوا ظاهرين، ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟ قلنا: آباؤه عليهم السلام حالهم بخلاف حاله، لأنّه كان المعلوم من حال آبائه لسلطين الوقت وغيرهم أنّهم لا يرون الخروج عليهم، ولا يعتقدون أنّهم يقومون بالسيف، ويزيلون الدُّول، بل كان المعلوم من حالهم أنّهم ينتظرون مهدياً لهم، وليس يضرّ السلطان اعتقاد مَنْ يعتقد إمامتهم إذا آمنوهم على مملكتهم.

وليس كذلك صاحب الزمان، لأنّ المعلوم منه أنّه يقوم بالسيف، ويزيل

(١) ينظر: الغيبة للطوسي: ٣٦٤.

١٧٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الممالك، ويقهر كل سلطان، ويبسط العدل ويُميت الجور، فمن هذه صفته يخاف جانبه ويتقى ثورته، فيتبّع ويرصد ويوضع العيون عليه ويعنى به، خوفاً من وثبته ورهبته من تمكّنه، فيخاف حينئذ ويحوج إلى التحرّز والاستظهار بأن يخفى شخصه عن كل من لا يأمنه من وليّ وعدوّ إلى وقت خروجه.

وأيضاً فآبأؤه عليه السلام إنّما ظهروا لأنّه كان المعلوم أنّه لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامه ويسدّ مسدّه من أولاده وليس كذلك صاحب الزمان، لأنّ المعلوم أنّه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه بالسيف، فلذلك وجب استتاره وغيبته، وفارق حالة آبائه، وهذا واضح بحمد الله، انتهى كلامه. (١)

أقول: إنّّه اتّضح أنّ السبب الرئيسي لغيبته عليه السلام خوفاً من القتل، لا لنفسه وإنّما للغاية التي أدّخره الله لها.

هل الخوف مستمر في هذا الزمان؟

هل الخوف على نفسه عليه السلام يستدعي غيابه هذه القرون الطويلة؟ البعض، يقول: غير منطقي، فبعد انتهاء دولة بني العبّاس جاءت الكثير من الدول والممالك، ولم يعد يذكره أو يطلبه الظالمون بالشكل الذي كان في بدء غيبته، ولم يعد هنالك حرج من ذكر اسمه أمام الناس!! وواقع الحال يردّ هذا الإشكال، لأنّ الوجدان والتجربة من أوضح البراهين. فقد قتل جميع آبائه عليه السلام من قبل الظالمين، رغم أنّهم كانوا مسالين لا يرفعون السلاح لمقارعتهم. كما أنّ جميع الظالمين من الأوّلين والآخرين على شاكلة

(١) بحار الأنوار: ٩٩/٥٢.

واحدة في الحرص على الملك، ولا نرى ظالماً إلاّ وهو يقوم بقتل الصالحين والمؤمنين المخالفين، وكذا المستضعفين والأبرياء، وهذه السيرة مستمرة للعيان ولا تحتاج إلى إقامة الأدلة والبراهين.

فلو فرضنا أنّ الإمام خرج بين الناس يُمارس حياته الطبيعيّة، وكذا يمارس التكاليف الدينيّة فهل يا ترى يتركونه وحاله؟! ألا يواجه الضغط؟! والإيذاء أو النفي أو السجن أو القتل كما حصل للأئمّة الأطهار من قبله؟
أليس هؤلاء الظلمة فرعاً من ذلك الأصل؟!

ويبدو أنّ الحياة مع الظالمين في هذا الزمان أشدّ وأصعب لأسباب كثيرة، منها أنّ تطوّر الزمن والعلاقات الدوليّة وتداخل المصالح السياسيّة والاقتصاديّة وغيرها والتطوّر المعلوماتي والمخابراتي يجعل هذه الدول في تعاون أمني مستمر، وهو يُسهّل عمليّة ملاحقة الثوّار والمعارضين لهم.

فإنّنا شاهدنا في هذا الزمان كيف تتعاون الدول الكبرى بأسرها في غزو دولة أو محاربة جماعة أو تبادل المعلومات والاتفاقيّات الأمنيّة.

فلم يبق سببٌ واقعيّ لغيبة الإمام (عليه السلام) إلاّ خوفه من ملاحقة هؤلاء الطواغيت وقتلهم إيّاه لأنّه ثائرٌ عالمي يقضي على جميع عروشهم، فإذا ظهر الإمام (عليه السلام) بشخصه وعنوانه وصفته وشاع أمره في العالم، ألاّ يعجّلون عليه بالقتل؟!

بلى، لا شكّ في ذلك حفظاً على عروشهم من الزوال، وهنالك بعض الدول الاستكباريّة تجمع المعلومات عن شخصيّة الإمام (عليه السلام)، فقد حصل لبعض المؤمنين الذين يسافرون إلى الدول الأوربية يتعرّضون للسؤال في هذا الأمر!
هذا الواقع تكشف عنه الروايات بصراحة تامّة، وتعلن أنّ سبب طول أمد

الغيبة خوفه من القتل، كما في رواية يونس بن عبدالرحمن عن موسى بن جعفر عليه السلام، فقد علّل الإمام: «له غيبة يطول أمدّها خوفاً على نفسه». فالخوف وطول الغيبة متلازمان، حتّى يأذن له ربّ العالمين بالخروج من حالة الخوف وإعلان الثورة. كما أنّه سوف يُسأل عليه السلام بعد ظهوره عن سبب طول غيبته، فإنّه سيجيب: ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾، قال الباقر عليه السلام: «أي خفتكم على نفسي».

العلة الثانية: حتى لا تكون في عنقه عليه السلام بيعة لطواغيت زمانه:

عن إسحاق بن يعقوب: أنّه ورد عليه من الناحية المقدّسة على يد محمّد ابن عثمان: «وأما علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُونَ﴾^(١) إنّ لم يكن أحد من آبائي إلّا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي...»

ثمّ قال عليه السلام: «فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعينكم، ولا تتكلّفوا على ما قد كفيتهم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرّج، فإنّ ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى»^(١).

وبهذا المضمون وردت عدّة روايات عن أهل البيت عليهم السلام تؤكّد هذا السبب. فهذا الأمر من الأسباب الحقيقيّة والواقعيّة، وإنّ بعضاً لا يتقبّل هذا الكلام لشدّته على قلوبهم وحسن ظنّهم بالأئمة الأطهار عليهم السلام، أنّهم لا يعطون البيعة لطواغيت زمانهم!!

إلا أنّ ذلك حدث تماماً لجميع الأئمة الأطهار واحداً بعد الآخر مكرهين غير طائعين.

فلو رجعنا إلى أوّل إمام حتّى آخر الأئمة الطاهرين لوجدنا أنّهم أعطوا طواغيت زمانهم البيعة، ليس عن خوف وضعف وإنّا لعدم صدور الأمر الإلهي لهم بالقيام ضدّ الأنظمة الظالمّة في ذلك الوقت.

مع أنّ البيعة للظالم غير ملزمة باعتبارها عن جبر، إلا أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام يحفظون الذمام والعهود والمواثيق حتّى مع الظالمين والقتلة لآبائهم، ومنّ غضب حقّهم ونهب أموالهم.

وقد وقع الظلم على جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام وقتلوا واحداً بعد واحد، وغضب حقّهم في خلافة النبي صلى الله عليه وآله رغم وصيّته المتكرّرة للمسلمين بالتزام الثقلين والتمسك بهما. وحديث الثقلين من أشهر الأحاديث عند المسلمين، فقد ورد في جميع كتب الصحاح بمختلف الطرق المتواترة.

ومنها ما رواه أبو سعيد الخدريّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «إني أوّشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي، كتاب الله حبْلٌ ممدودٌ بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا بماذا تخلّفوني فيهما»^(١).

وأوّل من وقع عليه الظلم هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من قبل المسلمين الذين بايعوه في غدير خمّ بمحضر- رسول الله صلى الله عليه وآله وبأمر من الله

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٣٥.

١٧٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بالخلافة، إلا أنهم أسرعوا في نكث بيعته بعد رحيل رسول الله ﷺ عن دار الدنيا، بل أجبروه على إعطاء البيعة للخليفة الأول وإلا قتلوه، فكان من أمير المؤمنين عليه السلام ما كان، من عدم التعرض لهم بالمحاربة... حفظاً لنفسه ولأهل بيته وأصحابه المقرّين عملاً بوصيّة رسول الله بالصبر وعدم القتال عندما لا يجد أنصاراً. وكذا ابنه الإمام الحسن عليه السلام، حيث بايعه المسلمون بعد شهادة أبيه ولكنهم غدروا به، ونكثوا البيعة بعد ما تخلّوا عنه في حربه مع معاوية بن أبي سفيان، فما كان بوسعه مواصلة الحرب، فسلم الأمر إليه وبايعه اضطراراً حفظاً لنفسه وشيعته من الهلاك.

وكذلك إمامنا الحسين عليه السلام بايع الطاغية معاوية بن أبي سفيان تماشياً واتباعاً لأخيه الحسن عليه السلام، وبقي في عهده عشرين عاماً لا يحرك ساكناً، حتّى إذا هلك رفض بيعة ابنه يزيد بن معاوية، لأنّها خلاف الاتفاقية التي وقعت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، فهي غير ملزمة، ولذا كان مأموراً بالقيام عليه لأنّه لم يعط البيعة له من قبل، وشاءت التقديرات الإلهية أن يصعد بروحه الطاهرة إلى ذروة السنام الأعلى حيث وسام الشهادة العظمى، ليصبح شهيد هذه الأمة، ويكون سيّد شباب أهل الجنة.

وهكذا الحال جرى لبقية الأئمة الأطهار واحداً بعد الآخر حتّى الإمام الحادي عشر أبي محمد العسكري عليه السلام، مجبرين غير مختارين. وكان العهد إليهم من الله عزّ وجلّ بالصبر والتقوى حتّى قيام صاحب الزمان، كما جاء في الروايات أنّهم كان لديهم صحيفة من الله سبحانه وتعالى مختومة، فكان كلّ إمام يفتح تلك الصحيفة ويعمل ما هو مكلف به في زمانه، فقد جاء في الخبر:

عن محمد بن أحمد بن عبيد الله العمريّ، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أنزل على نبيّه ﷺ كتاباً قبل وفاته، فقال:

يا محمد، هذه وصيّتك إلى النُّجبة من أهلك، قال: وما النُّجبة يا جبرئيل؟ فقال: عليّ بن أبي طالب وولده عليه السلام، وكان على الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يفكّ خاتماً منه ويعمل بما فيه، ففكّ أمير المؤمنين عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه، ثمّ دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففكّ خاتماً وعمل بما فيه، ثمّ دفعه إلى الحسين عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه أن أخرج بقوم إلى الشهادة فلا شهادة لهم إلاّ معك، وأشرّ نفسك لله عزّ وجلّ، ففعل، ثمّ دفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه أن أطرق واصمت والزم منزلك واعبد ربّك حتّى يأتبك اليقين، ففعل، ثمّ دفعه إلى ابنه محمد بن عليّ عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه: حدّث الناس وأفتهم ولا تخافنّ إلاّ الله عزّ وجلّ فإنّه لا سبيل لأحد عليك، [ففعل] ثمّ دفعه إلى ابنه جعفر عليه السلام ففكّ خاتماً فوجد فيه: حدّث الناس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك وصدّق آبائك الصالحين ولا تخافنّ إلاّ الله عزّ وجلّ وأنت في حرز وأمان، ففعل، ثمّ دفعه إلى ابنه موسى عليه السلام، وكذلك يدفعه موسى إلى الذي بعده ثمّ كذلك إلى قيام المهدي صلّى الله عليه.^(١)

وروى الكليني أيضاً بسنده إلى ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال له حمran: جُعِلَت فداك، رأييت ما كان من أمر عليّ والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره وما أُصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتّى قُتلوا وغلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا حُمران، إنّ الله تبارك وتعالى [قد] كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه

(١) الكافي: ١/ ٢٨٠-٢٨١.

على سبيل الاختيار، ثم أجراه، فبتقدم علم إليهم من رسول الله ﷺ قام عليّ والحسن والحسين، وبعلم صمّت من صمّت منّا»^(١).

وروى عن الحسين بن محمد الأشعريّ، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد، عن الحارث بن جعفر، عن عليّ بن إسماعيل بن يقطين، عن عيسى بن المستفاد أبي موسى الضرير قال: حدّثني موسى بن جعفر عليه السلام قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية ورسول الله ﷺ المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقربون عليه السلام؟ قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن، قد كان ما قلت ولكن حين نزل برسول الله ﷺ الأمر، نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً، نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرئيل: يا محمد، مُر بإخراج من عندك إلا وصيّك، ليقبضها منّا وتشهدنا بدفعك إيّاها إليك ضامناً لها يعني عليّاً عليه السلام، فأمر النبي ﷺ بإخراج من كان في البيت ما خلا عليّاً عليه السلام، وفاطمة فيما بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمد، ربّك يُقرئك السلام ويقول: هذا كتاب ما كنت عهدتُ إليك وشرطتُ عليك وشهدتُ به عليك وأشهدتُ به عليك ملائكتي وكفى بي يا محمد شهيداً.

قال: فارتعدت مفاصل النبي ﷺ فقال: يا جبرئيل، ربّي هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام، صدق - عز وجل - وبرّ، هات الكتاب، فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: اقرأه، فقرأه حرفاً حرفاً، فقال: يا عليّ، هذا عهد ربّي تبارك وتعالى إليّ وشرطه عليّ وأمانته، وقد بلغت ونصحت

(١) ينظر: الكافي: ١/ ٢٦٢.

وأديت، فقال عليّ عليه السلام: وأنا أشهد لك [بأبي وأمي أنت] بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي، فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين.

فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، أخذت وصيتي وعرفتتها وضمنت لله الوفاء بها فيها؟ فقال عليّ عليه السلام: نعم بأبي أنت وأمي، عليّ ضمانها وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها. فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، إني أريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة، فقال عليّ عليه السلام: نعم أشهد، فقال النبي ﷺ: إن جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن وهما حاضران معهما الملائكة المقربون لأشهدهم عليك، فقال: نعم ليشهدوا وأنا - بأبي أنت وأمي - أشهدهم، فأشهدهم رسول الله ﷺ، وكان فيما اشترط عليه النبي ﷺ بأمر جبرئيل عليه السلام فيما أمر الله عز وجل أن قال له: يا عليّ، تفي بما فيها من موالة من وإلى الله ورسوله، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله، والبراءة منهم على الصبر منك [و] على كظم الغيظ وعلى ذهاب حقك وغصب خمسك وانتهاك حرمتك؟ فقال: نعم يا رسول الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعتُ جبرئيل عليه السلام يقول للنبي: يا محمد، عرفه أنه يُنتَهَك الحرمة وهي حرمة الله وحرمة رسول الله ﷺ وعلى أن تُخْضَبَ لحيته من رأسه بدم عبيط، قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين فهمتُ الكلمة من الأمين جبرئيل حتى سقطتُ على وجهي وقلت: نعم قبلت ورضيت وإن انتُهكت الحرمة وعُطِّلَت السنن ومُزَّقَ الكتاب وهُدِّمَت الكعبة وخُضِبَت لحيّتي من رأسي بدم عبيط صابراً محتسباً أبداً حتى أقدم عليك. ثم دعا رسول الله ﷺ فاطمة والحسن والحسين

١٧٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين، فقالوا مثل قوله، فختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسه النار، ودفعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام.
فقلت لأبي الحسن عليه السلام: بأبي أنت وأمي، ألا تذكر ما كان في الوصية؟ فقال:
سُنن الله وسنن رسوله.

فقلت: أكان في الوصية توثبهم وخلافهم على أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: «نعم والله، شيئاً شيناً، وحرفاً حرفاً، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس/١٢]؟ والله لقد قال رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين وفاطمة عليها السلام: أليس قد فهمتما ما تقدمت به إليكما وقبلتماه؟ فقالا: بلى وصبرنا على ما ساءنا وغازنا»^(١).

وكان الظالمون يعلمون أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يريدون القيام عليهم ولا يطمعون في سلطانهم، وأنهم ليسوا من أهل الغدر، إلا أنهم كانوا يؤذونهم ويخرجوهم من مدينة جدّهم رسول الله ﷺ ويضعونهم إلى جانب قصورهم تحت الإقامة الجبرية، لتسهيل عملية المراقبة والمحاصرة الاجتماعية لينقطع عنهم شيعتهم، وتارة يضعونهم في السجون، وإذا نفدت جميع وسائل التحطيم والإلغاء، قاموا باغتيالهم بوسائل الغدر بالسيف تارة وبالسم تارة أخرى، لشعورهم أن مجرد وجودهم على الأرض ينفي شرعيتهم المزيقة، لعلمهم أنهم الخلفاء الشرعيون لرسول الله ﷺ.

كذا علمهم أن سوف يؤول الأمر إليهم في نهاية المطاف ويحققوا الوعد الإلهي بإقامة العدل وإبطال الباطل على يد الإمام الثاني عشر، لكثرة ما وصل إلى

(١) الكافي: ١/ ٢٨٣.

أسماعهم أنّ الإمام المنتظر يُميتُ الجور ويُحقّ العدل، ويُبطل الباطل ويُزيل سلطانهم، ولذا فإنّهم عمدوا لقتل الأئمة بأجمعهم حتّى ينقطع نسلهم ولا يتولّد الإمام الثاني عشر.

روى صاحب كشف الحقّ عن محمّد بن شاذان بسنده إلى الحسين بن سعد الكاتب، قال: قال أبو محمّد (عليه السلام): «قد وضع بنو أمّية وبنو العبّاس سيوفهم علينا لعلّتين، أحدهما: أنّهم كانوا يعلمون ليس لهم في الخلافة حقّ فيخافون من ادّعائنا إيّاها، وتستقرّ في مركزها، وثانيهما: أنّهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أنّ زوال ملك الجبّابة والظلمة على يد القائم منّا، وكانوا لا يشكّون أنّهم من الجبّابة والظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى منع تولّد القائم (عليه السلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون». (١)

وقد أكّدت روايات أهل البيت (عليهم السلام) التوقيع الصادر من الحجّة (عليه السلام)، والتي جاء فيها:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على الخلق، لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج». (٢)

إنّما تخفى ولادته وبالتالي غيبته على الناس حتّى لا يكون ملزماً ببيعة أئمة الجور في زمانه، فتكون عليه حجّة بعدم الخروج على سلطانهم.

(١) منتخب الأثر: ٣٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ٩٥ / ٥٢.

وقد يسأل سائل: وكيف يكون خوف البيعة سبباً لغيابه طوال هذا الوقت؟! إن الله الذي قدر له البقاء إلى هذه المدة حتى يبلغ الكتاب أجله، كان في علمه سبحانه وتعالى أن بقاء الإمام عليه السلام ظاهراً بين الناس يعيش في دول الظلم معرض لحالتين كآبائه عليه السلام: إما القتل، وإما أن يعطي البيعة لهم، وكلا الأمرين سوف يحصل له، وبذلك لا يتحقق الأمر الإلهي والوعد لعباده بالنصر. وإقامة العدل، وعليه تنتفي الغاية من ادّخاره لهذه الساعة، فإنّ التعليل الذي ورد عنهم سلام الله عليهم «لكي لا يكون في عنقه بيعة لطواغيت زمانه» سببٌ واقعيٌّ ومنطقيٌّ لغيابه الطويل، وورد أيضاً عن جميل بن صالح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يبعث القائم وليس في عنقه لأحد بيعة».^(١) وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يقوم القائم وليس لأحد في عنقه بيعة».^(٢)

وعن ابن فضال، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام قال: «كأنّي بالشيعة عند فقدانهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه»، قلت له: ولم ذلك يا ابن رسول الله؟

قال: «لأنّ إمامهم يغيب عنهم»، فقلت: ولم؟ قال: «لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف».^(٣)

التعليل واضح من الرواية أنّ سبب الغيبة هو عدم إلزامه وتقييده ببيعة في عنقه تلزمه بعدم القيام بمهمته التي أعدّه الله لها، وهي قلع جذور الظلم

(١) بحار الأنوار: ٩٥/٥٢.

(٢) بحار الأنوار: ٩٦/٥٢.

(٣) بحار الأنوار: ٩٦/٥٢.

والفساد في الأرض، فإننا ننتظر ذلك اليوم وننادي:

«أَيْنَ الْمَعْدُ لِقَطْعِ دَابِرِ الظُّلْمَةِ»^(١)

ويبدو أنّ هاتين العلّتين الرئيسيتين اللتين ذكرتهما الروايات هما الأصل، أمّا باقي العلل المذكورة في الروايات فهي من باب الأسباب الظاهرية في إطالة أمد الغيبة.

ما هي حكمة استمرار أمد الغيبة؟

وكما أنّ لغيبته أسباباً وعللاً حقيقية وواقعية، منها ظاهرة ومنها مستورة، لم يكشف النقاب عنها إلاّ عند ظهوره، كذلك في استمرار طول الغيبة هناك علل وأسباب ظاهرة، وأسباب لم يكشف الستار عنها.

فما هي أسباب إطالة أمد الغيبة؟!

ربّ العالمين الذي بيده تدبير الخلق هو أعلم بالمصلحة والفوائد من طول أمدها، وهو الخالق الحكيم الذي يجعل من قضية واحدة مصالح متعدّدة لخلقه!

أولاً: لا بدّ من إجراء سنن الأنبياء في القائم عليه السلام:

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إنّ سنن الأنبياء عليهم السلام بما وقع بهم من الغيبات حادثة في القائم ممّا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة».^(٢)

(١) مفاتيح الجنان: ٦١١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٥.

لماذا يجري الله سنن الأنبياء في القائم عليه السلام؟

وجرى في هذه الأمة ما جرى من الأمم السابقة من السلبيات والإيجابيات، كما ذكر النبي ﷺ: «يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة»^(١).

كذلك يجري الله سنن الأنبياء في القائم، لآته وريث الأنبياء، ومحقق أهدافهم ومجري السنن والأحكام التي أراد الأنبياء تحقيقها.

وكما أن تلك الأمم كذبت الأنبياء وعصوهم وقتلوهم، فغيبهم الله عنهم لفترات طويلة، كذلك القائم فإن غيبته عن هذه الأمة عقاباً وامتحاناً وحفظاً حتى يبلغ الكتاب أجله، ويتحقق الوعد الإلهي في الأرض «ويستخلفه كما استخلف الذين من قبله ويمكن له دينه الذي ارتضى» له ويبدله من بعد خوفه أمناً يعبدك لا يشرك بك شيئاً».

ومن الثابت أن الأنبياء السابقين وأوصيائهم غابوا عن أممهم لفترات طويلة، مثل نبي الله موسى عليه السلام غاب عن بني إسرائيل حينما خرج إلى مدين خائفاً يترقب، كما أخبرنا الله تعالى في قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الفصل / ٢١].

ولبت في مدين سنين عديدة، ثم عاد إليهم، وغاب عنهم أيضاً مرة أخرى أربعين يوماً، وذلك حينما ذهب إلى الطور لمناجاة ربه، وقد وعده الله سبحانه وتعالى ثلاثين ليلة، فأخبر موسى قومه أنه يغيب عنهم هذه المدة، ثم أكملها سبحانه بعشرة أخرى لأجل ابتلاء بني إسرائيل، وقد كان في علم الله سبحانه أنه

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢١٨ / ١.

يغيب عنهم أربعين يوماً، كما قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الاعراف/١٤٢]، فما كان من قومه إلا أن فتنوا وعبدوا العجل لما تأخر عنهم. وكذا غاب نبيّ الله يونس عن قومه لفترة زمنيّة، وذهب مغاضباً وابتلعه الحوت، عاد إلى قومه وقد آمنوا.

وكذلك غاب نبيّ الله يوسف عليه السلام عن قومه أكثر من عشرين عاماً من غيابة في الحبّ إلى غيبة القصر إلى غيبة السجن.

كما أنّ مهمّة الإمام الحجة هي نفس مهمّة الأنبياء في هداية المجتمع وقيادتهم وإقامة الحقّ والعدل في الأرض، كذلك غاب لكي تستشعر هذه الأمة أهميّة الإمام، فتتوب إلى بارئها، أو يزيد لها امتحاناً بطول الغيبة والبلايا العصبية.

اجتماع سنن الأنبياء في القائم عليه السلام نوعاً وعدداً!!

وكما كان الأنبياء يغيبون عن أممهم لأسباب مختلفة من ظلم المجتمع والسلطات، فتارة ظلم اجتماعي، وتارة ظلم اقتصادي، وتارة انحراف أخلاقي، وتارة تكذيب بالآيات، وتارة شرك بالله، فإنّ هذه الأمّة تصاب بجميع أمراض تلك المجتمعات والأمم التي عصت الأنبياء، ولذا فإنّ جميع السنن والأسباب لغيبة الأنبياء تجتمع في الإمام المهدي عليه السلام، لتعدّد الأسباب وبالتالي لا بدّ من تعدّد الامتحانات بنفس الحجم نوعاً وكمّاً:

أمّا نوعاً فإنّ الرواية تشير إليها «حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة». ورواية سدير عن أبي عبد الله عليه السلام اللاّ حقة أيضاً تؤكّد «أبى الله إلاّ أن يجري فيه سنن الأنبياء في غيبتهم»، ثمّ قال: «قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق/١٩] أي سنناً على سنن من كان قبلكم».

وأما عدداً فقد أشارت إليه الرواية المذكورة عن سدير عن الصادق عليه السلام قال: «إنَّ للقائم منّا غيبة يطول أمدّها»، قلت له: ولم ذلك يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ أبى إلاَّ أن يجري فيه سنن الأنبياء عليه السلام في غيبتهم، وإنَّه لا بدَّ له - يا سدير - من استيفاء مدد غيبتهم، قال الله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي سنناً على سنن من كان قبلكم». ^(١)

فإنَّ الرواية تشير إلى طول الغيبة: «يطول أمدّها»، لماذا؟

فالتعليل الذي ورد من الإمام أنَّ سبب الإطالة هو لا بدَّ أن تجتمع في القائم عليه السلام سنن الأنبياء بأجمعها من حيث النوع والكم. وأمّا الكم والمدة فإنَّ الرواية قالت: «لا بدَّ له - يا سدير - من استيفاء مُدد غيبتهم» وهي صريحة في اجتماع جميع مُدد غيبت الأنبياء أجمعهم، وحيث لا يوجد لدينا إحصاء واضح عن غيبت جميع الأنبياء، لأنَّ القرآن ذكر بعض الأنبياء ولم يذكر الأكثر، ولذا فإنَّ غيبة إمامنا القائم طويلة لا يعلمها إلاَّ الله تعالى، فنسأل الله بأنَّ يعجل لنا الفرج.

تطابق حكمة غيبت الأنبياء عليه السلام وغيبة القائم عليه السلام:

فما هي تلك الحكم من غيبت الأنبياء؟

الروايات لم تكشف السبب الحقيقي لتلك الغيبت، كما لم تكشف عن الأسباب الحقيقيّة من غيبة القائم لنفس العلّة والهدف، نعم ذكرت بعض العلل الظاهريّة في غيبتهم كما ذكرت أيضاً للقائم.

لماذا؟ لأنَّ قيامه تطبيق لنهج الأنبياء لأنَّه ورائهم وحامل رسالاتهم، فلا بدَّ أن

تجتمع فيه جميع العلل والسنن من غيبتهم عليه السلام.

والرواية التالية تشير إلى هذا المعنى:

جاء في البحار بسنده إلى عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل»، فقلت له: ولم جعلتُ فذاك؟ قال: «لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم». قلتُ: فما وجه الحكمة في غيبته؟

فقال: «وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات مَنْ تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلّا وقت افتراقهما. يا ابن الفضل، إنّ هذا الأمر أمرٌ من أمر الله وسرٌّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجلّ حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا».^(١)

التشابه بين الإمام عليه السلام وبين الأنبياء في ستر العلة وتأكيد الإمام هو أنّه لا يمكن كشف العلة في الوقت الحاضر لمصلحة وحكمة من ربّ العالمين تماماً، كما لم ينكشف وجه الحكمة من أعمال التي قام بها الخضر-امام موسى عليه السلام إلّا بعد الافتراق، وهذا التشبيه لتقريب المعنى والمطلب، حيث إنّ نبيّ الله موسى عليه السلام لم يتحمّل قتل الغلام، وخرق السفينة، وإقامة الجدار من قبل الخضر إلّا بعد أن كشف له ذلك وقت الافتراق.

وكذا فإن الغيبة يهلك فيها كثيرون ويرتابون ويشكّون، لعدم معرفتهم بالسبب الحقيقي، حيث جعلها الله امتحاناً لعباده.

ثانياً: لا بدّ من إلقاء الحجة على جميع طبقات المجتمع وأصنافهم: كلّما طال الزمان بالناس ازداد الظلم والفساد والجوع والأمراض، وانعدم الأمن والاستقرار والعدل والحرية والأخلاق، رغم الاعتراف بالتقدّم العلمي والتكنولوجيا الهائل الذي أعطى البشريّة قفزة كبيرة في الثورة المعلوماتيّة وقرب المسافات، وأعطى الوقت قيمة عظيمة.

ولكن للأسف لم يحدث تقدّم على مستوى حقوق الإنسان وكرامته، بل استغلّت هذه الأمور في أبشع أنواع الاستغلال والقتل والتدمير والنهب والفساد على مستوى الدّين والأخلاق والنسل والاقتصاد، بل وصل الفساد إلى الطبيعة لكثرة السموم والمواد الملوّثة للمياه والأراضي.

فما نلمسه من هذا الواقع المأساوي إنّما هو بسبب البشر أنفسهم، حيث إنّهم جرّبوا جميع النظريّات والأطروحات في إدارة شؤونهم.

فقد جرّب الناس الحكومات العشائريّة القبليّة على أنواعها: الأميريّة والملكيّة، أو تلك الحكومات الحديثة التي تدّعي الديمقراطية والاشتراكية.

كما أنّ جميع العقائد والمذاهب الفكريّة قد تسنّمت سدة الحكم، كالوثنيّة والشيوعيّة والرأسماليّة، بل جميع من كان يدّعي أنّه يمثل الدّين.

ولقد جرّبنا جميع أصناف المجتمع وطبقاتهم سواء منها الحكومات العماليّة، أو الرأسماليّة، أو العسكريّة، أو الوطنيّة، والقوميّة. وجميع هذه الأصناف كانت تدّعي أنّ حكوماتها أرقى الحكومات وأكثرها أمناً وعدالة.

والوجدان أكبر شاهد على كذب وفشل جميع الأطروحات والأصناف التي

حكمت في التاريخ، ولحدّ الآن لم ينعم الناس بحكومة عادلة على جميع المستويات إلّا في زمن رسول الله ﷺ وزمن أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يخشى من ظلم «النملة» في دولته!!

وكذا في دولة المهدي عليه السلام العالمية العادلة المترقّبة سوف يشعر المستضعفون بالأمن والحرية والرفاه الاقتصادي والعدل على جميع المستويات.

والسؤال المطروح: ما علّة إطالة الغيبة وتأخّر الفرج بقيام صاحب الزمان؟! الإمام الباقر عليه السلام يجيب على هذا السؤال قائلاً: «دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾»^(١) [الاعراف/١٢٨].

عندما يتحدّث الإمام عليه السلام عن كلّ أهل بيت يملكون قبلنا لا يقصد كلّ أسرة وعشيرة، فإنّ ذلك لا يكون، وإنّما يقصد العشائر الكبيرة التي لها امتداد وتأثير في الآخرين بقرينة قوله: «لهم دولة»، وهي كناية عن بسط النفوذ والتأثير «الفكري والسياسي».

وعليه فيدخل تحت هذا التوجيه كلّ مَنْ تأثّر فكرياً أو سياسياً، أو رضي عن فعل أولئك أو سار بسيرتهم، لأنّ مَنْ رضي بفعل قوم أشرك معهم. فمثلاً: إذا حكم الأمويّون فكلّ مَنْ اقتدى بهم وسار بسيرتهم أو انتهج منهمجهم أفراداً أو جماعات أو دولاً، فهم أمويّو الانتماء.

(١) الغيبة للطوسي: ٤٧٣.

١٨٨ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وكذا كل مَنْ سار بسيرة الإمام عليٍّ عليه السلام فهو علوي الانتماء، وهذه قاعدة مطرّدة تنطبق على جميع الأنظمة والحكومات المؤيّدة لهم.
ثمّ يعلّل الإمام كون الدولة المهدويّة آخر الزمان حتّى لا يقول أحد من هؤلاء الناس وأتباعهم عندما يرون دولة أهل البيت العادلة: لو حكمنا لعدلنا.
ويؤكد هذا المعنى الإمام الصادق عليه السلام:

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما يكون هذا الأمر يعني دولتنا التي أشار إليها الباقر عليه السلام» حتّى لا يبقى صنف من الناس إلّا وقد ولّوا على الناس، حتّى لا يقول قائل: إنّنا لو ولينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحقّ والعدل». ^(١)

وفي نهاية المطاف عندما يرى البشر أنّ جميع الأطروحات والأصناف قد جرّبت وحكمت ووصلت إلى حدّ اليأس ويعترف بالعجز، عندها يبعث الله وليّه الحجّة بن الحسن عليه السلام ليعيد الأمور إلى نصابها.

والروايات تؤكّد أنّ هذا الأمر لا يأتي إلّا بعد حصول اليأس لدى الناس وخصوصاً المؤمنين، كما قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلّا بعد إياس، لا والله حتّى تميّزوا، لا والله حتّى تمحصوا، لا والله حتّى يشقى من يشقى، ويسعد من يسعد» ^(٢).

ثالثاً: تمحيص المؤمنين: بعض الباحثين يجعل «امتحان المؤمنين» هو أحد علل أصل الغيبة، وهو خلط بين موضوعي علّة الغيبة (السبب المباشر) وبين إطالة أمد

(١) الغيبة للنعماني: ٢٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ / ١١١.

الغيبة والحكمة فيه، وقد ذكرنا علّتين لغيبة الإمام عليه السلام وهما (الخوف على نفسه)، و(لكي لا يكون بيعة للظالمين في عنقه)، أمّا ما يقع على المؤمنين من بلاء وامتحان من خلال الغيبة فهو ليس الغاية والسبب، وإنّما هو «الحكمة من إطالتها» كما يبدو من ظاهر الروايات، والله العالم.

يقول الشيخ الطوسي رحمته الله:

وأما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة وصعوبة الأمر عليهم واختبارهم للصبر عليه، فالوجه فيها الإخبار عمّا يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق، لا أنّ الله تعالى غيّب الإمام ليكون ذلك، وكيف يريد الله ذلك وما ينال المؤمنين من جهة الظالمين ظلّم منهم لهم ومعصية والله تعالى لا يريد ذلك، بل سبب الغيبة هو الخوف على ما قلناه، وأخبروا بما يتفق في هذا الحال وما للمؤمن من الثواب على الصبر على ذلك والتمسك بدينه إلى أن يفرّج الله تعالى عنهم. ^(١)

الابتلاء حكمة الخلق: لأنّ الحكيم لا يصدر منه إلّا الصحيح، وإنّما أبتلى خلقه لكي يرحمهم ويصيرهم إلى جنّته عبر إجراء الامتحان عليهم ليعرفوا أنفسهم إنهم يستحقّون الثواب ويعرف الآخرون أنّهم لا يستحقّونه فقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المك / ٢].

قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت / ٢-٣]

(١) الغيبة للطوسي: ٣٣٥.

١٩٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

هذا الافتتان الذي يتعرض له المؤمن في دينه يوصله إلى درجة الإخلاص في عبادته لله ويكون ثابتاً غير متزلزل. وهو ضروري، لكي يكون المتممي إلى هذا الدِّين عن قناعة راسخة لا تزلزله العواصف، ولا تهزه الشكوك، ولا طول المدة عن الجادة.

والذين يدعون الإيمان كثيرون، ولكن مَنْ يثبت على القول هم الأقلية غالباً، والتاريخ يحدثنا عن أتباع الأنبياء الذين تخلَّوا عنهم ساعة الشدة والمحنة، ولم يبق معهم إلا الصابرون الممتحنون أمثال أصحاب طالوت عليه السلام؛ فقد خرج معه آلاف الجنود الذين ادَّعوا الثبات والصدق في المواجهة، ولكن عند الاختبار تبين الصادق من الكاذب، والقرآن يخبر عنهم.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/٢٤٦].

هذا نموذج من الذين قالوا بألستهم، ولكن كذبوا في الواقع والعمل. ويعرف القرآن حالهم عندما طلب منهم الامتناع عن شرب الماء إلا غرفة واحدة، ولكن الأكثرية شربت ولم يصمدوا، وانسحبوا من المعركة وبقي القليل منهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ...﴾ [البقرة/٤٩].

وهكذا هو حال البشر، فقد ثبت مع نوح أعدادٌ قلائل، وكذا الذين ثبتوا مع موسى والذين اتبعوا عيسى من الحواريين، وكذا الذين ثبتوا على خط

رسول الله ﷺ من بعده هم قليل، كما يصفهم القرآن قائلاً: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [ال عمران/ ١٤٤].

وعادة ما يكون الشاكرون هم الأقلية في المجتمعات، كما يصفهم القرآن: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ/ ١٣].

ومن موارد الامتحان في الإيمان والتسليم لله تعالى إطالة الوعد الإلهي، فقد وعد الله المؤمنين أنه ناصرهم ومورثهم للأرض، وجاعل الوصاة من الصفوة هم الخلفاء في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الانباء/ ١٠٥] وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور/ ٥٥] ولكن طول المدة يجعل الكثيرين في زلازل شديد في الدين، وقد حذر الله الانهدام والتراجع وضعف الإيمان وقسوة القلوب قائلاً: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد/ ١٦].

ومن أهداف إطالة الغيبة على المؤمنين حتى يجري عليهم ما جرى على أصحاب الأنبياء وأصحاب الأئمة من الامتحانات، فثبت على الصدق من ثبت ويستحق بذلك الثواب، ويجزع من يجزع، وينهزم من ينهزم ويستحق بذلك العقاب، وترتفع درجات من يصبر ويكون من المنتظرين، فيستحق بذلك أن يكون من أصحاب الإمام أو من أنصاره، أو من الذين كتب لهم ثواب النصرة، فهم الذين يموتون ولم يدركوا القائم ولكن هم في حالة الانتظار. وروايات أهل البيت عليه السلام تصف الثابتين والمصدقين بقيامه والمنتظرين له

١٩٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

والمستعدين لنصرته «بصفة القلّة» وقد وردت تعابير كثيرة في الروايات تصف هذه الحالة:

أولاً: أعزّ من الكبريت الأحمر: هذا التشبيه إمّا لقلّته وندرته أو لغلائه وأهمّيّته، فعن رسول الله ﷺ قال: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر»، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غيبة؟ قال ﷺ: «إي وربّي ليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين».^(١)

ثانياً: بقاء الأقلّ: والتعبير بالأقلّ على وزن أفعل للتفصيل من القلّة؛ لأنّ المؤمنين يمرّون بعدّة مراحل من الامتحان، فلا يبقى إلّا القليل، ثمّ يفتنون كما يفتن الذهب فلا يبقى إلّا الخالص، وكذا يُغربلون في المراحل الأخرى لعدّة مراحل.. وكما هو الغربال على مستويات فهناك غربال يخرج منه الأكثر، وهناك غربال ثمّ غربال حتّى لا يبقى إلّا الصفو.

عن إبراهيم بن هذيل قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، مات أبي على هذا الأمر وقد بلغت من السنين ما قد ترى، أموت ولا تخبرني بشيء؟ فقال: «يا أبا إسحاق، أنت تعجل؟!» فقلت: إي والله أعجل، ومالي لا أعجل وقد بلغت من السنّ ما ترى؟

فقال: «أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتّى تميّزوا وتمحصوا، وحتّى لا يبقى منكم إلّا الأقلّ» ثمّ صعر كفه.^(٢)

(١) إعلام الوری: ٢/ ٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢/ ١١٣-١١٤.

ثالثاً: بقاء الصفو وذهاب الكدر: عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى يكون فرجكم؟ فقال: «هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا- يقولها ثلاثاً- حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو».^(١)

وغير ذلك من الصفات الكثيرة التي تصف فيها المؤمنين مثل حالة الاختلاف والتكاذب والافتتان في الدّين وتراجع الأكثرية، وسبق المقصّرين وتقصير السابقين وخروج مَنْ كان يُعتقد أنّه من أهل هذا الأمر وما شابه ذلك.

نتائج هذا الامتحان: بقاء القلّة المخلصة المتّبعة لأهل البيت عليهم السلام عن صدق وهم الشيعة، وقد ورد في الخبر عن سليمان بن صالح الذي رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ حديثكم هذا لتشمئزّ منه قلوب الرجال، فانبذوه إليهم نبذاً، فمَنْ أقرّ به فزيدوه، ومَنْ أنكر فذروه، إنّه لا بدّ من أن تكون فتنة يسقط فيها كلّ بطانة ووليعة، حتى يسقط فيها مَنْ يشقّ الشعرة بشعرتين، حتى لا يبقى إلّا نحن وشيعتنا».^(٢)

صفات الثابتين في الغيبة من الشيعة:

أولاً: التقوى وشدة الولاء والبراءة من الأعداء والمواساة للإخوان: عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه دخل عليه بعض أصحابه فقال له: جعلت فداك، إنّي والله أحبّك وأحبّ مَنْ يحبّك، يا سيّدي ما أكثر شيعتكم!

فقال له: «اذكرهم». فقال: كثير. فقال: «تحصّيهم»؟ فقال: هم أكثر من ذلك.

(١) بحار الأنوار: ٥٢/ ١١٣.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢١٠.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر- كان الذي تريدون، ولكن شيعتنا مَنْ لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه، ولا يمدح بنا معلناً، ولا يخاصم بنا قالياً، ولا يجالس لنا عائباً، ولا يحدث لنا ثالباً، ولا يحب لنا مبغضاً، ولا يبغض لنا محباً».

فقلت: فكيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة الذين يقولون إنهم يتشيعون؟ فقال: «فيهم التمييز، وفيهم التمهيص، وفيهم التبديل، ويأتي عليهم سنون تفنيهم، وسيف يقتلهم، واختلاف يبدهم، إنما شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس بكفه وإن مات جوعاً».

قلت: جعلت فداك، فأين أطلب هؤلاء الموصوفين بهذه الصفة؟ فقال: «اطلبهم في أطراف الأرض، أولئك الخفيض عيشهم، المنتقلة داره، الذين إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوجوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، أولئك الذين في أموالهم يتواسون، وفي قبورهم يتزاورون، ولا تختلف أهواؤهم وإن اختلفت بهم البلدان».^(١)

والرواية وإن كانت ضعيفة السند، لكنها قوية الدلالة وتقويها روايات بنفس المضمون. وفيها ملاحظات: أن السائل ادّعى الحب لأهل البيت وشيعتهم، وادّعى أن الشيعة كثيرون، وبذلك يريد أن يفتخر ويتبجح، ويحصل تأييداً وتقريراً من الإمام، وربّما أراد من قوله أن الشيعة مستعدّون للتضحية ونصرة أهل البيت لأنهم كثيرون!!

(١) الغيبة للنعماني: ٢١٠-٢١١.

ولكن الإمام أجابه أنّ الشيعة الحقيقيين ليسوا كثيرين وإنّما هم قلة، فطلب منه الإمام إحصائية لهم، ولما لم يأت بإحصائية وصفهم الإمام بالقلة والندرة، وذلك من خلال بيان الصفات المثالية من التقوى والبراءة من الأعداء والولاية لأهل البيت وعدم الطمع في الدنيا ومواساة الإخوان في الله.

ثمّ أجابه بأنّ الذي يريدون من النصرة بدعوى الكثرة دعوى غير صحيحة، وإنّ هذا الأمر لا يكون إلّا في زمن القائم عجل الله فرجه عندما تكتمل عدّة أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدّة أصحاب بدر.

ثانياً: أصحاب البصائر الذين لا تضرّهم الفتن: عن الأصمغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... حتّى لا يبقى منكم - أو قال: من شيعتي - إلّا كالكحل في العين، والملح في الطعام، وسأضرب لكم مثلاً، وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه وطيبه، ثمّ أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله، ثمّ عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقّاه وطيبه، ثمّ أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله، ثمّ عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس، فأخرجه ونقّاه وطيبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتّى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّ السوس شيئاً، وكذلك أنتم تميّزون حتّى لا يبقى منكم إلّا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً»^(١).

وهذا الغيب الذي يكشفه أمير المؤمنين عليه السلام يدلّ على شدّة الامتحان والبلاء الذي يقع على شيعة آل البيت، حتّى لا يبقى منهم إلّا مثل الكحل في العين أو الملح في الطعام. والمثال الذي أورده عليه السلام، عبّر عن مراحل التمحيص الذي

(١) الغيبة للنعماني: ٢١٨.

١٩٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

يصابون به حتّى لا يبقى إلّا الخُلص، الذين لا تضرّهم الفتن وكثرة المشاكل والظلم الذي يقع عليهم.

ثالثاً: أصحاب الميثاق في عالم الذر: وقد أخذ الله الميثاق على العباد في عالم الذر وما سبقه من العوالم على التوحيد والرسالة والولاية حتّى القائم، فأمن مَنْ آمن وكفر مَنْ كفر، وشكَّ مَنْ شكَّ، وضعف مَنْ ضعف عن الإجابة، وسبق مَنْ سبق في الإجابة.

وهؤلاء هم الثابتون الصامدون الذين يكونون من المنتظرين للقائم عليه السلام، وحيث إنهم حسموا أمرهم في ذلك العالم وكتبوا من الأنصار والشيعة، فلا يمكن أن تبدّلهم الأيام والسنين، ولا تشني عزائمهم الضغوط ولا كثرة الشكوك، ولا يصابون باليأس والقنوط.

فقد ورد عن هؤلاء في الخبر عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «لو قد قام القائم عليه السلام لأنكره الناس، لأنّه يرجع إليهم شابّاً موفّقاً، لا يثبت عليه إلّا مؤمن قد أخذ الله ميثاقه في الذرّ الأوّل». ^(١)

رابعاً: شدّة التمسّك بالدين: أنّ المتمسّك بدينه كالقابض على جمرة، والخارط للشوك القوي بيده لكثرة الصعوبات والخوف والقتل والفتن. وهؤلاء درجاتهم عالية، ولهم من الثواب خمسين رجلاً من أصحاب رسول الله، وقد أطلق عليهم النبي لقباً لم يحصل عليه أحد من أصحابه إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، وصفهم بأنّهم «إخوانه».

(١) الغيبة للنعماني: ٢١٩.

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لقني إخواني، مرّتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟

فقال: لا، إنكم أصحابي، وإخواني قومٌ في آخر الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرّفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم، من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشدّ على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضاء، أولئك مصابيح الدُّجى، ينجيهم الله من كلّ فتنة غبراء مظلمة». (١)

خامساً: انتظار اكتمال عدّة الأنصار: وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر الذين ينتظرهم الإمام حتّى يخرجوا من أصلاب الرجال، وهم الأصحاب المخلصون الذين يجتمعون عند الإمام في مكّة عند بيت الله الحرام عندما يأتي النداء إليهم، فبعض يأتي بطي الأرض، وبعض مع السحاب، وهم أوّل مَنْ يبايع المهدي عليه السلام بين الركن والمقام، كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/ ١٤٨].

فقد ورد عن الصادق عليه السلام تأويلها: «نزلت في القائم وأصحابه؛ يجتمعون على غير ميعاد» (٢).

ولا يعني أنّ هؤلاء هم جيش الإمام فقط! ولكنهم يشكّلون العمود الفقري

(١) بحار الأنوار: ٥٢/ ١٢٤.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٤١.

١٩٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

لحركة الإمام عليه السلام، وهم قادة الألوية وحكام البلاد الذين يعتمد عليهم لشدة إيمانهم وإخلاصهم، وسوف يلتحق به عشرة آلاف ناصر عند حركته.

لماذا هذا العدد القليل من الأصحاب ٣١٣؟

وما هو سرّه؟

يبدو أنّ هذا العدد فيه رمزيّة وإشارة إلى صدقهم ووفائهم وصبرهم وإيمانهم واستعدادهم للتضحية، كما كان الذين مع طالوت ومع النبي يوم بدر، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بشكل رائع قائلاً: «كأنّهم ليوث قد خرجوا من غاب، قلوبهم مثل زبر الحديد، لو أنّهم همّوا بإزالة الجبال الرواسي لأزالوها عن مواضعها، فهم الذين وحدوا الله حقّ توحيده، لهم بالليل أصوات كأصوات الثوكل خوفاً وخشيّة من الله تعالى، قوّم الليل، صوّم النهار، كأنّما ربّاهم أب واحد وأم واحدة، قلوبهم مجمعة بالمحبّة والنصيحة»^(١).

ماذا يعني اكتمال عدّة الأنصار؟

هل يعني أنّ خروج الإمام متوقّف على اكتمال العدّة، وأنّه السبب لعدم خروجه إلى الآن؟! وهل إنّ الاكتمال يوجب على الإمام القيام؟!

هناك رأيان لتوجيه اكتمال العدّة:

الأوّل: أنّ خروج الإمام متوقّف على اكتمال العدّة، وأنّه لو اكتملت لما توقّف عن الجهاد بهم طرفة عين، ويؤيّد هذا الرأي الروايات التالية:

منها رواية إبراهيم الكرخي عن الصادق عليه السلام والتي جاء فيها «... وكذلك

(١) ينظر: إلزام الناصب: ١٧٤ / ٢.

قائماً أهل البيت، لن يظهر أبداً حتّى تظهر ودائع الله عزّ وجلّ، فإذا ظهرت ظهر على مَنْ يظهر فقتله».

ومنها رواية النعماني في غيبته عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه دخل بعض أصحابه، فقال له: جعلت فداك، إني والله أحبّك وأحبّ من يحبّك، يا سيّدي ما أكثر شيعتكم! فقال له: «اذكرهم»، فقال: كثير، فقال: «تحصّيهم»؟ فقال: هم أكثر من ذلك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أما لو كملت العدّة الموصوفة ثلاثاً وبضعة عشر كان الذي تريدون، ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه...»^(١).

فالروايات ظاهراً تتحدّث أنّه لا بدّ من اكتمال العدّة، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدّة أهل بدر، وإنّه عليه السلام لن يخرج حتّى يخرج الله هؤلاء من أصلاب الرجال وأرحام النساء، كما أنّ القرآن تحدّث عن هذه العدّة، وهي محدّدة بهذا العدد، ومحدّدة بمدة اكتمالهم.

وفي تفسير القمّي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَيُنْ أَخْرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هود/٨]؟

قال: «الأمة المعدودة أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر»^(٢).

ويدعم هذا الرأي الشيخ المفيد رحمه الله، فقد جاء في رسائل الغيبة:

حضرت مجلس رئيس من الرؤساء، فجرى كلام في الإمامة، فانتهى إلى القول في الغيبة، فقال صاحب المجلس: أليست الشيعة تروي عن جعفر بن

(١) الغيبة للنعماني: ٢١١.

(٢) تفسير القمّي: ١/٣٢٣.

٢٠٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

محمد ﷺ أنه لو اجتمع للإمام عدّة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً لوجب عليه الخروج بالسيف؟

فقلت: قد روي هذا الحديث. قال: أولسنا نعلم يقيناً أنّ الشيعة في هذا الوقت أضعاف عدّة أهل بدر؟ فكيف يجوز للإمام الغيبة مع الرواية التي ذكرناها؟
فقلت له: إنّ الشيعة وإن كانت في وقتنا كثيراً عددها حتّى تزيد على عدّة أهل بدر أضعافاً مضاعفة، فإنّ الجماعة التي عدّتهم عدّة أهل بدر إذا اجتمعت فلم يسع الإمام التقيّة ووجب عليه الظهور، لم تجتمع في هذا الوقت ولا حصلت في هذا الزمان بصفتها وشروطها، وذلك أنّه يجب أن يكون هؤلاء القوم معلوم من حالهم الشجاعة والصبر على اللقاء والإخلاص في الجهاد وإيثار الآخرة على الدنيا، ونقاء السرائر من العيوب وصحّة العقول، وأنّهم لا يهنون ولا ينتظرون عند اللقاء، ويكون العلم من الله تعالى بعموم المصلحة في ظهورهم بالسيف. وليس كلّ الشيعة بهذه الصفة، ولو علم الله تعالى أنّ في جملتهم العدد المذكور على ما شرطناه، لظهر الإمام لا محالة ولم يغيب بعد اجتماعهم طرفة عين، لكن المعلوم خلاف ما وصفناه، فلذلك ساغ للإمام الغيبة على ما ذكرناه.

قال: ومن أين لنا أنّ شروط القوم على ما ذكرت؟ وإن كانت شروطهم هذه فمن أين لنا أنّ الأمر كما وصفت؟ فقلت: إذا ثبت وجوب الإمامة وصحّت الغيبة لم يكن لنا طريق إلى تصحيح الخبر إلّا بما شرحناه، فمن حيث قامت دلائل الإمامة والعصمة وصدق الخبر حكمنا بما ذكرناه.

ثمّ قلت: ونظير هذا الأمر ومثاله ما علمناه من جهاد النبي ﷺ أهل بدر بالعدد اليسير الذين كانوا معه وأكثرهم أعزل راجل، ثمّ قعد عليه وآله السلام في عام الحديبية ومعه من أصحابه أضعاف أهل بدر في العدد، وقد علمنا أنّه ﷺ

مصيبٌ في الأمرين جميعاً، وأنّه لو كان المعلوم من أصحابه في عام الحديبية ما كان المعلوم منهم في حال بدر لما وسعه القعود والمهادنة، ولوجب عليه الجهاد كما وجب عليه قبل ذلك، ولو وجب عليه ما تركه لما ذكرناه من العلم بصوابه وعصمته على ما بيناه.

فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان يوحى إليه، فيعلم بالوحي العواقب ويعرف الفرق من صواب التدبير وخطئه بمعرفة ما يكون، فمن قال في علم الإمام بما ذكرت وما طريق معرفته بذلك؟

فقلت له: الإمام عندنا معهود إليه، موقّفٌ على ما يأتي وما يذكر، منصوب له أمارات تدلّ على العواقب في التدبيرات والصالح في الأفعال، وإنّما حصل له العهد بذلك عن النبي ﷺ الذي يوحى إليه ويطلع على علم السماء، ولو لم نذكر هذا الباب واقتصرنا على أنّه متعبّد في ذلك بغلبة الظنّ وما يظهر له من الصلاح لكفى وأغنى، وقام مقام الإظهار على التحقيق كائناً ما كان بلا ارتياب، لاسيّما على مذهب المخالفين في الاجتهاد، وقولهم في رأي النبي ﷺ وإن كانا المذهب ما قدّمناه.

فقال: لم لا يظهر الإمام وإن أدّى ظهوره إلى قتله فيكون البرهان له والحجّة في إمامته أوضح، ويزول الشكّ في وجوده بلا ارتياب؟

فقلت: إنّ لا يجب ذلك عليه كما لا يجب على الله تعالى معالجة العصاة بالنقمات وإظهار الآيات في كلّ وقت متتابعات، وإن كنّا نعلم أنّه لو عاجل العصاة لكان البرهان على قدرته أوضح، والأمر في نفيه أو كده، والحجّة في قبح خلافه آيين، ولكان بذلك الخلق عن معاصيه أزجر، وإن لم يجب ذلك عليه ولا في حكمته وتدبيره بعلمه بالمصلحة فيه على التفضيل، فالقول في الباب الأوّل

٢٠٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

مثله على أنّه لا معنى لظهور الإمام في وقت يحيط العلم فيه بأنّ ظهوره منه فساد وأنّه لا يؤول إلى إصلاح، وإنّما يكون ذلك حكمة وصواباً إذا كانت عاقبته الصلاح، ولو علم ﷺ أنّ في ظهوره صلاحاً في الدين مع مقامه في العالم أو هلاكه وهلاك جميع شيعته وأنصاره لما أبقاء طرفة عين، ولا فتر عن المسارعة إلى مرضاة الله جلّ اسمه، لكن الدليل على عصمته كاشف عن معرفته لردّ هذه الحال عند ظهوره في هذا الزمان بما قدّمناه من ذكر العهد إليه، ونصب الدلائل والحدّ والرسم المذكورين له في الأفعال.

فقال: لعمري إنّ هذه الأجوبة على الأصول المقرّرة لأهل الإمامة مستمرة، والمنازع فيها بعد تسليم الأصول لا ينال شيئاً ولا يظفر بطائل، انتهى.^(١)

الثاني: أنّ خروج الإمام متوقّف على الإذن الربّاني: وأنّ اكتمال العدة ليست هي السبب بمعزل عن الإذن الربّاني، وإنّما عدّتهم مقدّرة في الوقت الذي يعيّنه الله سبحانه لولّيه بالخروج، فتجتمع الأسباب والمصالح التي قدّرها الله عزّ وجلّ في وقتها.

وهذا يعني أنّ الاكتمال إنّما جعله الله سبحانه في الوقت الذي أراده وعيّنه في علمه، لا من باب العلة التامّة، وإنّما من باب اكتمال الحكم والمصالح في الوقت المناسب، ويذهب إلى هذا الرأي العلامة الشيخ علي الكوراني فيقول:

إنّ ظهور الإمام المهدي صلوات الله عليه من أمر الله المحتوم، وهو مرحلة كبرى في خطّته عزّ وجلّ لحياة آدم ﷺ وأبنائه على الأرض، وتوقيته وظروفه من تقدير الله تعالى في أصل خطّة الكون، وقد أخبرنا بواسطة نبيّه وآله ﷺ بصفاته وعلاماته وأنّ ظهوره كالساعة يأتيكم بغتة، وأنّه تعالى قدّر له أصحاباً خاصّين

(١) رسائل الغيبة: ٣/ ١١-١٤.

يوافونه من أقاصي الأرض بمعجزة في ليلة واحدة، هم وزرأؤه وحواريوه، وهذا لا يعني أنّ ظهوره عليه السلام متوقّف عليهم وأنّه عليه السلام ينتظر أن يولدوا أو يوجدوا، وأنّهم لو كانوا قبل قرون لظهر من يوم وجودهم، بل هم أصحاب خاصّون يكونون في عصرهم، ولظهوره عليه السلام وقت لا يقرب به عجلة المستعجلين. ^(١)

ثمّ يعقّب أيضاً على كلام الشيخ المفيد قائلاً: لكن قول الإمام الصادق عليه السلام: (أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون.. ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه.. الخ)، إنّما يدلّ على علاقة بين ظهوره عليه السلام واكتمال عددهم، ولا يمكن الحكم بأنّها علاقة سببيّة، فقد تكون علاقة في التقدير، وتكون السببيّة في الظهور وليس في الأصحاب.

فالإمام الصادق عليه السلام ليس في مقام بيان نوع العلاقة، بل في مقام موعظة الشيعة ليرفعوا مستوى إيمانهم، وأنّ الأصحاب الذين يظهر فيهم المهدي عليه السلام من مستوى أرقى من معاصريه، المدّعين استعدادهم لنصرته عليه السلام. وقد كانت هذه الشبهة في أذهان المخالفين، فكانوا يتصوّرون أنّ الشيعة وإمامهم ينتظرون وجود ٣١٣ مؤمناً كاملي الإيمان حتّى يظهر إمامهم ^(٢).

فهو يستعرض كلام الشيخ المفيد والحوار الذي جرى في مجلس المخالفين مجارات لهم وليس هكذا يعتقد، فيقول:

(١) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣٧٣.

(٢) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣٧٤-٣٧٥.

قد يكون جواب المفيد رحمته الله مجازاة لذلك الرجل، أمّا إن قصد أنّ الإمام عليه السلام هو الذي يعيّن وقت ظهوره وأنّه ينتظر وجود هؤلاء الأصحاب، فلا يصحّ، لأنّ الله تعالى يتولّى أمره بالكامل ومن أهمّه تعيين وقت ظهوره، وقد نصّت على ذلك أحاديث كثيرة، ومنها أنّه عليه السلام يؤذن له فيدعو ويبدأ ظهوره.

فالأصحّ الجواب بما رواه الصدوق رحمته الله في أماليه ص ٥٣٩ وخلاصته أنّ رجلاً مهموماً جاء إلى الإمام زين العابدين عليه السلام وشكى له فقره وديناً أثقله، فلم يكن عند الإمام عليه السلام مال، لأنّ الوليد كان صادر أمواله، فأعطاه قرصيه قوت يومه، وأمره أن يذهب إلى السوق ويشترى بهما شيئاً، فوجد سمكتين غير مرغوبتين فاشتراهما، فوجد في جوفها لؤلؤتين ثميتين وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله، فقال بعض المخالفين: ما أشدّ هذا التفاوت! بينا عليّ بن الحسين لا يقدر أن يسدّ منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم، كيف يكون هذا؟ وكيف يعجز عن سدّ الفاقة من يقدر على هذا الغناء العظيم؟ فقال الإمام السجاد عليه السلام: «هكذا قالت قريش للنبي صلى الله عليه وآله: كيف يمضي إلى بيت المقدس ويشاهد ما فيه من آثار الأنبياء عليهم السلام من مكّة ويرجع إليها في ليلة واحدة، من لا يقدر أن يبلغ من مكّة إلى المدينة إلّا في اثني عشر يوماً وذلك حين هاجر منها؟».

ثمّ قال عليه السلام: «جهلوا والله أمر الله وأمر أوليائه معه! إنّ المراتب الرفيعة لا تنال إلّا بالتسليم لله جلّ ثناؤه، وترك الاقتراح عليه والرضا بما يدبرهم به! إنّ أولياء الله صبروا على المحن والمكاره صبراً لمّا يساوهم فيه غيرهم، فجازاهم الله عزّ وجلّ عن ذلك بأنّ وجب لهم نجح جميع طلباتهم، لكنّهم مع ذلك لا يريدون منه إلّا ما يريد لهم!»!

أقول: يدلّ ذلك على أنّ إرادة المعصوم عليه السلام في هذا النوع من الأعمال تابعة لإرادة الله تعالى، وأنّه لا يتصرّف من نفسه ولا يستعمل ولايته التكوينية، بل ينتظر الإذن والأمر من الله تعالى! فالأصل عنده أن يعمل ويعيش بالأسباب العادية، إلّا إذا أبلغه الله تعالى بهاتف أو إلهام أو أيّ طريق، أن يعمل شيئاً آخر أو يدعوه بشيء! وهذا معنى تفوّق النبي وآله عليهم السلام على غيرهم بأنهم لم يقترحوا على ربهم عزّ وجلّ شيئاً، وظهوره من أهمّ الأمور التي لا يتقدّم فيها أمر الله تعالى». (١).

سادساً: وصول البشريّة إلى حافة الهاوية: من الظلم والفساد والجوع والحروب والانحلال الأخلاقي، وانسداد الطرق للعلاج، وبتعبير القرآن الكريم وصول الناس إلى حدّ اليأس كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف/ ١١٠].

وبتعبير الروايات: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتّى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثمّ يخرج رجلٌ من عترتي فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً». (٢).

وتعبير الرواية أنّ الأرض تمتلئ بالظلم، وهي أشبه شيء بامتلاء الإناء بالطعام أو الماء، وهو كناية عمّا تؤول إليه البشريّة إلى حدّ الإغراق في الظلم والعدوان والفساد، حينها يأتي الفرج بظهور الإمام عليه السلام يملؤها بالعدل والحق.

(١) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣٧٨.

(٢) كنز العمال: ٢٧١.

٢٠٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ونتوقف عند بعض الروايات لنرى درجة ومستوى الفساد والظلم الشامل الذي تصل إليه البشرية.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «... والله لا يكون ما تأملون... حتى لا يكون لأحدكم موضع قدمه، وحتى تكونوا على الناس أهون من الميتة عند صاحبها، فبينما أنتم كذلك إذا جاء نصر الله والفتح، وهو قول ربي عز وجل في كتابه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾»^(١).

وهذه إحدى مظاهر الابتلاءات التي تلحق المؤمنين وما يكونون عليه من الصبر والاستقامة، وقد وصفتهم الروايات: «لأحدهم أشدّ بقيّة على دينه من خراط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالبابض على جمر الغضا...»^(٢).

ولسوف تأتي الأيام بمصائب ومحن لا قبل للبشرية بها لدرجة أن يفضل الشخص الموت على الحياة من شدة ما يرى من انعدام الأمن وعظم البلاء وانتشار الفساد، كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لاتذهب الدنيا حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرّغ عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء»^(٣).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد من الناس وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس وتشتت في دينهم وتغيّر من حالهم، حتى

(١) دلائل الإمامة: ٤٧١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٤/٥٢.

(٣) ينظر: صحيح مسلم: ٨/١٨٣.

يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضاً، فخروجه إذا خرج يكون عند اليأس والقنوط من أن يروا فرجاً، فيأطوبى لمن أدركه وكان من أنصاره»^(١).

والأمر لا يصل إلى هذا الحدّ فقط وإنما يصل إلى درجة الكفر، ولا يستطيع أحد أن يجهر بالدين ويقول: «الله»، لأنها جريمة في العرف العام، ويصل الفساد والانحلال حتّى لا يعرف الأنساب، والظلم بحدّ لا يوصف فلا يجد الرجل ملجأً كما عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال بكم الأمر حتّى يولد في الفتنة والجور من لا يعرف عندها، حتّى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد يقول: الله، ثمّ يبعث الله عزّ وجلّ رجلاً منّي ومن عترتي، فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً»^(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «يصيب هذه الأمة بلاء حتّى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم، فيبعث إليه رجلاً من عترتي فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٣) وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يكون هذا الأمر حتّى يذهب تسعة أعشار الناس»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة طويلة بيّن فيها بعض علامات آخر الزمان ما قبل قيام المهدي عليه السلام: «فإنّ علامة ذلك إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا

(١) الغيبة للنعماني: ٢٦٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/٥١.

(٣) الزام الناصب: ١٥٠/١.

(٤) الغيبة للنعماني: ٢٨٣.

٢٠٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتخذت القيان والمعازف، وتشبّهت النساء بالرجال والرجال بالنساء..»^(١)

هذا ما يحصل في هذا الزمان من الانحلال العام والانحراف الخلقي، ومعصية الله في العلن، وترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتّى لم يبق بيت من بيوت الناس أجمع وكذا المسلمين إلّا دخلته المفسد عبر الأقمار الصناعيّة وشاشات التلفاز والانترنت، وطغيان الحياة الماديّة وتكالب الناس على الحرام والربا والزنا... الخ.

وعن أمير المؤمنين: «لا يظهر القائم حتّى يكون أمور الصبيان، وتضييع حقوق الرحمن، والتغني بالقرآن بالتطريب والألحان».^(٢)
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال ضمن حديث طويل أيضاً: «ورأيت المعازف ظاهرة في الحرمين...».^(٣)

وهذا والله ما نراه هذه الأيام من عزف هواتف الجوّالات والنقلّات لجميع أنواع الموسيقى في الحرمين وعامّة المساجد، فلا أحد يعترض على ذلك أو يستنكره، والله المستعان وإلى الله المشتكى، وأيضاً ظهر في السنوات الأخيرة بعض المطربين ممّن تغنى ببعض الآيات القرآنيّة، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.^(٤)

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٥-٥٢٦.

(٢) منتخب الأثر: ٢٤٨.

(٣) الكافي: ٤٠ / ٨.

(٤) شمس خلف السحاب: ٨٥.

وعندما تصل البشريّة إلى الطريق المسدود وتعترف بالعجز واليأس رغم التقدّم العلمي والتكنولوجي، حينها يأتي الفرج... فنحن نشهد هذه الأيام ومع التقدّم العلمي في اكتشاف الأدوية والعلاج تفشي- العديد من الأمراض المستعصية، مثل الإيدز والسارز وأنفلونزا الطيور وغيرها من الأمراض أجازنا الله منها.

وفي المجال الاجتماعي نلاحظ تفاقم مشاكل المجتمعات بظهور العديد من الجماعات المنحرفة أمثال عبدة الشيطان وعصابات السرقة والمخدرات وغيرها من الجماعات الهدّامة.

وفي المجال السياسي برزت لنا في السنوات الأخيرة العديد من الجماعات الإرهابيّة التي لا يمكن السيطرة عليها في جميع أنحاء العالم بالإضافة إلى مشاكل الحروب بين الدول التي لا نهاية لها.

وفي المجال البيئي هناك مشاكل التلوّث البيئي وقضايا المناخ وارتفاع سخونة الأرض ومشكلة طبقة الأوزون وغيرها وغيرها.

وأما في المجال الإقتصادي فحدّث ولا حرج، فمشاكل العالم الاقتصادية لا تعدّ ولا تحصى.^(١)

أما المؤمنون سوف يكون عليهم القسط الأكبر من البلاء والامتحان قبل خروج القائم، وهذا ما كشفت عنه الروايات:

فعن محمد بن مسلم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة/ ١٥٥].

(١) شمس خلف السحاب: ٨٦.

٢١٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ لقيام القائم علامات تكون من الله عزّ وجلّ للمؤمنين»، قلت: وما هي جعلني الله فداك؟ قال عليه السلام: «قول الله عزّ وجلّ «ولنبلوّنكم» يعني المؤمنين قبل خروج القائم «بشيء من الخوف» إلى أن قال: «وبشّر الصابرين» عند ذلك بتعجيل خروج القائم»^(١).

سابعاً: إخفاء التوقيت لإعطاء الأمل بالفرج في كلّ زمان واستخدام عنصر المفاجأة: مسألة خروج الإمام المهدي عليه السلام وإعلان ثورته من أسرار الله سبحانه وتعالى، وحيث إنّ سرّه يتعلّق بمشيئته ومصالح العباد وتتوسّط فيه مسألة البدء وعلم الله سبحانه وتعالى الذي لا يطلع عليه أحداً إلّا مَنْ ارتضاه من أوليائه، لذا فقد جاءت الروايات تنهى عن التوقيت لظهوره عليه السلام، لارتباط ذلك بعلم الله وأسراره، فلا يطلع عليه أحد. فعن الرضا عليه السلام قال: «لقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذريّتك؟ فقال عليه السلام: مثله مثل الساعة لا يحلّيها لوقتها إلّا هو، ثقلت في السماوات والأرض، لا تأتيكم إلّا بغتة»^(٢).

وعن المفصل بن عمر قال: سألت سيّدي الصادق عليه السلام: هل للمأمول المنتظر المهدي عليه السلام من وقت مؤقّت يعلمه الناس؟ فقال: «حاش لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعةنا»، قلت: يا سيّدي، ولم ذلك؟ قال: «لأنّه هو الساعة التي قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الاعراف/ ١٨٧]

(١) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤٩.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٢ / ٢.

إلى أن قال عليه السلام: «إنّ من وقت لمهديننا وقتاً فقد شارك الله تعالى في علمه، وادّعى أنّه ظهر على سرّه».^(١)

وعن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: هل لهذا الأمر وقت؟ فقال: «كذب الوقتون، كذب الوقتون، كذب الوقتون».^(٢)

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا مهزم، كذب الوقتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون، وإلينا يصيرون».^(٣)

وإذا عرفنا أنّه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال معرفة وقت خروج الإمام المهدي عليه السلام وحتىّ للخُلص من الشيعة والموالين، يتبادر لنا هذا السؤال وهو: لماذا تمّ إخفاء وقت الظهور؟ ولماذا هذا التشديد في النهي عن التوقيت؟ والجواب عن ذلك يتلخّص في أمرين وهما:

الأمر الأوّل: مفاجأة الأعداء، وهو ما يُسمّى باستراتيجية الصدمة والرعب، فحيث إنّ الأعداء لا يعلمون وقت خروجه عليه السلام فهم غير مهيّئين وغير مستعدّين لقتاله، وعلى العكس من ذلك لو علموا وقت الظهور إذاً لجّهزوا من المخطّطات الشيء الكثير للقضاء عليه وإفشال حركته من بداية انطلاقته المباركة، فنستنتج من ذلك أهمية إخفاء الوقت في إنجاح ثورته المباركة وقيامه بها بالشكل المطلوب، وهذا ما يقوم به عادةً القادة في الحروب، حيث يخفون وقت الهجوم وساعة الصفر حتّى عن أقرب المقرّبين حفاظاً على السريّة المطلوبة

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٧٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٣/٥٢.

(٣) الغيبة للطوسي: ٤٢٦.

٢١٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

لإنجاح مخططاتهم. كما أنّ تغييب وقت الظهور للإمام المهدي عليه السلام يمثل عنصر- إخافة للظالمين في كلّ عصر- وزمان ممّا يجد من ظلمهم بعض الشيء، وذلك خوفاً من انتقام الإمام منهم إذا ما خرج في ذلك العصر والزمان.

الأمر الثاني: هو أنّ إخفاء وقت الخروج للإمام عليه السلام يجعل المؤمنين يستعدّون لخروجه، ويجهّزون أنفسهم لقدمه في كلّ وقت وفي جميع الأزمنة ويهيّئوا أنفسهم لذلك، ويبادروا إلى إصلاح أنفسهم قدر المستطاع بالابتعاد عن المعاصي وفعل الخيرات، ويجعلهم في حالة تصحيح دائمة لمسيرتهم...^(١)

ولذا فقد جاء في الأخبار عن رسول الله ﷺ أهمية الاستعداد بالانتظار لفرج القائم عليه السلام، واعتبره من أفضل أعمال الأمة، لما فيه من رسوخ العقيدة والتسليم والصبر لأمر أهل البيت عليهم السلام، وتوقّد الأمل بشكل مستمرّ في النفوس.

روى العلامة المجلسي بأسانيده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أفضل أعمال أمتي انتظار لفرج الله عزّ وجلّ». ^(٢)

ومن أهمّ أعمال الانتظار هو النية الصادقة لنصرة أهل البيت، والعمل على الورع والعمل الصالح، والابتعاد عن المعاصي التي تسبّب نفور أهل البيت عنه. فقد جاء في رسالة الإمام عليه السلام إلى الشيخ المفيد عليه الرحمة: «فليعمل كلّ امرئ منكم بما يقربّه من محبّتنا، ويتجنّب ما يدينه من كراهيتنا وسخطنا، فإنّ أمرنا بغتة فجأة، حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة». ^(٣)

(١) شمس خلف السحاب: ٩٤-٩٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٢/٥٢.

(٣) الأحتجاج: ٣٢٣/٢.

ثامناً: حدوث المقدمات والظروف (العلامات): هنالك علامات عامّة وأحداث وانحرافات تقع بين الناس، وهي ليست محتومة، وربّما سبقت الظهور بعشرات السنوات، ومن الصعب تأويلها وتطبيقها على الواقع، وقد تحدّث عنها الكتاب مفصّلاً، وهناك علامات ومقدمات قريبة جدّاً من الظهور، وهي بمثابة إشارات وإنذارات وبشائر للخروج، وهي تنقسم إلى قسمين:

الأوّل: غير حتميّة الوقوع، وهي تقع في نفس العام أو العام الذي يسبقه، وهي كثيرة كما ذكرها الشيخ المفيد في الإرشاد، ونشير إلى بعضها:

- ١ - كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان.
- ٢ - وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات.
- ٣ - قتل نفس زكيّة بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين.
- ٤ - طلوع نجم يضيء كما يضيء القمر، ثمّ ينعطف حتّى يكاد يلتقي طرفاه.
- ٥ - نار تظهر بالشرق طويلاً وتبقى في الجوّ ثلاثة أيّام أو سبعة.
- ٦ - قتل أهل مصر أميرهم وخراب بالشام واختلاف ثلاث رايات.
- ٧ - خوف يشمل أهل العراق وبغداد، وموت ذريع فيه، ونقص في الأموال والأنفس والثمرات.

الثاني: حتميّة الوقوع، وقد ذكرها الإمام الصادق عليه السلام، وهي خمس علامات:

- ١ - خروج اليماني.
- ٢ - خروج السفيني.
- ٣ - وصيحة من السماء، يسمّعها كلّ إنسان، وهي تقع ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان.
- ٤ - وقتل النفس الزكيّة بين الركن والمقام.

٥ - وخسف بالبيداء، إشارة إلى خسف جيش السفيناني.

عن ابن أبي عمير، عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قبل قيام القائم عليه السلام خمس علامات محتومات: اليماني والسفيناني والصيحة وقتل النفس الزكية والخسف بالبيداء». ^(١)

وقد تحدث عن هذه العلامات كثير من الكتاب وحلّوها، ولا نضيف شيئاً إلى ما ذكره، ومن أراد التفصيل فراجع أمثال كتاب (الإمام المهدي من المهد إلى الظهور) للعلامة القزويني، وكتاب (علامات المهدي المنتظر) للشيخ مهدي حمد الفتلاوي، وكتاب (الملاحم والفتن) للسيد ابن طائوس.

تاسعاً: انتظار الإذن من الله عز وجل في القيام: رغم أن بعض العلامات حتمية الوقوع كالعلامات الخمس التي ذكرتها الروايات، إلا أن ذلك يرتبط بحكمة الله وعلمه وتدبيره فهو المالك المتصرف في شؤون مملكته، ومن عظمة سلطانه وقدرته أنه «كل يوم في شأن» بحسب الحكمة والمصلحة، حيث إن الله في مقاديره قد وضع كتاباً معلوماً وكتاباً مؤجلاً، فهناك مصالح خفية لا يطلع عليها حتى المقربين وهي الأمور المؤجلة، فقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام:

روى العياشي عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: لولا آية في كتاب الله لحدثكم بما يكون إلى يوم القيامة، فقلت: آية آية؟

قال: قول الله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد / ٣٩] ^(٢)

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٠٤.

(٢) تفسير العياشي: ٢ / ٢١٥.

ولا يعني ذلك أنّ خروج الإمام ونهضته فيها «البداء»؟ فإنّ ذلك من الأمور التي وعد الله عباده المؤمنين والأنبياء بالنصر والغلبة وتطهير الأرض من الظالمين ووراثته الصالحين للأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥].

روى النعماني في غيبته بسنده إلى أبي هاشم الجعفري، قال: كنّا عند أبي جعفر محمد بن عليّ الرضا (عليه السلام)، فجرى ذكر السفيناني وما جاء في الرواية من أنّ أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر (عليه السلام): هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم»! قلنا له: نخاف أن يبدو لله في القائم؟

قال: «إنّ القائم من الميعاد، والله لا يخلف الميعاد»^(١).

والإمام (عليه السلام) عبدٌ مطيعٌ لله سبحانه، يعمل وفق الأمر الربّاني، وينتظر وقت الإذن من الله سبحانه «وربّما هو لا يعلم متى يخرج» حتّى تحصل له العلامات الخاصّة لبداية حركته. أمّا وظيفته في هذا الزمان فهو يعمل بالتقيّة الشديدة والمحافظة على نفسه، ويمارس دوره ورعايته للمؤمنين بدرجة شديدة من الاحتياط، عند الضرورة القصوى والمصالح التي لا بدّ منها.

ولذا فقد ورد عن عليّ بن إبراهيم بن مهزيار عن الإمام المهدي (عليه السلام) قال في ضمن ما قاله له، وذلك عندما قابله في أحد الوديان بالقرب من مكّة المكرّمة:

(١) الغيبة للنعماني: ٣١٤-٣١٥.

٢١٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

«والله مولاكم أظهر التقيّة فوكلها بي، فأنا في التقيّة إلى يوم يؤذن لي فأخرج»^(١).
وهذا يعني بوضوح أنّ الإمام لا يستطيع التحرك من تلقاء نفسه، وملزم بالاستتار وعدم الحركة حتّى يأتيه الإذن الخاص.

علامات خاصة لا بدّ منها لحظة الثورة:

وهي بتعبير الحديث: إشارة ورمز بدء الحركة وكلمة السرّ التي تعطي صفّارة بدء العمليّات والانطلاق في الثورة، وهي من الكرامات الربّانيّة التي تُعطى للقائم عليه السلام، وهما علامتان وآيتان: «انتشار رايته ونطقها، وخروج السيف من غمده ونطقه بالإذن بالخروج».

روى الشيخ الصدوق بسنده عن المفصّل، عن عليّ بن عاصم الكوفي، عن الحسين بن عليّ عليه السلام - والحديث طويل أخذنا منه قدر الحاجة - «قال له أبي؟ وما دلائله وعلاماته يا رسول الله؟»

قال: «له علّم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلّم من نفسه، وأنطقه الله عزّ وجلّ، فناداه العلم: اخرج يا وليّ الله فاقتل أعداء الله، وهما آيتان وعلامتان، وله سيف مغمّد، فإذا حان وقت خروجه أُقتلع ذلك السيف من غمده، وأنطقه الله عزّ وجلّ، فناداه السيف: اخرج يا وليّ الله، فلا يحلّ لك أن تقعد عن أعداء الله، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم، ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله». (٢)

ويفهم من ذلك أنّ الإمام عليه السلام ملزم بانتظار الإذن من الله عزّ وجلّ في

(١) الغيبة للطوسي: ٢٦٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٦٨.

الخروج، وهو عليه السلام طوال هذه السنوات يرى جميع المصائب التي تجري على المؤمنين والموالين، ويتذكر ما جرى على أهل بيته، ويعيش الحزن الدائم والبكاء على أهله، ويتألم لما يجري على الموالين والمحبين، وهو متحفز دائماً ومتأهب للأمر الربّاني له بالقيام وإعلان الثورة على الظالمين.

وقد ورد في دعاء الندبة بعض الفقرات التي تدلّ على معاناة الإمام عليه السلام:

«عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِي الْبَلَوَى وَلَا يَنَالُكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوَى... عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيكَ وَيَحْذُلَكَ الْوَرَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى، هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ؟ هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا؟»^(١).

(١) مفاتيح الجنان: ٦١٣.



الفصل الرابع

ماذا تعني غيبة الإمام عليه السلام؟

هناك نظريتان في موضوع غياب الإمام الحجة عليه السلام:

النظرية الأولى: خفاء الشخص.

«يبدو أنّ أكثر الناس يرون أنّ الإمام عليه السلام يخفي جسمه عن الأنظار، يرى الناس ولا يرونه، بالرغم من أنّه قد يكون موجوداً في مكان، إلاّ أنّه يرى المكان خالياً»^(١).

وهذه النظرية تدعمها ظاهراً هذه الروايات التالية: أخرج الصدوق في كمال الدين بإسناده عن الريّان بن الصلت، قال: سمعته يقول: سئل أبو الحسن الرضا عليه السلام عن القائم عليه السلام، فقال: «لا يُرى جسمه ولا يُسمّى باسمه»^(٢). وأخرج أيضاً بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث، قال: «الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته»^(٣). وأخرج بإسناده عن عبيد بن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: «يفقد الناس إمامهم، فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه»^(٤).

ثمّ تقول هذه النظرية: وهذا الاختفاء يتمّ عن طريق الإعجاز الإلهي، كما تمّ طول عمره لدى السنين المتطاولة بالإعجاز أيضاً، وكان كلا الأمرين لأجل حفظ الإمام المهدي عليه السلام من الموت والأخطار أيضاً، لكي يقوم بالمسؤولية

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٣١ / ٢.

(٢) النجم الثاقب: ٢٢٧ / ١.

(٣) النجم الثاقب: ٢٢٧ / ١.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٦.

٢٢٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الإسلامية الكبرى في اليوم الموعود..

وتضيف النظرية؛ فإذا كانت صيانتها منحصرة باختفاء شخصه لزم على الله عز وجل تنفيذ هذه المعجزة وفاء بغرضه الكبير..

وتضيف أيضاً بأن هذا الاحتجاب قد يزول أحياناً عندما توجد مصلحة زواله، كما لو أراد المهدي عليه السلام أن يقابل شخصاً من البشر - لأجل أن يقضي له حاجة أو يوجهه.. فإن المقابلة تتوقف على رؤيته ولا تتم مع الاختفاء؛ ثم يحتجب فجأة فلا يراه أحد، بالرغم من أنه لم يغادر المكان الذي كان فيه. ^(١)

النظرية الثانية: خفاء العنوان.

وتعني: أن الناس يرون الإمام المهدي عليه السلام بشخصه، يقول السيد الصدر: بدون أن يكونوا عارفين أو ملتفتين إلى حقيقته، فهو يعيش بينهم ويسكن مدنها، وينتقل من مدينة إلى مدينة وهو لا يُعرف..

كما أن شخص الإمام لم يره إلا بعض الخواص من القلائل في حياة أبيه عندما كان صغيراً وفي زمن الغيبة الصغرى والكبرى، وكذلك فهو لا يُعرف شكله حتى لو رآه راء لا يعرفه.. وعدم معرفة الاسم والشكل ساعده على أن يعيش بين الناس بحرية في ذهابه وإيابه.

وأما أدلة هذه النظرية فهي الأخبار الواردة في هذا الصدد:

منها ما أخرجه الشيخ الطوسي في الغيبة عن السفير الثاني الشيخ محمد ابن عثمان العمري أنه قال: «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى

(١) ينظر: تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٣٢ / ٢.

الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه»^(١).

والمقصود بالموسم - الحج - والرواية واضحة الدلالة على عدم اختفاء الشخص ومقترنة بالقسم بالله تعالى تأكيداً، وصادرة عن سفير الإمام المهدي عليه السلام، وهو أكثر الناس اطلاعاً على حاله.

ومنها ما ورد عن السفير من قوله حول السؤال عن اسم الإمام المهدي عليه السلام:
«إذا وقع الاسم وقع الطلب»^(٢)
ويضيف السيّد الصدر..

فإنّه ليس في طلب الحكّام للمهدي عليه السلام ومطاردتهم له أيّ خطر ولا أيّ تأثير، لو كانت الأطروحة الأولى صادقة، وكان جسم المهدي عليه السلام مختفياً، إذ يستحيل عليهم الوصول إليه، وإنّما يبدأ الخطر والنهي عن الاسم تجنباً للمطاردة.

وأما إذا «وقع الاسم» وعرف العنوان، لا يكون هذا الأمن متحققاً، ويكون احتمال المطاردة قوياً. ومنها ما ورد من التوقيع الذي خرج عن الإمام عليه السلام إلى سفيره محمد بن عثمان رحمته الله فإنّهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه.^(٣)

ثمّ قال:... لو صدقت الأطروحة الأولى لم يكن رؤية المهدي عليه السلام في أيّ مكان

(١) الغيبة للطوسي: ٣٦٤.

(٢) الكافي: ١ / ٣٠.

(٣) الغيبة للطوسي: ٣٦٤.

٢٢٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

على الإطلاق، ولم يكن في الدلالة على أيّ مكان خطر أصلاً، وإنّما يكون الخطر موجوداً طبقاً للأطروحة الثانية.

ومنها ما قاله أبو سهل النوبختي حين سُئل فقيلاً له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟

فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجّة على مكانه، لعلّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجّة تحت ذيله وقُرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه. ^(١)

ويضيف قائلاً: ومن الواضح أنّه لا معنى لكلّ هذه الاحتياطات والتحفظات مع صحّة الأطروحة الأولى، أي اختفاء شخص المهدي عليه السلام، وإنّما لابدّ من ذلك مع صحّة الأطروحة الثانية، فإنّ الدلالة عن المكان مستلزم لانكشاف العنوان. ^(٢)

قانون المعجزات:

وهو دليل نقضي والذي يقول: إنّ المعجزة إنّما تحدث عند توقّف إقامة الحقّ عليها، وأمّا مع عدم هذا التوقّف وإمكان إنجاز الأمر بدون المعجزة فإنّها لا تحدّث بحال.. ولا شكّ أنّ حفظ الإمام المهدي عليه السلام وبقائه ممّا يتوقّف عليه إقامة الحقّ بعد ظهوره فلو توقّف حفظه على إقامة المعجزة بإخفائه شخصاً لزم ذلك.

(١) الغيبة للطوسي: ٣٩١.

(٢) تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٣-٣٦.

إلا أن هذا غير لازم لما عرفناه من كفاية خفاء العنوان في إنجاز الغرض المطلوب، وهو حفظه من كثير من الأعداء. ^(١)

ملاحظات ومناقشة مع السيد الصدر رحمته الله:

أولاً: ما أفاده في النظرية الثانية لها شواهد وأدلة أخرى من غيبات الأنبياء عليهم السلام كغيبة نبي الله إبراهيم قبل بعثته إلى قومه، وغيبة نبي الله موسى حيث كان يرى بجسمه وشخصه ظاهراً في منزل فرعون، ولكن لا يُعرف بعينه، وكذا نبي الله نوح ونبي الله صالح ويونس عليهم السلام، حصلت لهم غيبات عن أقوامهم باختلاف الحالات والظروف، وكذا نبي الله يوسف عليه السلام، فإن الغيبات كانت سنة في الأنبياء، وهي جارية في الإمام الحجة عليه السلام، فقد كان هؤلاء الأنبياء يعيشون بين الناس ولا يعرفونهم..

فقد جاء في الرواية عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: «... وأما سنة من يوسف فالستر، يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه». ^(٢)

ثانياً: ما تفضل به من الأدلة في إثبات النظرية صحيحة، حيث إن الخفاء المقصود هو خفاء للعنوان وليس للجسم والشخص، ولذا فإن النصوص التي وردت تأييداً للنظرية الأولى ظاهراً وهي روايه الريان عن الرضا عليه السلام: «لا يرى جسمه». ورواية الصادق عليه السلام: «يغيب عنا شخصه»، ورواية عبيد بن زرارة عن الصادق: «يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه» هذه الروايات صحيحة ولا تناقض

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٣-٣٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥١.

٢٢٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الروايات الأخرى التي وردت في النظرية الثانية، فإذا ضممنا الطائفتين من الروايات إلى بعضها فيتم المعنى ويتبين معناها بشكل واضح..

فيمكن القول: هذه الروايات من الطائفة الأولى مجملة، والروايات في الطائفة الثانية مفصلة، وعلى القاعدة بإرجاع الجملات إلى المفصلات يتم المعنى بشكل واضح، فلا يُرى جسمه أو شخصه أو لا يُرى، بمعنى أنه يُرى ولا يُعرف أنه شخص الإمام وعينه، ويؤيد هذه المعنى الروايات التي وردت مفصلة في النظرية الثانية عن محمد بن عثمان العمري الآتي «والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه.

ورواية أبي بصير عن الصادق عليه السلام «وأما سنة من يوسف فالستر، يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه». فالرؤية الظاهرية لهم متحققة ولكنهم لا يعرفونه، فلا يكون تناقض بين الطائفتين من الروايات وإنما واحدة مجملة والأخرى مفصلة.

ثالثاً: ما أفاده في دليله الأول تامّ وواضح، ولكن الاستدلال بالدليل النقضي - أي بقانون المعجزات - فهو عليه وليس له، فقد ذكر أن خفاءه بالعنوان ليس بالشخص، فلا داعي لاستخدام قانون المعجزة إلا إذا توقّف حفظه على ذلك.

فنحن نستفيد من دليله وكلامه الأخير أن حياة الإمام كثيراً منها قائم على قانون المعجزة، منذ ولادته حتى هذه اللحظة، فولادته وعيشه وخفاؤه وحفظه عن الظالمين طوال هذه القرون وطول عمره قائم على المعجزة، وكثيراً من حالاته وتنقلاته وظهوره وخفائه لأناس يدلّ على هذه الحقيقة، فهذا القانون جاري في حياته كما كان جارياً في حياة الأنبياء السابقين والأئمة الأطهار، والقصص التي ذكرها العلماء والصالحون في لقاءهم بالإمام عليه السلام أنهم شاهدوه

ماذا تعني غيبة الإمام؟ ٢٢٧

وتحدّثوا معه، إلّا أنّهم أكّدوا أنّهم لم يعرفوا كيف جاء؟!

وكيف اختفى؟!

وسرعة الاختفاء!

وإنّهم بحثوا عنه ولم يعثروا عليه! أو بعض القصص ذكرت أنّه يحضر خلال لحظات في أماكن متعدّدة متباعدة ومسافات طويلة لقضاء حوائج المؤمنين، وممارسة أدواره المتعدّدة لإدارة شؤون الأمّة.

فالإمام يستخدم قانون المعجزة والقدرات التي أعطاها الله له من أجل ممارسة دوره المنوط به من الله سبحانه وتعالى، ويستفيد منه لحفظ نفسه عن الناس والظلمة حتّى لا يكشف أمره، فهو ربّما استخدم طيّ الأرض، أو التصرّف في حالات الإنسان الداخليّة أو في عينيه أو روحه، فعلى الرغم أنّ جميع من التقوه قالوا: إنّ الإمام ذكر اسمه الصريح محمّد بن الحسن أو عرّف شخصيّته بالإمام وصاحب الأمر وما شابه ذلك، إلّا أنّ أكثر هؤلاء يقولون: لم ننتبه إلى ذلك إلّا بعد انصرافه عنّا.

رابعاً: ربّما استخدم الإمام المعجزة لتغييب جسمه وشخصه عن الأنظار بطريقته التي لا نعرف حقيقتها، كما استخدم الأنبياء هذه الطريقة للاختفاء عن الأعداء في لحظات الضرورة، فقد غيّب الله سبحانه شخص عيسى عليه السلام، وألقى الشبه على الشخص الخائن الذي أخبر عنه، فرفعه الله سبحانه وتعالى إليه، وكذلك استخدم رسول الله ﷺ المعجزة والكرامة في مواطن عديدة، ومنها عند خروجه من داره أمام الأعداء ليلة المبيت، والسؤال: كيف اختفى؟ هل تصرّف في عيونهم؟ أو تصرّف في بدنه الشريف؟!

٢٢٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فقد ذكر رحمته الله أن المعجزة تستخدم إذا توقّف الحفظ والحقّ عليها.. أمّا في خصوص الإمام عليه السلام مع خفاء العنوان فلا داعي لها وغير تامّ، ولا منافاة في استخدامها في حالات كثيرة، فإنّ الإمام لو خُلّي وطبعه العادي من دون هذه القدرات فيصبح إنساناً مثله كسائر الناس، ولكن الله تعالى أمده بهذه الكرامات والقدرات ليستعين بها في مهمّاته لإدارة شؤون الأُمّة وتسيير مصالح الناس وقضاء حوائجهم.

ففي الخرائج والجرائح (٢: ٩٣٠) عن الباقر عليه السلام: «إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً، ناصح الله سبحانه فناصره وسخر له السحاب وطويت له الأرض، وبسط له في النور، فكان يبصر بالليل كما يبصر بالنهار، وإنّ أئمة الحقّ كلّهم قد سخر الله تعالى لهم السحاب، وكان يحملهم إلى المشرق والمغرب لصالح المسلمين ولإصلاح ذات البين، وعلى هذا حال المهدي عليه السلام، ولذلك يُسمّى صاحب المرأى والمسمع، فله نور يرى به الأشياء من بعيد كما يرى من قريب، ويسمع من بعيد كما يسمع من قريب، وإنّه يسيح في الدنيا كلّها على السحاب مرّة وعلى الريح أخرى، تطوى له الأرض مرّة، فيدفع البلايا عن العباد والبلاد شرقاً وغرباً».



الفصل الخامس

معرفة النسب والاسم

أولاً: النسب المبارك.

هو الإمام محمد أبو القاسم، بن الإمام الحسن العسكري، بن الإمام علي الهادي، بن الإمام محمد الجواد، بن الإمام علي بن موسى الرضا، بن الإمام موسى بن جعفر، بن الإمام جعفر الصادق، بن الإمام محمد الباقر، بن الإمام علي السجاد، بن الإمام الحسين الشهيد، بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهو من ذرية بعضها من بعض، مصطفاة من خيرة الخلق المطهرين من الرجز، وهم الأنبياء والمرسلون.. وكذا هو فرعٌ من غصن الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وثمرتها من ثمرات الشجرة الزيتون التي أثنى عليها ربنا في كتابه: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ تُوَرُّ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/ ٣٥].

وهذا المثل الرباني يجسده بيوتهم النورانية في الأرض عناه الله في كتابه المجيد في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور/ ٣٦].

ثم يشير إليهم رب العالمين بالصفة: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور/ ٣٧].

وعندما سئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه البيوت، قال: «بيوت الأنبياء».

فقال رجلٌ من أصحابه: وهل بيت علي وفاطمة منها؟!!

٢٣٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فقال عليه السلام: «من أفاضلها»^(١).

وهم الذين عناهم القرآن بالنسب والقراية من رسول الله عليه السلام، فأوجب حبهم وجعله فريضة في عنق كل مسلم، فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى/٢٣].

ثم أكد أنهم من أهل بيت النبي خاصة حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الاحزاب/٣٣].
ثم أمر الله تعالى الأمة بالرجوع إليهم لأنهم أعلم الأمة، فقال: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/٤٣].

فلم يبق مجالاً لأي غافل أو شاك أو جاحد بأن المقصود من هذه الدوحة المتفرعة من روضة الأنبياء، والتي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ومن كانت هذه صفتهم ونسبهم وأصلهم، فهل يوجد مجال للشك والجدود؟!

محاولات التشكيك والتحريف وأهدافها؟!

نعم هناك من يحاول تعمية الناس ليصرفهم عن النسب المبارك للإمام الحجة عليه السلام المتصل برسول الله عليه السلام والأنبياء عليهم السلام، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل، بعدما أثبت القرآن القراية والنسب الطاهر برسول الله عليه السلام وبجميع الأنبياء حتى ينتهي إلى آدم عليه السلام.

(١) وروي ذلك مرفوعاً أنه سُئل النبي عليه السلام لما قرأ الآية: أي بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء. فقام أبوبكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها- يعني بيت علي وفاطمة-؟ قال: «نعم من أفاضلها». (مجمع البيان: ٧/٢٥٣، ذيل تفسير الآية ٣٦ من سورة النور).

والذين أنكروا أن يكون الحسن الحسين ابني رسول الله ﷺ، حاولوا إنكار نسب الإمام المهدي المتصل بالأئمة الأطهار، وقاموا بمحاولات خبيثة من أجل صرف الحقيقة الساطعة عن أذهان الناس، فعمدوا إلى تحريف الأحاديث الشريفة التي تثبت اسم الإمام، وثبت اسم أبيه، واتصاله بالأئمة الطاهرين، لكي يؤكّدوا مبدأهم القديم بأنهم ﷺ ليسوا من أبناء رسول الله ﷺ ولا هم من ذرية الأنبياء الطاهرين، وبالتالي إنكار الوصاية من رسول الله، وهو يستلزم بعد ذلك إنكار الغيبة لصاحب الزمان، وطول عمره الشريف الذي هو مصداق القدرة والمعجزة الإلهية!!

فلما حاولوا التحريف في اسم الإمام واسم أبيه، قالوا: إنّ المهدي ليس من أولاد الحسن العسكري، وليس من أبناء الأئمة الطاهرين، فهو ليس من سلالة الإمام الحسين وليس من المعصومين ﷺ.

ثم إنكار هذه الحقيقة يستدعي إنكار أنّ الأئمة اثنا عشر، وهو تكذيب لرسول الله ﷺ، وهو هدف من أهداف إبليس الذي حارب الأنبياء منذ اليوم الأوّل في السماء، ورفض التواضع له لكفره وجحوده..

فإذا أثبتوا ذلك قالوا: إنّ الإمام لم يولد بعد.

وبهذه الطريقة تضيع قضية الإمام المهدي وقضية غيبته وقيامه وثورته. ولو دققنا النظر في هذه التشكيكات لوجدناها متفرعة عن حقيقة واحدة، وهي إنكار الجعل والنص الإلهي للأئمة الاثني عشر من أهل البيت، وإثبات غيرهم وإعطائهم الشرعية في خلافة رسول الله ﷺ، والذين يقفون أثر هؤلاء في التشكيك إنّما يحققون أهداف أعداء أهل البيت ﷺ!!

٢٣٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ما هو الحديث المحرّف الذي حاولوا به تضييع نسب الإمام عليّ عليه السلام؟!

عن أبي داود، عن زائدة، عن عاصم، عن زُرّ، عن عبد الله، عن النبي ﷺ أنّه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث الله رجلاً منّي - أو: من أهل بيتي - يُواطئ اسمه اسمي [واسم أبيه اسم أبي]، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

ولكن الحديث كما ترى مردود وساقط عن الاعتبار من حيث السند والدلالة والمتن ومخالفة النصوص الكثيرة المتواترة عند الفريقين.

أمّا السند: فالحديث يُروى عن (زائدة)، وقد ذكر علماء الجرح والتعديل (الرجال) في ترجمة زائدة: أنّه كان يزيد في الحديث.

قال الحافظ محمدّ پارسا: «والجمهور من أهل السنّة نقلوا أنّ زائدة كان يزيد في الأحاديث، ذكر الإمام الحافظ أبو حاتم البستي رحمه الله في كتاب (المجروحين من محدّثين): زائدة مولى عثمان، روى عنه أبو زياد، منكر الحديث جداً، لا يحتجّ به إذا وافق الثقات، فكيف إذا انفرد؟!

وزائدة بن أبي الرقاد الباهلي من أهل البصرة... يروي المناكير عن المشاهير، لا يحتجّ بخبره، ولا يكتب إلّا للاعتبار»^(٢).

وقال الحافظ الكنجي الشافعي: «والذي رواه (واسم أبيه اسم أبي) فهو

(١) سنن أبي داود: ٣٠٩ / ٢.

(٢) المجروحين: ٣٠٧ - ٣٠٨ / ١.

زائدة، وهو يزيد في الحديث»^(١).

قال علي بن عيسى الأربلي: «أما أصحابنا الشيعة فلا يصحّحون هذا الحديث لما ثبت عندهم من اسمه واسم أبيه ~~عليه السلام~~، أما الجمهور فقد نقلوا أنّ زائدة كان يزيد في الأحاديث»^(٢).

أما المتن: فهو مضطرب لا يمكن الركون إليه، فقد روي هنا الحديث عن (زر) بطرق عديدة وكثيرة، وليس فيه: [واسم أبيه اسم أبي] مما يدلّ على أنّ هذه جاءت من تصرّفات الراوي (زائدة).

قال الحافظ الكنجي الشافعي: قلت: وقد ذكر الترمذي الحديث، ولم يذكر قوله: واسم أبيه اسم أبي. وذكره أبو داود، وفي معظم روايات الحفاظ والثقات من نقلة الأخبار (اسمه اسمي) فقط، والذي رواه (واسم أبيه اسم أبي) فهو زائدة، وهو يزيد في الحديث. ثمّ قال بعد ما ذكر توجيهاته للحديث..: والقول الفصل في ذلك: أنّ الإمام أحمد - مع ضبطه وإتقانه - روى هذا الحديث في مسنده عدّة مواضع: «واسمه اسمي».

وقال أيضاً:.. ورواه غير عاصم عن زر، وهو عمرو بن مرّة، عن زر، كلّ هؤلاء روى (اسمه اسمي) إلّا ما كان عن عبيد الله بن موسى عن زائدة عن عاصم، فإنّه قال فيه: (واسم أبيه اسم أبي) ولا يرتاب اللبيب أنّ هذه الزيادة لا

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٩.

(٢) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ٢٧٧/٣.

٢٣٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها، والله أعلم.^(١)
وقال علي بن عيسى الأربلي: «أما أصحابنا الشيعة فلا يصحّون هذا الحديث، لما ثبت عندهم من اسمه واسم أبيه عليه السلام». ^(٢)
معارضته للشهرة: هذا الحديث معارض لشهرة الروايات التي رواها الفريقان، وقد نقل العلامة لطف الله الصافي دامت توفيقاته ٤٨ حديثاً ثبت «أن اسمه اسمي وكنيته كنييتي» في كتابه منتخب الأثر ص ٢٣٦، وهذه الروايات أصحّ سنداً ودلالةً وامتناً، وأشهر من تلك الرواية الشاذة الضعيفة.
الدلالة: أمّا من حيث الدلالة فهي مخالفة لما أجمع عليه المسلمون وما تواترت الأحاديث الكثيرة على أنّ الإمام المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام.
وقد ذكر صاحب منتخب الأثر بأنّه ابن الحسن العسكري، وقد أورد ٢٩٥ حديثاً من الفريقين (ص ٢٨٥ - ٢٩١) ثبت ذلك.
تأويله: على فرض صحّة الحديث سنداً وامتناً، فقد أوّله العلماء بوجوه عديدة^(٣) بما ينطبق مع الأحاديث المشهورة المتفق عليها بين المسلمين، ومع أنّ

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان: ٦٢.

(٢) كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ٤٧٧/٢.

(٣) ذكر العلماء عدّة وجوه: قال آية الله الميلاني في كتابه قادتنا نقلاً عن مطالب السؤول (ص ٢٢٠): الأوّل: أنّه سائغ شائع في لسان العرب إطلاق لفظة الأب على الجد الأعلى، وقد نطق القرآن الكريم بذلك فقال تعالى: ﴿مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مَلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [يوسف: ٣٨] ونطق بذلك النبي ﷺ وحكاه عن جبرئيل عليه السلام في حديث الإسراء، إنّه قال: «قلت: من

→

هذا؟ قال: أبوك إبراهيم». فعلم أن لفظة الأب تطلق على الجد وإن علاه؛ فهذا أحد الأمرين.

الثاني: أن لفظة الاسم تطلق على الكنية وعلى الصفة، وقد استعملها الفصحاء ودارت بها ألسنتهم، ووردت في الأحاديث حتى ذكرها الإمامان البخاري ومسلم كل واحد منها يرفع ذلك بسنده إلى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما أنه قال عن عليٍّ عليه السلام: «والله إن رسول الله ﷺ سَمَّاهُ بأبي تراب، ولم يكن له اسم أحب إليه منه» فأطلق لفظة الاسم على الكنية، ومثل ذلك قال الشاعر:

أجلَّ قدرك أن تسمى مؤبَّنة ومن كنَّاك قد سَمَّاك للعرب

ويروى: «ومن يصفك»، فأطلق التسمية على الكنية، وهذا شائع ذائع في كلام العرب. فإذا وضع ما ذكرناه من الأمرين فاعلم - أيَّدك الله بتوفيقه - أن النبي ﷺ كان له سبطان، أبو محمد الحسن، وأبو عبدالله الحسين عليهما السلام، ولما كان الخلف الصالح الحجة عليهما السلام من ولد أبي عبدالله الحسين ولم يكن من ولد أبي محمد الحسن، وكانت كنية الحسين أبا عبدالله فأطلق النبي ﷺ على الكنية لفظة الاسم لأجل المقابلة بالاسم في حق أبيه، وأطلق على الجد لفظة الأب، فكأنه قال: (يوطي اسمه اسمي، فهو محمد وأنا محمد، وكنية جده اسم أبي، إذ هو أبو عبدالله، وأبي عبدالله) لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لتعريف صفاته، وإعلاماً أنه من ولد أبي عبدالله الحسين عليهما السلام بطريق جامع موجز، وحينئذ تنظم الصفات وتوجد بأسرها مجتمعة للحجة الخلف الصالح محمد عليهما السلام. وهذا بيان شاف في إزالة الإشكال فافهمه، انتهى. (شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ١/ هامش: ٢٧٣-٢٧٤).

←

→

الثالث: قال العلامة المجلسي في كتاب بحار الأنوار: ١٠٤ / ٥١ قال بعض المعاصرين: إنَّ فيه (يعني الحديث المذكور) وجهاً آخر، وهو أنَّ كنية الحسن العسكري عليه السلام أبو محمَّد، وكنية عبدالله والد النبي عليه السلام أبو محمَّد، فتتوافق الكنيتان، والكنية داخلة تحت الاسم، انتهى.

الرابع: ما ذكره بعض أفاضل العصر على هامش كتاب البيان، قال: وأحسن الوجوه في جواب الخبر هو أن يقال: إنَّ الخبر هكذا (اسمه اسمي واسم أبي) لما مرَّ في أخبار عديدة في كتاب الغيبة من أنَّ للمهدي ثلاثة أسماء منها عبدالله، وهو اسم أبي النبي عليه السلام، وقد مرَّ في بعضها (اسمه اسم أبي) بهذه العبارة، فعلى هذا الخبر أيضاً هكذا ورد: (واسمه اسمي واسم أبي). وإنَّها زاد الراوي قوله: (واسم أبيه) حيث لم يفهم معنى الخبر، ولم يحتمل أن يكون للمهدي عبَّل الله فرجه اسمان، فأراد تصحيح الخبر من عنده فزاد هذه الجملة، وقد عرفت أنَّ الخبر لا غبار عليه، لأنَّ له عليه السلام ثلاثة أسماء، فقد بان عدم منافاة الخبر لأخبارنا بوجه، وهذا أحسن الأجوبة، ولم أر من تعرَّض له على وضوح.

الخامس: ما ذكره أيضاً الفاضل المذكور في هامش الكتاب المشار إليه، قال دامت إفاضاته: ويحتمل أن يكون الخبر هكذا: (اسمه اسمي واسم ابنه اسم أبي) لما يظهر من جملة من الأخبار أنَّ من أولاده عليه السلام (عبدالله)، ويأتي في الباب الثالث أنَّ من كناه عليه السلام أبا عبدالله، فوقع التصحيف، فبدل اسم ابنه باسم أبيه، انتهى.

السادس: قال الفاضل المتتبع المولى محمَّد رضا الإمامي المدرِّس الخاتون آبادي في كتابه جنَّات الخلود، الذي فيه ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الاعين: أنَّ لمولانا أبي محمَّد الحسن العسكري اسمين: الأوَّل الحسن، الثاني عبدالله، وعلى ما ذكره هذا الفاضل يرتفع الإشكال ويتوافق ما رواه أبو داود مع سائر الأخبار، وجنَّات الخلود وإن كان فيه متفرِّدات،

←

بعض هذه الوجوه حسنة وبعضها فيها تكلف إلا أننا لا نحتاج إليها بعد ثبوت ضعف الحديث سنداً ومتناً ودلالة ومخالفة الشهرة والتواتر.

→

ولكن صاحبه من أهل التتبع والاطلاع... انتهى ما أردنا نقله من كتاب قادتنا كيف نعرفهم لآية الله السيّد محمد هادي الميلاني ص ١٩٠ - ١٩٣.

السابع: هنالك وجه آخر ربّما يكون أقرب وأوضح بما لا يكون فيه تكلف، وهو أنّ [اسم ابني] مصحّفة بدل [ابني]، فيكون الحديث بهذه الطريقة: [اسمه اسمي، اسم أبيه اسم ابني]. ويقصد النبي من ابنه الحسن السبط الزكي أبي محمد، وبذلك يرتفع الإشكال، فيكون موافقاً للشهور المتواتر من الأحاديث من أنّ أبي الإمام المهدي هو الحسن العسكري، وحيث لا يوجد في الأئمة الأطهار من أبناء رسول الله ﷺ إلاّ اثنان باسم «الحسن»، وهذا الوجه قد استفدناه من الرواية التالية:

روى صاحب منتخب الأثر (العلامة الصافي) عن البحار عن الأماي للشيخ عن الحفّار، عن عثمان بن أحمد، عن أبي قلابة، عن بشر بن عمر، عن مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن إسماعيل بن أبان، عن أبي مريم، عن ثوير بن أبي فاختة، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى في حديث عن أبيه قال: ... قال النبي ﷺ: «اسمه كاسمي واسم أبيه كاسم ابني وهو من ولد ابنتي». ثمّ قال الشيخ: المراد من قوله: (ابني) السبط الأكبر الحسن ﷺ. فإذا أحسنّا الظنّ في الراوي والرواية فإنّه وقع التصحيف في كلمة «أبي» بدل «ابني» لتوهّم الراوي أو نسيانه أو لشبهة في ذهنه، لما أثير في وقت أنّ أولاد البنت لا ينتسبون إلى الجدّ من الأمّ، وقد ثبت ذلك من القرآن والسنة، وقد احتجّ الرضا ﷺ على المأمون في إثبات أنّ الحسن والحسين من أبناء رسول الله ﷺ.

ما هي الغاية من تحريف الحديث؟

قال العلامة القزويني: أمّا سبب التلاعب بهذا الحديث فهو أنّ سُماسة الأحاديث كانوا يختلقون الأحاديث وينسبونها إلى رسول الله ﷺ تقريباً إلى السلطات، وطمعاً في الأموال، وتقوية للباطل، فإنّ اختلاق الأحاديث المزورة كان في بعض الأزمنة مهنةً وتجارة يعيش من ورائها الوضّاعون الكذّابون أمثال: أبي هريرة وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة وزملائهم ونظرائهم، ومنهم راوي هذا الحديث وهو (زائدة).

والسؤال الآن: ما هو الهدف من إضافة «واسم أبيه اسم أبي» في هذا الحديث؟

الجواب: احتمالان:

- ١ - أن يكون تأييداً لأحد الحكّام العبّاسيّين المسمّى بـ «محمّد بن عبد الله المنصور» والملقب بـ «المهدي».^(١)
- ٢ - أن يكون تأييداً لـ «محمّد بن عبد الله بن الحسن» الملقّب بـ «النفس الزكيّة» والذي ثار ضدّ العبّاسيّين.

ثمّ قال:.. ولبعض علمائنا (رحمهم الله) توجيهات في تصحيح الحديث وكلّها تكلف، ولا حاجة إليها.. وحديث زائدة غير صحيح عند علماء الحديث، وضعيف في غاية الضعف وسقيم في منتهى السقم، وتوجيه الغلط غلط

(١) حيث زوّر حديثاً عن رسول الله ﷺ ينطبق على هذا الشخص وهو: «منا القائم، ومنا المنصور، ومنا السفّاح، ومنا المهدي». كما ورد في كنز العمال بهامش مسند ابن حنبل:

آخر. (١)

محاولات إبعاد المهدوية عن أهل البيت وإدعائها لأناس:

المخالفون لأهل البيت عليه السلام كانت لديهم أغراض متعددة في محاربتهم، فقد جهدوا بمختلف الوسائل والأساليب للتحريف وتزييف الحقائق الناصعة وإبعاد الامتيازات التي أعطاهم الله عليه السلام إيّاها طمعاً منهم لينالوها فيكونوا قادة المسلمين.

وقد كشف الله سبحانه وتعالى هذه النوايا النابعة من نفوس خبيثة تسعى إلى محاربة الله ورسوله وأهل بيته لتنال أغراضاً دنيوية بحتة. فقد قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٥٤].

وقد جاء في تفسير هذه الآية الشريفة بأنهم الناس المحسودون، وأنهم من ذرية إبراهيم الخليل الذين أعطاهم الله علم الكتاب والحكمة وجعلهم أئمة مفروضة طاعتهم على الناس.

حيث نطقت الروايات بذلك: روى الكليني بسنده إلى حمران بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ فقال: «النبوة»، قلت: الحكمة؟ قال: «الفهم والقضاء»، قلت: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ فقال: «الطاعة». (٢)

(١) الإمام المهدي من المهد إلى الظهور: ٢٤ - ٢٥.

(٢) الكافي: ١/ ٢٠٦.

٢٤٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

روى أيضاً بسنده إلى أبي الصباح، قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فقال: «يا أبا صباح، نحن والله الناس المحسودون»^(١).

وقد حاول هؤلاء الأعداء إبعاد العترة الطاهرة عن شرف كون المهدي منهم، وذلك عن طريق تحريف الأحاديث المبشرة بالمهدي، وكما حرّفوا من قبل الأحاديث المبشرة بجميع الأئمة الاثني عشر بأنهم من أهل البيت وذرية النبي وجعلوها من قريش، فقد جعلوا المهدي من الأئمة وحرّفوا اسمه ونسبه وغيروا اسم أبيه، وانتسابه إلى الحسين عليه السلام، وجعلوا المهدي لأناس لا يستحقّون الانتساب إلى الإسلام فضلاً عن كونهم من المؤمنين أو الأئمة الطاهرين. وفي هذا الإطار هنالك بحث مفصّل للعلامة الشيخ علي الكوراني في كتابه المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام نوره هنا لتعم الفائدة، وهو تحت عنوان «تحريف البشارة النبوية وادّعاء المهديّة»!

١ - قال النبي ﷺ: (من عترتي) فجعلوها (من أمتي)

هذا الحديث الصحيح الذي رواه الحافظ الإمام ابن المنادي (ص ٤١) قال: أخبرنا عبدالرزاق بن همام قال: قلت لسعيد بن المسيب: أحقّ المهدي؟ قال: حقّ، قال: قلت: ممّن هو؟ قال: من قريش، قلت: من أيّ قريش؟ قال: من بني هاشم، قلت: من أيّ بني هاشم؟ قال: من بني عبدالمطلب، قلت: من أيّ

(١) الكافي: ١/٢٠٦.

معرفة النسب والاسم ٢٤٣

عبدالمطلب؟ قال: من ولد فاطمة، قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن؟^(١)

وسبب كتمان ابن المسيب لحديث رسول الله ﷺ أن مدح أهل البيت (عليهم السلام) كان جريمة عند السلطة، فهو يخاف منهم، كما يخاف من مدعي المهدي أن يكذبهم!

والنتيجة: أن تخوف الرواة من رواية الأحاديث النبوية التي تحدّد هوية الإمام المهدي عليه السلام وتغيير عترتي بأمتي كان ضرورياً للخليفة وأتباعه، كما ترى في صحيح ابن حبان (٨: ١١)، ومسند أبي يعلى (٢: ٢٩١) عن عبدالله ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «يخرج رجل من أمتي يواطئ اسمه اسمي، وخلقه خلقي، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

والطبراني الكبير (١٠: ١٦٨) عن ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الأيام والليالي، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم حتى يبعث الله رجلاً من أمتي، يواطئ اسمه» وغيره وغيره.

(١) ورواه في فرائد فوائد الفكر: ٦٥ عن قتادة، وابن طاوس: ١٦٤ وطبعة: ٣٢٠ و٣٤٤، عن فتن زكريّا، ورواه في ينابيع المودة ٣: ٢٦٢، والسيد الميلاني في شرح منهاج الكرامة ١: ٢٥٥، عن شرح المواقف ٥: ٣٤٢، وشرح المقاصد ٨: ٢٣٢، وفي جميعها: قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن، انتهى.

٢٤٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ومرّة تجد التحريف عن ابن عمر ومرّة عن ابن عمرو ومرّة منسوباً إلى ابن مسعود! وحتىّ لأبي سعيد الخدري المعروف بصدقه وجرأته، حتّى أنّه رفض البيعة ليزيد فتتفّ زبانيته كلّ شعر وجهه في وقعة الحرّة!

قال الداني في سننه (ص ١٠٠) عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «يُخرج رجل من أمتي يعمل بسّتي، ينزل الله له البركة من السماء، وتخرج له الأرض بركتها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

وروى تلميذه أبو الصديق الناجي أنّه كان يتذكّر حديث النبي ﷺ ويبيكي، قال: قال أبو سعيد الخدري وهو قاعد في أصل منبر النبي ﷺ وله حنين! قلت: ما يبكيك؟ قال: تذكّرت النبي ﷺ ومقعده على هذا المنبر، قال: «إنّ من أهل بيتي الأتقى الأجل، يأتي الأرض وقد ملئت ظلماً وجوراً فيملؤها قسطاً وعدلاً»^(١).

ولك أن تفسّر بكاءه حنيناً إلى النبي ﷺ وشوقاً إلى المهدي عليه السلام من العترة النبويّة المظلومة (عليهم السلام)! وتعرف أنّ عليك أن تضع كلمة (عترتي) بدل (أمتي) في كلّ حديث اعتدت فيه الخلافة على حقّ العترة!

٢ - غيّرُوا (اسمه اسمي) إلى (يواطي اسمه اسمي)!

كنت أقرأ في أحاديثهم أنّ النبي ﷺ قال: «يواطي اسمه اسمي» فأتساءل: هل يمكن أن يعبر النبي ﷺ بتعبير من يظنّ ظناً وهو صاحب علم ويقين، وهل

(١) سنن الداني: ٩٣.

يريد أن يبههم، ويقول: «اسمه قريب من اسمي»، لكن هل للنبي ﷺ غرض في إبهام اسم المهدي عليه السلام! وعندما تتبعت أحاديث أهل البيت الصادقين الطاهرين (عليهم السلام) وجدت نصوصهم كلها «اسمه اسمي» وليس فيها أثر لكلمة يواطي أو يقارب أو يوافق!

ففي كمال الدين (١: ٢٨٦) عن جابر (رحمه الله) قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخُلُقاً، تكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً» انتهى.

فإذن عند مَنْ يدّعي المهديّة لمعاوية وموسى بن طلحة أن يزحزحوا اسم المهدي عن اسم النبي ﷺ إلى ما يواطيه أي يوافقه أو يقاربه، ليجعلوا اسم موسى ومعاوية موافقين له في المعنى! والملاحظ أنّ الرواة عن ابن مسعود هم الذين اخترعوا «يواطي»!

قال ابن المنادي في سننه (ص ٤١): سألت عاصم بن أبي النجود فقلت له: يا أبابكر، أذكرت زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتنقضي الدنيا حتّى يملك الأرض رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي؟»

٢٤٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فقال: نعم، وكذلك خليفة (١)، انتهى. ولعلّ تحريفهم بدأ بجعل: اسمه اسمي:

اسمه كإسمي.. يوافق اسمي.. يواطي اسمي!

بينما رواية حذيفة تقول «اسمه اسمي»، كما في عقد الدرر (ص ٢٤) عن أبي نعيم في صفة المهدي قال: وعن حذيفة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكرنا رسول الله بما هو كائن ثم قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله عز وجل ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي»، فقام سلمان الفارسي (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، من أي ولدك؟ قال: «من ولدي هذا - وضرب بيده على الحسين -» انتهى.

٣- أضافوا إلى النصّ النبوي: (واسم أبيه اسم أبي)!

والد الإمام المهدي هو الإمام الحسن، المعروف بالعسكري لأنّ الخلافة فرضت عليه وعلى أبيه الإمام الهادي (عليهما السلام) الإقامة الجبريّة في عاصمتها سامراء، وكان اسمها العسكري، فعرف كلّ منهما باسم: «العسكريين». لكن المعروف عند أتباع المذاهب السنيّة أنّ اسم المهدي اسم النبي ﷺ واسم أبيه عبدالله، على اسم والد النبي ﷺ.

وقد جاءهم ذلك من مدّعي المهديّة لمن اسم أبيه عبدالله، ومن أقدمهم المهدي الحسني محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى، والمهدي العبّاسي محمد بن عبدالله المنصور الدوانيقي!

(١) الطبراني الكبير ١٠: ١٦١، ابن المنادي: ٤١ عن ابن مسعود.

وقد تعصّب لهذه الزيادة أتباع ابن تيمية، وزادوا عليها إلغاء كافة الأحاديث التي تنصّ على أنّ المهدي عليه السلام من أولاد علي وفاطمة (عليهما السلام)، ليفسحوا المجال بذلك لمهديهم محمد بن عبد الله غير الهاشمي! مثلاً، قامت حركة محمد بن عبد الله العتيبي في مطلع القرن الخامس عشر عام ١٤٠٠ هجرية على ادّعاء أنّه هو المهدي الموعود، وسيطر على الحرم المكيّ لعدة أيام وكان قائده العسكري أخ زوجته جهيمان، ودعا المسلمين إلى بيعة صهره المهدي محمد بن عبد الله العتيبي! وقد قتل هذا المهدي المسكين وصهره ولم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً!

ثم ادّعى السلفيون المهديّة لشخص آخر من بريدة اسمه محمد بن عبد الله، مازال حيّاً، ولعلّه من قبيلة هوازن، وزعموا أنّ فيه صفات الإمام المهدي عليه السلام وأخذوه إلى مفتيهم الأكبر ابن باز وكلّمه وامتحنه فأعجبه ووافقهم على انطباق الصفات عليه وتمنّى له التوفيق! وقد نشرت هذا الخبر مواقعهم قبل نحو سنتين من وفاة شيخهم ابن باز، ولم نقرأ عن مهدي بريدة بعد ذلك إلّا أنّهم أخذوه إلى الشيشان وأفغانستان لتنطبق عليه الرواية الصحيحة عندهم أنّه يخرج من المشرق!

لكن الصحيح أنّ الإمام المهدي عليه السلام يخرج من مكّة، ومعنى يبدأ أمره من المشرق: تبدأ حركة أنصاره الممهدين أصحاب الرايات السود وأهل المشرق.

ويظهر أنّ أصل هذه الزيادة من نصّ نسبه الراوي إلى عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث

٢٤٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

رجلاً من أهلي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه إسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

لكنها لم ترد في مصادر أساسية معتمدة عندهم، ففي مسند أحمد (١:٣٧٦) بروايتين عن زر بن حبیش، عن عبدالله: قال رسول الله ﷺ: «لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب...» وليس فيه: واسم أبيه اسم أبي.

وفي الروض الداني على المعجم الصغير (٢: ٢٩٠)، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً».

ومثله جامع الأحاديث للسيوطي (٧: ٢٦٤) بروايتين عن ابن مسعود أيضاً، ولفظهما: «لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي».

ومسند البزار (٥: ٢٢٥)، وزين الفتى (١: ٣٨٢)، وأبو داود (٤: ١٠٦) بثلاثة أسانيد أخرى عن عبدالله بن مسعود، وليس فيها: اسم أبيه اسم أبي. والترمذي (٤: ٥٠٥) كرواية أحمد الثانية.

(١) ورواه ابن حماد ١: ٣٦٧، ابن أبي شيبة ١٥: ١٩٨، الطبراني في الأوسط ٢: ١٣٥، الداني: ٩٤، العلل المتناهية ٢: ٨٥٦، تاريخ بغداد ٥: ٣٩١، بتفاوت في رواياتهم لكن فيها كلها: واسم أبيه اسم أبي. ورواها غيرهم وغيرهم.

والطبراني الكبير (١٠: ١٦٦)، والداني (ص ٩٨) كأبي داود بتفاوت، عن
عبدالله بن مسعود.

ومصاييح البغوي (٣: ٤٩٢)، وجامع الأصول (١١: ٤٨) بدون: اسم أبيه
اسم أبي.

والاعتقاد للبيهقي (ص ١٧٣) رواه عن علي بدونها، ثم قال: ورواه عاصم
بن أبي النجود عن زر بن حبیش، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ، وذكر
فيه: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي.

وقد نقد بعض كبار علمائهم هذه الزيادة كالشافعي في البيان (ص ٤٨٢) قال:
«أخبرنا الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري في
كتاب مناقب الشافعي ذكر هذا الحديث وقال فيه: وزاد زائدة في روايته لو لم يبق
من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً مني، أو من أهل
بיתי يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما
مُلئت جوراً وظلماً. قلت: وذكر الترمذي الحديث ولم يذكر قوله واسم أبيه اسم
أبي. وقال في مشكاة المصابيح (٣: ٢٤): رواه الترمذي وأبو داود وليس فيه
واسم أبيه اسم أبي، وفي معظم روايات الحفاظ والثقات من نقلة الأخبار اسمه
اسمي فقط، والذي رواه اسم أبيه اسم أبي فهو زائدة وهو يزيد في الحديث،
والقول الفصل في ذلك أن الإمام أحمد مع ضبطه وإتقانه روى هذا الحديث في
مسنده في عدة مواضع واسمه اسمي».

٢٥٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقال السلمي في عقد الدرر (ص ٢٧): أخرج جماعه من أئمة الحديث في كتبهم منهم الإمام أبو عيسى الترمذي في جامعه، والإمام أبو داود في سننه، والحافظ أبوبكر البيهقي، والشيخ أبو عمرو الداني، كلهم هكذا، وليس فيه: واسم أبيه اسم أبي، انتهى.

أقول: يوجد عدة رواة اسم كل منهم زائدة وبعضهم ابن أبي زائدة، ولم أصل إلى تحديد زائدة الذي زاد «واسم أبيه اسم أبي» وأشهرهم زائدة بن قدامة ولا ينطبق عليه كلامهم، ولعلهم يقصدون: زائدة مولى عثمان بن عفان، روى عن سعد بن أبي وقاص، وروى عنه أبو الزناد، وقال عنه أحمد: حديثه منكر^(١). وفائدة تعيينه معرفة حاله وصلته بمدعي المهديّة الذين كذب لحسابهم كمعاوية وموسى بن طلحة، ومن بعدهما من العبّاسيّين والحسنيّين.

ومع شهادتهم بأنّ الزيادة موضوعة، لا تبقى حاجة لمحاولة بعضهم تأويلها كالشبلنجي والأربلي والهروي والنوري والمجلسي وغيرهم، حيث قالوا: ربّما كان أصلها: واسم أبيه اسم نبي، أو اسم ابني أي الحسن، ثمّ صحّفت كلمة نبي أو ابني بأبي، ولكن ذلك كلّ تكلف بعد طعنهم بزائدها!

هذا، وقد يستشكل على بعض علماء الشيعة بأنّه أورد هذه الزيادة في بعض ما رواه، لكن ذلك دليل على أمانته في النقل، كالطوسي وابن طاووس وغيرهم، فقد روى ابن الشيخ الطوسي (رحمه الله) في أماليه (١: ١٣٦) بسنده عن أبيه (رحمه

(١) الجرح والتعديل للرازي ٣: ٦١١، كامل ابن عدي ٣: ٢٢٨.

الله) عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: قال أبي: دفع النبي ﷺ الراية يوم خيبر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ففتح الله عليه، وأوقفه يوم غدير خم فأعلم الناس أنّه مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال له... في حديث طويل جاء فيه: ثمّ بكى النبي ﷺ، فقيل: ممّ بكائك يا رسول الله؟ قال: «أخبرني جبرئيل أنّهم يظلمونه ويمنعونه حقّه ويقاتلونه ويقتلون ولده ويظلمونهم بعده، وأخبرني جبرئيل عن الله عزّ وجلّ أنّ ذلك الظلم يزول إذا قام قائمهم وعلت كلمتهم، واجتمعت الأُمّة على محبتهم، وكان الشانئ لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً، وكثر المادح لهم، وذلك حين تغير البلاد وضعف العباد والإياس من الفرج، وعند ذلك يظهر القائم منهم». فقيل له: ما اسمه؟ قال النبي ﷺ: «اسمه كاسمي، واسم أبيه كاسم أبي، هو من ولد ابنتي، يظهر الله الحقّ بهم، ويحمد الباطل بأسيافهم، ويتبعهم الناس بين راغب إليهم وخائف منهم». قال: وسكن البكاء عن رسول الله ﷺ فقال: «معاشر المؤمنين أبشروا بالفرج فإنّ وعد الله لا يخلف وقضائه لا يردّ وهو الحكيم الخبير، فإنّ فتح الله قريب. اللهمّ إنهم أهلي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. اللهمّ اكلاًهم وارعهم، وكن لهم وانصرهم وأعزهم وأعزهم ولا تدلهم واخلفني فيهم، إنّك على كلّ شيء قدير» (١).

٢٥٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أقول: فلا يُتوهم أنّها يؤيدان هذه الزيادة، فقد نصّا كغيرهم من علمائنا على أنّ اسم أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، بل هو من ضرورات مذهبنا. على أنّ أمثال هذه الزيادة في الشاذّ من رواياتنا قد تكون من رواة من غير مذهبنا، وبعضهم استبصر وبقي تأثره برواياتهم، فتسرّبت إلينا نصوص من روايته!

٤ - (من وُلد الحسين) جعلوها (من وُلد الحسن)!

وقد وثّقنا في المجلّد الثالث من جواهر التاريخ استغلال الأمويين ورواتهم صلح الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية، ومحاولتهم أن يصوّروه مخالفاً لأبيه وأخيه (عليهم السلام) وأنّه كان معارضاً لحرب الجمل وصفين، وأنّه أوصى الحسين أن لا يخرج على بني أميّة! ورووا أحاديث ظاهرها المدح له وغرضها التعريض بأبيه وأخيه (عليهما السلام)!

ومن أعمالهم هنا أنّهم انتقموا من الحسين عليه السلام فصادروا منه أنّ المهدي عليه السلام من ولده وأعطوه للإمام الحسن عليه السلام! ولكي يؤكّدوا كذبهم روه عن علي عليه السلام! قال ابن حمّاد (١: ٣٧٤): عن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: سمّي النبيّ صلّى الله عليه وآله الحسن سيّداً، وسيخرج الله من صلبه رجلاً اسمه اسم نبيّكم، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(١).

(١) ورواه أبو داود في سننه ٤: ١٠٨، ونصّه (عن أبي إسحاق، قال: قال عليّ ونظر إلى ابنه

الحسن. فقال: إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسيخرج من صلبه رجل يسمّى

وقد تمسك أتباع الخلافة بهذا الحديث وطبل به أتباع بني أمية وشتموا به الشيعة! وأغمضوا عيونهم عما يعارضه، بل عن روايتهم للحديث نفسه بلفظ: «قال عليّ ونظر إلى ابنه الحسين»، واحتمال التصحيف وارد بين اسم الحسن والحسين (عليهما السلام)!

قال المناوي في فيض القدير (٦: ٣٦٢): قال السمهودي: ويتحصّل ممّا ثبت في الأخبار عنه أنّه من ولد فاطمة، وفي أبي داود أنّه من ولد الحسن، والسّر فيه ترك الحسن الخلافة لله شفقة على الأمّة، فجعل القائم بالخلافة بالحقّ عند شدّة الحاجة وامتلاء الأرض ظلماً من ولده، وهذه سنّة الله في عباده أنّه يعطي لمن ترك شيئاً من أجله أفضل ممّا ترك أو ذرّيته، وقد بالغ الحسن في ترك الخلافة ونهى أخاه عنها، وتذكّر ذلك ليلة مقتله فترحم على أخيه! وما روي من كونه من ولد الحسين فواه جدّاً^(١)، انتهى.

→

باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق. ثم ذكر قصّة يملأ الأرض عدلاً).
وجامع الأصول ١١: ٤٩، مختصر أبي داود ٦: ١٦٢، وعنهما عقد الدرر: ٢٣، مشكاة
المصابيح ٣: ٢٦، فتن ابن كثير ١: ٣٨، الحاوي ٢: ٥٩، عون المعبود ١١: ٣٨١، عقيدة
أهل السنّة: ١٦.. الخ.

(١) ونحوه ٨: ٢٥٨.

٢٥٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقال ابن تيمية في منهاجه ٤ : ٩٥ : «المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ اسمه محمد بن عبدالله، لا محمد بن الحسن، وقد روى عن علي (رضي الله عنه) أنه قال هو من ولد الحسن بن علي، لا من ولد الحسين بن علي».

وزاد تلميذه ابن قيم في المنار المنيف (ص ١٥١) فقال: القول الثالث: أنه رجل من أهل بيت النبي ﷺ من ولد الحسن بن علي يخرج في آخر الزمان وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً فيملؤها قسطاً وعدلاً، وأكثر الأحاديث على هذا تدل، وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو أن الحسن رضي الله تعالى عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض وهذه سنة الله في عباده أنه من ترك لأجله شيئاً أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه. وهذا بخلاف الحسين (رضي الله عنه) فإنه حرص عليها وقاتل عليها فلم يظفر بها^(١)!

وأفضل ما وجدته في الرد عليهم ما كتبه السيد الميلاني في مجلة تراثنا (عدد ٥٩/٤٣) قال: لا يخفى أن هذا الحديث يؤيد النتيجة المتفق عليها بين أهل الإسلام، وهي كون المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان هو من ولد فاطمة (عليها السلام) كما تقدم في أول البحث، وهو مقيد لما في تلك النتيجة من

(١) راجع أيضاً فرحتهم بهذا الحديث وتطويلهم به في: صواعق ابن حجر ٢ : ٤٨٠ و ٦٨٠،

الحاوي ٢ : ٨٥، الفتاوى الحديثية: ٣٠، عون المعبود ١١ : ٢٥٦، فائق الزخشري ١ :

٢٣٠، السيرة الحلبية ١ : ٣١٤، غريب الحديث لابن قتيبة ١ : ٣٥٩.

إطلاق... وليس فيه اختلاف أو تعارض معها، بل التعارض الظاهر فيه إنما هو لأحاديث كون المهدي من ولد السبط الشهيد الإمام أبي عبدالله الحسين ابن عليّ (عليهما السلام)... وأوّل ما يلحظ عليه:

١ - إنّه لم يخرج له أحد من المحدثين غير أبي داود، لا قبله ولا بعده، وكلّ من أوردته من المتأخرين عن عصر أبي داود فهو نقله عنه.

٢ - اختلاف النقل عن أبي داود في هذا الحديث، فقد قال الجزري الشافعي (ت ٨٣٣هـ) في كتابه أسمى المناقب بعد أن ذكر ما يخصّ كون المهدي من ذرية الإمام الحسن (عليه السلام) ما هذا نصّه: والأصحّ أنّه من ذرية الحسين بن علي لنصّ أمير المؤمنين علي على ذلك في ما أخبرنا به شيخنا المسند رحلة زمانه عمر بن الحسن الرقي قراءة عليه قال: أنبأنا أبو الحسن البخاري، أنبأنا عمر بن محمّد الدارقزي، أنبأنا أبو البدر الكرخي، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو عمر الهاشمي، أنبأنا أبو علي اللؤلؤي، أنبأنا أبو داود الحافظ قال: حدّث عن هارون بن المغيرة قال: حدّثنا عمر بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق: قال عليّ ونظر إلى ابنه الحسين... هكذا رواه أبو داود في سننه وسكت عنه.

٣ - الحديث منقطع ولا حجة في المنقطع لأنّ من رواه عن عليّ (عليه السلام) هو أبو إسحاق والمراد منه السبيعي، وهو ممّن لم تثبت له رواية واحدة سماعاً عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) لأنّه رأى عليّاً رؤية كما نصّ عليه المنذري في

٢٥٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

شرح حديث أبي داود: وكان عمر السبيعي عند شهادة
أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٤٠ هـ سبع سنين، لأنّه ولد كما في قول ابن حجر
لسنتين بقيتا من خلافة عثمان.

٤ - الحديث بالإضافة إلى انقطاعه فقد رواه أبو داود عن مجهول لم يسمّه
حيث قال كما مرّ: «حُدِّثَ عن هارون» ثمّ ساق الحديث، وهذا وحده
يكفي لإبطاله! على أنّ السيّد صدر الدين الصدر قد ناقش هذا الحديث
ورده بسنّة وجوه، فقال ما نصّه:

أقول: بحسب القواعد المقرّرة في أصول الفقيه لا يصحّ الاستناد إلى رواية أبي
داود المذكورة لأُمور:

الأوّل: اختلاف النقل عن أبي داود ففي عقد الدرر نقلها عن أبي داود في
سننه وفيها: أنّ عليّاً نظر إلى ابنه الحسين.

الثاني: أنّ جماعة من الحفاظ نقلوا هذه القصّة بعينها وفيها: أنّ عليّاً نظر إلى
ابنه الحسين. كالترمذي، والنسائي، والبيهقي كما في عقد الدرر.

الثالث: احتمال التصحيف فيها فإنّ لفظ الحسين والحسن في الكتابة ووقوع
الاشتباه فيه قريب جدّاً سيّما في الخطّ الكوفي.

الرابع: أنّها مخالفة لما عليه المشهور من علمائهم كما نصّ عليه بعضهم.

الخامس: أنّها معارضة بأخبار كثيرة أصحّ سنداً وأظهر دلالة.

السادس: أنَّ احتمال الوضع وكونها صنعة الدرهم والدينار قريب جداً، تقريباً إلى محمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية» انتهى. وذكر في هامشه مصادر أحاديث أنه من ولد الحسين عليه السلام (١).

أقول: يظهر لك شكّ علمائهم في زعمهم بأنّه من ولد الحسن عليه السلام، حيث حاولوا الصلح بين النصّين فقالوا إنّه حسني وأمّه حسينيّة أو بالعكس! ففي فوائد الفكر (ص ١٠١): «فقال سلمان: من أيّ ولدك هو؟ قال: من ولد ابني هذا وضرب على الحسين... ولعلّ الجمع بينهما أنّ أباه من ذريّة أحدهما، وأمّه من ذريّة الآخر، فتأمل» انتهى.

(١) قال: انظر: المنار المنيف: ١٤٨ الرقم ٣٢٩ فصل ٥٠ عن المعجم الأوسط للطبراني، عقد الدرر: ٢٤ باب ١، عن كتاب الأربعين لأبي نعيم الأصبهاني، ذخائر العقبى: ١٣٦، وقد جعل حديث المهدي من ولد الإمام الحسين عليه السلام مقيداً لما أُطلق قبله، فرائد السمطين ٢: ٣٢٥ رقم ٥٧٥ باب ٦١، القول المختصر: ٧: ٣٧ باب ١، فرائد فوائد الفكر: ٢ باب ١، السيرة الحلبية ١: ١٩٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي الحنفي ١: ١٩٦، ينابيع المودة: ٢٢٤ باب ٥٦ و ٤٩٢، كشف الغمّة ٣: ٢٥٩، كشف اليقين: ١١٧، إثبات الهداة ٣: ٦١٧ رقم ١٧٤ باب ٣٢، حلية الأبرار ٢: ١٠٧ رقم ٥٤ باب ٤١، غاية المرام: ٦٩٤ رقم ١٧ باب ١٤١، منتخب الأثر: ١٥٤ رقم ٤٠ باب ١، وفيه أحاديث كثيرة جداً من طرق أهل السنّة تثبت كون الإمام المهدي من ولد الحسين، وأنّ أباه هو الحسن العسكري عليه السلام، انتهى.

٢٥٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أمّا مصادرنا، فهي صريحة متواترة بأنّ النبي ﷺ نصّ على أنّ الأئمة التسعة المعصومين هم من ذرية الحسين لا من ذرية الحسن (عليهم السلام).

وفي كمال الدين (٢: ٣٥٨) عن المفصل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة/ ١٢٤]؟ ما هذه الكلمات؟ قال: «هي الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، وهو أنّه قال: أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ، فتاب الله عليه أنّه هو التّوّاب الرحيم».

فقلت له: يا ابن رسول الله، فما يعني عزّ وجلّ بقوله «فأتمهنّ»؟ قال: «يعني فأتمهنّ إلى القائم اثني عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين عليه السلام».

قال المفصل: فقلت: يا ابن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف/ ٢٨]؟ قال: «يعني بذلك الإمامة جعلها الله تعالى في عقب الحسين إلى يوم القيامة».

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله، فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن عليهما وهما جميعاً ولدا رسول الله ﷺ وسبطاه وسيّدا شباب أهل الجنّة؟ فقال: «إنّ موسى وهارون كانا نبيّين مرسلين وأخوين، فجعل الله عزّ وجلّ النبوّة في صلب هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد أن يقول لم فعل الله ذلك؟ وإنّ الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ في أرضه وليس لأحد أن يقول: لم

جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن عليه السلام لأن الله تبارك وتعالى هو الحكيم في أفعاله، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء/٢٣] ^(١).

ولا ينافي الاختيار الإلهي ما رواه في تفسير العياشي (٢: ٧٢) عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن خروج الإمامة من ولد الحسن إلى ولد الحسين كيف ذلك؟ وما الحجة فيه؟ قال: «لما حضر الحسين ما حضره من أمر الله لم يجز أن يردّها إلى ولد أخيه ولا يوصي بها فيهم، يقول الله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال/٧٥] فكان ولده أقرب رحماً إليه من ولد أخيه، وكانوا أولى بالإمامة، وأخرجت هذه الآية ولد الحسن منها، فصارت الإمامة إلى الحسين، وحكمت بها الآية لهم فهي فيهم إلى يوم القيامة» لأنّه يدلّ على أنّ الله تعالى أجرى اختياره للإمامة على حكمه بأولوية الرحم في الإرث.

(١) ومثله: معاني الأخبار: ١٢٦، الخصال: ٣٠٤، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٨٣، مجمع البيان ١: ٢٠٠، إرشاد القلوب: ٤٢١، تأويل الآيات ١: ٧٧، إثبات الهداة ١: ٦٤٥، البحار ١١: ١٧٧.

٢٦٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

٥ - معاوية أول من ادّعى أنّه المهدي الموعود!

قال ابن حمّاد في الفتن (١ : ٣٧٠) «عن الوليد بن هشام المعيطي، عن أبان ابن الوليد قال: سمعت ابن عبّاس وهو عند معاوية يقول: يبعث الله المهدي منّا أهل البيت».

أقول: هذا هو السبب في ادّعاء معاوية أنّه المهدي ردّاً على مهدي بني هاشم! روى السيّد ابن طاوس (رحمه الله) في الملاحم والفتن (ص ١١٥، وطبعة ص ٢٣٨) عن الطبري المؤرّخ المعروف، في كتابه (عيون أخبار بني هاشم) الذي صنّفه للوزير عليّ بن عيسى بن الجراح، قال ابن طاوس (رحمه الله): وجدته ورويته من نسخة عتيقة ظاهر حالها أنّها كتبت في حياته، فقال ما هذا لفظه: ذكر المهدي والإمام، قال: وبإسناده: إنّ معاوية أقبل يوماً على بني هاشم فقال: إنّكم تريدون أن تستحقّوا الخلافة بما استحققتكم به النبوة ولم يجتمعا لأحد، ولعمري إنّ حجّتكم في الخلافة مشبهة على الناس! إنّكم تقولون نحن أهل بيت الله فما بال النبوة محلّها فينا والخلافة في غيرنا؟ وهذه شبهة لها تمويه، وإنّا سمّيت الشبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ حتّى تعرف، وإنّا الخلافة تنقلب في أحياء قريش برضا العامّة وشورى الخاصّة فلم يقل الناس ليت بني هاشم ولّونا، وإنّ بني هاشم لو ولّونا لكان خيراً لنا في ديننا ودنيانا، فلا هم اجتمعوا على غيركم يمنعوكم، ولو زهدتهم فيها أمس لم تقاتلوننا عليها اليوم؟ وقد زعمتم أنّ لكم ملكاً هاشمياً ومهدياً قائماً، والمهدي عيسى بن مريم، وهذا الأمر في أيدينا حتّى نسلّمه إليه،

ولعمري لئن ملكتم ما ريح عاد ولا صاعقة ثمود بأهلك للناس منكم، ثم سكت!

فقام فيهم عبدالله بن عباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا قولك إنّنا لانستحقّ الخلافة بالنبوة فإذا لم نستحقّ الخلافة بالنبوة فبم نستحقّ؟! وأمّا قولك إنّ الخلافة والنبوة لم يجتمعا لأحد، فأين قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٥٤]؛ فالكتاب النبوة، والحكمة السنّة، والملك الخلافة، ونحن آل إبراهيم أمر الله فينا وفيهم واحد، والسنّة فينا وفيهم جارية.

وأمّا قولك: إنّ حجّتنا مشبهة فهي والله أضوأ من الشمس وأنور من القمر، وإنّك لتعلم ذلك ولكن ثنى عطفك وصعّر خدك قتّلنا أخاك وجدك وعمك وخالك فلا تبك على عظام حائلة وأرواح وزائلة في الهاوية، ولا تغضبنّ لدماء أحلّها الشرك ووضعها الإسلام.

فأمّا ترك الناس أن يجتمعا علينا، فما حرموا منّا أعظم ممّا حرّمنا منهم، وكلّ أمر إذا حصل حاصله ثبت حقّه وزال باطله!

وأمّا قولك إنّنا زعمنا أنّ لنا ملكاً مهدياً فالزعم في كتاب الله شكّ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنَا يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن/ ٧] فكلّ يشهد أنّ لنا ملكاً وأنّ لنا مهدياً لو لم يبق إلاّ يوم واحد لبعثه الله لأمره يملأ

٢٦٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، لا تملكون يوماً إلا ملكنا يومين، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين، ولا حولاً إلا ملكنا حولين!

وأما قولك إن المهدي عيسى بن مريم، فإنما ينزل عيسى على الدجال فإذا رآه ذاب كما تذوب الشحمة، والإمام رجل منّا يصليّ عيسى خلفه ولو شئت سمّيته. وأما ريح عاد وصاعقة ثمود فإنّها كانتا عذاباً وملكنا رحمة^(١).

لكن معاوية لم يكتف بذلك، بل رتب من يروي له أن النبي ﷺ دعا له ووصفه بأنّه الهادي المهدي! فصرت ترى في مسند أحمد (٤: ٢١٦) عن عبدالرحمن بن أبي عميرة الأزدي عن النبي ﷺ أنه ذكر معاوية وقال: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به^(٢).

ثم رتب معاوية شهادات علماء البلاط أو الخوافين من سوط البلاط بأنّ معاوية هو المهدي الموعود! ففي تاريخ دمشق (٥٩: ١٧٢) عن الأعمش عن مجاهد قال: لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي^(٣).

وقد ضعّف خلال نسبة هذين القولين إلى قتادة ومجاهد، فقال في السنّة (٢): (٤٣٨): عن قتادة قال: لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم: هذا المهدي. في إسناده عمرو بن جبلة لم أتوصّل إلى معرفته، أخبرنا محمد بن سليمان

(١) ومثله في: أمالي المفيد: ١٤، وعنه كشف الغمّة ٢: ٥١.

(٢) ورواه الترمذي ٥: ٣٥٠ وغيره من مصادر حديثهم.

(٣) وفي: نهاية ابن كثير ٨: ١٤٣.

بن هشام قال ثنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن مجاهد قال: لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي. إسناده ضعيف». كما ضعف الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٧: ٩) نسبة ذلك إلى الأعمش أيضاً، قال: «وعن الأعمش قال: لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي. رواه الطبراني مرسلاً، وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف» انتهى.

لكن ابن تيمية الأموي أكثر من بني أمية لم يهتم لتضعيف الخلال والهيثمي وصحح ذلك في منهاجه (٢٣٣: ٦)، فقال: «يونس عن قتادة قال: لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي، وكذلك رواه ابن بطّة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد، قال: لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي! عن أبي إسحاق يعني السبيعي أنه ذكر معاوية فقال: لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم كان المهدي!

كما ضرب بعرض الحائط شهادة إمامه عبدالله بن عمرو بن العاص بأن معاوية لا كرامة له حتى يوصف بأنه المهدي! فقد روى ابن طاوس في الملاحم (ص ٣٢٦) أن عبدالله بن عمرو ذكر المهدي فقال أعرابي: هو معاوية بن أبي سفيان! فقال عبدالله بن عمرو: لا ولا كرامة، بل هو الذي ينزل عليه عيسى بن مريم» انتهى.

٢٦٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقال الحافظ السَّقَّاط في تناقضات الألباني الواضحات (٢: ٢٢٩): أورد الألباني حديث عبدالرحمن بن أبي عميرة مرفوعاً: «اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به» يعني معاوية، وهذا حديث لا يصحّ بحال لوجوه:

أولاً: قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣: ١٣٢)، عن إسحاق بن راهويه أنه قال: «لا يصحّ عن النبي ﷺ في فضل معاوية شيء».

ثانياً: هذا الحديث بالخصوص نصّ حدّاق المحدثين على أنّه لا يصحّ. قال أبو حاتم الرازي كما في علل الحديث لابنه (٢: ٣٦٢) أنّ عبدالرحمن بن أبي عميرة لم يسمع هذا الحديث من النبي ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٦: ٢٢٠) نقلاً عن الحافظ ابن عبدالبرّ أنّ عبدالرحمن بن أبي عمير هذا لا تصحّ صحبته، ولا يثبت إسناده حديثه!

ثالثاً: طرق هذا الحديث تدور على سعيد بن عبدالعزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن عبدالرحمن بن عميرة به، وسعيد بن عبدالعزيز اختلط كما أقرّ واعترف هناك الألباني، وقد زعم الألباني أنّه قد تابعه جمع! ولم يصدق! لأنّ من رجع إلى المتابعات التي زعمها في كتابه وجدها كلّها تدور على سعيد ابن عبدالعزيز، وسعيد هذا اختلط كما قال أبو مسهر، وكذا قال أبو داود ويحيى بن معين كما تجد ذلك في التهذيب (٤: ٥٤)، وقد اعترف الألباني باختلاطه في مواضع منها في

ضعيفته (٣: ٣٩٣)، ومنها في صحيحته (٢: ٦٤٧) وغير ذلك فكيف يصحّ هذا أيضاً؟! فما على الألباني إلا أن ينقل الحديث للضعيفة (١)!

أقول: يكفي للجواب على زعم معاوية وأتباعه كابن تيمية والألباني، أن يقال لهم: ما بال إمامكم معاوية المهدي لم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؟! (بل ملأها ظلماً وجوراً وأخرج الناس من الدين أفواجاً كما قالت له تلك المرأة..).

لكن مشكلة مبغضي أهل البيت (عليهم السلام) أنهم يرون أنفسهم مضطّرين أن يصادروا البشارة النبوية بالمهدي عليه السلام من أهل البيت (عليهم السلام) ويرووا النصّ الأموي الذي يقول: «المهدي رجل من أمّتي»، لينطبق على معاوية، أو أيّ ناصبي آخر!

٦ - موسى بن طلحة ثاني من ادّعى أنّه المهدي الموعود!

كان عند عائشة مشروع في زمن أبيها أن تبقى الخلافة لبني تيم، لأخيها عبدالرحمن بن أبي بكر، فإن لم يمكن فلا بن عمّها طلحة بن عبيدالله التيمي.

لكنّها تفاجأت هي وطلحة بموت أبي بكر مسموماً وأنّه أوصى إلى عمر، فدخل طلحة على أبي بكر غاضباً معترضاً: (لما استخلفه أبوبكر كره خلافته

(١) راجع أيضاً تحقيق السقّاف لكتاب دفع شبه التشبيه بأكفّ التنزيه لابن الجوزي: ٢٣٥.

٢٦٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

طائفة حتّى قال له طلحة: ماذا تقول لربّك إذا وليت علينا فظّاً غليظاً؟! فقال:
أبالله تخوّفوني؟! أقول: وليت عليهم خير أهلك^(١).

لكن عائشة رغم ذلك واصلت عملها، لأنّها اعتبرت أنّها خسرت جولةً فقط
ولم تخسر المشروع! لكن غاية ما حقّقه في عهد عمر أنّها أدخلت طلحة
في الشورى، التي ولدت ميتة لأنّه أعطى حقّ النقض فيها لعبدالرحمن بن عوف
صهر عثمان!

أمّا في عهد عثمان فاصطدمت به وأطلقت شعارات شديدة ضدّه حتّى دعت
إلى عزله أو قتله، وكان حسابها مبنياً على مكانة أبي بكر ومكانتها، وأنّ طلحة من
كبار الصحابة وصاحب ثروة كبيرة، فهو يستطيع بمساعدة ابنة عمّه أمّ المؤمنين
أن يطرح نفسه بعد عثمان، ويقنع الصحابة ببيعته! لكنّها فوجئت مرّة أخرى
ببيعة الصحابة لعليّ^{عليه السلام}، فغضبت وقادت حرباً ضدّه هي وطلحة والزبير،
لكنّها سرعان ما خسرتها وخسرت ابن عمّها طلحة وزوج أختها الزبير.

وعندما جاءت موجة معاوية اختارت عائشة المعارضة الهادئة معه، ثمّ
صعدتها هي وأخوها عبدالرحمن، كما أوضحناه في المجلّد الثاني من جواهر
التاريخ، فما كان من معاوية إلّا أن قتل عبدالرحمن، ويقال إنّ قتل عائشة!

(١) منهاج السنّة ١٧٠: ٢ ط بولاق، وقد حرّفه الوهابيون! راجع ٦: ١٥٥، و٣٤٩، و٧:

٤٦١، من طبعتهم في برنامج مؤلّفات الشيخ والتلميذ.

وبموتها انتهى مشروع بني تيم لأخذ الخلافة، لكن تنظيرات عائشة له بقيت في مصادر المسلمين، وأن الخلافة وصية النبي ﷺ لبني تيم:

الأول: حديث في صحيح مسلم وغيره، قالت فيه عائشة: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: أدعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى^(١) !

ولابد أن تكون دعواها هذه بعد وفاة عمر، لأن أبا بكر وعمر لم يحتجاً بالنص أبداً وإنما احتجاً بأن محمدًا ﷺ من قريش وهما أولى بسلطانه لأتتهما من قريش، قال عمر: ولنا بذلك على من أبي من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مُدْل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة^(٢) .

فلو كان حديث عائشة صحيحاً لكان أكبر حجة لأبيها في السقيفة وغيرها، بل لاحتج به طلحة على أبي بكر عندما اعترض عليه لإخراجه الخلافة من بني تيم!

والثاني: ادّعى بنو تيم أن موسى بن طلحة هو المهدي الموعود! لكن دعواهم ماتت بموته! ولا ندري هل كانت عائشة وراءها وهل روت فيه شيئاً ولم يصلنا!

(١) مسلم ٧: ١١٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٥٧ .

٢٦٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فقد تحدّثت الروايات عمّا بعد وفاتها: لما خرج المختار بالكوفة قدم علينا (إلى البصرة) موسى بن طلحة وكانوا يرونه في زمانهم المهدي فغشيه الناس^(١) !

٧- ادّعى الحسينيون مهدويّة محمّد بن عبد الله بن الحسن المثنّى

يظهر أنّ ادّعاء المهديّة كان موجة في أواخر القرن الأوّل الهجري، بعد أن ضاق المسلمون ذرعاً بالتسلّط الأموي فانتشرت بينهم أحاديث النبي ﷺ عن ظلامه أهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) والبشارة بمهديهم.

فكان ذلك أرضية لادّعاء المهديّة لعدد من بني هاشم، وغيرهم أيضاً كموسى بن طلحة التيمي. وقد ادّعت المهديّة في مطلع القرن الثاني لاثني اسم كلّ منهما محمّد واسم أبيه عبد الله، وهما محمّد بن عبد الله بن الحسن المثنّى، ومحمّد بن عبد الله المنصور المعروف بالمهدي العبّاسي، وحاول أنصار كلّ منهما أن يطبّقوا أحاديث المهدي الموعود على صاحبهم، ولذلك رجّحنا أن تكون زيادة «واسم أبيه اسم أبي» في البشارة النبويّة لمصلحة أحدهما أو كليهما!

وزاد العبّاسيون على ذلك، فوضعوا أحاديث تنصّ على أنّ المهدي الموعود من أولاد العبّاس! وقد تبرّأ منها علماء الحديث وشهدوا بأنّها مكذوبة عن لسان النبي ﷺ، كتلك التي تزعم أنّه من أولاد عمر، أو من بني أميّة!

(١) تاريخ دمشق ٦٠: ٤٣١، تهذيب الكمال ٢٩: ٨٥، سير الذهبية ٤: ٣٦٥، ابن حمّاد ١:

١٥٨، الداني ١: ١٥٨، الحلية ٤: ٣٧١ وغيرها.

ومن الملاحظ أنّ مغامرات ادّعاء المهديّة مغرية جدّاً، لكنّها بسبب الضبط النبوي سرعان ما تنكشف عندما لا يستطيع المهدي المزعوم أن يعمّم الإسلام على العالم ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً أو يعطي المال حثياً بغير عدّ! وعندما يظهر للناس أنّه لا يتّصف بالعلم والعصمة والهداية من ربّه، وبقيّة الصفات الاستثنائيّة للمهدي عليه السلام.

ويبدو أنّ عبدالله بن الحسن المثنى كان أبرع من ادّعاها لولده محمّد، فقط خطّط لذلك من طفولة ابنه فسماه محمّداً لأنّ المهدي عليه السلام على اسم النبي ﷺ ثم ربّاه تربية خاصّة، وحجبه عن الناس وأشاع حوله الأساطير!

ففي تهذيب الكمال (٢٥: ٤٦٧): وقال داود بن عبدالله الجعفري، عن الدراوردي عن ابن أخي الزهري: تجالسنا بالمدينة أنا وعبدالله بن حسن فتذاكرنا المهدي، فقال عبدالله بن حسن: المهدي من ولد الحسين بن علي. فقلت: بأبي ذاك علماء أهل بيتك. فقال عبدالله: المهدي والله من ولد الحسن ابن علي ثم من ولدي خاصّة، انتهى.

ويظهر أنّ عبدالله كان يدّعيها أوّل الأمر لنفسه، قال في مقاتل الطالبين (ص ٢٣٩): لم يزل عبدالله بن الحسن منذ كان صبياً يتوارى ويراسل الناس بالدعوة إلى نفسه ويسمّى بالمهدي! انتهى.

ثمّ خطّط أن يدّعيها لابنه، فهو وراء زيادة «اسم أبيه اسم أبي!» وقد وصفوه بقوة الشخصية والقدرة على الإقناع، وقد أقنع بمهديّة ابنه حلفاءهم العبّاسيين

٢٧٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ومنهم المنصور، فقد روى أبو الفرج في مقاتل الطالبين (ص ٢٣٩) عن عمير بن الفضل الخثعمي قال: رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود وأبو جعفر ينتظره، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتى ركب، ثم سوى ثيابه على السرج ومضى محمد، فقلت وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمداً: من هذا الذي أعظمته هذا الأعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟ قال: أو ما تعرفه؟! قلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مهدينا أهل البيت!

وقال في ص ٢٤٤: لهجت العوام بمحمد تسميه بالمهدي! انتهى. وذلك بدعاية الحسينين وحلفائهم العباسيين قبل أن ينقلبوا عليهم ويدعوا المهدي لأنفسهم!

وقد روت مصادر التاريخ ما جرى في مؤتمر الأبواء الذي دعا له الحسينيون من أجل بيعه المهدي!

ففي مقاتل الطالبين (ص ١٤٠) عن عمر بن شبة وعدة رواة ومؤرخين عاصروا تلك الفترة، قال: إن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن علي، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، وابناه محمد وإبراهيم، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان؛ فقال صالح بن علي: قد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم

إليهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبدالله بن الحسن وأثنى عليه، ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلّموا فلنبايعه.

وقال أبو جعفر (المنصور): لأي شيء تخدعون أنفسكم ووالله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أطول أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى، يريد محمد بن عبدالله.

قالوا: قد والله صدقت، إن هذا هو الذي نعلم! فبايعوا جميعاً محمداً ومسحوا على يده.

قال عيسى: وجاء رسول عبدالله بن الحسن إلى أبي أن ائتنا فإننا مجتمعون لأمر وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد، هكذا قال عيسى.

وقال غيره: قال لهم عبدالله بن الحسن: لا نريد جعفرأً لئلا يفسد عليكم أمركم! قال عيسى: فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا عليه، وأرسل جعفر بن محمد محمد بن عبدالله الأرقط بن علي بن الحسين فجئناهم فإذا بمحمد بن عبدالله يصلي على طنفسة رجل مثنية، فقلت: أرسلني أبي إليكم لأسألكم لأي شيء اجتمعتم؟ فقال عبدالله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد ابن عبدالله.

قالوا: وجاء جعفر بن محمد، فأوسع له عبدالله بن الحسن إلى جنبه فتكلم بمثل كلامه، فقال جعفر: «لا تفعلوا فإن هذا الأمر لم يأت بعد! إن كنت ترى -

٢٧٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

يعني عبدالله - أنّ ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أو انه، وإن كنت إنّما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإنّا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايك ابنك».

فغضب عبدالله وقال: علمت خلاف ما تقول! والله ما أطلعك الله على غيبه ولكن يملك على هذا الحسد لابني!

فقال: «والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوانه وأبناءؤهم دونكم» وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبدالله بن الحسن، وقال: «إنّما والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكنها لهم، وإنّ ابنك لمقتولان!» ثم نهض وتوكأ على يد عبدالعزيز بن عمران الزهري. فقال: «أرأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جعفر - ؟ قال: نعم، قال: «فإنّا والله نجده يقتله!» قال له عبدالعزيز: أقتل محمّداً؟ قال: «نعم»، قال: فقلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة! قال: ثمّ والله ما خرجت من الدنيا حتّى رأيته قتلها! قال: فلمّا قال جعفر ذلك انفضّ القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها، وتبعه عبدالصمد وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبدالله، أتقول هذا؟ قال: «نعم أقوله والله، وأعلمه» انتهى.

وفي (ص ١٤٢) عن عنيسة بن نجاد العابد قال: كان جعفر بن محمّد إذا رأى محمّد بن عبدالله بن حسن تغرغرت عيناه ثمّ يقول: «بنفسي هو، إنّ الناس ليقولون فيه إنّّه المهدي وإنّّه لمقتول! ليس هذا في كتاب أبيه علي من خلفاء هذه الأمّة».

ثم روى ذلك أيضاً برواية ثانية في (ص ١٧١) عن عدة مؤرخين وشهود، قال: إن بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبدالله بن الحسن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لها، وأكثركم بركة يا ذرية محمد ﷺ بنو عمه وعترته، وأولى الناس بالفرع في أمر الله، من وضعه الله موضعكم من نبيه ﷺ، وقد ترون كتاب الله معطلاً وسنة نبيه متروكة، والباطل حيّاً والحق ميتاً، قاتلوا الله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم، وتهونوا عليه كما هانت بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه، وقد علمتم أننا لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم يعني الوليد بن يزيد فهلم نبايع محمداً فقد علمتم أنه المهدي.

فقالوا: لم يجتمع أصحابنا بعد ولو اجتمعوا فعلنا، ولسنا نرى أبا عبدالله جعفر بن محمد! فأرسل إليه ابن الحسن فأبى أن يأتي، فقام وقال: أنا آت به الساعة، فخرج بنفسه حتى أتى مضرب الفضل بن عبدالرحمن بن العباس ابن ربيعة بن الحرث فأوسع له الفضل ولم يصدره، فعلمت أن الفضل أسن منه، فقام له جعفر وصدره، فعلمت أنه أسن منه. ثم خرجنا جميعاً حتى أتينا عبدالله، فدعا إلى بيعة محمد، فقال له جعفر: «إنك شيخ وإن شئت بايعتك، وأمّا ابنك فوالله لا أبايه وأدعك».

٢٧٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقال عبدالله الأعلى في حديثه: إنّ عبدالله بن الحسن قال لهم: لا ترسلوا إلى جعفر فإنّه يفسد عليكم، فأبوا، قال: فأتاهم وأنا معهم، فأوسع له عبدالله إلى جانبه وقال: قد علمت ما صنع بنا بنو أمّية، وقد رأينا أن نبايع هذا الفتى. فقال: «لا تفعلوا فإنّا لأمر لم يأت بعد!» فغضب عبدالله (إلى آخر ما تقدّم) (١).

وفي النعماني (ص ٢٢٩) عن يزيد بن أبي حازم قال: خرجت من الكوفة، فلما قدمت المدينة دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسلمت عليه، فسألني: «هل صاحبك أحد؟» فقلت: نعم، فقال: «أكنتم تتكلمون؟» قلت: نعم، صحبني من المغيرة، قال: «فما كان يقول؟» قلت: كان يزعم أن محمّد ابن عبدالله بن الحسن هو القائم، والدليل على ذلك أن اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبي النبي ﷺ، فقلت له في الجواب: إن كنت تأخذ بالأسماء فهو ذا في ولد الحسين محمّد بن عبدالله بن علي، فقال لي: إنّ هذا ابن أمة، يعني محمّد بن عبدالله بن علي، وهذا ابن مهيرة يعني محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، فقال أبو عبدالله عليه السلام: «فما

(١) وانظر: الإرشاد: ٢٧٦، إعلام الوري: ٢٧١ و ٢٧٢، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٢٢٨، وفيه: «إنّها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك، وإنّما هي لهذا - يعني السفّاح - ثمّ لهذا - يعني المنصور - يقتله على أحجار الزيت، ثمّ يقتل أخاه بالطفوف وقوائم فرسه في الماء». فتبعه المنصور فقال: ما قلت يا أبا عبدالله؟ فقال: «ما سمعته وإنّه لكائن»، قال: فحدّثني من سمع المنصور أنّه قال: انصرفت من وقتي فهيأت أمري فكان كما قال. وانظر أيضاً: إثبات الهداة ٣: ١١٢ عن إعلام الوري، وعنه وعن الإرشاد البحار ٤٧: ٢٧٦.

رددت عليه؟» فقلت: ما كان عندي شيء أردّ عليه، فقال: «أولم تعلموا أنّه ابن سبيّة - يعني القائم عليه السلام»^(١).

هذا، ورّجّحنا في جواهر التاريخ (ج ٣) أن يكون مهدي الحسين أو العباسيين أو غيرهما في لسانه ثقلٌ يحتبس عليه الكلام فيضرب بيده على فخذه فوصفوا المهدي عليه السلام بها لتنطبق على صاحبهم^(٢)!

٨ - كذب العباسيون على النبي ﷺ وزعموا أنّ المهدي عليه السلام منهم!

في تاريخ بغداد (٢: ٦٣) عن ابن عباس قال: حدّثني أمّ الفضل بنت الحارث الهلالية قالت: مررت بالنبي ﷺ وهو في الحجر فقال: «يا أمّ الفضل، إنّك حامل بسلام»، قالت: يا رسول الله، وكيف وقد تحالف الفريقان أن لا يأتوا النساء؟ قال: «هو ما أقول لك، فإذا وضعته فأتيني به». قالت: فلمّا وضعته أتيت به رسول الله ﷺ فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، وقال: إذهبي بأبي الخلفاء، قالت: أتيت العباس فأعلمته، فكان رجلاً جميلاً لبّاساً، فأتى النبي ﷺ فلمّا رآه رسول الله ﷺ قام إليه فقبل بين عينيه ثمّ أقعده عن يمينه ثمّ قال: هذا عمّي؛ فمن شاء فليباه بعمّه. قالت: يا رسول الله، بعض هذا القول، فقال: يا عباس، لم لا أقول هذا القول وأنت عمّي وصنو أبي وخير من أخلف بعدي من

(١) وعن النعماني في البحار ٥١: ٤٢، إثبات الهداة ٣: ٥٣٩.

(٢) راجع: ابن حمّاد ١: ٣٦٥.

٢٧٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أهلي! فقلت: يا رسول الله، ما شيء أخبرتني به أمّ الفضل عن مولودنا هذا؟ قال: نعم يا عبّاس، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفّاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدي.

وفي تاريخ بغداد (٣: ٣٤٣) عن هشام بن محمّد الكلبي أنّه كان عند المعتصم في أوّل أيام المأمون حين قدم المأمون بغداد، فذكر قوماً بسوء السيرة فقلت له: أيّها لأمر، إنّ الله تعالى أمهلهم فطغوا، وحلم عنهم فبغوا، فقال لي: حدّثني أبي الرشيد، عن جدّي المهدي، عن أبيه المنصور، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، عن أبيه أنّ النبيّ ﷺ نظر إلى قوم بني فلان يتبخثون في مشيهم، فعرف الغضب في وجهه ثمّ قرأ: (وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ) فقليل له: أيّ الشجر هي يا رسول الله حتّى نجتّثها؟ فقال: ليست بشجرة نبات، إنّما هم بنو فلان، إذا ملكوا جاروا وإذا ائتمنوا خانوا، ثمّ ضرب بيده على ظهر العبّاس قال: فيخرج الله من ظهرك يا عم رجلاً يكون هلاكهم على يديه.

وفي تاريخ دمشق (٤: ١٧٨) كرواية الخطيب الأولى، وعنه في ذخائر العقبى (ص ٢٣٦)، وعن السهمي في الفضائل، وابن حبان، والملاّ في سيرته، وقال: وزاد فيه: إنّ هذا ابنك أبو الخلفاء منهم السفّاح ومنهم المهدي، حتّى يكون منهم من يصليّ بعيسى ابن مريم.

ومجمع الزوائد (٥: ١٨٧) كرواية الخطيب الأُولى، عن الطبراني في الأوسط، وفيه: وهي في أولادهم حتّى يكون آخرهم الذي يصليّ بالمسيح عيسى ابن مريم.

وفي الأوسط (١٠: ١١٥) عن عبدالله بن عباس، وفيه: هي لك يا عباس بعد ثنتين وثلاثين ومائة، ثمّ منكم السفّاح والمنصور والمهدي، ثمّ هي في أولادهم حتّى يكون آخرهم الذي يصليّ بالمسيح عيسى ابن مريم. وفي ابن حمّاد (١: ١٢١ و ٤٠٠) عن كعب قال: المنصور والمهدي والسفّاح من ولد العباس.

وفي عيون الأخبار لابن قتيبة (١: ٣٠٢) عن ابن عباس، أنّه كان إذا سمعهم يقولون: يكون في هذه الأمة اثنا عشر خليفة، قال: ما أحقّكم! إنّ بعد الإثني عشر ثلاثة منّا: السفّاح والمنصور والمهدي، يسلمها إلى الدجال، قال أبو أسامة: تأويل هذا عندنا أنّ ولد المهدي يكونون بعده إلى خروج الدجال.

وفي الحاكم (٤: ٥١٤) وصحّحه: عن مجاهد قال: قال لي عبدالله بن عباس: لو لم أسمع أنّك منّا أهل البيت ما حدّثتك بهذا الحديث! قال: فقال مجاهد: فإنّه في ستر لا أذكره لمن نكره، قال: فقال ابن عباس: منّا أهل البيت أربعة: منّا السفّاح ومنّا المنذر، ومنّا المنصور، ومنّا المهدي، قال: فقال له مجاهد: فبيّن لي هؤلاء الأربعة، فقال: أمّا السفّاح فربّما قتل أنصاره وعفا عن عدوّه. وأمّا المنذر قال فإنّه يعطي المال الكثير لا يتعاضم في نفسه ويمسك القليل من حقّه، وأمّا

٢٧٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

المنصور فإنه يعطى النصر على عدوّه الشطر ممّا كان يعطى رسول الله ﷺ،
يرعب منه عدوّه على مسيرة شهرين، والمنصور يرعب عدوّه منه على مسيرة
شهر، وأمّا المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وتأمين البهائم
والسباع، وتلقي الأرض أفلاذ كبدها، قال: قلت: وما أفلاذ كبدها؟ قال: أمثال
الأسطوانة من الذهب والفضّة.

وفي دلائل النبوة (٦: ٥١٣) عن سعيد بن جبير، قال: سمعنا عبد الله بن
عبّاس ونحن نقول: اثنا عشر أميراً ثم لا أمير، واثنا عشر أميراً ثم هي الساعة.
فقال ابن عبّاس: ما أحقكم، إنّ منّا أهل البيت بعد ذلك المنصور، والسفّاح،
والمهدي، يدفعها إلى عيسى ابن مريم.

وفي (ص ٥١٤) يكون منّا ثلاثة أهل البيت: سفّاح ومنصور ومهدي (١).
وفي (٩: ٣٩٩) عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: منّا
القائم ومنّا المنصور ومنّا السفّاح ومنّا المهدي، فأما القائم فتأتيه الخلافة لم يهرق
فيها محجمة من دم، وأمّا المنصور فلا تردّ له راية، وأمّا السفّاح فهو يسفح المال
والدم، وأمّا المهدي فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً.

وفي (١٠: ٤٨) عن ابن عبّاس قال: والله لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم، لأدال
الله من بني أميّة! ليكوننّ منّا السفّاح، والمنصور، والمهدي).

(١) ونحوه في تاريخ بغداد ١: ٦٢ و٦٣، و٥: ٣٩١.

وفي ذخائر العقبي (ص ٢٠٥) عن ابن عباس عن أبيه أن النبي ﷺ نظر إليه مقبلاً فقال: هذا عمي أبو الخلفاء، أجود قریش كفاً وأجلها، وإن من ولده السفاح والمنصور والمهدي، وقال: أخرجه الحافظ أبو القاسم السهمي.

وفي البداية والنهاية (٦: ٢٤٦) عن رواية دلائل النبوة الأولى وقال: وهذا إسناد ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس شيئاً على الصحيح، فهو منقطع.

وفي مقدمة ابن خلدون (ص ٢٥٣) وقال: هو من رواية إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه، وإسماعيل ضعيف وإبراهيم أبوه وإن خرج له مسلم فالأكثر على تضعيفه، وقال الحافظ ابن الصديق المغربي (ص ٥٤٣): وقال (الحاكم) صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بأن إسماعيل مجمع على ضعفه، وأباه ليس بذلك.

وفي جامع السيوطي (٥: ٣٧٥) عن أم سلمة عن النبي ﷺ: لن تزال الخلافة في ولد عمي صنو أبي العباس حتى يسلموها إلى الدجال.

إلى آخر مصادره وهي كثيرة!

لكن شهد نقاد الحديث في عدد منها أنها موضوعة! كما في حاوي السيوطي (٢: ٨٥) قال الدارقطني: هذا حديث غريب، تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم، يقصد مولى العباسيين.

وقال في إسعاف الراغبين (ص ١٥١): وفي إسناده وُضاع ولم يسمعهم.

٢٨٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وفي فيض القدير (٦: ٢٧٨) قال ابن عدي: يضع الحديث ويصله ويسرق ويقلّب الأسانيد والمتون.

وقال ابن أبي معشر: هو كذاب.

وقال السمهودي: ما بعده وما قبله أصحّ منه، وأمّا هذا ففيه محمد بن الوليد وضّاع، مع أنّه لو صحّ حمل على المهدي ثالث العبّاسيّين.

وقال الحافظ المغربي (ص ٥٦٣): وهو غريب منكر، وقد جُمع بأنّه عبّاسيّ الأمّ حسني الأب، وليس بذاك، بل الحديث لا يصحّ.

وفي الإذاعة (ص ١٣٥) عن الأفراد، والجامع الصغير، وقال: قال الشوكاني في التوضيح: قلت: ويمكن الجمع بين هذه الثلاثة أحاديث وبين سائر الأحاديث المتقدّمة بأنّه من ولد العبّاس من جهة أمّه، فإن أمكن الجمع بهذا، وإلاّ فالأحاديث أنّه من ولد النبي ﷺ أرجح، انتهى.

وفي صواعق ابن حجر (ص ٢٣٧) كما في ذخائر العقبى، وقال: سند كلّ منها ضعيف وعلى تقدير صحّتهما لا ينافي كون المهدي من ولد فاطمة المذكور في الأحاديث التي هي أصحّ وأكثر، لأنّه مع ذلك فيه شعبة من بني العبّاس، كما أنّ فيه شعبة من بني الحسين، انتهى.

أقول: من عجائبهم أنّهم بعد اعترافهم بأنّ واضع هذه الأحاديث كلّها أو أصلها هو محمد بن الوليد غلام بني عبّاس الكذاب الوضّاع المتروك! ترى الشوكاني وابن حجر وغيرهما يحاولون جعل المهدي عليه السلام عبّاسيّاً؛ كليّاً أو جزئياً!

وترى الذهبي يتفنن بأنّ الأحاديث النبويّة تقصد مهديّين بنفس الصفات، أحدهما عبّاسيّ وآخر من ذريّة فاطمة! وهو تكلف، ولا يخلو من نصب!

أحاديثهم الموضوعة تحريف لحديث صحيح!

لا يبعد أن تكون أحاديثهم المكذوبة تغطية للأحاديث التي روتها العترة النبويّة من أنّ النبيّ ﷺ أخبر العبّاس بما يكون من أولاده! ففي النعماني (ص ٢٤٧) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم في البقيع حتّى أقبل عليّ عليه السلام فسأل عن رسول الله ﷺ فقيل إنّّه بالبقيع، فأتاه عليّ عليه السلام فسلمّ عليه، فقال رسول الله ﷺ: اجلس، فأجلسه عن يمينه، ثمّ جاء جعفر ابن أبي طالب فسأل عن رسول الله ﷺ فقيل له هو بالبقيع، فأتاه فسلمّ عليه فأجلسه عن يساره، ثمّ جاء العبّاس فسأل عن رسول الله ﷺ فقيل له هو بالبقيع، فأتاه فسلمّ عليه فأجلسه أمامه، ثمّ التفت رسول الله ﷺ إلى عليّ عليه السلام فقال: ألاّ أبشرك، ألاّ أخبرك يا عليّ؟ فقال: بلى يا رسول الله، فقال: كان جبرئيل عندي آنفاً وأخبرني أنّ القائم الذي يخرج في آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً من ذريّتك من ولد الحسين، فقال عليّ: يا رسول الله، ما أصابنا خير قطّ من الله إلّا على يديك.

ثمّ التفت رسول الله ﷺ إلى جعفر بن أبي طالب، فقال: يا جعفر، ألاّ أبشرك، ألاّ أخبرك؟ قال: بلى يا رسول الله، فقال: كان جبرئيل عندي آنفاً فأخبرني أنّ الذي يدفعها إلى القائم من ذريّتك، أتدري من هو؟ قال: لا، قال: ذاك الذي

٢٨٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وجهه كالدينار وأسنانه كالمنشار وسيفه كحريق النار، يدخل الجند ذليلاً ويخرج منه عزيزاً، يكتنفه جبرئيل وميكائيل.

ثم التفت إلى العباس فقال: يا عم النبي، ألا أخبرك بما أخبرني به جبرئيل عليه السلام؟ فقال: بلى يا رسول الله، قال: قال لي جبرئيل: ويلٌ لذريتك من ولد العباس! فقال: يا رسول الله، أفلا أجنب النساء؟ فقال له ﷺ: قد فرغ الله مما هو كائن».

وفي النعماني (ص ٢٤٨) عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: «يا عباس، ويلٌ لذريتي من ولدك، وويلٌ لولدك من ولدي». فقال: يا رسول الله، أفلا أجنب النساء؟ أو قال: أفلا أجنب نفسي؟ قال: «إن علم الله عز وجل قدمضي، والأمور بيده وإن الأمر سيكون في ولدي».

وفي كتاب سليم بن قيس (ص ٤٢٧): «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة ولم يرض لنا الدنيا». قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ على ابن عباس فقال: «أما إن أول هلاك بني أمية بعد ما يملك منهم عشرة على يد ولدك، فليتنقوا الله وليرقبوا في ولدي وعترتي، فإن الدنيا لم تبق لأحد قبلنا ولا تبقى لأحد بعدنا، دولتنا آخر الدول، يكون مكان كل يوم يومين ومكان كل سنة سنتين، ومنا من ولدي من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وكذب المنصور فادعى أن ابنه هو المهدي الموعود!

لم يكتف العباسيون بادعاء أن رايات خراسان الموعودة لنصرة المهدي عليه السلام هي رايات ثورتهم بيد أبي مسلم الخراساني، ولا بالأحاديث التي وضعوها وزعموا فيها أن النبي ﷺ بشر العباس بأن الملك في أولاده حتى يخرج الدجال وأن المهدي منهم! بل توصل المنصور وهو معاوية بني عباس، إلى أنه حان الوقت بعد أن قتل أبناء عبدالله بن الحسن المثنى ومنهم محمد بن عبدالله الذي ادّعوا له المهديّة، لأن يجعل ابنه محمد بن عبدالله المهدي الموعود!

وقد سجّل المؤرّخون أنه لما استحكم له الأمر وكبر ابنه الذي سمّاه محمد، ابتكر أن يأخذ له البيعة على أنه المهدي الموعود لأنّه محمد بن عبدالله، فكان عليه أن يُشهد الفقهاء والقضاة أن أوصاف المهدي في أحاديث النبي ﷺ تنطبق عليه! وكان عليه أن يعزل ولي عهده أخاه عيسى بن موسى العباسي، الذي نصبه الخليفة السّفاح، فأحضره وفاوضه وهدّده وأذّله حتى خلع نفسه! وعقد المنصور مجلساً (شرعياً) لإعلان ولده ولي عهده والمهدي الموعود من الله تعالى ورسوله ﷺ!

قال الذهبي في تاريخه (٩: ٤٩): وكان السّفاح لما احتضر جعل الخلافة للمنصور ثمّ بعده لعيسى، وقد لطفه المنصور وكلمه بألّين كلام في ذلك (خلع نفسه) فقال: يا أمير المؤمنين، فكيف بالأيّمان والعهد والمواثيق التي عليّ وعلى المسلمين، فلمّا رأى المنصور امتناعه تغيّر له وأعرض عنه، وجعل يقدم المهدي

٢٨٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

عليه في المجالس، ثم شرع المنصور يدسّ من يحفر عليه بيته ليسقط عليه، فجعل يتحفّظ ويتمارض، وقيل: بل سقاه المنصور فاستأذن في الذهاب إلى الكوفة ليتداوى وكان الذي جرّأه على ذلك طبيبه بختيشوع وقال له: والله ما أجسر على معالجتك وما آمن على نفسي، فأذن له المنصور، وبلغت العلة من عيسى كلّ مبلغ حتّى تمعّط شعره! ثمّ إنّه نصل من علّته ثمّ سعى موسى ولد عيسى بن موسى في أن يطيع أبوه المنصور خوفاً عليه منه وعلى نفسه، ودبرّ حيلة أوحاها إلى المنصور، فقال: مرّ بخنقي قدام أبي إن لم يخلع نفسه! قال: فبعث المنصور من فعل به ذلك فصاح أبوه وأذعن بخلع نفسه وقال: هذه يدي بالبيعة للمهدي (١).

وهكذا تمّ للمنصور ما أراد، وعقد المجلس الشرعي في قصر الرصافة الذي بناه خصيصاً لولده المهدي! وأحضر الفقهاء والقضاة فشهدوا وبايعوا ولي عهده المهدي المنتظر! (وخطب المنصور الناس وأعلمهم ما جرى في أمر عيسى من تقديم المهدي عليه ورضاه بذلك وتكلّم عيسى وسلّم الأمر للمهدي فبايع الناس على ذلك بيعة محدّدة للمهدي ثمّ لعيسى من بعده (٢).

ولكنّهم شهدوا أنّ هذا (المهدي) كان فاجراً لم يملأ الأرض عدلاً، بل زادها ظلماً وجوراً! ولم يعط المال للناس حثياً بدون عدٍّ، بل زاد المسلمين بؤساً وفقراً!

(١) وانظر: الآداب السلطانية لابن الطقطقي: ١١٩.

(٢) تاريخ دمشق ٩: ٤٨.

فقد روت مصادرهم أنّه كان خماراً زماراً سفّاكاً للدماء، وأنّه أنجب للمسلمين ابنة مغنيّة ضربّاة عود هي عليّة العبّاسيّة المشهورة^(١).

وكان مغرماً بتطير الحمام فحرّف الرواة له حديث النبي ﷺ: «لا سبق إلاّ في نصل أو خفّ أو حافر» فأضافوا له: (أو جناح) فأمر للراوي بصرّة ذهب^(٢). وكان عنيفاً سفّاكاً لدماء المسلمين، فقتل رجلاً لروايته حديثاً عن الأعمش^(٣).

ورأى مناماً أنّ وجهه اسودّ، فعبرّوه له بأنّه يُرزق أنثى، فكان كذلك^(٤). وظلّ يطارد ابن عمّ أبيه ولي عهده، الذي خلع نفسه من أجله حتّى قتله وجعل ابنه موسى ولي عهده^(٥).

وسلّط زوجته الخيزران فكان بيدها زمام أمور الدولة^(٦). وبنى مدينة سيروان في جبال إيران وسكنها (وبها مات ودفن)^(٧).

(١) خزّانة الأدب ١١: ٢١٧.

(٢) مجموعة الرسائل للصافي ٢: ٤٢٤.

(٣) الصحيح من السيرة ١: ٨٨.

(٤) الكنى والألقاب ١: ٣١٩.

(٥) تهذيب المقال ٢: ٣٢٠.

(٦) الطبري ٣: ٤٦٦.

(٧) صبح الأعشى ٤: ٣٦٨.

٢٨٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وحكم عشر سنين ومات سنة ١٦٩، وعمره ٤٣ سنة (١).

لذلك اضطرّوا حتّى ابن تيمية وابن كثير أن يعترفوا بأنّه ليس المهدي

الموعود (٢)!

واعترف هارون الرشيد بكذبة أبيه وجده!

في إعلام الوري (ص ٣٦٥، وطبعة ٢: ١٦٥) عن سليمان بن إسحاق بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس قال: حدّثني أبي قال: كنت يوماً عند الرشيد فذكر المهدي وما ذكر من عدله فأطنّب في ذلك، فقال الرشيد: أحسبكم تحسبونه أبي المهدي، حدّثني عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عباس، عن أبيه العباس بن عبدالمطلب أنّ النبيّ، قال له: يا عم، يملك من ولدي اثنا عشر خليفة، ثمّ تكون أمور كريمة شديدة عظيمة، ثمّ يخرج المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليلة فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويمكث في الأرض ما شاء الله، ثمّ يخرج الدجال (٣).

(١) الأخبار الطوال: ٣٨٦، المعارف لابن قتيبة: ٣٧٩ وفيه ٤٨ سنة.

(٢) منهاج السنّة ٤: ٩٨، النهاية ٦: ٢٧٧.

(٣) ومثله: قصص الأنبياء: ٣٦٩، مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٩٢ أو ٢٥٢، العدد القويّة:

٨٩، فرائد السمطين ٢: ٣٢٩، عنه كشف الغمّة ٣: ٢٩٥، الدرّ النظيم: ٧٩٦، إثبات

الهداة ٣: ٥٩١، بحار الأنوار ٣٦: ٣٠١.

وفي الأغاني (١٣: ٣١٣) عن الفضل بن إياس الهذلي الكوفي أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضرُوا وقامت الخطباء فتكلّموا، وقالت الشعراء فأكثرُوا في وصف المهدي وفضائله، وفيهم مطيع بن إياس، فلمّا فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء، قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، حدّثنا فلان عن فلان أنّ النبيّ ﷺ قال: المهديّ منّا محمّد بن عبد الله وأُمّه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وهذا العباس بن محمّد أخوك يشهد على ذلك! ثمّ أقبل على العباس فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم، مخافة من المنصور! فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي.

قال: ولمّا انقضى المجلس وكان العباس بن محمّد لم يأنس به، قال: رأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عزّ وجلّ ورسوله حتّى استشهدني على كذبه فشهدت له خوفاً، وشهد كلّ من حضر عليّ بأنّي كاذب! وبلغ الخبر جعفر ابن أبي جعفر وكان مطيع منقطعاً إليه يخدمه فخافه وطرده عن خدمته!

٢٨٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

قال: وكان جعفر ماجناً فلما بلغه قول مطيع هذا غاضه وشقت عليه البيعة لمحمد فأخرج (لفظة قبيحة) ثم قال: إن كان أخي محمد هو المهدي فهذا القائم من آل محمد^(١).

٩ - اثنا عشر كذاباً سيّدعون المهديّة قبيل ظهور الإمام^{عليه السلام}

الإرشاد (ص ٣٥٨) عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال: «لا يخرج القائم حتّى يخرج قبله اثنا عشر من بني هاشم كلّهم يدعو إلى نفسه»^(٢). وفي الكافي (١: ٣٣٨) والنعماني (ص ١٥١) عن الإمام الصادق^{عليه السلام} قال: «ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتهية لا يُدرى أيُّ من أيٍّ!» قال المفضل، فبكيت، فقال: «ما يبكيك يا أبا عبد الله؟» فقلت: كيف لا أبكي وأنت تقول «ترفع اثنتا عشرة راية لا يُدرى أيُّ من أيٍّ»، فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى الشمس داخله في الصفة، فقال: «يا أبا عبد الله، ترى هذه الشمس؟» قلت: نعم، قال: «والله لأمرنا أبين من هذه الشمس».

(١) راجع في تحريفهم وقبائحهم: تاريخ الطبري ٦: ٢٦٩، يعقوبي ٢: ٣٩٥، المعارف لابن قتيبة: ٣٧٩، النهاية ١٠: ١١١، سمت النجوم: ١٠٩٤، شذرات الذهب ١: ٢١٩، عبر الذهبى ١: ٢٠٧، التحفة اللطيفة ٢: ٢٦، المنار المنيف: ١٤٩.

(٢) ومثله غيبة الطوسي: ٢٦٧، إعلام الورى: ٤٢٦، الخرائج ٣: ١١٦٢، وعنه كشف الغمّة ٣: ٢٤٩، إثبات الهداة ٣: ٧٢٦، البحار ٥٢: ٢٠٩.

وفي ابن حمّاد (١: ٢٩١): ثمّ يسير إلى العراق وترفع قبل ذلك إثنتا عشر راية بالكوفة معروفة منسوبة، ويقتل بالكوفة رجل من ولد الحسن أو الحسين يدعو إلى أبيه^(١).

هذا آخر ما أردنا نقله من كتاب المعجم الموضوعي لأحاديث المهدي للشيخ الكوراني.

ثانياً: الاسم المبارك

أجمع المسلمون والمؤرخون والعلماء على أنّ اسم الإمام المهدي عليه السلام وكنيته هو مطابقٌ لاسم رسول الله ﷺ، وكنيته، بلا خلاف فيه. قال الشيخ المفيد في الإرشاد: وكان الإمام بعد أبي محمّد الحسن ابنه محمّد [المسمّى باسم رسول الله ﷺ، المكنى بكنيته] ولم يخلف أبوه ولداً غيره؛ ظاهراً ولا باطناً.^(٢)

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بأنّ «اسمه اسمي»، وقد وردت في مناسبات عديدة وبألفاظ متعدّدة ومختلفة لتؤكد هذه الحقيقة، أمّا الروايات التي جاءت عن طريق أهل البيت عليهم السلام فهي بلفظ: [اسمه اسمي]. وروايات أهل العامة جاءت بلفظ «اسمه كإسمي» أو «يواطىء اسمه اسمي». ومن هذه الأخبار على سبيل المثال:

(١) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٢١٣ - ٢٤٢.

(٢) الإرشاد: ٢/ ٢٣٩.

٢٩٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

١. ما أخرجه الصدوق في (كمال الدين) بسنده إلى هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: القائم من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشأله شألي، وسنته سنتي»^(١).

٢. ما أخرجه صاحب «تذكرة الخواص» سبط ابن الجوزي بسنده إلى عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي، اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي...»^(٢).

٣. ما رواه الترمذي بسنده عن زرّ، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي»^(٣).

٤. روى القندوزي الحنفي عن ابن الخشاب بسنده عن جعفر بن محمد بن سالم: «الخلف الصالح من ولدي وهو المهدي، اسمه محمد، وكنيته أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان»^(٤).

(١) منتخب الأثر: ٢٣٧.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٢٥.

(٣) سنن الترمذي: ٢/٣٤٢.

وبهذا المعنى أخرج أبو داود في سننه: ١٥١/٤، وكذا القندوزي في ينابيع المودة: ٤٩١، والشبراوي في الإتحاف بحبّ الأشراف: ١٧٨ طبعة مصر ١٣١٦.

(٤) ينابيع المودة: ٤٩١.

لماذا سُمِّي الإمام باسم رسول الله ﷺ؟

لم أعثر على نصّ يذكر علّة تسميته بذلك، ولكن الظاهر ليس من باب المصادفة أن يُسمّى الإمام المهدي باسم رسول الله ﷺ ويكنّى بكنيته، وينهى أن يسمّى باسمه مع الكنية ^(١) لأنّ هذا الاسم المبارك هو أفضل الأسماء عند الله تبارك وتعالى، وقد سُمّي به أشرف الخلق وأفضلهم إطلاقاً. وقد شاء الله أن يسمّى الإمام بهذا الاسم المبارك فيشترك ويتّحد مع النبي ﷺ في الاسم والمعنى بأنّ النبي هو خاتم الأنبياء، والمهدي هو خاتم الأوصياء، وأنّ النبي هو الفاتح لدولة الإسلام، والمهدي هو الخاتم للإسلام.

ولكي يقال: إنّ سمة الإسلام محمّدي الابتداء والاختتام، وأنّ هذه السمة خاصّة لهذا البيت الطاهر، لأنّهم محمّدوا الظاهر والباطن.

فقد جاءت الروايات تؤكّد أنّ خطّ الإسلام ابتداءً وظاهراً هو محمّدي، ومن هذه الذرّيّة الطاهرة، فقد جاء عنهم ﷺ الرواية التالية: «أولنا محمّد، آخرنا محمّد، بل كلّنا محمّد».

(١) قال المحدّث النوري: «ونهي في بعض الأخبار عن التكنّي بأبي القاسم إذا كان اسمه محمّد»، ثمّ ذكر منها ما في المقنع للصدوق (ص ١١٢): «إذا كان اسمه محمّداً فلا تكنّه بأبي القاسم». ثمّ أورد الروايات في فقه الرضا عليه السلام (ص ٢٣٩): «لا يكنّى... ولا بأبي القاسم إذا كان الاسم محمّداً».

وفي الجعفریات بإسناده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إني لا أحلّ لأحد أن يسمّى باسمي ولا يتكنّى بكنيتي، إلّا مولود لعليّ من ابنتي فاطمة عليها السلام فقد نحلته اسمي وكنيتي». (النجم الثاقب: ١/ هامش: ١٦٩ - ١٧٠).

هل هناك خلاف في اسم الإمام المهدي عليه السلام؟

إنّ الذي عليه الإجماع من العامّة والخاصّة أنّ اسمه مطابق لاسم رسول الله ﷺ.

ولكن هنالك محاولات من البعض للتشكيك في اسم الإمام عليه السلام لنفس الغرض الذي ذكرناه في نسبه الشريف، وهذه المحاولة أشبه شيء بمن يحاول أن يحجب نور الشمس بكفه عن البسيطة ويغالط نفسه ويحتمل له أسماء أخرى غير هذا الأسم، فقد ذكرت الروايات المتواترة الكثيرة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) أنّ اسمه مطابق لاسم رسول الله ﷺ، وأصبح ذلك من البديهيّات والمشهورات التي لا تقبل الشك، وهو الاسم المتيقّن الصادر عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين)، ولا ينافي أنّ له أسماء متعدّدة وألقاباً وصفات كثيرة، وقد عدّ المحدث النوري أسماءه وألقابه بمائة واثنين وثمانين اسماً. ويمكن توجيه تعدّد أسماء بهذه الوجوه:

أولاً: المتيقّن من تواتر الروايات والشهرة أنّ اسمه اسم النبي المعروف المشهور.

ثانياً: أنّ تعدّد أسمائه لا يضرّ وإنّما هو دليل على عظمة الإنسان وأهمّيّته، حيث تعدّد أسمائه لتعدّد صفاته وحالاته كما عليه العظماء في التاريخ.

ثالثاً: أنّ تعدّد أسمائه وألقابه ليس مصادفةً، وأكثرها للحالة الأُمّنيّة التي تحيط بحياة الإمام عليه السلام وضرورة التمويه على الظالمين بكثرة أسمائه وألقابه، حتّى منع ونهي عن تداول اسمه الصريح في المحافل العلنيّة.

رابعاً: أنّ الإصرار على نفي الاسم المشهور الذي عليه إجماع العلماء والمؤرّخين هو مصادرة لهذه الحقائق وفرض رأي شخصي.

خامساً: أن ما ذكر له من أسماء أخرى غير المشهور هي روايات لا تصل إلى حد الكثرة والتواتر كروايات المطابقة مع اسم رسول الله ﷺ .

الحكمة من عدم التصريح بالاسم الشريف؟

لماذا ورد النهي والتشديد في ذلك؟ وما هي الإجراءات والاحتياطات التي اتخذوها لمنع انتشار اسمه الصريح؟ والذي يظهر أن سبب التشديد في النهي عن تسميته هو الخوف عليه من الملاحقة والقتل، ولذا فإنهم ﷺ اتخذوا احتياطات أمنية في طريقة تسميته لكي يخفى على الظالمين ويصبح اسمه مجهولاً عندهم مشتركاً بين عدة أسماء. ولذا فإن الأسلوب الذي اتبعه أهل البيت أن وضعوا له أسماء وكنيات بأشكال مختلفة ومتنوعة.

فما هي الأساليب والطرق؟

أولاً: لم يذكروه باسمه الصريح وإنما باسم رسول الله ﷺ وكنيته كما تقدم من الروايات بأن اسمه اسمي، أو المسمى باسم رسول الله ﷺ وفي روايات العامة اسمه كإسمي أو يواطى اسمه اسمي، ولأن القرآن قد وضع للنبي أسماء متعددة مثل: طه، يس، أحمد مما يجعل اسم الإمام ﷺ مجملاً غير محدد بدقة، لا يعرفه إلا أهل الإيمان وأهل التبّع وأهل العلم، حيث إن اسم رسول الله ﷺ معروف في الأرض وهو أحبّ الأسماء إلى الله تعالى.

وبذلك لا يكون الاسم مشهوراً لدى عامة الناس ولدى الظالمين، وقد اشتهر الإمام ﷺ باسم «المهدي» وأسماء أخرى كالقائم والمنتظر والحجة... الخ.

نعم، هم يعلمون في الجملة أنه من نسل رسول الله ﷺ ويخرج في آخر الزمان، ولكنهم مشغولون بلبّاتهم وهوى سلطانهم وكل واحد يعتقد أنه

٢٩٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

لا يخرج في زمانه، ولذلك لا يهّمه كثيراً أمره. وكان لابدّ من تسميته بطريقة لا يعرف بصراحة لكلّ شخص، وفي نفس الوقت لا يكون اسمه مجهولاً تماماً، من أجل أن يعرفه المواليون والأتباع ولا يكونون في حيرة من أمرهم. ثانياً: استخدمت له صفات وألقاب فصارت من الشهرة له أسماء أشهر من اسمه الحقيقي على حسب المناسبة، وهي كالتالي:

١. الحجّة من آل محمّد

عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام يقول: «الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف»، فقلت: لم جعلني الله فداك؟

فقال عليه السلام: «لأنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه»، فقلت: فكيف نذكره؟ قال: «قولوا: الحجّة من آل محمّد عليه السلام». ^(١)

وهذا التعبير «الحجّة من آل محمّد» أمر باستخدامه في حالة التقيّة الشديدة في غيبته وخصوصاً أيام غيبته الصغرى على ما يظهر.

٢. صاحب الأمر

روى عبدالله بن الفضل الهاشمي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها، يرتاب فيها كلّ مبطل...». ^(٢) وعادةً ما يستخدم «صاحب الأمر» في حالة ذكر الغيبة.

(١) الغيبة للطوسي: ٢٠٢.

(٢) علل الشرائع: ١/٢٤٦.

٣. القائم

عن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله، أنت القائم بالحق؟ فقال عليه السلام: «أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً...»^(١).
وتعبير القائم يستخدم غالباً عند قيامه بالأمر وظهوره وانتصاره على الأعداء.

٤. المنتظر

يستخدم هذا الاسم أيضاً في حالة انتظاره من قبل الموالين والمحبين، وفي حالة ذكر التمحيص والامتحان وأيام الغيبة وتكليفهم بالانتظار وعدم اليأس.
عن زرارة بن أعين، عن الصادق عليه السلام: «... وهو المنتظر، وهو الذي يشك الناس في ولادته، منهم من يقول: هو حمل، ومنهم من يقول: هو غائب، ومنهم من يقول: ما ولد، ومنهم من يقول: ولد قبل وفاة أبيه بستين، وهو المنتظر، غير أن الله تعالى يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون»^(٢).

٥. الخلف

وتدل عليه الرواية عن أبي هاشم الجعفري المتقدمة، وكذا رواية المفصل بن عمر قال: دخلت على سيدي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقلت: يا سيدي، لو عهدت إلينا من الخلف من بعدك؟ فقال: «يا مفصل، الإمام من بعدي موسى،

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦١.

(٢) إعلام الوري: ٢/ ٢٣٧.

٢٩٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

والخلف المنتظر (م ح م د) بن الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى عليه السلام.

٦. المهدي

وهو من أشهر أسماؤه الشريفة عليه السلام، وقد سمّاه أهل البيت بأسماء كثيرة: الصاحب، وقائنا، ومهدينا، والسيد، والخلف الصالح، وصاحبكم، وغيرها، وقد عدّها المحدث النوري بالعشرات في النجم الثاقب. وقد أطلق عليه الشيعة وخصوصاً في أيام الغيبة الصغرى أسماء وألقاباً عديدة تقيّة وتحزّزاً، للحفاظ على شخصه المبارك، مثل: الصاحب، والغريم، والناحية المقدّسة، وصاحب الأمر وغيرها.

ثالثاً: كانوا يشيرون إليه بالعدد بطرق مختلفة: فتارة يسمّونه الثاني عشر، وتارة التاسع من ولد الحسين، وتارة السادس من ولد الصادق، أو الخامس من ولد موسى بن جعفر، أو الرابع من ولد عليّ بن موسى الرضا، أو الثالث من ولد محمد بن عليّ التقي. ومثاله ما رواه الصدوق رحمته الله بسنده إلى صفوان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنّه قال: «من أقرّ بجميع الأئمة وجد المهدي كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء وجد محمد عليه السلام»، فقليل له: يا ابن رسول الله، فمن المهدي من ولدك؟ قال: «الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه، ولا يحلّ لكم تسميته»^(١).

وما رواه أبو القاسم القمي الرازي في كفاية الأثر بالسند عن الحسين بن خالد قال: قال عليّ بن موسى الرضا: «لا دين من لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيّة له، وإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، يعني أعملكم بالتقيّة»، فقليل له: يا ابن رسول الله، إلى متى؟ فقال: «إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقيّة

(١) منتخب الأثر: ٢٧٦.

قبل خروج قائمنا فليس منّا»، قيل له: يا ابن رسول الله، ومن القائم منكم أهل البيت؟ قال: «الرابع من ولدي، ابن سيّدة الإمام...»^(١).

رابعاً: ذكره بأعماله عند قيامه: روى النعماني في غيبته بسنده إلى الصادق عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام «... وليبعثنّ الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا، وليغيبنّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة، حتّى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد من حاجة»^(٢).

خامساً: ذكره بأوصافه وحالاته وشيئله: روى الصدوق في (إكمال الدين) بسنده إلى أبي الجارود عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين وهو على المنبر: يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان، أبيض اللون، مُشَرَّب الحمرة...»^(٣) وقد أطلق عليه الشيعة في أيام غيبته ألقاباً وأسماء مستعارة كاحتراز أمني، منها على سبيل المثال:

١ - الغريم.

٢ - الناحية المقدسة.

٣ - صاحبنا.

سادساً: التشديد في النهي عن تسميته: وقد صدر النهي منذ زمن رسول الله والأئمة من آبائه الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) قبل ولادته بمأتين

(١) منتخب الاثر: ٢٧٩.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٤٣.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٣.

٢٩٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وخمسين عاماً، وقد استمرّ النهي بعد ولادته في زمن الغيبة الصغرى، بل إنّ بعض الروايات يفهم منها النهي حتّى آخر زمان غيبة الكبرى. ولمعرفة حكم هذا النهي الصادر عن أهل البيت عليهم السلام لابدّ من البحث في الروايات وأقوال الفقهاء.

ما هو حكم التصريح باسمه المبارك: هل هو الحرمة أم الإباحة؟

عندما نبحث في الروايات الشريفة نجد ظاهرها على ثلاثة طوائف:

الطائفة الأولى: النهي المطلق حتّى يظهره الله سبحانه، والذي ربّما يفهم منها الحرمة مطلقاً:

وقد ورد النهي في لسان هذه الروايات منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين ثمّ الأئمة المعصومين عليهم السلام حتّى زمن الإمام العسكري عليه السلام. وكان ذلك حرصاً منهم عليهم السلام لكي لا يتشخّص بشكل واضح ويشاع أمره ويؤدّي إلى مراقبة الأعداء و ملاحقته و قتله، وهي كالتالي:

١ - ما رواه الصدوق في كمال الدين بالسند إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سأل عمر أمير المؤمنين عليه السلام عن المهدي، قال: يا ابن أبي طالب، أخبرني عن المهديّ ما اسمه؟ قال: أمّا اسمه فلا، إنّ حبيبي وخليلي عهد إليّ أن لا أحدث باسمه حتّى يبعثه الله عزّ وجلّ، وهو ممّا استودع الله عزّ وجلّ رسوله في علمه». (١)

٢ - وبسنده عن الريّان بن الصلت، قال: سألت الرضا عليه السلام عن القائم، فقال:

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤٨.

«لا يرى جسمه ولا يُسمّى باسمه». (١)

٣ - وبسنده عن عبدالعظيم الحسني، عن محمد بن عليّ عليه السلام قال: «القائم هو الذي يخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سميّ رسول الله وكنيته». (٢)

٤ - وبسنده عن محمد بن زياد الأزدي، عن موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال عند ذكر القائم عليه السلام: «يخفى على الناس ولادته، ولا يحلّ لهم تسميته حتّى يظهره الله عزّ وجلّ، فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً». (٣)

٥ - وبسنده إلى صفوان بن مهران، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال: «المهديّ من ولدي، الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته». (٤)

٦ - التوحيد بسنده إلى عبدالعظيم الحسني، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه قال في القائم: «لا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً». (٥)

٧ - أخرج النعماني في غيبيه بسنده إلى أبي خالد الكابلي قال: لما مضى - عليّ بن الحسين دخلت على محمد بن عليّ الباقر عليه السلام، فقلت: جعلت فداك، قد عرفت

(١) بحار الأنوار: ٣٣/٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢/٥١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٢/٥١.

(٤) بحار الأنوار: ٣٢/٥١.

(٥) بحار الأنوار: ٣٢/٥١.

٣٠٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

انقطاعي إلى أبيك وأنسي به ووحشتي من الناس، قال: «صدقت يا أبا خالد، تريد ماذا؟» قلت: جعلت فداك، قد وصف لي أبوك صاحب هذا الأمر بصفة، لو رأيته في بعض الطرق لأخذت بيده، قال: «فتريد ماذا يا أبا خالد؟» قال: أريد أن تسميه لي حتى أعرفه باسمه، فقال: «سألني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد، ولقد سألتني عن أمر ما لو كنت محدثاً به أحداً لحدثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة».^(١)

٨ - وبسنده إلى أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول: «الخلف من بعدي الحسن ابني، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟»، قلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: «لأنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه»، قلت: فكيف نذكره؟ فقال: «قولوا: الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه».^(٢)

ويفهم من هذه الروايات النهي المشدد عن إذاعة اسمه بشكل مطلق حتى يظهره سبحانه وتعالى. وهناك روايات صدرت في أيام زمن الغيبة الصغرى وهي لا تخصّ ذلك الزمان فقط وإنما لورود المناسبة من قبل السائل وكذلك لحساسية المرحلة، وإذا ضممناها إلى هذه الروايات فيكون النهي مطلقاً. والروايات هي كالتالي:

٩ - ما أخرجه الصدوق بسنده إلى الحميري، قال: كنت مع أحمد بن إسحاق عند العمري رحمته الله، فقلت للعمري: إني أسألك عن مسألة كما قال الله عز وجل في قصة إبراهيم: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة/ ٢٦٠].

(١) بحار الأنوار: ٣١ / ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٣١ / ٥١.

هل رأيت صاحبي؟

قال: نعم، وله عنق مثل ذي - وأشار بيديه جميعاً إلى عنقه -.

قال: قلت: فالاسم؟

قال: إياك أن تبحث عن هذا، فإنّ عند القوم أنّ هذا النسل قد انقطع.^(١)

والرواية صادرة عن العمري السفير الأوّل للإمام عليه السلام وبابه الذي يؤتى منه، وتصدر إليه الأوامر والتعليمات عن الإمام عليه السلام، وأحمد بن إسحاق هو من الثقات والخواص، وإليه تصدر التوقيعات عن الإمام عليه السلام، والرواية تحذّر بشدّة من البحث عن الاسم، لضرورة التقيّة وإخفاء أمر الإمام في فترة الغيبة الصغرى، لأنّ الظلمة في زمن شهادة أبيه قد أجهدوا أنفسهم في البحث عنه للقضاء عليه، حتّى يسّوا من وجوده وحياته، ولذلك نهت الرواية عن معرفة اسمه حتّى لا يذاع فيستمرّ البحث عنه، ويؤدّي إلى الضغط على شيعته وخواصّه المتّصلين به.

١٠ - روى الكليني عن أبي عبد الله الصالح، قال: سألتني أصحابنا بعد مضي - أبي محمد عليه السلام أن أسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب: «إن دلّتم على الاسم أذاعوه، وإن عرفوا المكان دلّوا عليه»^(٢).

كلّف السائل من الشيعة أن يسأل عن اسم الإمام عليه السلام ومكانه، لأنّه من المقرّبين كما يبدو، وهو لا بدّ أن يتوجّه بالسؤال إلى سفراء الإمام ونوابه المتّصلين

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢ / ٥١، عن الكافي: ٣٣ / ١.

٣٠٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

به، وعبارة «خرج الجواب» تدلّ على أنّ الجواب من الإمام عليه السلام عبر نوابه. والرواية تدلّ على أنّ اسم الإمام محظور لا يُخبر به لحسّاسيّة المرحلة وخطورتها، فيؤدّي إلى إفشائه بين الناس ومعرفة الظالمين لأحواله ومتابعة تحرّكاته، ممّا يؤدّي إلى كشف أماكن تواجده. ولذا فإنّ الأمر صدر من أهل البيت عليهم السلام بعدم البحث عنه، والامتناع عن التصريح باسمه إن كان يعرف اسمه الصريح.

رأي العلامة المجلسي في هذه الأخبار:

وتعليقاً على هذه الروايات قال العلامة المجلسي -رحمته الله: «هذه التحديدات مصرّحة في نفي قول مَنْ خَصَّ ذلك بزمان الغيبة الصغرى، تعويلاً على بعض العلل المستنبطة والاستبعادات الوهميّة. ^(١) ويقصد بالتحديدات التي ذكرتها الروايات «حتّى يظهره الله» أو «حتّى يبعثه الله» وبالتالي فهو يرى أنّ النهي مطلقاً في كلّ زمان حتّى يظهره تعالى ويميل إلى هذا الرأي أكثر المحدثين من العلماء.

رأي الشيخ الصدوق عليه الرحمة:

«والذي أذهب إليه النهي عن تسميته عليه السلام». ^(٢)

الطائفة الثانية: الروايات التي تنهى التصريح بالاسم في المحافل العلنيّة وأمام الأعداء

وهي كالتالي:

١ - روى الصدوق في (كمال الدّين) بسنده إلى عليّ بن عاصم الكوفي: خرج

(١) بحار الأنوار: ٣٢ / ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢ / ٥١، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٤٨ / ٢.

في توقيعات صاحب الزمان عليه السلام: «ملعون ملعون من سماني في محفل من الناس». ^(١)

٢ - وروى بسنده إلى محمد بن عثمان العمري (قدس سره) يقول: خرج توقيع بخط أعرفه: «مَنْ سَمَانِي فِي مَجْمَعٍ مِنَ النَّاسِ بِاسْمِي فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ». ^(٢)

ربما يفهم من هذه الروايات التخصيص في وقت معين وفي زمان معين، أي عند الظروف الحرجة والأماكن العامة والمحافل العلنية التي تجعل أمر الإمام واسمه في متناول الجميع، أمّا المخافل الخاصة من المؤمنين فلا منع في هذه الروايات.

فإذا ثبتت أنّ هذه الروايات هي تخصيص للروايات المطلقة السابقة فعندها يكون حكم النهي يخص الأماكن العامة والإعلام الذي يكون في متناول الجميع ممّا يكشف الإمام عليه السلام أمام الأعداء، ولعلّ الرواية التالية تؤيد هذا الاستنتاج:

٣ - جاء في المستدرک رواية الحسين بن حمدان عن الريان بن الصلت أنّه قال: سمعت الرضا عليّ بن موسى عليهما السلام يقول: «القائم المهدي عليه السلام ابن ابني الحسن، لا يرى جسمه ولا يُسمّى باسمه بعد غيبته أحدٌ، حتّى يراه ويعلن باسمه فيسمعه كلّ الخلق». فقلنا له: يا سيّدنا، فإن قلنا: صاحب الغيبة، وصاحب الزمان، والمهدي؟ قال: «هو كلّ جائز مطلقاً، وإنّما نهيتكم عن التصريح باسمه الخفي عن أعدائنا فلا يعرفوه». ^(٣)

(١) بحار الأنوار: ٥١ / ٣٣، عن كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥١ / ٣٣، عن كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٣.

(٣) المستدرک: ١٢ / ٢٨٥.

٣٠٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

كما تؤيد هذه الرواية السابقة عن الحميري عن أحمد بن إسحاق عن العمري والتي فيها: «إياك أن تبحث عن هذا، فإنّ عند القوم أنّ هذا النسل قد انقطع»^(١).

وفي هذه الروايات دلالة على النهي من تسريب الاسم إلى الظالمين كي لا يلاحق ويُقتل.

الطائفة الثالثة: الروايات المصرّحة باسمه الشريف والتي ربّما يفهم منها الجواز المطلق.

وهي روايات عديدة صرّحت باسمه الشريف في مناسبات عديدة، وهي في ظاهرها تناقض الطائفة الأولى وهي كالتالي:

١ - حديث اللوح: وهو من الأحاديث الصحيحة العظيمة، فيه أسماء الأئمة واحداً بعد واحد، وقد أنزله الله على نبيّه في لوح أخضر كالزمرّد، مكتوب بنور أبيض، وهو من معاجز النبي ﷺ. وكان هذا الحديث عند فاطمة عليها السلام، وقد أخذه جابر الأنصاري منها وطلبه الباقر عليه السلام من جابر ليطابقه بما عنده، فإذا هو مطابق له... وقد جاء فيه ما خلاصته:

عن عبدالرحمن بن سالم، عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام... «هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيّه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين، عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي، ولا تجحد الأئني، إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدّته إلّا جعلت له وصياً... (ثمّ عدّد الحديث جميع الأوصياء حتّى إذا وصل إلى الثاني عشر قال) وأكمل ذلك

(١) بحار الأنوار: ٣٣/٥١.

بابنه (م ح م د) رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب...». قال عبدالرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك، فضنه إلا عن أهله. ^(١)

٢ - وكذا رواية جابر في ذكر اسلام جندل بن جنادة بن جبير وقد جاء فيها: ... وقال: يا رسول الله، سمهم لي، فقال: «أولهم سيّد الأوصياء أبو الأئمة عليّ ثم ابنه الحسن والحسين...» ثم قال: فمن بعد الحسين وما أساميه؟ قال: «... إذا انقضت مدّة الحسين فالإمام ابنه عليّ ويُلقّب بزين العابدين، فبعده ابنه محمد يُلقّب بالباقر، فبعده ابنه جعفر يُدعى بالصادق، فبعده ابنه موسى يُدعى بالكاظم، فبعده ابنه عليّ يُدعى بالرضا، فبعده ابنه محمد يُدعى بالتقي والزكيّ، فبعده ابنه عليّ يُدعى بالنقي والهادي، فبعده ابنه الحسن يُدعى بالعسكري، فبعده ابنه «محمد» يُدعى بالمهديّ والقائم والحجّة...». ^(٢)

قال الصافي بعد إيراد الحديث: روى هذا الحديث جماعة من أكابر أئمة الحديث، منهم الشيخ عليّ بن محمد بن عليّ الخزّاز في كفاية الأثر، فقد روى نحوه بسنده في باب ما جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله ﷺ في النصّ على الأئمة عليهم السلام، ولفظه يدلّ على عدم جواز التسمية؛ ومنهم الصدوق فإنّه كما في تبين المحجّة إلى تعيين الحجّة روى نحوه بسنده عن جابر، ولفظه

(١) ينظر: الكافي: ١/ ٥٢٨.

(٢) منتخب الأثر: ٢٨٦.

٣٠٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أيضاً يدلّ على عدم جواز التسمية. ^(١)

٣ - جاء في كفاية الأثر بالسند إلى أبي علي بن همام، قال: سمعت محمّد ابن عثمان العمري، يقول: سمعت أبي، يقول: سئل أبو محمّد الحسن بن عليّ - وأنا عنده - عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام «ألا إنّ الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، وإنّ مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فقال: «إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ»، ف قيل له: يا ابن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟

قال: «ابني «محمّد» هو الإمام والحجة بعدي، مَنْ مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة، أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون...». ^(٢)

٤ - روى أمين الإسلام الطبرسي في إعلام الوري قال: روى المفضّل بن عمر قال: دخلت على سيّدي جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، فقلت: يا سيّدي، لو عهدت إلينا مَنْ الخلف من بعدك؟ فقال: «يا مفضّل، الإمام من بعدي موسى، والخلف المنتظر (م ح م د) بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى عليه السلام». ^(٣)

٥ - روى الشيخ الطوسي في الغيبة عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تأويل قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [التوبة/٣٦] قال: فتنفّس سيّدي الصعداء، قال: «يا جابر، أمّا السنة

(١) منتخب الأثر: ٢٨٦.

(٢) منتخب الأثر: ٢٨٦.

(٣) منتخب الأثر: ٢٩١، عن إعلام الوري: ٢/ ٢٣٤.

فهي جدِّي رسول الله ﷺ، وشهورها اثنا عشر شهراً فهو أمير المؤمنين إليّ وإلى ابني جعفر وابنه موسى وابنه عليّ وابنه محمد وابنه عليّ وإلى ابني الحسن وإلى ابني «محمد الهادي المهدي» اثنا عشر إماماً...»^(١).

٦ - جاء في دلائل الإمامة (والحديث طويل نأخذ منه قدر الحاجة) عن أبي موسى عيسى الهاشمي عن الحسن بن عليّ عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال لي رسول الله ﷺ: رأيت ليلة أُسري بي - إلى أن قال: - ولشيعة ابني محمد المهدي من بعده. يا محمد، فهؤلاء الأئمة من بعدك...»^(٢).

٧ - وجاء فيه بسنده إلى سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً»، فقلت: يا رسول الله، لقد عرفت هذا من أهل الكتابين، فقال: «هل علمت من نقبائي الاثني عشر - الذين اختارهم الله للأئمة من بعدي؟» فقلت: الله ورسوله أعلم... (ثم ذكر خلقهم من نور ثم عدد الأئمة واحداً واحداً إلى أن قال: «ثم ابني «محمد» بن الحسن المهدي القائم بأمر الله»^(٣).

٨ - روى الشيخ الصدوق بالسند إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان - إلى أن قال - له اسمان: اسم يخفى، واسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد»^(٤).

(١) منتخب الأثر: ١٨٤، عن الغيبة للطوسي: ١٤٩.

(٢) منتخب الأثر: ١٨٣، عن دلائل الإمامة: ٤٧٦.

(٣) منتخب الأثر: ١٨٣، عن دلائل الإمامة: ٤٤٨ - ٤٤٩.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٣.

٣٠٨ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ويميل إلى الجواز الكثير من العلماء وربّما حملوا المنع الوارد على خصوص الغيبة الصغرى وليس في زمن الغيبة الكبرى مثل زماننا، وهناك من العلماء مَنْ يستتج إنَّ النهي المشدّد يكون في فترة قصيرة جدّاً وهي ما بين ظهوره وإعلان الثورة لأنّه في ذلك يكون مستخفياً.

وجه الجمع بين الروايات الناهية والمجوّزة لذكر الاسم المبارك للإمام

المهدي عليه السلام:

أولاً: لا بدّ من معرفة لماذا نهت الروايات عن ذكر الإمام بالاسم الصريح وشدّدت في ذلك؟ ولماذا بعض الروايات ذكرت صراحةً اسمه المبارك؟ وهل يمكن أن تكون كلتا الطائفتين من الروايات معتبرة وصحيحة أو أنّ إحداها غير معتبرة كما يقول بعض بالنسبة إلى الروايات المصرّحة بالاسم، وهو المحدث الطبرسي النوري صاحب النجم الثاقب؟!

فإنّه بعد ما ذكر أنّ اسمه الشريف (محمّد) «اسمه الأصلي، واسمه الأوّل الإلهي عليه السلام كما في الأخبار المتواترة الخاصّة والعامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «المهدي اسمه اسمي».

وقد استفاض في خبر اللوح بل تواتر تواتراً معنوياً عن جابر.

وقد ثبت اسم المهدي برواية الصدوق في (كمال الدّين) و(عيون الأخبار) بهذا النحو: «أبو القاسم محمّد بن الحسن، هو حجّة الله تعالى على خلقه القائم، أمّه جارية اسمها نرجس صلوات الله عليهم أجمعين».

وفي رواية الشيخ الطوسي في الأمالي: «والخلف محمّد يخرج في آخر الزمان، على رأسه غمامة بيضاء كظلّة من الشمس، ينادي بلسان فصيح يسمعه الثقلين والخافقين، وهو المهدي من آل محمّد، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

وفي رواية قال جابر: فرأيت فيها محمّداً محمّداً محمّداً في ثلاثة مواضع، وعلياً وعلياً في أربعة مواضع.^(١)

ثم أورد عدّة أخبار تدلّ على الحرمة في المجالس والمحافل وضعف تلك الروايات التي تدلّ على التصريح بالاسم: «وأما تلك التي تدلّ على الجواز فهي عدّة أخبار ضعيفة بحسب السند».^(٢)

فكيف يمكن الجمع بين كلامه طاب ثراه، حيث أثبت أنّ المصريح متواترة من الخاصّة والعامة، واستشهد برواية الصدوق والطوسي؟

فنقول بعد الاستعانة بالله تعالى: أولاً: إنّ خبر اللوح من الأخبار المشهورة والصحيحة وقد صرّحت بالاسم حتّى عند الذين يقولون بالنهي عن الاسم كالصدوق عليه الرحمة، فإنّه لا يضعف الحديث. وعليه لا يمكن رفع اليد عن الروايات المثبتة والروايات الناهية، ولا بدّ من إيجاد وجه للجمع بينهما.

ثانياً: أنّ الغاية من ذكر الاسم بعض الأحيان لبعض الأصحاب هي أنّ لا يبقى الاسم مجهولاً ومكتوماً فلا يُعرف عند المواليين والمحبّين، وإلاّ كيف يأتّم المؤمنون بإمام لا يعرفون اسمه الشريف؟!

والقول بأنّ ذكر الاسم لبعض فقط أمثال جابر، وهو من الأسرار الخاصّة بهم، فكيف أصبح متداولاً تذكره الأجيال والمؤمنون، وينقل في روايات الأصحاب وفي متون الكتب التي يطلع عليها الخاصّ والعام؟!

أمّا وجه النهي المشدّد عن ذكره باسمه قبل ولادته وأيام غيبته الصغرى

(١) النجم الثاقب: ١ / ٢١٨.

(٢) النجم الثاقب: ١ / ٢٣١.

٣١٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

والكبرى ، فهو بحسب القرائن وسياق الروايات من أجل حفظ الإمام من العثور عليه من قبل الظالمين وعدم ملاحقته وملاحقة شيعته، كما أشارت بعض الروايات، وكما صرّحت بعضها مثل رواية الحسين بن حمدان عن الريّان بن الصلت أنّه قال: سمعت الرضا عليّ بن موسى عليه السلام يقول: «القائم المهدي عليه السلام ابن ابني الحسن، لا يُرى جسمه، ولا يُسمّى باسمه بعد غيبته أحدٌ، حتّى يراه ويعلن باسمه فيتسمّه^(١) كلّ الخلق». فقلنا له: يا سيّدنا، فإن قلنا: صاحب الغيبة، وصاحب الزمان، والمهدي؟ قال: «هو كلّ جائز مطلقاً، وإنّا نهيتكم عن التصريح باسمه الخفي عن أعدائنا فلا يعرفوه».^(٢)

والروايات تؤكّد أنّه لا يرى جسمه ولا يتسمّى باسمه أو لا يحلّ ذكره باسمه لنفس الغرض.

وقد أثبتنا في الفصل الثالث (علّة الغيبة) أنّ السبب في طول غيبته خوفه من القتل. ولكن صاحب النجم الثاقب «المحدث النوري» ذكر أنّ سبب الحرمة هو اختصاص الإمام عليه السلام بهذا الاسم، وأنّه من الأسرار المكنونة والخصائص الإلهية مثل كون أمير المؤمنين من خصائص جدّه عليه السلام.

وقد نفى أنّ تلك الروايات الناهية عن التصريح بالاسم بسبب التقيّة معللاً بأنّ الروايات نقلت «اسمه اسمي» وصرّحت في بعضها.^(٣)

(١) في الهداية المطبوع (فيسمعه) وفي المستدرک المطبوع بالطبعة الحجرية (فليسمّه) ولعلّه من خطأ النساخ.

(٢) المستدرک: ١٢ / ٢٨٥.

(٣) النجم الثاقب ١ / ٢٣١.

والذي يبدو من ظاهر الروايات وألفاظها أنها وردت في مورد ضرورة التقيّة، وأنّ الخوف عليه هو الباعث من عدم ذكره في المحافل والمجالس، وبعضها تصرّح «إيّاك والبحث عن الاسم، لأنّ القوم عندهم أنّ النسل انقطع» وبعضها تقول: «لو عرفتموه لدلّتم عليه»، وبعضها تقول: «لو أنّ بني فاطمة عرفوه لقطعوه»، وأخرى تقول: «إنّما نهيتكم عن التصريح باسمه الخفي عن أعدائنا فلا يعرفوه». وأخرى تشدّد وتوسم من يصرّح باسمه في محفل علني بالكفر، وتارة توجب له اللعن.

ويظهر من جميع سياق الروايات المُشدّدة بعدم الإشهار بين الناس فيصبح عند العدو معروفاً، وتخصيص المحافل العامة بالتشديد لأنّها محلّ الشاهد. كما أنّ الروايات التي نهت عن المعرفة إنّما أرادت بعدم الإشهار والتصريح والاحترار وشدة التقيّة، بقرينة أكثر الروايات التي نهت عن ذات التسمية وليس المعرفة.

وإلاّ كيف نفسر معرفة كثير من الخواص الاسم المبارك وتداوله بينهم في المجالس الخاصّة، وصارت عبر القرون متداولة في متون الكتب من روايات الأصحاب.

ثالثاً: وحيث إنّ منهج أصحابنا يقول بأنّ الجمع بين الروايات أولى من الطرح، فإنّنا نحاول التوفيق ما أمكن، ولا ندّعي الصواب والعلم عند الله تعالى: أقول: إنّ التقيّة من ضرورات الدّين كما جاء في رواياتهم عليهم السلام، وهي مستمرة حتّى قيام الحجّة عليه السلام.

ولكن كما يبدو أنّها من الأحكام المتحرّكة المرنة التي تتأثّر بالظروف الخارجيّة الزمانيّة، أي بدرجة حالة الحرج والعسر، وحيث إنّ الظروف السياسيّة والأمنيّة

٣١٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

تختلف من حاكم جائر إلى آخر ومن مكان إلى آخر، وهذا الأمر نلاحظه في سيرة أهل البيت وفي أقوالهم، بعض الروايات تشدد على عدم إظهار انتهاء المؤمن لمذهبه، وتأمر بضرورة التقية في العبادات، ولكن نجد بعضها تؤكد ضرورة عدم الائتنام بإمام فاسق ظالم ناصبي، وبعضها تؤكد ضرورة إظهار الحب على الجوارح، وبعضها تشدد على ضرورة زيارة الإمام الحسين عليه السلام رغم مختلف الظروف، هكذا نجد في تراث أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم التوجهين، وربما يفهم بعض أن ذلك تناقض فيلتزم بمنهج واحد من التوجهين، ولا يلتفت إلى التوجه الآخر، لتصوره بأن التوجه الآخر خاطئ.

والفقهاء العظام، هم الذين يعرفون معارضض كلام أهل البيت عليهم السلام، فربما أظهروا التقية وربما عملوا عكسها، ونجد ذلك في منهج الرواة والمحدثين المصنّفين لمجاميع الكتب الروائية، ففي يوم من الأيام نجد أن بعض الروايات يحرم ذكرها ويعتبر من يفشيها كمن شهر سيفه على أهل البيت، ولكننا نجد اليوم تتداول جميعها في متون الكتب وفي جميع الوسائل الإعلامية المختلفة التي يطلع عليها الخاص والعام، فلو أنها كانت محرمة مطلقاً لما خالف جميع هؤلاء الأعلام!!

وعليه فإن التقية نسبية وليست مطلقة لأنها تتعلق بالظروف الخارجية، وكذا يمكن القول بأن مسألة التسمية للإمام عليه السلام لأنها كانت في أيام ولادته وما قبلها وبعدها تعتبر من الأمور المحرمة الشديدة لخطورة الموقف، أما اليوم فلا يعتبر ذكره بالاسم من الأمور الخطيرة، ولربما جاءت فترة زمنية أخرى تشبه تلك الحالة السابقة.

رابعاً: هل يعني بذلك ارتفاع النهي أم لا؟

لا يمكن القول بارتفاعه ورفع اليد عنه إلاّ بدليل واضح، ويحتاج إلى قول الراسخ في العلم، ونحن بدورنا نستخرج أقوال العلماء. ويمكن القول بأنّ التقيّة هي نسبة ورّبما يتأثر الحكم بذلك، وفي ذلك يقول الفاضل صالح المازندراني في شرح هذا الخبر: «صاحب هذا الأمر رجل لا يسمّيه باسمه إلاّ كافر»: المراد بالكافر هنا تارك الأوامر، وفاعل النواهي دون منكر الربّ والمشارك به، وفيه مبالغة في تحريم التصريح باسمه، ولعلّه مختصّ بزمان التقيّة بدليل ما ذكرناه في مواضع متفرقة، ودلالة بعض الأخبار عليه ظاهرة، ويؤيّده عدم بقاء التحريم فيه في جميع الأوقات والأزمان، فإذا تطرّق إليه التخصيص جاز حمله على ما ذكرناه، فلا يكون دليلاً على شمول التحريم لزمان الغيبة. ^(١)

ويتّضح من كلامه بأنّ التحريم يختصّ بزمان التقيّة دون سائر الأيام. خامساً: أشارت كثير من الروايات إلى التحريم مطلقاً حتّى ظهور القائم عجل الله فرجه، ورّبما يفهم من كلام أهل البيت الإطلاق الذي يقيّد بالزمان وذلك لأنّ الظروف السياسيّة تختلف من حاكم إلى آخر، ومن زمان إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، كما يفهم من كلامهم عليه السلام الإعجاز لمعرفتهم بالمستقبل بأنّ الظلم سوف يدوم على المؤمنين حتّى قيام المهدي عجل الله فرجه، فإنّ النهي يستمرّ مع هذه الظروف، ورّبما ارتفع نسبياً في يوماً من الأيام!! ورّبما يجاب عن هذا الاستظهار بما يلي: هذا الكلام يتمّ إذا كانت العلة من النهي هي التقيّة، أمّا إذا كانت العلة هي التعبّد بالروايات فلا مجال لهذا

(١) شرح المولى صالح المازندراني على أصول الكافي: ٢٣٦/٦، عن النجم الثاقب ١: ٢٢٥.

٣١٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الاستظهار!! فلا بدّ من الالتزام بالنهي الصادر عن الشارع المقدّس وعدم التسمية الصريحة، لأنّه حكم دائم وشامل لجميع الأزمان من دون اعتبار الظروف الخارجيّة.

وما يؤيّد هذا الجواب أنّ الروايات التي لمحت وصرّحت باسمه الشريف يخرج احتمال أنّ العلة هي التقيّة، وإنّما هو التعلّد الذي لا نعلم سببه الحقيقي. وفيه: أنّ التقيّة من الضرورات وخصوصاً في هذا الأمر الذي يتعلّق به مصير الإمام عليه السلام ومصير هذا الدّين، فلا يمكن رفع اليد عن هذه العلة والسبب، لأنّ الروايات عللت أنّ سبب غيبته خوف القتل، ويبدو أنّ المناط متّحد بين علّة الغيبة والنهي عن التسمية، وبما أنّ العلة الأصليّة مخفيّة ومسكوت عنها فيمكن القول: إنّ التقيّة ليست هي العلة الوحيدة، وإنّما هي أحد الأسباب الرئيسيّة لوجود النصوص الصريحة فيها، وأمّا سائر العلة فربّما هي سبب مؤثّر في المسألة، ولكن مسكوت عنها في لسان الروايات.

السادس: لعلّ النهي الصادر عن أهل البيت عليهم السلام عن التصريح باسم الإمام عليه السلام مخصّص في الأماكن العامّة والمحافل وليس بشكل مطلق، أمّا المجالس الخاصّة بين الموالين فهو مسكوت عنه، وإذا ثبت هذا التخصيص فإنّ العلة والسبب يكون واضحاً في دلّالته، لكي لا يشتهر فيصل إلى أسماع الأعداء، فيكون موجّباً لإيذاء الإمام وملاحقته، كما في رواية محمد بن عثمان العمري قضى قال: خرج توقيع أعرفه: «مَنْ سَمَّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله» ^(١).

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٣.

وكذا في التوقيع الذي صدر عنه عليه السلام: «ملعون مَنْ سَمَّاني في محفل من الناس»^(١).

وقد أجاب العمري - سفير الإمام - أحمد بن إسحاق المعروف بجلالته وقربه من أهل البيت، حيث كلف من قبل الشيعة أن يسأل عن الاسم، «إيّاك أن تبحث عن هذا، فإنّ عند القوم أنّ هذا النسل قد انقطع»^(٢).

وكذا عبدالله الصالحي، قال: سألتني أصحابنا بعد مضي - أبي محمد عليه السلام أن أسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب: «إن دللتهم على الاسم أذاعوه، وإن عرفوا المكان دلّوا عليه»^(٣).

وقد أجاب المحدث النوري عن هذا التوجيه:

وأما حمل هذه الأخبار على التقيّة فلا يجوز لعدّة وجوه:

الأوّل: أنّه نقل جمع من محدّثي الخاصّة والعامة هذه الفقرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «اسمه اسمي»... فالكلّ إذن يعرفون اسمه عليه السلام، فعلى من يراد إخفاؤه؟

الثاني: أنّه ذكر في كثير من هذه الأخبار وغيرها النهي عن ذكر الاسم، مع أنّها صرّحت أنّ اسمه اسم رسول الله ﷺ، ومعنى ذلك أنّ الراوي والسامع قد علما باسمه الأصلي، فإذا كان ذلك تقيّة فقد علما، وإن كانت عن الغير فعليهما أن لا يذكره في مكان آخر، إذن فالحذر من ذكره في ذلك المجلس لا معنى له، بل

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤١-٤٤٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٣/٥١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٣/٥١.

كان من اللازم تنبيههما على عدم ذكره في مجلس آخر ولم ينبّهوا.
 الثالث: أنه إذا كان مجرد ذكر الاسم هو منشأ الخوف والفساد بملاحظة أن الجبارين متصدّين لاستئصاله وقتله عندما يصلون إليه، لأنّه على يده ﷺ زوال ملكهم وانقطاع دولة الظالمين، فيكون من الأفضل أن لا يذكر بأيّ اسم ولقب معروف به، وخصوصاً لقب المهدي، فإنّ في كلّ تلك الوعود والمواعيد النبويّة قد ذكره ﷺ بهذا اللقب، وعرف به بعد ذلك...
 وقال أيضاً: فليس هناك طريق في بيان اختصاصه بهذا الاسم، إلا أن يكون من الأسرار المكنونة، والخصائص الإلهيّة، مثل كون أمير المؤمنين من خصائص جدّه ﷺ... (١).

ويمكن الجواب عن هذه الوجوه بأمور:
 أولاً: لقد وردت عن رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ أحاديث كثيرة في تسميته ﷺ بأسماء عديدة كالمهدي والقائم والمنتظر وغيرها... بالعشرات ممّا لا يحصر اسمه باسم النبي صلوات الله عليه وعلى آله، وهو أسلوب يجعل اسمه الشريف الصريح واحد من عشرات الأسماء والألقاب المباركة ممّا يفوت على العدو التركيز على اسم معيّن.

وهذه الطريقة الأمنيّة يلجأ إليها كثير من الثوّار والمعارضين للأنظمة، حيث يجعلون لهم أسماء متعدّدة ويغيّرونها بين الحين والآخر، وينتقلون بوثائق مزوّرة من بلد إلى بلد ممّا يسهّل عليهم التنقّلات. ولكن الفارق بينه ﷺ وبين أولئك المعارضين أن أسماءه المباركة وألقابه اسمٌ على مسمّى فهو جامع لتلك الصفات.

(١) النجم الثاقب: ١/ ٢٣٠ - ٢٣١.

كما أنَّ الأساليب العديدة التي استخدمها أئمة أهل البيت عليهم السلام في نسبته إلى آبائه، فتارةً تنسبه إلى الحسين، وتارةً إلى أمير المؤمنين، وتارةً إلى الصادق، وتارةً إلى العسكري، وكذا خفاء ولادته، والتعتيم على اسمه جعل شخصه المبارك غير محدّد عند أعداء أهل البيت، فهو شخص مشترك بين أسماء عديدة، حتّى أصبح الكثير من الباحثين حتّى هذا اليوم يقعون في كثير من الأوهام والتشوّش، فبين جاهل بالموضوع وبين قاصد لتضييع الحقيقة وبين شاكّ.

وبذلك يمكن الجواب عن قول النوري رحمته الله «فالكلّ إذن يعرفون اسمه عليه السلام، فعلى من يراد إخفاؤه؟».

الثاني: قد ذكرنا أنّه لا بدّ للموالين والمحبيّين أن يعرفوا اسم إمامهم، لكي لا يكون مجهولاً عندهم وقد كان معروفاً عند خواصّهم، والمنع الذي صدر إنّما كان يهدف إلى أن لا يتداول في المحافل العامّة، وغالب الرواة في هذا الأمر هم من الخاصّة، فإذا ذكر عندهم فلا يخاف منهم عليه، ولكن لماذا لم ينبّهوا بعدم الإخبار به وتناقله؟ فقد كان معروفاً بأنّ اسمه محظور عندهم بسبب الحذر الشديد، وفي كثير من خطاباتهم المعروفة بل إنّ الرواة هم أجدر بالحذر لما يعلمونه من الخطر والخوف من قبل الظالمين، وأمّا تناقل اسمه وتسريبه من هنا وهناك عبر الأجيال إنّما كان ذلك بسبب تقدير الراوي للظروف الأمنيّة زماناً ومكاناً وأفراداً.

ثالثاً: إنّ خوف الإمام من القتل على يد الظالمين خوف واقعيّ وقد صرّحت الروايات بذلك، وأنّ الغيبة واستمرارها لهذا السبب، وأنّ خوفه على نفسه في محلّه، لأنّ ذهابه يعني عدم تحقيق الوعد الإلهي بتحقيق العدالة العالميّة على وجه

الأرض.

والتوقيع الصادر عنه إلى محمد بن عثمان العمري يشدد خصوصاً في تلك المرحلة على إخفاء الاسم لحساسية الموقف: «فإنهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه»^(١).

وكان الظالمون يتوقعون أن يكون الإمام الثاني عشر - كسائر الأئمة - يقوم بنشاطه بشكل ظاهري ويعيش بين الناس، ولما فوجئوا بعدم رؤيته ومعرفة اسمه جنّ جنونهم، ممّا جعلهم يراقبون الإمام العسكري وجعلوا نساءه تحت الإقامة الجبرية. وهذا التشديد من الإمام في إخفاء الاسم لأجل أن يصل الظالمون إلى مرحلة اليأس من المعرفة وبالتالي عدم الملاحقة.

وبعض الروايات نهت عن السؤال بتعليل أن الأعداء اعتقدوا أن نسل الأئمة قد انقطع.

والسؤال الذي يدور في الأذهان: هل الخوف ما زال مستمر؟ بالطبع الخوف لا يزال مستمر، لأنه ﷺ البديل الحقيقي للحكومات الجائرة على وجه الأرض، فإذا علموا بهدف الإمام ومكانه لما توقّفوا لحظة واحدة من ملاحقته والقضاء عليه، ولذا كان من الضروري بقاء الاسم بصورة غير واضحة للظالمين، كونه بداية المعلومات الأمنية حول شخصية الثائر العالمي. وأما قوله طاب ثراه: «إنّه من مختصات أسمائه ومن المكنونات...» فلا نستطيع نفية ولا إثباته إلاّ بدليل واضح، والله هو العالم. وعليه يظهر أن احتمال الفاضل المازندراني هو الأقرب وهذا ما تؤيّده الطائفة

(١) الغيبة للطوسي: ٢٦٤.

الثانية من الروايات والتي هي تخصّص الإطلاق في الطائفة الأولى فلا يكون حينئذ تعارض بين الطوائف الثلاث من الروايات الناهية مطلقاً، والمجوزة مطلقاً، والمقيّدة بالمحافل العامة، فتكون التقيّة هي الجامع والسبب والمقيّد... والله العالم.

ويؤيد ذلك جمع من العلماء والمحدثين، الحرّ العامليّ، والمحدث القميّ. قال الشيخ عبّاس القمي في المنتهى: هذا ولا يخفى - بمقتضى الأخبار الكثيرة المعتبرة - حرمة ذكر هذا الاسم المبارك في المجالس والمحافل حتّى ظهوره الميمون، وهذا الحكم من خصائصه عليه السلام، وهو مسلّم به عند قدماء الإماميّة من المتكلّمين والمحدثين، حتّى أنّه يظهر من أقوال الشيخ الأقدم الحسن بن موسى النوبختيّ أنّ هذا الحكم من خصائص مذهب الإماميّة، ولم ينقل عن أحد خلافة حتّى عهد الخواجه نصير الدين الطوسيّ، إذ يقول هذا المرحوم بالجواز، ولم يرد بعده ما يخالف ذلك إلّا من صاحب (كشف الغمّة)، وفي عصر - الشيخ البهائيّ كان في هذه المسألة نظر، وكانت محلاً للشجار بين الفضلاء حتّى لقد ألفت فيها رسائل منفردة مثل (شرعة التسمية) للمحقّق الداماد، و«رسالة تحريم التسمية» للشيخ سليمان الماحوزيّ، و(كشف التعميّة) لشيخنا الحرّ العامليّ، وغيرها وتجد تفصيل ذلك في «النجم الثاقب»^(١).

(١) ينظر: منتهى الآمال: ٢/ ٥٦٦.



الفصل السادس

ولادة النور

ولد الإمام المهدي عليه السلام قبل شهادة أبيه العسكري بخمس سنين تقريباً، ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر على ما هو المشهور بين المحدثين والعلماء.

فقد روى المحدث النوري في النجم الثاقب بالسند إلى أبي محمد فضل ابن شاذان المتوفى بعد ولادة الحجة عليه السلام وقبل وفاة أبيه أبي محمد العسكري في كتاب غيبته، قال: حدثني محمد بن علي بن حمزة بن الحسين بن عبيد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول: «وُلِدَ وليّ الله وحجّته على عباده وخليفتي من بعدي مختوناً ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر، وكان أوّل من غسّله رضوان خازن الجنة مع جمع من الملائكة المقربين بماء الكوثر والسلسبيل، ثم غسّله عمّتي الحكيمة بنت الإمام محمد بن عليّ الرضا عليه السلام».

ثم سألوا محمد بن عليّ (راوي الحديث) عن أمّه عليه السلام، قال: كانت أمّه مليكة ويقال لها بعض الأيّام: سوسن، وفي بعضها ریحانة، وكان صقيل ونرجس أيضاً من أسماؤها.

ثم قال المحدث النوري رحمه الله: ومن هذا الخبر يظهر وجه الاختلاف في اسم أمّه المعظمة، وأنها تسمّى بكل واحد من هذه الأسماء الخمسة. ^(١)

(١) النجم الثاقب: ١/ ١٣٥، منتخب الأثر: ٣٩٧، وجاء في هامشه: الأشهر بل المشهور أنّ ولادته عليه السلام اتفقت كما في هذا الحديث الشريف الصحيح في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة (٨٦٩م).

→

قال المفيد في الإرشاد: كان الإمام بعد أبي محمد عليه السلام ابنه المسمى باسم رسول الله ﷺ المكّي بكنيته، ولم يخلف أبوه ولداً ظاهراً ولا باطناً غيره، وخلفه غائباً مستتراً على ما قدّمنا ذكره، وكان مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥، وأمّه أم ولد يقال لها: نرجس، وكان سنّه عند وفاة أبيه خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة، كما آتاه يحيى صبيّاً، وجعله إماماً في حال الطفوليّة الظاهرة، كما جعل عيسى بن مريم في المهد نبياً، وقد سبق النصّ عليه من نبيّ الهدى عليه السلام ثمّ من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونصّ عليه الأئمة واحداً بعد واحد إلى أبيه الحسن عليه السلام، ونصّ أبوه عليه عند ثقاته وخاصّة شيعته، وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده، وبولادته مستفيضاً قبل غيبته، وهو صاحب السيف من أئمة الهدى عليه السلام، والقائم بالحقّ المنتظر لدولة الإيمان، وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، كما جاءت بذلك الأخبار، أمّا القصرى منها منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة، وأمّا الطولى فهي بعد الأولى، وفي آخرها يقوم بالسيف، الخ. (الإرشاد: ٢/ ٣٣٩)

وقال الكليني في الكافي: (١/ ٥١٤) ولد عليه السلام للنصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وروي ذلك عن الكراجكي في كنز الفوائد والشهيد في الدروس.

وقال الشيخ في مصباح المتهجد: في هذه الليلة ولد الخلف الحجة صاحب الأمر عليه السلام، ويستحبّ أن يدعى فيها بهذا الدعاء، ثمّ ذكر دعاء: «اللهمّ بحقّ ليلتنا هذه ومولودها» إلى آخره. (مصباح المتهجد: ٨٤٢)

وقال الشيخ البهائي في توضيح المقاصد: فيه (يعني في اليوم الخامس عشر) ولد الإمام أبو القاسم محمد المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وذلك بسرّ من رأى سنة ٢٥٥. (توضيح المقاصد: ٢٠)

←

الأدلة على ولادة الإمام المهدي عليه السلام:

وهل يحتاج النور إلى أدلة على ثبوته؟!
إنّ كلّ إنسان يمتلك الوجدان والعقل والفطرة السليمة والذوق الصحيح
لا يمكن أن يطلب الدليل على بزوغ الفجر وشعاع الشمس، لأنّ نورها يعمّ جميع

→

وقال الطبرسي في إعلام الوري: (٢/ ٢١٤) ولد عليه السلام بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان
سنة ٢٥٥.

وصرح بذلك جماعة من أعلام العامة.

قال ابن الصبّاح المالكي في الفصول المهمة: (٢/ ١١٠٢ - ١١٠٣) ولد أبو القاسم محمّد الحجة
بن الحسن الخالص بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين
للهجرة... إلى أن قال: وأما أمّه فأُمّ ولد يقال لها: نرجس، خير أمة، وقيل اسمها غير
ذلك.

وقال ابن خلّكان في وفيات الأعيان: (٤/ ١٧٦) كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان
سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفّي أبوه وقد سبق ذكره كان عمره خمس سنين، واسم
أمّه خمط، وقيل: نرجس.

وفي روضة الصفا نقل عن ترجمة المستقصي بالفارسيّة ما هذا حاصله: كانت ولادة الإمام
الموعد المسمّى باسم رسول الله، والمكنّى بكنته بسرّ من رأى في ليلة النصف من شعبان
سنة خمس وخمسين ومائتين، وكان عمره وقت وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكمة كما
آتاها يحيى صبيّاً، وجعله في الطفولة إماماً كما جعل عيسى نبياً. وصرّح به أيضاً السيّد
محمّد خواجه پارسا صاحب روضة الأحباب وغيرهم. (منتخب الأثر: ٣٩٨ - ٣٩٩).

٣٢٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

المخلوقات فتنتفع به.

وهذه الحقيقة تنطبق على نور الوجود صاحب الزمان الإمام المهدي الذي هو إمام الأرض وأهلها وصاحب الولاية الكبرى على جميع المخلوقات. وولادة الإمام المهدي عليه السلام من الأمور البديهة المسلّمة المقطوع بها عند جميع علماء المسلمين، لا تحتاج إلى التكلّف في إقامة الأدلّة لإثباتها. ولكن بعض النفوس الضعيفة المشكّكة والخصوم الذين يصرون على الخلاف والعناد لابدّ من إلزامهم بالأدلّة العلميّة القاطعة التي لا مجال لردّها.. كيف لا وإنّ مسألة ولادة الإمام من أكثر القضايا وضوحاً وشهرة، حيث سلّطت عليها الروايات الضوء بما لا تدع لأحد مجالاً للجهل والشك. ولأنّ الخصم يطلب الدليل العقلي والوجداني الواقعي والعلمي كان لابدّ لنا من إقامة الأدلّة لإلزامه بها.

فما هي الأدلّة على ولادة صاحب الزمان؟

الأول: القرآن الكريم.

أدلّة القرآن الكريم من الأمور القطعيّة التي لا يجوز لأحد إنكارها أو مخالفتها، وأوردنا في هذا الكتاب أدلّة الحجّة في الفصل الأوّل من القرآن الكريم والسنة، ولا داعي إلى تكرارها، ولكن نذكر بهذه الآيات على سبيل الإيجاز والاختصار، فنقول: هناك عشرات الآيات الشريفة يستفاد من عموماتها وطبّاتها ولادة الإمام الحجة عليه السلام في زمن أبيه العسكري عليه السلام، وكانت له الإمامة والزعامة بعد شهادة أبيه مباشرة، ومنتهى الأمر أنّ الظرف الزماني السياسي والأمر الإلهي جعله في حالة الغيبة الصغرى ثمّ الكبرى. وهذه الآيات التي نورد بعضها تُدلّل بالقطع واليقين على ولادته، وإن

لم تصرّح بشكل خاص، ولكن نور الآيات يشع على الكون والعصور كلّها إلى يوم القيامة، ومن ينكرها فقد كفر بالقرآن، ومنها آية الاستخلاف في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة/ ٣٠] ولو لم نقل بولادته المباركة لأبطلنا معنى وحقيقة هذه الآية، حيث أخبر الله ووعد بأن يجعل الخليفة على هذه البسيطة، قبل أن يخلق هذا الخلق، ومعهم وبعدهم، لأن الأرض وأهلها قد ثبت أنها لا يمكن أن تصلح لحظة واحدة من دون حجة ورسول ومنذر وإلا آلت إلى الفناء والخراب، وقد أكّدت الآيات على ذلك في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: ١٥].

وأن هذه الأرض لابد لها من إمام، تنزل عليه الملائكة باستمرار، إلى يوم القيامة، يدير شؤون العباد، ولم يدع أحدًا أنه صاحب هذا الأمر إلا أهل البيت، وإن الوصي الثاني عشر هو آخرهم فهو صاحب الولاية والقيومة على البلاد والعباد. وشاءت إرادة الله سبحانه أن يتمّ منته ويدوم لطفه على العباد بالهداية في كلّ زمان ومكان ويكون الهادي للبشريّة بعد النبي ﷺ قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] فنسأل الخصم من هو الذي يدّعي أنه الهادي بعد النبي في زماننا غير الإمام المهدي بن الحسن عليهما السلام؟ ولو لم تتم ولادته لبطلت هذه الآية المباركة!!

كما أن القرآن سدّ الباب على من يريد التملّص والإنكار فقد جعل الائتنام على كلّ إنسان واجب عينيّ في كلّ زمان ومكان، وإنه من بات وليس في عنقه بيعة لإمام زمانه مات ميتة جاهليّة، كما نصّ عليه الرسول الأعظم، ونصّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الاسراء: ٧١].

٣٢٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ويكفيها آية واحدة من سورة القدر لإسكات جميع الخصوم وهي آية ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

والسؤال الذي نوجهه لهم أليس الفعل من الآية «تنزل» يدل على استمرار نزول الملائكة في كل عام من ليلة القدر بالمقادير وأمور العباد؟

وإذا كان الجواب بنعم؛ وهو كذلك فعلى مَنْ تنزل الملائكة بعد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا؟ هل ادعى أحد من الخلفاء السابقين إنها تنزل عليه من أمثال معاوية ويزيد والوليد وهارون الرشيد والمتوكل وطغاة زماننا؟!

والحقيقة أنه لم يدعي نزول الملائكة عليه بالمقادير إلا أئمة أهل البيت عليه السلام بعد رسول الله ﷺ وهي مستمرة إلى يومنا هذا على إمام زماننا المهدي المنتظر وهو الذي يدير شؤون الخلق لأنه ولي الله على هذا الكون وعليه تنزل الملائكة بالمقايير والأمور لهذا الخلق، ولو لم نقل بذلك لكذبنا القرآن ولأبطلنا الفرض والحكمة من الخلق الذي هو اللطف واستمرار الهداية والرحمة ونفينا بذلك الحكمة الربانية!! ناهيك عن الآيات المباركة المؤولة في حق صاحب الزمان والتي هي بالعشرات فلم نوردتها حتى لا يدعي الخصم أنها غير تامة ولكن الآيات التي قدمناها لا يمكن إنكارها ولاردّها.

ولو أردنا الاستدلال بجميع الآيات ذات الصلة بهذا الموضوع لاحتجنا إلى كتاب مستقل لإثبات ذلك، وهذه الإشارات كافية لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الثاني: السنة المباركة

وهي من أكثر الأدلة وضوحاً وتفصيلاً في مسألة ولادة الإمام الحجة عجل الله فرجه، والروايات بالآلاف، والعجيب أن الذين أنكروا ولادة الإمام لا بد لهم أن

يضطروا لإنكار جميع هذه الروايات التي جاءت في جميع مصادر المسلمين، والأعجب من ذلك أن إنكار هذا الكم الهائل في قضية محدّدة بشّر بها الرسول الأعظم ﷺ وبشّر بها من بعده الأئمّة المعصومين واحد بعد الآخر حتّى إلى الإمام الحادي عشر - الإمام العسكري عليه السلام حيث أخبر بولادته وأرى بعض أصحابه الموثوقين الحجّة عليهم وأمرهم بطاعته وعدم الارتياح فيه وطاعة نوابه، وأمرهم بإخفاء ولادته لإلّلموثوقين، وأمر بعض أصحابه الإطعام بمناسبة ولادته وكذا توزيع الصدقات والعقيقة، وأمرهم بعض كراماته.

ولو تتبّعنا الروايات الواردة في شأن ولادته منذ اللحظة الأولى وحضور القابلة والشهادة عليه والحديث عنه وصفاته وكيفيّة حياته وارتباطه بالسفراء ولقائه مع بعض الموثوقين في حياة أبيه وبعدها ولقائه في الغيبة الكبرى مع أولياء الله والعلماء، والروايات التي وردت في شأن نسبه بالأئمّة الطاهرين لحصلنا على النتيجة التالية: بأنّ الدّين الإسلاميّ الحنيف قد بالغ بشكل كبير في تسليط الضوء على قضية الإمام المهدي منذ ولادته حتّى ظهوره وإقامة دولته العالميّة العادلة، وفي محاولة من قبل العلّامة الفقيه لطف الله الصافي في منتخب الأثر جمع الروايات في الأبواب المذكورة بما يقارب ٤٧٨٧ رواية.

وكيف يمكن للمخالف أن يغضّ النظر عن جميع هذه الروايات بعد اتّفاق المسلمين والعلماء على صحّة هذه الروايات.

والذي يبدو لي أنّ مذهب المنكرين لولادته إنّما يريدون إنكار إمامته وغيبته خلال هذه المدّة المديدة، حتّى لا يتعبوا أنفسهم في مناقشة الإمامة والغيبة. والتشكيك الذي صدر منهم إنّما هو عن جهل بطبيعة السنن الإلهيّة التي

٣٣٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

جرت على كثير من الأنبياء في طبيعة ولادتهم وخفاءها، وكذلك غيبتهم الطويلة عن أقوامهم، وقد أجاد المحدث الكبير الشيخ الصدوق في تأليفه لكتابه (كمال الدين وتمام النعمة) في إثبات غيبت الأنبياء وإثبات أن ذلك سنة جرت لهم وهي جارية في هذه الأمة لمولانا صاحب العصر لتشابه الظروف واجتماع جميع الأسباب لجميع الأنبياء الذين غابوا في هذه الأمة، وقد أثبت ذلك بالروايات المدعومة بسيرتهم.

ولأننا لا نريد الإطالة وإيراد هذه الروايات المفصلة سوف نشير إليها في المصدر لمن يريد المراجعة، وسوف نكتفي بذكر العنوان التي وردت فيه الروايات ونشير إلى عددها ونكتفي بشواهد مختصرة من الروايات، ويمكن تقسيم الروايات إلى طوائف:

الطائفة الأولى: عموم حديث الثقلين والأحاديث التي في نفس السياق.
وهذا الحديث من أعظم الأحاديث شهرةً، وأوثقها سنداً، حيث جاء في جميع صحاح المسلمين، ورواه ثمانون صحابياً بطرق عديدة.

والحديث يثبت أن القرآن والعتره ضمانتان مستمرتان إلى يوم القيامة، وهما معاً لا يفارق أحدهما الآخر، وهذا الأمر لا يصدق إلا بوجود إمام من العتره في كل عصر إلى يوم القيامة، بل إن هذا الحديث كأنما صيغ من أجل إثبات إمامة الإمام الثاني عشر وولادته وغيبته بشكل أوضح.. ولا يعني إنه لا يثبت الأئمة الذين قبله، ولكن معجزة هذا الحديث تثبت معجزة طول عمر الإمام (عليه السلام)، ونص الحديث هو كالتالي بالطريق الذي رواه الصدوق بسنده المتصل إلى زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ:

«كأنّي قد دُعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أعظم من الآخر:

كتاب الله عزّ وجلّ حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يزالا جميعاً حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).
ولو لم يكن لدينا إلاّ هذا الحديث لإثبات ولادة الإمام الثاني عشر عليه السلام وغيبته لكفى؛ لأنّ تصديق كلام رسول الله ﷺ لا يكون إلاّ بأن نقول أنّ العترة مستمرة كما هو القرآن، ولا يكون ذلك إلاّ بوجود إمام حيّ في كلّ زمان، ولا بدّ من استمرار ذلك إلى يوم القيامة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ إنّهما لا ينفصلان عن بعضهما حتّى يردا على رسول الله ﷺ الحوض، وهو حوض الكوثر.
وهناك مئات الروايات بل آلاف الأحاديث في شأن أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم ومقامهم عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام، وأئمتهم الخلفاء والأئمّة والأمرء والولاءة، حيث عدّدهم بالأسماء وبالصفات بما لا يدع مجالاً للتأويل وللشك.

• وحديث السفينة المروي عن رسول الله ﷺ: «أيّها الناس إنّني تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ومثلهما مثل سفينة نوح من ركبها نجا»^(٢).

• وحديث الذي رواه أبو الحسن الليثي قال: حدّثني جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام أنّ النبي ﷺ قال: «إنّ في كلّ خلف من أمّتي عدلاً من أهل بيتي ينفي عن هذا الدّين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وإنّ أئمتكم قادتكم إلى الله عزّ وجلّ فانظروا بمنّ تقتدون في دينكم وصلاتكم».

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٤٣.

(٢) خلاصة عبقات الأنوار: ١٥٥ / ٤.

٣٣٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

• وجاء في تفسير الآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام إلى أن تقوم الساعة». (١)

الطائفة الثانية: الروايات التي أخبر بها رسول الله ﷺ أَنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ اثْنَا عَشَرَ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ الْبَيْتِ، وَإِنَّ عَدَّتَهُمْ كَعَدَّةِ الشُّهُورِ وَنَقَبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ

وقد روت العامة روايات عديدة بهذا المعنى:

منها: ما رواه النعماني في غيبته بسنده إلى أبو خالد الوالبي قال: سمعت جابر بن سمرة السوائي يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يضرّ هذا الدّين مَنْ نَآوَاهُ حَتَّى يَمْضِيَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلَّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» (٢).

وهذه الصفات كلّها تنطبق على أئمة أهل البيت عليهم السلام:

أولاً: كونهم من قريش فهم أصدق المصاديق على قرشيّتهم لأنهم أبناء رسول الله ﷺ ومن بني هاشم الذين هم رؤساء قريش وعمدتها وكانت الزعامة لهم.

ثانياً: كون الدّين محفوظاً بهم أو لا يضرّ هذا الدّين، لا يكون إلا بمنّ عندهم الأهلية في الصفات النفسية والعلمية وهي تنطبق على أهل البيت عليهم السلام فقط لكونهم هم المعصومون، وأعلم أهل الأئمة كما نصّ عليه القرآن في آيتي الطهارة وآية أهل الذكر، لأن الآخرين الذين كانوا يدعون الخلافة ضيّعوا هذا الدّين

(١) كتاب الله وأهل البيت في حديث الثقلين: ١٣٠.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٠٧.

وحاولوا تحريفه وكانوا من أهل الفسق والظلم من أمثال بني أمية فكيف يكون الدين محفوظاً بهم أو لا يضره مَنْ ناواه.

ثالثاً: كون هذا الرقم (اثني عشر) لا يدّعيه أحد إلا أئمة أهل البيت وهو الحق والواقع، وعليه فإنّ الاثني عشر لابدّ أن يتحقّق في الواقع الخارجي وليس في اللفظ ولو لم يولد الإمام عليه السلام لما صدق كلام النبي ﷺ ولم يتحقّق حفظ الدين وإبطال أعمال الفسقة الذين عمدوا إلى محاربة الدين، وهذا الرقم يختصّ بالأئمة الاثني عشر الذين بشرّ بهم رسول الله ﷺ في عشرات الروايات عند الفريقين، وفي روايات أخرى من العامة والخاصة تصف هؤلاء الاثنا عشر وتشبههم كنقباء بني إسرائيل، وكعدة الشهور، وكالعيون التي انفجرت لموسى عليه السلام.

وقد أحصى العلامة لطف الله الصافي في المنتخب الأثر في هذا الباب ١٤٩٠ رواية، ومن هذه الروايات التي عدّد أنّ هؤلاء الذين هم من قريش هم من أهل البيت عليه السلام ما رواه صاحب كفاية الأثر بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الصلاة الأولى ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: «معاشر أصحابي، إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطّة في بني إسرائيل، فتمسّكوا بأهل بيتي بعدي والأئمة الراشدين من ذرّيتي فإنّكم لن تضلّوا أبداً». فقيل: يا رسول الله، كم الأئمة بعدك؟ قال: «اثنا عشر- من أهل بيتي» أو قال: «من عترتي». (١)

هذا الحديث وأمثاله يعطي عدّة دلالات:

(١) منتخب الأثر: ٦١.

٣٣٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أولاً: تشبيه أهل البيت بسفينة نوح دليل على أنّ طريق النجاة في الدنيا والآخرة هم أهل البيت لأنّهم الذين يقودون هذه الأمة إلى الأمان والسلام والعدل والرفاه الحقّ والطريق المستقيم وأخيراً الجنة.

ثانياً: تشبيه أهل البيت بباب حطّة في بني إسرائيل لأنّهم الطريق الوحيد والشرط الأساسي لقبول الأعمال وغفران الذنوب، وبدونهم لا يقبل عمل المؤمن لأنّهم الوسيلة الوحيدة إلى الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: أمر النبي بالتمسك بالأئمة من أهل بيته من بعده كونهم الضمانة لهداية الأمة والمحافظة على دينها وعزّتها واستقلالها ونجاتها من الضلالة على كافّة المستويات.

رابعاً: لقد حدّد هذا الحديث أنّ الأئمة كما هو سائر الأحاديث بأنّهم اثنا عشر خليفة أو أمير أو إمام، وأنّ هؤلاء من أهل البيت، وثبت من قوله ﷺ أنّ الأئمة خلفاء من بعده لنجاة هذه الأمة من الضلالة فلا بدّ من وجود الإمام الثاني عشر طوال هذه القرون من أجل تصديق هذه الأحاديث وإلاّ وقعنا في تكذيب رسول الله ﷺ والعياذ بالله..

وفي الحديث التالي يثبت أنّ هؤلاء الأمراء الإثنا عشر آخرهم المهدي ونسبه إلى هذه الأمة: روى صاحب كفاية الأثر بسنده إلى سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من بعدي اثنا عشر عدد شهور الحول، ومنا مهدي هذه الأمة وله هيبة موسى، وبهاء عيسى، وحكم داود، وصبر أيوب»^(١).

وفي الحديث نكتة: تشبيه هؤلاء الأئمة بعدد شهور السنة بأنّ الشهور عددها

(١) منتخب الأثر: ٦١.

اثنا عشر، وثانياً الشهور منتظمة ومتوالية واحد بعد الآخر من دون فاصلة، وهذا يثبت المدعى الحق بأن الإمام المهدي الثاني عشر قد ولد في حياة أبيه وتولى إمامته من ذلك الوقت حتى قيامه وظهوره على الظالمين، وفي الحديث تصريح واضح بأن الثاني عشر هو المهدي الذي يجب التمسك به.

وهذا الحديث موافق لما جاء في الآية المباركة بأن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، وقد أوّلت هذه الشهور بالأئمة الأطهار عليهم السلام لأنهم أصل الوجود وأسباب هذا الكون.

روى جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تأويل قول الله عز وجل ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] قال: فتنفّس سيدي الصعداء ثم قال: «يا جابر، أمّا السنة فهي جدّي رسول الله ﷺ وشهورها اثنا عشر شهراً فهو أمير المؤمنين وإليّ وإلى ابني جعفر وابنه موسى وابنه علي وابنه محمد وابنه عليّ وإلى ابني الحسن وإلى ابني محمد الهادي المهدي، اثنا عشر إماماً حجج الله في خلقه وأمناءه على وحيه وعلمه، والأربعة الحرم الذين هم الدّين القيّم، أربعة منهم يخرجون باسم واحد: عليّ أمير المؤمنين، وأبي عليّ بن الحسين، وعليّ بن موسى، وعليّ ابن محمد، فالإقرار بهؤلاء هو الدّين القيّم، ولا تظلموا فيهنّ أنفسكم أي قولوا بهم جميعاً تهتدوا. (١)

(١) الغيبة للطوسي: ١٤٩.

٣٣٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الطائفة الثالثة: الروايات الناصّة على أسماء الأئمة الاثني عشر وأنّ أولهم عليّ وآخرهم المهدي، ونسبته إلى كلّ واحد منهم عليه السلام.

ونسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى فاطمة وإلى السبطين وأنّه التاسع من ولد الحسين، وإنّه من ولد عليّ بن الحسين ومن ولد محمّد الباقر، والسادس من ولد الصادق، والخامس من ولد موسى بن جعفر، وإنّه الرابع من ولد عليّ بن موسى الرضا، والثالث من ولد محمّد بن عليّ التقي، وإنّه من ولد الهادي، ومن ولد الحسن العسكري عليه السلام.

وقد أورد صاحب المنتخب ٢٤٥٣ رواية من هذه الطائفة ومنها على سبيل المثال:

من ولد عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

جاء في ينابيع المودّة: (٣/ ٣٨٧) مسنداً عن ثابت بن دينار، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ عليّاً إمام أمّتي من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر».

فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال: يا رسول الله، لولدك القائم غيبة؟ قال: «إي وربّي، ليمحصّن الذين آمنوا ويمحق الكافرين، يا جابر إنّ هذا الأمر من أمر الله وسرّ الله مطويّ عن عباد الله، فيأيك والشكّ فيه فإنّ الشكّ في أمر الله عزّ وجلّ كفر».

وروى الصافي في نسبته إلى أمير المؤمنين عليه السلام ٢١٤ حديثاً.

وفي الحديث نكات نشير إليها بشكل مختصر:

١ - لقد ربط رسول الله بين عليٍّ عليه السلام وبين القائم نسباً كونه من ولده وهو وريثه في الإمامة والوصاية، وكما أنّ عليّاً عليه السلام هو وصيّ رسول الله ﷺ بلا فصل فإنّ أولاده كذلك حتّى تنتهي الوصاية إلى صاحب الزمان، فقد أكّد الرسول على مسألتين: الأولى النسب، والثانية الوصاية.

٢ - إنّ القلّة هم الذين سوف يثبتون على القول بإمامته في غيبته وإنّ المؤمنين سوف يتعرّضون في ذلك إلى امتحانات شديدة.

٣ - الغيبة سرٌّ من أسرار الله وغيبه ولا يمكن للعباد معرفة الحقيقة والغاية والحكمة لأنّ العقول لا تحتل ذلك، فإنّ عليهم التسليم للإيمان بهذا الغيب ومن يشكّ في هذا الأمر فقد كفر، لأنّه شكّ في أمر الله وتدييره وحكمته وفعله.

التاسع من صلب الحسين عليه السلام:

روى صاحب كفاية الأثر بسنده إلى زيد بن ثابت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ بن أبي طالب قائد البرّة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، الشاكّ في عليٍّ عليه السلام هو الشاكّ في الإسلام، وخير من أخلف بعدي، وخير أصحابي عليّ، لحمه لحمي، ودمه دمي، وأبو سبطي، ومن صلب الحسين يخرج الأئمة التسعة ومنهم مهديّ هذه الأمة». (١)

وبهذا المعنى ورد ٤٩٣ حديثاً.

إنّه من ولد رسول الله ﷺ:

روى صاحب كفاية الأثر بسنده إلى جابر الأنصاري قال: قال

(١) منتخب الأثر: ٢٥٩.

٣٣٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

رسول الله ﷺ: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، يكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الأمم ثم يقبل كالشهاب الثاقب، يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

إنه من ولد سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام:

في (ينابيع المودة) عن الطبراني في (الأوسط)، عن عباية بن ربعي، عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «منا خير الأنبياء وهو أبوك، ومنا خير الأوصياء وهو بعلك، ومنا خير الشهداء وهو عمّ أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو ابن عمّ أبيك جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة سيّدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين وهما ابناك، ومنا المهديّ وهو من ولدك...»^(٢).

وفي هذا الباب ١٩٢ حديثاً كما في المصدر.

إنه من أولاد السبطين الحسن والحسين عليهما السلام:

في البيان: روى علم الهدى (المرتضى) بسنده المفصّل إلى عليّ الهلالي عن أبيه قال: دخلت على رسول الله ﷺ شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة عليها السلام عند رأسه، قال: فبكت حتّى ارتفع صوتها فرفع رسول الله ﷺ طرفه إليها، قال: «حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟» فقالت: «أخشى الضيعة من بعدك»، فقال: «يا حبيبتي، أما علمت أنّ الله تعالى اطّلع إلى الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثمّ اطّلع اطّلاعة فاختار بعلك وأوحى إليّ أن أنكحك إياه.

(١) كفاية الاثر: ٦٧.

(٢) ينابيع المودة: ٣/ ٢٦٤.

يا فاطمة، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحداً قبلنا ولا يعطي أحداً بعدنا، أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إلى الله وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطيران الجنة مع الملائكة حيث يشاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابنك الحسن والحسين وهما سيّد شباب أهل الجنة وأبوهما - والذي بعثني بالحق - خير منهما. يا فاطمة، والذي بعثني بالحق إنّ منهما مهديّ هذه الأمة...» (١)

وكونه من أولاد السبطين عليه السلام لكون أمّ الإمام أبي جعفر الباقر محمد بن عليّ بن الحسين عليه السلام فاطمة بنت السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام فالباقر ومن بعده من الأئمة إلى المهدي عليه السلام من نسل الحسن والحسين عليه السلام. وفي الباب ١٠٧ حديثاً.

السابع من ولد الباقر عليه السلام:

روى صاحب كفاية الأثر بسنده إلى زيد بن عليّ قال: كنت عند أبي عليّ بن الحسين إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري فبينما هو يحدثه إذ خرج أخي محمد من بعض الحجر فأشخص جابر ببصره نحوه ثمّ قام إليه فقال: يا غلام، أقبل فأقبل، ثمّ قال: أدبر فأدبر، فقال: شمائل كشائل رسول الله ﷺ، ما اسمك يا غلام؟ قال محمد.. قال: ابن من؟ قال: «عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب». قال: «أنت إذاً الباقر» قال: فانكبّ عليه وقبّل رأسه ويديه، ثمّ قال: يا محمد، إنّ رسول الله يقرئك السلام، قال: «على رسول الله أفضل السلام وعليك

(١) ينظر: منتخب الأثر: ٢٥١.

٣٤٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

يا جابر بما بلغت السلام» ثم عاد إلى مصلاه فأقبل يحدث أبي ويقول: إن رسول الله قال لي يوماً: «يا جابر، إذا أدركت ولدي الباقر فاقرأه مني السلام فإنه سمّي وأشبه الناس بي، علمه علمي، وحكمه حكمي، سبعة من ولده معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» ثم تلا رسول الله ﷺ «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» [الأنبياء/٧٣].^(١)

وفي هذا الباب أي نسبه إلى الباقر عليه السلام أورد صاحب المصدر ١٠٣ حديثاً.

السادس من ولد الصادق عليه السلام:

وفي كمال الدين روى بسنده إلى الحميري... قال للصادق عليه السلام: يا بن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام: «إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله ﷺ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم القائم بالحق بقيّة الله في الأرض وصاحب الزمان، والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً...».^(٢)

وفيه ١٠١ حديثاً.

أنه الخامس من ولد الإمام السابع موسى بن جعفر عليه السلام:

روى صاحب (كمال الدين) بسنده إلى صفوان بن مهران، عن الصادق جعفر

(١) منتخب الأثر: ٢٦٨، عن كفاية الأثر: ٣٠١-٣٠٣.

(٢) منتخب الأثر: ٢٧٣، عن كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣.

بن محمد عليه السلام أنه قال: مَنْ أَقَرَّ بِجَمِيعِ الْأُئِمَّةِ وَجَحَدَ الْمَهْدِيَّ كَانَ كَمَنْ أَقَرَّ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَجَحَدَ مُحَمَّدًا عليه السلام نَبَوْتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَمَنْ الْمَهْدِيُّ مِنْ وَلَدِكَ؟ قَالَ: «الْخَامِسُ مِنْ وَلَدِ السَّابِعِ، يَغِيبُ عَنْكُمْ شَخْصَهُ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ تَسْمِيَتُهُ». (١)

وفي هذا الباب ٩٨ حديثاً.

إنَّه الرَّابِعُ مِنْ وَلَدِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام:

روى صاحب كفاية الأثر بسنده إلى الحسين بن خالد، قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لَا دِينَ لِمَنْ لَا وَرَعَ لَهُ، وَلَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ، وَإِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ يَعْنِي أَعْمَلَكُمْ بِالتَّقِيَّةِ». فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى مَتَى؟ فَقَالَ: «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ وَهُوَ يَوْمُ خُرُوجِ قَائِمِنَا، فَمَنْ تَرَكَ التَّقِيَّةَ قَبْلَ خُرُوجِ قَائِمِنَا فَلَيْسَ مِنَّا». قِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَنْ الْقَائِمُ مِنْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ؟ قَالَ: «الرَّابِعُ مِنْ وَلَدِي ابْنِ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ...» (٢).

وفيه ٩٥ حديثاً.

إنَّه الثَّالِثُ مِنْ وَلَدِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الرِّضَا عليه السلام:

روى صاحب كفاية الأثر بسنده إلى عبدالعظيم الحسني، قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غير؟ فابتدأني هو

(١) منتخب الأثر: ٢٧٦، عن كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣٣.

(٢) منتخب الأثر: ٢٧٩.

٣٤٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فقال لي: «يا أبا القاسم، إنَّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي...»^(١). وفيه ٩٠ حديثاً.

إنَّه ابن عليّ الهادي عليه السلام:

روى صاحب كفاية الأثر بسنده إلى الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا يقول: «الإمام بعدي الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢). وفيه ٩٠ حديثاً.

هكذا تضيق الدائرة في نسبة الإمام عليه السلام إلى واحد بعد آخر من الأئمة وبالإضافة إلى نسبته إلى الأسماء نسبته إلى العدد من الأئمة عليهم السلام كما مرّ علينا إنَّه التاسع من ولد الحسين، أو الخامس من ولد السابع موسى بن جعفر، أو الرابع من ولد عليّ بن موسى الرضا، لكي لا تبقى حجة لأحد بأنَّ الإمام لم يولد بعد، فقد حدّد بالعدد والعارف بأبسط قواعد اللغة العربيّة يعلم إنَّه لا يمكن تأويل العدد لأنَّ العدد محدّد والتأويل لا يخرج من ظاهره وواقعه، فإذا قيل أنَّ الإمام هو الثالث من ولد الإمام محمّد الجواد عليه السلام أو الرابع من ولد الرضا عليه السلام فقد ثبت بذلك، فعليه يبطل قول من قال أنَّ الإمام لم يولد بعد، وحتى لو قال إنَّه من أولاد العسكري وأحفاده، فلا يفيد هذا الاعتراف الناقص فلا بدّ من الإيمان الكامل بما جاء من عند رسول الله وأهل بيته الطاهرين.

(١) ينظر: منتخب الأثر: ٢٨٢، عن كفاية الأثر: ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) منتخب الأثر: ٢٨٤، عن كفاية الأثر: ٢٩٢.

وهناك نكتة أخرى للردّ على هذا القائل: لو لم يكن الإمام هو الثاني عشر وإنّه كما حدّد الخامس من ولد السابع وما شابه ذلك لم يصدق عليه هذا الرقم لأنّ الروايات تحدّد وتقول بأنّه من ولد وليس الإمام الثاني عشر فحسب فإنّ أيّ ولد للإمام العسكري ومن أحفاده يعتبر عدد إلى يوم القيامة والروايات حدّدت أنّه ابن الحادي عشر وابن الحسن العسكري كما هو في الطائفة التالية من الروايات.

النصّ على الأئمة الطاهرين بأسمائهم واحداً واحداً حتّى ينتهي إلى الحجة عليه السلام:

روى أبي القاسم الخزاز القميّ بالسند إلى جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري، يقول: لما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء/ ٥٩] قلت: يا رسول الله، قد عرفنا الله ورسوله، فمن أولوا الأمر منكم الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟

فقال ﷺ: «خلفائي وأئمة المسلمين بعدي، أولهم عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف بالتوراة بالباقر، وستدركه - يا جابر - فإذا لقيتَه فاقرأه منّي السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ سمّي وكنّي حجة الله في أرضه، ونفسه في عباده ابن الحسن بن عليّ، ذلك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان».

قال جابر: فقلت: يا رسول الله، فهل لشيعة الانتفاع به؟

٣٤٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فقال عليه السلام: «والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره ويتنفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس إن سترها سحاب، هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله...»^(١)

هذا الحديث وحديث اللوح المعروف الذي نسخه جابر من عند سيّدتنا فاطمة عليها السلام وفيه أسماء الأئمة واحداً واحداً حتى آخرهم وعشرات الأحاديث التي رواها كبار الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أمثال ابن عباس، وسلمان، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وأبوذر الغفاري، وزيد بن أرقم وغيرهم حيث تثبت هذه الأحاديث نسبة الإمام المهدي إلى آبائه واحداً بعد الآخر بما لا يدع مجالاً للشك بأنّه قد ولد لأنّ آبائه قد عدّتهم الروايات ونصّت عليهم.

الطائفة الرابعة: أنّه ابن الحسن العسكري عليه السلام:

في إعلام الوري: روى المفصل بن عمر قال: دخلت على سيدي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت: يا سيدي، لو عهدت إلينا من الخلف من بعدك؟ فقال: «يا مفصل، الإمام من بعدي موسى والخلف المنتظم ح م د ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى عليه السلام»^(٢). وفيه ١٤٧ حديثاً.

والروايات الكثيرة التي تؤكد أنّ أباه الحسن العسكري لا غير، تسدّ الباب على الذين قالوا بأنّه لم يولد بعد، كما أنّها ترد على بعض العامة الذين رووا حديث زائدة «اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»، والذي يثبت أنّه محرّف وإنّ

(١) كفاية الأثر: ٥٣ باب ما جاء عن جابر. وقد أحصى صاحب منتخب الأثر أحاديث هذا

الباب وهي ٥٠ حديثاً.

(٢) منتخب الأثر: ٢٩١، عن إعلام الوري: ١٨٥.

راويه يزيد في الحديث وامتته لا يوافق الأحاديث المتواترة الصحيحة.

الطائفة الخامسة: إذا توالى ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن كان الرابع هو القائم.

روى صاحب (دلائل الإمامة) بسنده إلى محمد بن سنان الزهري، عن سيدنا أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن أبيه الحسين عن عمّه الحسن عن أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا توالى أربعة أسماء من الأئمة من ولدي محمد وعلي والحسن فابعهما هذا القائم المأمول المنتظر». (١)

وروى صاحب (كفاية الأثر) بسنده إلى الهيثم التميمي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا توالى ثلاثة أسماء كان رابعهم قائمهم: محمد وعلي والحسن». (٢)

الطائفة السادسة: إنه ابن سيّدة الإمام وخيرتهنّ.

في بحار الأنوار: عن المقتضب لابن عيّاش بسنده إلى الحرث بن عبد الله الهمداني والحرث بن شرب كلّ حدّثنا أنّهم كانوا عند عليّ بن أبي طالب فكان إذا أقبل ابنه الحسن، يقول: «مرحباً يا ابن رسول الله»، وإذا أقبل ابنه الحسين يقول: «بأبي أنت وأُمّي يا أبا ابن خيرة الإمام» ف قيل: يا أمير المؤمنين، ما بالك تقول هذا للحسن وهذا للحسين، ومن ابن خيرة الإمام؟ فقال: «ذاك الفقيد الطريد الشريد (م ح م د) ابن الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن

(١) منتخب الأثر: ٣٠٢.

(٢) منتخب الأثر: ٣٠٢.

٣٤٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

محمد بن عليّ بن الحسين هذا» ووضع يده على رأس الحسين. (١)
وفيه ٩ أحاديث.

وكون أمّ القائم خيرة الإمام فله قصّة تتوضّح فيها عناية الله بهذه المرأة الجليلة
حتّى تصبح زوجة للإمام أبي محمد الحسن العسكري ثمّ تصبح أمّاً للقائم،
وتفصيل الرواية هي كالتالي:

أحوال السيّدة نرجس وقصّة رؤياها:

روى ابن بابويه والشيخ الطوسي باسناد معتبرة عن بشر بن سليمان النخّاس،
وهو من ولد أبي أيّوب الأنصاريّ، أحد موالى أبي الحسن وأبي محمد عليهما
وجارهما في سرّ من رأى، قال:

أتاني كافور الخادم، فقال: مولانا أبو الحسن عليّ بن محمد العسكري يدعوك
إليه، فأتيته، فلما جلست بين يديه، قال لي: «يا بشر، إنّك من ولد الأنصار، وهذه
الموالاتة لم تنزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإنّي
مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاتة، بسرّ أطلعك عليه
وأنفذك في ابتياع أمة».

فكتب كتاباً لطيفاً بخطّ روميّ ولغة روميّة، وطبع عليه خاتمه، وأخرج شقّة
صفراء فيها مئتان وعشرون ديناراً، فقال: «خذها وتوجّه بها إلى بغداد، واحضر-
معبر الفرات ضحوة يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وترى
الجواري فيها، ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس وشرذمة من

(١) منتخب الأثر: ٣٠٢.

فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى عمر بن يزيد النّخّاس عامّة نهارك، إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسّة حريرتين صفيقين، تمتنع من العرض ولمس المبتاعين، والانقياد لمن يحاول لمسها، وتسمع صرخة روميّة من وراء ستر رقيق، فاعلم أنّها، تقول: واهتك ستره، فيقول بعض المبتاعين: عليّ ثلاثمائة دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول له بالعربيّة: لو برزت في زيّ سليمان بن داود، وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة، فأشفيق على مالك، فيقول النّخّاس: فما الحيلة ولا بدّ من بيعك؟ فتقول الجارية: وما العجلة ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه، وإلى وفائه وأمانته؟ فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النّخّاس، وقل له: إنّ معي كتاباً ملطفاً لبعض الأشراف كتبه بلغة روميّة وخطّ روميّ، ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه، فناولها إيّاه لتتأمل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك».

قال بشر بن سليمان: فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلما نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً وقالت لعمر بن يزيد: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمرحّة والمغلظة (من الأيمان) أنّه إذا امتنع من بيعها منه قتلت نفسها؛ فما زلت أشأحه في ثمنها حتّى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحابنيه مولاي عليه السلام من الدنانير، فاستوفاه، وتسلمت الجارية ضاحكة مستبشرة وانصرفت بها إلى الحجيرة التي كنت آوي إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتّى أخرجت كتاب مولانا عليه السلام من جيبيها وهي تلمسه، وتطبّقه على جفنها، وتضعه على خدّها وتمسحه على بدنّها؛ فقلت تعجّباً منها: تلمين كتاباً لا

٣٤٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

تعرفين صاحبه؟ فقالت: أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء، أعرنى سمعك وفرّغ لي قلبك، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمّي من ولد الحواريّين تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون بن حمّون بن الصفا، وأنّبتك بالعجب:

إنّ جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه، وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريّين من القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقوّاد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهيّ ملكه عرشاً مصاعاً من أصناف الجواهر، ورفعته فوق أربعين مرقاة، فلما صعد ابن أخيه، وأحدت الصُلب، وقامت الأساقفة عُكّفاً، ونشرت أسفار الإنجيل تسافلت الصليب من الأعلى فلصقت الأرض، وتقوّضت أعمدة العرش فانهارت إلى القرار، وخرّ الصاعد (ابن أخي القيصر) من العرش مغمياً عليه، فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدّي:

أيها الملك، أعفني من ملاقة هذه النحوس الدالّة على زوال هذا الدّين المسيحيّ، فتطير جدّي من ذلك تطيراً شديداً، وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة، وارفعوا الصليبان، وأحضر- أخ هذا العاهر المنكوس جدّه، لأزوجه هذه الصبيّة، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده.

ولما فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأوّل، وتفرّق الناس، وقام جدّي قيصر مغتماً فدخل منزل النساء، وأرخيت الستور.

وأريّت في تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي، ونصبوا فيه منبراً يباري السماء علوّاً وارتفاعاً في الموضع الذي

كان نصب جدِّي فيه عرشه، ودخل عليه محمد ﷺ وختنه وصيِّه ﷺ وعدة من أبنائه.

فتقدَّم إليه المسيح فاعتنقه، فقال له محمد ﷺ: «يا روح الله، إنِّي جئتُك خاطباً من وصيِّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا»، وأوماً بيده إلى أبي محمد ﷺ ابن صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون وقال له: قد أتاك الشرف، فصل رحمك برحم آل محمد ﷺ، قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر، فخطب محمد ﷺ وزوجني من ابنه، وشهد المسيح ﷺ، وشهد أبناء محمد ﷺ، والحواريُّون.

فلما استيقظت أشفقت أن أقصَّ هذه الرؤيا على أبي وجدِّي مخافة القتل، فكنت أسرها ولا أبدئها لهم، وضرب صدري بمحبة أبي محمد ﷺ حتَّى امتنعت من الطعام والشراب، فضعفت نفسي، ودقَّ شخصي، ومرضت مرضاً شديداً، فلما بقي في مدائن الروم طبيب إلاَّ أحضره جدِّي وسأله عن دوائي، فلما برَّح به اليأس قال: يا قرّة عيني، هل يخطر ببالك شهوة فأزوّدكيها في هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدِّي، أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمَّن في سجنك من أسارى المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدّقت عليهم ومنيتهم الخلاص رجوتُ أن يهب المسيح وأُمّه لي العافية.

فلما فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصّحة من بدني قليلاً، وتناولت يسيراً من الطعام، فسرَّ بذلك، وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم.

فأريت أيضاً بعد أربع عشرة ليلة كأنَّ سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني ومعها مريم بنت عمران، وألف من وصائف الجنان، فتقول لي مريم:

٣٥٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

هذه سيّدة النساء عليها السلام أمّ زوجك أبي محمّد، فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد من زيارتي، فقالت سيّدة النساء عليها السلام: «إنّ ابني أبا محمّد لا يزورك وأنت مشرّكة بالله على مذهب النصارى، وهذه أختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله من دينك، فإنّ ملت إلى رضى الله تعالى ورضى المسيح ومريم عليهما السلام وإلى زيارة أبي محمّد إياك فقولي: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّد رسول الله» فلمّا تكلمت بهذه الكلمة ضمّنتي سيّدة النساء إلى صدرها، وطبّبت نفسي.. وقالت: الآن توقّعي زيارة أبي محمّد، وإني منقذته إليك، فانتبهت وأنا أنول وأتوقّع لقاء أبي محمّد عليه السلام، فلمّا كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمّد عليه السلام وكأني أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلّفت نفسي- معالجة حبّك! فقال: «ما كان تأخري إلا لشركك، فقد أسلمت وأنا زائلك في كلّ ليلة، إلى أن يجمع الله شملنا في العيان»، فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال بشر بن سليمان: فقلت لها: وكيف وقعت في الأسارى؟

فقلت: أخبرني أبو محمّد عليه السلام في ليلة من الليالي، قال: إنّ جدّك سيسير جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا، ثمّ يتبعهم، فعليك باللحاق بهم متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف، من طريق كذا، ففعلت ذلك، فوقفت علينا طلّاع المسلمين حتّى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت، وما شعر بأنّي ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك، وذلك باطلاّعي إياك عليه، ولقد سألتني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأكرت وقلت: نرجس، فقال: اسم الجوّاري.

قلت: العجب أنّك روميّة ولسانك عربيّ؟ قالت: نعم، من ولوع جدّي وحمله إيّاي على تعلّم الآداب أن أوّعز إلى امرأة ترجمانة له في الاختلاف إليّ،

وكانت تقصّني صباحاً ومساءً وتفيدني العريّة حتّى استمرّ لساني عليها واستقام.

وصول السيّدة نرجس إلى سرّ مَنْ رأى ولقاؤها الإمام الهادي عليه السلام:

قال بشر: فلمّا انكفأتُ بها إلى سرّ مَنْ رأى دخلت على مولاي أبي الحسن عليه السلام فقال: «كيف أراك الله عزّ الإسلام وذلّ النصرانيّة، وشرف محمّد وأهل بيته عليهم السلام؟» قالت: كيف أصف لك يا بن رسول الله ما أنت أعلم به منّي؟ قال: «فإنّي أحبّ أن أكرمك، فأبّيأ أحبّ إليك: عشرة آلاف دينار، أم بشرى لك بشرف الأبد؟» قالت: بل بشرى بشرف الأبد، فأنا لا أريد مالا، قال: «أبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، قالت: ممّن؟ قال: «ممنّ خطبك رسول الله ﷺ له ليلة كذا في شهر كذا من سنة كذا»، ثمّ قال لها بالروميّة: «ممنّ زوجك المسيح عليه السلام ووصيه؟» قالت: من ابنك أبي محمّد عليه السلام، فقال: «هل تعرفينه؟» قالت: وهل خلت ليلة لم يزرنني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيّدة النساء عليّتها.

قال: فقال مولانا: «يا كافور، ادع أُختي حكيمة»، فلمّا دخلت قال لها: «ها هية»، فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً، فقال لها أبو الحسن عليه السلام: «يا بنت رسول الله، خذها إلى منزلك وعلمها الفرائض والسنن، فإنّها زوجة أبي محمّد، وأمّ القائم».

كيفية الحمل بإمام العصر عليه السلام وولادته:

روى الشيخ الكليني، والشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، وغيرهم من

٣٥٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ذوي الشأن من المحدثين بأسانيد معتبرة^(١) عن حكيمة بنت أبي جعفر الجواد^{عليه السلام} أنها قالت:

كانت لي جارية يقال لها نرجس، فزارني ابن أخي الحسن العسكري^{عليه السلام} وأقبل يحدّ النظر إليها، فقلت له: يا سيدي، لعلك هويتها أرسلها إليك؟ فقال: «لا يا عمّة، لكنّي أتعجّب منها»، فقلت: وما عجبك؟ فقال^{عليه السلام}: «سيخرج منها ولد كريم على الله عزّ وجلّ، يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»، فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال: «استأذني في ذلك أبي».

قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن، فسلمت وجلست، فبدأنى^{عليه السلام} وقال: «يا حكيمة، ابعتي نرجس إلى ابني أبي محمّد»، فقلت: يا سيدي، على هذا قصدتك أن أستأذنك في ذلك، فقال: «يا مباركة، إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً».

قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزيتنها ووهبتها لأبي محمّد^{عليه السلام} وجمعت بينه وبينها في منزلي، فأقام عندي أياماً، ثمّ مضى إلى والده، ووجهت بها معه.

قالت: فمضى أبو الحسن^{عليه السلام} وجلس أبو محمّد^{عليه السلام} مكان والده، وكنت أزوره كما كنت أزور والده، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّي، وقالت: يا مولاتي، ناوليني خفّك، فقلت: بل أنت سيّدي ومولاتي، والله لا دفعتُ إليك خفّي لتخلعيه، بل أخدمك على بصري؛ فسمع أبو محمّد^{عليه السلام} ذلك فقال:

(١) تنظر: رواية الحمل في كمال الدين وتمام النعمة: ٤٢٦ - ٤٢٧، الغيبة للطوسي: ٢٣٥،

الكافي: ١ / ٣٣١، الهداية الكبرى: ٣٥٥، إعلام الوری: ٢ / ٢١٤ - ٢١٦.

«جزاك الله خيراً يا عمّة»، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس، فصحت بجاريتي وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف، فقال ﷺ: «يا عمّته، بيتي الليلة عندنا فإنّه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ وجلّ الذي يحيي الله عزّ وجلّ به الأرض بعد موتها»، قلت: ممّن يا سيّدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحمل؟ فقال: «من نرجس لا من غيرها»، قالت: فوثبت إلى نرجس فقلّبتها ظهراً لبطن فلم أر بها أثراً من حبل، فعدت إليه فأخبرته بما فعلت، فتبسّم ثم قال لي: «إذا كان وقت الفجر يظر لك بها الحبل، لأنّ مثلاً مثل أمّ موسى لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى، وهذا نظير موسى ﷺ».

وفي رواية أخرى أنّه ﷺ قال: «إنّا معاشر الأوصياء لسنا نحمل في البطون، وإنّا نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام وإنّا نخرج من الفخذ الأيمن من أمّهاتنا، لأنّنا نور الله الذي لا تناله الدناسات».

قالت حكيمة: فلما ان صليت المغرب والعشاء الاخرة اتيت المائدة فافطرت انا ونرجس، وبايتها في بيت فغفوت غفوة، ثم استيقظت، فلم أزل مفكّرة في ما وعدني أبو محمّد ﷺ من أمر وليّ الله ﷺ، فقمّت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كلّ ليلة للصلاة، فصلّيت صلاة الليل حتّى بلغت إلى الوتر، فوثبت نرجس فخرجت وأسبغت الوضوء، ثمّ عادت فصلّت صلاة الليل، فوقع في قلبي أنّ الفجر قد قرب، فقمّت لأنظر فإذا بالفجر الأوّل (الكاذب) قد طلع، فتدخل قلبي الشكّ من وعد أبي محمّد ﷺ، فناداني من حجرته: «لا تشكّي وكانك بالامر الساعة قد رايتّه ان شاء الله».

قالت حكيمة: فاستحييت من أبي محمد عليه السلام، ومما وقع في قلبي حتى إذا كان وقت طلوع الفجر وثبت فزعة فضممتها إلى صدري، وسميت عليها، فصاح أبو محمد عليه السلام وقال: «اقرئي عليها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر/ ١]»، فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي، فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ، وسلم عليّ، ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمد عليه السلام: «لا تعجبي من أمر الله عز وجل، إن الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حجة في أرضه كباراً»، فلم يستتم الكلام حتى غيبت عني نرجس فلم أرها، كأنه ضرب بيني وبينها حجاب، فعدوت نحو أبي محمد عليه السلام وأنا صارخة فقال لي: «ارجعي يا عمّة فإنك ستجدينها في مكانها».

فرجعت، فلم ألبث أن كشف الحجاب بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصري، وإذا أنا بالصبي عليه السلام ساجداً على وجهه، جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبّابتيه نحو السماء وهو يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ جدّي رسول الله ﷺ، وأنّ أبي أمير المؤمنين وصيّ رسول الله». ثم عدّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه، فقال عليه السلام: «اللهم أنجز لي ما وعدتني واتم لي أمري، وثبت وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً».

وفي رواية أخرى قالت: لما ولد السيّد عليه السلام ظهر منه نور ساطع فبلغ أفق السماء، ورأيت طيوراً بيضاً تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير، فناداني أبو محمد الحسن عليه السلام وهو يقول: «يا عمّتي، هاتي ابني الي»، فلما فتناولته فإذا هو نظيف مفروغ منه، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الاسراء/ ٨١].

قالت حكيمة: فأتيته به، فتناوله وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحهما ، ثم أدخله في فيه فحنكه، ثم أدخله في أذنيه، وأجلسه في راحته اليسرى فاستوى ولي الله جالسا ، ومسح يده على رأسه وقال له: «يا بني، انطق بقدره الله»، فاستعاذ ولي الله ﷺ من الشيطان الرجيم واستفتح: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص / ٥-٦].

أقول: وهاتان الآيتان الكريمتان مصداق لما جاء من أحاديث معتبرة في شأن صاحب الأمر وآبائه صلوات الله عليهم.

قالت حكيمة: ثم صلى ﷺ على رسول الله وعلى أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه، ثم اتت الطيور ترفرف على رأسه، فصاح أبو محمد ﷺ بطير منها: «احمله واحفظه وردّه إلينا في كلّ أربعين يوماً»، فتناوله الطائر وطار به في جو السماء، وأتبعه سائر الطير.

فسمعت أبا محمد ﷺ يقول: استودعتك الذي استودعته أم موسى، فبكت نرجس، فقال لها: «اسكتي، فإن الرضاع محرّم عليه إلا من ثديك، وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمّه، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص / ١٣]»، فقلت: ما هذا الطائر؟ قال: «هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام، يوفّقهم ويسدّدهم ويزينهم بالعلم».

قالت حكيمة: فلمّا أن كان بعد أربعين يوماً رد الغلام ووجهه إلى ابن أخي ﷺ فدعاني، فدخلت عليه فإذا أنا بصبيّ يتحرّك ويمشي بين يديه، فقلت:

٣٥٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

سيدي، هذا ابن ستين! فتبسّم ﷺ ثم قال: «إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وإن الصبيّ منّا إذا أتى عليه شهر كان كمن يأتي عليه سنة، وإن الصبيّ منّا ليتكلّم في بطن أمّه، ويقرأ القرآن، ويعبد ربّه عزّ وجلّ، وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحاً ومساءً». ثم قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبيّ كلّ أربعين يوماً، إلى أن رأيته رجلاً قبل مضيّ أبي محمّد ﷺ بأيّام قلائل فلم أعرفه، فقلت لأبي محمّد ﷺ: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟ فقال: «ابن نرجس وهو خليفتي من بعدي، وعن قليل تفقدونني، فاسمعي له وأطيعي».

قالت حكيمة: فمضى- أبو محمّد ﷺ بعد ذلك أيّام قلائل، ووالله إنّي لأراه صباحاً ومساءً، وإنّه ليُنَبِّئني عمّا تسألونه عنه فاخبركم، عنه ووالله إنّي لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدأني به، وانه ليرد عليّ الامر فيخرج اليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي.

وفي رواية أخرى جاء أنّ حكيمة، قالت: اتيت بعد ثلاثة أيام وكنت مشتاقة الى رؤيته ﷺ فقلت لأبي محمّد ﷺ ياسيدي اين مولاي؟ قال: «اخذه من هو أحقّ به منك ومنّا، فإذا كان اليوم السابع فتعالى اليّ عندنا»، فلمّا كان اليوم السابع اتيت فالتفت الى جانب البيت واذا بمهد عليه أثواب خضر، فعدلت إلى المهد ورفعت عنه الأثواب فإذا أنا بوليّ الله نائم على قفاه غير محزوم ولا مقموط ففتح عينه وجعل يضحك ويناجي باصبغه فتناولته وادنيه اليّ لاقبله فشمت منه رائحة ماشممت قط اطيب منها، وناداني أبو محمّد ﷺ: «يا عمّتي، هلّمي فتاي

(١) فيه غرابة لان كل من راه ﷺ في ايام ابيه ﷺ راه وهو صبي.

إليّ»، فأتيته له، فتناولته فأدلى لسانه في فيه ثم قال: «تكلم يا بني»، فنطق ﷺ بالشهادتين ثم صلى على رسول الله وسائر الأئمة صلوات الله عليهم، ثم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» وتلا الآيتين المتقدمتين.

ثم قال له الإمام الحسن العسكري ﷺ: «أقرأ يا بني مما أنزل الله على أنبيائه ورسله»، فابتدأ بصحف آدم فقرأها بالسريانية، وكتاب إدريس، وكتاب نوح، وكتاب هود، وكتاب صالح، وصحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، وفرقان جددي رسول الله ﷺ، ثم قص قصص الأنبياء والمرسلين إلى عهده.

ثم قال أبو محمد ﷺ: «لما وهب لي ربي مهدي هذه الأمة أرسل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش، حتى وقفا بين يدي الله فقال عز وجل له: مرحباً بك عبدي، لنصرة ديني، وإظهار أمري، ومهدي عبادي، آليت أني بك آخذ، وبك أعطي وبك أغفر، وبك أعذب، أيها الملكان، اردداه ردّاً رفيقاً، وأبلغاه سلامي، وقولا إنه في ضماني وكنفي وبعيني، إلى أن أحق به الحق، وأزهق به الباطل، ويكون الدين لي واصباً» انتهى ما نقلناه عن (جلاء العيون).^(١)

وفي (حقّ اليقين) ذكرت ولادته ﷺ بهذه الكيفية مع بعض روايات أخرى، منها:

روي عن محمد بن عثمان العمري أنه قال: لما ولد السيد قال أبو محمد ﷺ:

(١) ينظر: جلاء العيون: ٣/ ٧٢٧ - ٧٣١.

(٢) ينظر: حقّ اليقين: ٢٨٣ - ٢٨٥.

٣٥٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

«ابعثوا إلى أبي عمرو» فبعث إليه، فصار إليه فقال: «اشتر عشرة آلاف رطل خبزاً، وعشرة آلاف رطل لحماً وفرّقها» أحسبه قال: «على بني هاشم»، وعق عنه بكذا وكذا شاة^(١).

وعن نسيم وماريّة الخادمين قالاً: لما سقط صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمه سقط جائئاً على ركبتيه، رافعاً سبّابتيه إلى السماء، ثم عطس فقال: «الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله، زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة، ولو أذن لنا في الكلام لزال الشك».

وعن نسيم الخادم أيضاً قال: دخلت على صاحب الزمان عليه السلام بعد مولده بليلة، فعطست عنده، فقال لي: «يرحمك الله». قال نسيم: ففرحت بذلك، فقال لي: «ألا أبشرك في العطاس؟» فقلت: بلى، قال: «هو أمان من الموت ثلاثة أيام»^(٢).

الثالث: العقل.

لما كان الغرض من خلق هذا الخلق شمول الرحمة له في الدنيا والآخرة فقد أتم رب العالمين منته عليه بالهداية فأرسل إليه الرسل والأنبياء والهداة ليذكّروه بنعمته ويثيروا لهم دفائن العقول لكي لا يحتجّوا على الله يوم القيامة ويقولوا: ﴿لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه/١٣٤].

فقد واطر إليهم الأنبياء واحداً بعد الآخر من دون انقطاع، ولما كان نبينا الأعظم عليه السلام هو خاتم الأنبياء لا بد أن يستمرّ لطف الله ومنته على عباده

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣١.

(٢) ينظر: ينابيع المودة: ٣٠٤.

باستمرار الهداية وعدم ترك هذه الأمة في الحيرة والضلالة أمر نبيّه أن يقيم لها الأوصياء من بعده واحداً بعد واحد اثني عشر- إماماً يتلو بعضهم البعض من دون فاصلة، ولكن الطغاة والجبابرة الذين تسلّطوا على هذه الأمة بإسم خلافة رسول الله قد تعقّبوا أئمة أهل البيت وقتلوهم واحداً بعد واحد، ومشية الله قضت أن يحفظ الإمام الثاني عشر عن أيدي وأعين أولئك الظلمة لأنّه الخاتم للأوصياء وخليفة جميع الأنبياء والمرسلين والصديقين وأمل المستضعفين، وبحفظه يستمر اللطف الإلهي وتصلح البشرية وتنشر العدالة على وجه الأرض عند ظهوره المبارك.

وهذه المنّة واللطف الإلهي بالعباد لا يتمّ إلاّ بولادته في زمن أبيه لكي تكون سلسلة النور متّصلة بهذا الوجود فلا تغمره الظلمة والعذاب. فالعقل السليم لا يجحد عن القول بهذه القاعدة العقلية الفطرية، ولولا ذلك لقلنا أنّ ربّ العالمين قد عرض عباده للهلاك الذي حذر منه عباده من عدم اتباع المرسلين وطاعتهم. وبذلك قال شيخنا المفيد عليه آلاف التحية والرحمة في الاستدلال على إمامة الحجة بن الحسن عليه السلام:

فمن الدلائل على ذلك ما يقتضيه العقل بالاستدلال الصحيح من وجود إمام معصوم كامل غني عن رعاياه في الأحكام والعلوم في كلّ زمان لاستحالة خلوّ المكلفين من سلطان يكونون بوجوده أقرب إلى الصلاح وأبعد من الفساد، وحاجة الكلّ من ذوي النقصان إلى مؤدّب للجنة، مقوم للعصاة، رادع للغواة، مسلّم للجّهال، منبّه للغافلين، محذّر من الضلال، مقيم للحدود، منقذ للأحكام، فاصل بين أهل الاختلاف، ناصب للأمرء، سادّ للثغور، حافظ للأموال، حام

٣٦٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

عن بيضة الإسلام، جامع للناس في الجمعيات والأعياد..
ثم قال:.... وهذا أصلٌ لن يحتاج معه في الإمامة إلى رواية النصوص وتعداد
ما جاء فيها من الأخبار، لقيامه بنفسه في قضية العقول، وصحته بثابت
الاستدلال^(١).

وقال شيخ الطائفة الطوسي عليه الرحمة في سياق إثبات غيبة الإمام المنتظر
عجل الله فرجه بثلاثة وجوه:

١ - والذي يدل على وجوب الرياسة ما ثبت من كونها لطفاً في الواجبات
العقلية فصارت واجبة كالعرفة التي لا يعري مكلف من وجوبها عليه، ألا ترى
إنّ من المعلوم أنّ مَنْ ليس بمعصوم من الخلق متى خلوا من رئيس مهيب يردع
المعاند ويؤدّب الجاني ويأخذ على يد المتغلب ويمنع القوي من الضعيف وأمنوا
ذلك وقع الفساد وانتشر الحيل وكثر الفساد وقُلّ الصلاح، ومتى كان لهم رئيس
هذه صفته كان الأمر بالعكس من ذلك من شمول الصلاح وكثرته وقلة الفساد
ونزارته والعلم بذلك ضروري لا يخفى على العقلاء...^(٢)
وقال أيضاً:

قد ثبت وجوب الإمامة مع بقاء التكليف على من ليس بمعصوم في جميع
الأحوال والأعصار بالأدلة القاهرة، وثبت أنّ من شرط الإمام أن يكون
مقطوعاً على عصمته، وعلمنا أيضاً أنّ الحق لا يخرج عن هذه الأمة..^(٣)

(١) الإرشاد: ٢/ ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) الغيبة للطوسي: ٤.

(٣) الغيبة للطوسي: ٣-٤.

ثم قال:

... فهو متفق عليه بيننا وبين خصومنا، وإن اختلفنا في علّة ذلك، لأنّ عندنا أنّ الزمان لا يخلو من إمام معصوم لا يجوز عليه الغلط، فإذا الحق لا يخرج عن الأئمة لكون المعصوم فيهم.^(١)

وقال أيضاً:

فأمّا الكلام في ولادة صاحب الزمان وصحّتها فأشياء اعتباريّة وأشياء أخباريّة؛ فأمّا الاعتباريّة فهو أنّه إذا ثبت إمامته بما دللنا عليه من الأقسام وإفساد كلّ قسم منها إلّا القول بإمامته ثبت إمامته وعلمنا بذلك صحّة ولادته إن لم يرد فيه خبر أصلاً.

وأيضاً دللنا على أنّ الأئمة اثنا عشر يدلّ على صحّة ولادته لأنّ العدد لا يكون إلّا لموجود. وما دللنا على أنّ صاحب الأمر لا بدّ له من غيبتين يؤكّد ذلك لأنّ كلّ ذلك مبنيّ على صحّة ولادته.^(٢)

وقد يرد سؤال من المخالف، يقول: إذا كان الغرض هو حفظ الإمام من الظالمين كان من الأفضل أن يؤخّر ولادته إلى ما قبل ظهوره؟!

نقول: إنّ هناك ثوابت وسنن ربّانيّة لا يمكن أن يغيّرها تعالى لأنّه حكيم لا يُسأل عمّا يفعل لأنّه العالم بالمصالح والتي منها:

١ - أنّ حجّته وخليفته في عبادته يجب أن لا تنقطع عنهم لحظة واحدة وإلّا

(١) الغيبة للطوسي: ١٧.

(٢) الغيبة للطوسي: ٢٢٩.

٣٦٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أدّى إلى انتفاء الغرض من الخلق وهو الرحمة والهداية لهم، وقد ثبت بآية الاستخلاف وحديث الكساء أنّ حكمة إيجاد الخليفة أهمّ من إيجاد الخلق ومقدّم عليهم.

٢- قد ثبت من سيرة الأنبياء والحجج السابقين من أوّل الدنيا أنّ الحجّة لا بدّ لها من كونها على الأرض مع الخلق وليس في عوالم أخرى، وهذا القرآن يؤكّد أنّ الخليفة لا بدّ من كونه في الأرض وكذا السيرة السابقة للحجج.

٣- قد ثبت عندنا من أصول مذهبنا أنّ الإمام المعصوم لا يغسله إلاّ الإمام معصوم مثله، ولأنّ والد الحجّة الإمام الحسن العسكري ثبت بالدليل القاطع المفيد للاطمئنان بشهادته عليه السلام لا بدّ من القول أنّ الذي قام بتغسيله هو ورثته بالحقّ الإمام الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام.

٤- ولادته سرّاً وغيبته سرّاً وحياته سرّاً فيها من الأغراض والمصالح الكثيرة التي لا يتسع المقام لتعدادها وعدم الادّعاء بحقائقها الغيبية. ومن هذه المصالح امتحان الخلق وإثبات عجزهم أمام قدرة الله وعظمته.. الخ.

الرابع: الإجماع

أجمعت الطائفة المحقّقة وعلماءها على ولادة الإمام الثاني عشر- في زمن أبيه العسكري، وعاش معه خمس سنين ثمّ غاب غيبته الصغرى ثمّ الكبرى، ولم يشذّ أحداً من علماء الطائفة، وعندهم من الأصول المسلّمة، ومن أنكرها فقد خرج عن ملتهم، وقد تبعهم جمعٌ كبير من أعلام العامّة على ذلك سوف نورد لهم لاحقاً. وقد صنّف كبار العلماء والمحدّثين كتباً في الغيبة منذ حياة أبيه العسكري وكلّهم يؤكّدون على ولادته وغيبته، بل أصبحت مسألة الغيبة من أكثر الموضوعات اهتماماً من قبل كبار علماء الطائفة، فقد صنّفوا فيها مئات الكتب.

ولادة النور..... ٣٦٣

ومن هذه الكتب كتاب الغيبة لفضل بن شاذان المتوفى بعد ولادة الحجة عليه السلام وقبل شهادة أبيه أبي محمد العسكري عليه السلام.

وكتاب الغيبة لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المولود عام ٣٨٥ هـ بطوس، المتوفى عام ٤٦٠ هـ، تولى الزعامة للطائفة في بغداد بعد أستاذه الشيخ المفيد والسيد المرتضى.

وكتاب الغيبة للنعماني المعروف بأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني البغدادي، يعرف بـ «أبي زينب»، قال عنه النجاشي: شيخ من أصحابنا، عظيم القدر، شريف المنزلة، صحيح العقيدة، كثير الحديث، توفي بدمشق ٣٦٠ هـ.

وكتاب الإيضاح في الإمامة والغيبة للشيخ الجليل، أستاذ الفقهاء، الشيخ المفيد، والذي كان لصاحب الزمان عناية خاصة به ومدح وثناء في المراسلات التي تشرف بها منه عليه السلام، وكذا كتابه (الإرشاد في معرفة الحجب على العباد). وكذا (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر). لأبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي من تلامذة الصدوق عليه الرحمة، ومن أعلام القرن الرابع.

وكتاب (كمال الدين وتمام النعمة) لرئيس المحدثين الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١، وهذا الكتاب من الكتب المهمة الصحيحة التي ألفها بأمر صاحب الزمان عليه السلام.

وهناك كتب أخرى للمتأخرين (كالملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر) للعالم المعروف علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس المتوفى ٦٦٤ هـ.

٣٦٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

و(المحجّة فيما نزل في القوائم الحجّة)، للعالم الجليل المحدث السيّد هاشم البحراني. وكتاب (كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار)، و(النجم الثاقب) للعالم الفقيه المحدث الحاج الميرزا حسين النوري الطبرسي. وكتاب (الإيقاظ من الهجعة) للمحدث الشهير الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفّى ١١٠٤هـ. وكتاب الرجعة لمؤلفه الميرزا محمد مؤمن بن دوست محمد الحسيني الأسترآبادي الشهيد بسنة ١٠٨٨هـ.

وكتاب (مكيال المكارم) لمؤلفه الحاج الميرزا محمد تقي الموسوي الاصفهاني المتوفّى سنة ١٣٤٨، وقد رأى المؤلّف صاحب الزمان في عالم الرؤيا وأمره أن يُسمّى كتابه (مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم). وأخيراً الأثر الجليل الكبير «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر» لمؤلفه المعاصر الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني أطل الله في عمره. وهناك مئات الكتب المؤلّفة في شأن الإمام الحجّة بن الحسن العسكري للعلماء الماضين والمعاصرين، وجميع هؤلاء يتفقون على مسألة ولادة الإمام الثاني عشر. وفي هذا الشأن هناك جمع كبير من علماء العامّة يتفقون مع إجماع الطائفة الإماميّة في هذا الأمر نوردهم في دليل مستقل.

الخامس: الشهرة والتواتر والسيرة المتصلة بزمان النبي ﷺ :

روى عشرات الرواة الثقة وبطرق مختلفة من العامّة والخاصّة عن النبي ﷺ آلاف الأخبار في أحوال المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام بشكل صريح غالباً، وبشكل ضمني تارة أخرى، وبدلالة التزاميّة مرّة أخرى في أحاديث عديدة مختلفة، وصارت من المشهورات والمسلّمات عند المسلمين كحديث الثقلين وحديث الأمراء من بعدي، وحديث المعراج، وحديث اللوح، وحديث الغدير،

فبعضها مجملاً وبعضها مفصلاً بالاسم واللقب والصفة.
وروى هذه الأحاديث الرواة جيلاً بعد جيل عند جميع المذاهب الإسلامية،
وما يرويه العامة لا يقلّ عما يرويه الخاصة في شأن الإمام المهدي عليه السلام.
وقد كان من الشهرة والتواتر والسيرة معروفاً بينهم وقد روت مجموعة من
رواة العامة بولادته وغيبته وتبعهم كثير عن العلماء والمؤرخين والجمهور، أما
الذين ينكرون الولادة إما بسبب تأثره ببعض الرواة المغرضين أو لعدم متابعتهم
لروايات أهل البيت التي هي متصلة بمنابع الوحي الإلهي التي تجري من زمن
النبي صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا.

ومن سار على منوالهم في التشكيك إنما لعدم قدرته على هضم وفهم طريقة
الولادة السريّة والغيبة وحياته إلى يومنا هذا، ولا يهمنّا تشكيك المشكّكين بعد
ثبوت ذلك في سيرة الأنبياء والصالحين، وإنّ هذه السيرة جارية في هذه الأمة كما
أخبر بذلك سيّد الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، كما أنّ هذه الأخبار تناقلها ورواها كبار
علمائنا العدول في المتنون والأصول المعروفة لدى الطائفة فوصلت إلى أيدينا من
أيدي أمينة من أمثال ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي، ومن أمثال الصدوق
في كتاب (كمال الدّين وتمام النعمة) الذي ألفه بأمر صاحب الزمان عليه السلام،
والطوسي في كتاب (الغيبة)، والنعماني في كتاب (الغيبة)، والمفيد في (إرشاده)،
وهكذا تناقلها المتأخرون من أمثال المجلسي في كتاب (البحار)، والمحدث الحرّ
العالمي في (وسائل الشيعة)، والمحدث النوري في (المستدرك) وغيرهم كثير..
وقال المحقّق الحلي رحمته الله في كتابه (المسلك في أصول الدّين):

ويدلّ على وجوده من حيث النقل اتفاق طائفة كثيرة من الشيعة على

٣٦٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

مشاهدته، وطائفة على مكاتبته ومراسلته، اتفاقاً يحصل من مجموعته اليقين بوجوده، فمن المشاهدين له من النساء حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى عليه السلام ونسيم ومارية وجارية الخيزراني. ومن الرجال: أبو هارون فإنه قال: رأيت صاحب الزمان عليه السلام وكان مولده يوم الجمعة سنة ست وخمسين ومائتين، وأبو غانم الخادم، قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً وعرضه على أصحابه يوم الثالث. وعن محمد بن معاوية أبو حكيم ومحمد بن أيوب ومحمد بن عثمان العمري قالوا: عرض علينا أبو محمد عليه السلام ابنه عليه السلام ونحن أربعون رجلاً فقال: «هذا إمامكم بعدي». ومن وكلائه ومكاتبه العمري وابنه ومحمد بن مهزيار وأحمد بن إسحاق والقاسم بن العلاء والبسامي ومحمد بن شاذان وغيرهم مما لا يحصى كثرة، ممن يحصل بهم التواتر عند الوقوف على أخبارهم والاطلاع على ما نقل عنهم ويزول به الريب.

وربما استبعد كثير من المخالفين بقاءه عليه السلام هذا العمر المتطاول، غفولاً منهم عن قدرة الله تعالى، وقلة تأمل في ما نقل من أخبار المعمرين مثل نوح عليه السلام فإنه عاش بنص القرآن ما يزيد على ألف سنة إلا خمسين عاماً، وفي الأخبار ألف سنة وخمسمائة سنة، ومثل سليمان فإنه عاش سبعمائة سنة واثنى عشرة سنة. وفي زمن نبينا عليه السلام سلمان الفارسي رحمته الله فإنه عاش أربعمائة سنة وخمسين عاماً، فلو لم نقف على ذلك لعلمنا أن ذلك داخل في قدرة الله تعالى وغير متعذر عليه سبحانه إذا اقتضت المصلحة. ^(١)

كما أن من البديهي والمعروف والمتسالم عليه في ملة الإسلام والمسلمين أن

(١) المسلك في اصول الدين: ٣١٢-٣١٣.

السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الذي رفعه الله مكاناً علياً ولم يمت بعد فهو حي يرزق وإلى اليوم صار عمره أكثر من ألفين سنة وسينزل نصيراً للإمام المهدي عليه السلام وحجة له على النصارى جميعاً بإذن الله تعالى.

السادس: الشهادة

ونقصد بها شهادة صاحب الفراش وشهادة القابلة وشهادة عدلين. وفي الشرع والقانون العرفي يقبلون هذه الشهادات كل واحدة بمفردها ويرتبون عليها سائر الأحكام، وقد ثبتت ولادة صاحب الأمر الحجة بن الحسن بإقرار أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام وشهادة عمته حكيمة بنت الإمام محمد الجواد لأنها كانت القابلة، وشهادة الثقة من العلماء المقربين من الإمام عليه السلام بإقراره أمامهم ورؤيتهم إيّاه.

قال الشيخ المفيد رضوان الله عليه في الفصول العشرة في الغيبة:

قد ثبت بأوكد ما يثبت به أنساب الجمهور من الناس إذ كان النسب يثبت بقول القابلة ومثلها من النساء اللاتي جرت عاداتهن بحضور ولادة النساء وتولي معونتتهن عليه، وباعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون مَنْ سواه، وبشهادة رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الابن منه وقد ثبتت أخبار عن جماعة من أهل الديانة والفضل والورع والزهد والعبادة والفقه عن الحسن بن علي عليه السلام أنه اعترف بولادة المهدي عليه السلام وأذنهم بوجوده ونص لهم على إمامته من بعده وبمشاهدة بعضهم له طفلاً وبعضهم له يافعاً وشاباً كاملاً، وإخراجه إلى شيعته بعد أبيه الأوامر والنواهي والأجوبة عن المسائل وتسليمهم له حقوق الأئمة من أصحابه، وقد ذكرت أسماء جماعة ممن وصفت حالهم من

٣٦٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ثقات الحسن بن علي عليه السلام وخاصته المعروفين بخدمته والتحقيق به وأثبت ما رَوَّه عنه في وجود ولده ومشاهدتهم من بعده وسماعهم النص بالإمامة عليه وذلك موجود في مواضع من كتبي وخاصة في كتابي المعروف أحدهما «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد» والثاني «الإيضاح في الإمامة والغيبة»^١، انتهى كلامه رضوان الله عليه.

وإليك تفصيل هذه الشهادات في الروايات الصحيحة.

١ - شهادة القابلة:

وهي السيِّدة العلويَّة الطاهرة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، وأخت الإمام الهادي عليه السلام، وعمَّة الإمام العسكري عليه السلام، وهي التي تولَّت أمر نرجس أمَّ الإمام المهدي عليه السلام، في ساعة الولادة وصرَّحت بمشاهدة الإمام الحجة بعد مولده، وقد ساعدتها بعض النسوة في عمليَّة الولادة، منهنَّ جارية أبي علي الخيزراني التي أهداها الإمام العسكري عليه السلام، فيما صرَّح بذلك الثقة محمد بن يحيى، ومارية ونسيم خادمة الإمام العسكري عليه السلام.

ولا يخفى أنَّ ولادات المسلمين لا يطلع عليها غير النساء القوابل، ومن ينكر هذا فعليه أن يثبت لنا مشاهدة غيرهنَّ لأُمِّه في مولده.

قال العلامة الكوراني:

روت مصادرنا شهادة حكيمة رحمها الله بولادة الإمام المهدي صلوات الله عليه بعدة طرق وبضع روايات فيها صحيح السند، وبين رواياتها تفاوت، وأكثره لا يضّر لأنَّه في الاجمال والتفصيل، وبعضه من الظروف الخطيرة التي

كانت تحيط بآل الإمام العسكري عليه السلام، خاصّة القرييين منه كوالدته وعمّته
حكيمة، ويظهر من الروايات أنّ حكيمة كانت في المدينة، ومعناه أنّها اضطرت
أن تترك سامراء مدّة، ثمّ عادت إليها في فسحة من أحداث الصراع بين القادة
الأتراك على نصب الخليفة وعزله، وتوفيت بها ودفنت إلى جنب قبر الإمامين
العسكريين عليهما السلام.^(١)

رواية الشيخ الصدوق:

روى الشيخ الصدوق قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن الوليد رحمته الله قال:
حدّثنا محمد بن يحيى العطار قال: حدّثنا أبو عبدالله الحسين بن رزق الله قال:
حدّثني موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ
بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: حدّثني حكيمة بنت محمد بن عليّ بن
موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قالت:
بعث إليّ أبو محمد الحسن بن عليّ عليه السلام فقال: «يا عمّة، اجعلي إفطارك هذه الليلة
عندنا فإنّها ليلة النصف من شعبان فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة
الحجّة وهو حجّته في أرضه».

قالت: فقلت له: ومن أمّه؟ قال: لي «نرجس»، قلت له: جعلني الله فداك،
ما بها أثر، فقال: «هو ما أقول لك»، قالت: فجئت، فلمّا سلّمت وجلست جاءت
تنزع خفيّ وقالت لي: يا سيّدي [وسيدة أهلي] كيف أمسيّت؟ فقلت: بل أنت
سيّدي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة؟ قالت: فقلت
لها: يا بنيّة، إنّ الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة،

(١) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٨٢٩.

قالت: فخرجت واستحييت.

فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة، ثم اضطجعت ثم انتبهت فرعة وهي راقدة، ثم قامت فصلت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت أتفقّد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذب السر-حان وهي نائمة، فدخلني الشكوك فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: «لا تعجلي يا عمّة فهالك الأمر قد قرب»، قالت: فجلست وقرأت (الم السجدة)، و(يس)، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فرعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: أحسّين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمّة، فقلت لها: أجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، قالت: فأخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحسّ سيدي، فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقّى الأرض بمساجده فضممته إليّ فإذا أنا به نظيف متنظّف فصاح بي أبو محمد عليه السلام: «هلمّي إليّ ابني يا عمّة»، فجئت به إليه فوضع يديه تحت إيتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال: «تكلّم يا بني»، فقال: «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله»، ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمّة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه، ثم أحجم. ثم قال أبو محمد عليه السلام: «يا عمّة اذهبي به إلى أمّه ليسلم عليها وائتيني به»، فذهبت به فسلم عليها ورددته فوضعت في المجلس ثم قال: «يا عمّة، إذا كان يوم السابع فأتينا» قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد عليه السلام وكشفت الستر لأتفقّد سيدي عليه السلام فلم أره، فقلت: جعلت فداك، ما

فعل سيدي؟ فقال: «يا عمّة، استودعناه الذي استودعته أمّ موسى موسى عليه السلام». قالت حكيمة: فلمّا كان في اليوم السابع جئت فسلمت وجلست، فقال عليه السلام: «هلمّي إليّ ابني، فجئت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقه ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذّيه لبناً أو عسلاً»، ثم قال: «تكلم يا بني»، فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله» وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) حتّى وقف على أبيه عليه السلام، ثم تلا هذه الآية: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [الفصص/ ٥-٦].

قال موسى: فسألت عقبة الخادم عن هذه، فقالت: صدقت حكيمة. (١) وليست هذه الرواية الوحيدة في شأن الولادة، فقد نقل صاحب المنتخب في شأن الولادة وتاريخها وحالات أمّه واسمها مائتان وأربعة عشر حديثاً.

٢ - شهادة صاحب الفرائض:

روى الشيخ الصدوق عطر الله ضريحه بسنده إلى أحمد بن الحسين القمي قال: لما ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام على جدّي أحمد بن إسحاق كتاب وإذا فيه مكتوب بخطّ يده عليه السلام الذي كان ترد به التوقيعات عليه وفيه: «ولد مولودنا فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً فإننا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقربته والوليّ لولايته، أحببنا إعلامك

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٣ - ٤٣٤.

٣٧٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ليسرك الله به مثل ما سرنا به، والسلام»^(١).

وروى صاحب كفاية الأثر بسنده المتصل عن أحمد بن إسحاق بن سعد قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ويظهره فيملاً الأرض قسطاً عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً». ورواه في كمال الدين^(٢).

روى في كشف الحق (ص ٢٣) قال: قال أبو محمد بن شاذان رحمته الله، حدثنا محمد بن حمزة بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، قال: سمعت أبا محمد عليه السلام يقول: «ولد ولي الله وحجته على عباده وخليفتي من بعدي، مختوناً، ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر، وكان أول من غسّله رضوان خازن الجنان مع جمع من الملائكة المقرّبين بماء الكوثر والسلسيل، ثم غسّلته عمّتي حكيمة بنت محمد بن علي الرضا عليه السلام، أمّه مليكة التي يقال لها بعض الأيام سوسن، وفي بعضها ريحانة، وكان صقيل ونرجس أيضاً من أسماؤها»^(٣).

وروى الصدوق عن محمد بن عثمان العمري، قال: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: «إنّ الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، وأنّ من مات ولم يعرف

(١) كفاية الأثر: ٢٩٥، كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٨-٤٠٩.

(٢) كشف الحق أو الأربعين: ٣٣.

(٣) كفاية المهتدي: ٣٠، النجم الثاقب: ١٣.

إمام زمانه مات ميتة جاهليّة؟ فقال ﷺ: «إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ»، فقليل له: يا ابن رسول الله، فمنّ الحجّة والإمام بعدك؟ فقال: «ابني محمّد هو الإمام والحجّة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة، أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقّاتون، ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»^(١).

خبر الجعفري:

ويدلّ عليه الخبر الصحيح عن محمّد بن يحيى العطار، عن أحمد بن إسحاق، عن أبي هاشم الجعفري، قال: قلت لأبي محمّد ﷺ: جلالتك تمنعني من مسألتك فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: «سل»، قلت: يا سيّدي، هل لك ولد؟ فقال: «نعم»، فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: «بالمدينة»^(٢).

والخبر الصحيح عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن عليّ بن بلال قال: خرج إليّ من أبي محمّد قبل مضيّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إليّ من قبل مضيّه بثلاثة أيّام يخبرني بالخلف من بعده^(٣).

والمراد بعليّ بن محمّد هو الثقة الأديب الفاضل ابن بندار، وأمّا عن محمّد بن عليّ بن بلال فإنّه من الوثاقة والجلالة أشهر من نار على علم بحيث كان يراجع

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٩، كفاية الأثر: ٢٩٦، إعلام الوري: ٢٥٣/٢، وعنه

كشف الغمّة: ٣١٨/٣، إثبات الهداة: ٤٨٢/٣، وسائل الشيعة: ٤٩١/١١ الخ.

(٢) الكافي: ٣٢٨/١.

(٣) الكافي: ٣٢٨/١.

٣٧٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

من مثل أبي القاسم الحسين بن روح رحمته الله، كما هو معلوم عند أهل الرجال. (١)
قال العلامة الميلاني:

إنّ ولادة أيّ إنسان في هذا الوجود تثبت بإقرار أبيه، وشهادة القابلة، وإن لم يره أحد قطّ غيرهما، فكيف لو شهد المئات برؤيته، واعترف المؤرّخون بولادته، وصرّح علماء الأنساب بنسبه، وظهر على يديه ما عرفه المقرّبون إليه، وصدرت منه وصايا وتعليمات، ونصائح وإرشادات، ورسائل وتوجيهات، وأدعية وصلوات، وأقوال مشهورة، وكلمات مأثورة، وكان وكلاؤه معروفين، وسفراؤه معلومين، وأنصاره في كلّ عصر وجيل بالملايين، ولعمري هل يريد من استغلّ تلك الملابس، وأنكر ولادة الإمام المهدي عليه السلام أكثر من هذا لإثبات ولادته، أم تراه يقول بلسان الحال كما قال المشركون بلسان المقال لجدّه النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيبَلًا* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الاسراء/ ٩٠-٩٣]. (٢)

٣- إسهاد الثقات والعدول وإخبارهم بمولد الإمام الحجة عليه السلام:

رغم الظروف الأمنية المشدّدة المفروضة على الإمام أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام، من المراقبة والحصار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي إلّا أنّ

(١) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٨٠٢.

(٢) المهدي المنتظر عليه السلام: في الفكر الإسلامي: ١٠٦.

الإمام عليه السلام اتخذ عدة خطوات من أجل استقبال حجة الله وخليفته من بعده وإعلام شيعته الثقة وإشهادهم عليه.

فكانت أمامه عليه السلام مهمتان متزاحمتان صعبتان:

الأولى: هو كتمان أمر ولادة الخلف لكي لا يشيع بين الناس فيصل الخبر إلى أسماع العدو مما يؤدي إلى القضاء على هذا الوليد الموعود من قبل الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يقيم حكومة العدل على وجه الكرة الأرضية ويزيل عروش الطغاة.

وهي مهمة صعبة جداً، حيث إن الإمام مراقب من قبل العدو وعليه حراسة وهناك له أقرباء من أمثال جعفر الكذاب أخيه الذي له علاقة بالدولة وهناك من الخدام والذين يترددون على منزله، وحديث الولادة الذي يبين كيفية حضور عمته حكيمة لتتولى أمر أم الحجة بشكل لم يطلع عليه أحد من الناس حتى المقرّبين، بل حتى الخادم (البواب) الذي كان يحرس بيت الإمام عليه السلام لم يطلع عليه إلا بعد سنتين أو ثلاث سنوات.

الثانية: لا بد من تعريفه للأمة لأنه إمامهم ومفرعهم ومقتداهم وكهفهم، وإنه لا بد للأمة من إمام تأتم به في كل زمان، وإنه لو لم يبين لهم إمامهم فقد أوقعهم في الحيرة والضلالة.

فكانت المهمة الحساسة تعريفه لمجموعه من الخواص الموثوقين الذين على عاتقهم مسؤولية تبليغ أمر الإمامة عند الوقت المناسب وللأشخاص المناسبين. وقد نجح الإمام عليه السلام في هاتين المهمتين، حيث استطاع أن يأمن هذه الفترة الحساسة من حياة الوليد المبارك، ومما ساعده على ذلك تطبيقه لسياسة

٣٧٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الاحتجاب على نفسه، وانقطاعه عن أصحابه ومواليه إلا بواسطة المراسلات، فقد عود الموالين وهبهم لفترة الغيبة للإمام الحجة عليه السلام وأبعد عن نفسه تسليط الأضواء حيث إنه تحت مراقبة السلطة ومنزله قريب من دار الحكومة. ومما ساعد على الإخفاء أيضاً تحوّل انتباه الدولة والمجتمع إلى حرب صاحب الزنج الذي قام بالثورة في جنوب العراق والأهواز في عام ٢٥٥ عام ولادة الإمام عليه السلام.

وفيما يخص المهمة الثانية فقد قام الإمام عليه السلام بعدة خطوات من أجل إتمام الحجة على الأمة وتبليغ أمر الإمام عليه السلام. فما هي هذه الخطوات:

أولاً: أشهد أربعين رجلاً من ثقات أصحابه وأراهم إياه، وهؤلاء الثقة منهم محمد بن عثمان العمري الذي صار سفيراً خاصاً للإمام المهدي بعد أبيه عثمان العمري، ومعاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح، وهذا أوسع إعلان قام به الإمام عليه السلام قبل وفاته عليه السلام، وأمرهم بالطاعة له كونه الخليفة والإمام بالحق من بعده، ثم نبأهم إلى مسألة أنهم لن يرونه بعد ذلك، فأدخل في ذهنهم مفهوم الغيبة وطاعة الوكلاء من بعده والارتباط بهم لأنهم ثقات ونواب الإمام عليه السلام.

روى الصدوق عليه الرحمة في (كمال الدين) بسنده قال: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه عليه السلام قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار قال: حدثني جعفر بن محمد بن مالك الفزاري قال: حدثني معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري عليه السلام، قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ونحن في منزله، وكنا أربعين رجلاً، فقال: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا». قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى

مضى أبو محمد عليه السلام.^(١)

ويظهر من الحديث أنّ هذا الإعلان الواسع كان في أواخر حياته عليه السلام أي عندما صار عمر «الحجّة» خمس سنوات تقريباً ولكن هناك خطوات قبل ذلك اتخذها الإمام عليه السلام ومنها:

ثانياً: إخبار مجموعة من الشيعة المقربين عند ولادته وقد أمرهم القيام بالسنة والاستحباب في أمر العقيدة للوليد وتفريق الصدقات.

وقد كثر الإمام عليه السلام العقيدة لابنه الحجّة عليه السلام لكي تكون إشارة وقرينة على الولادة. روى الصدوق عليه الرحمة قال: حدّثنا محمد بن عليّ ماجيلويه، ومحمد بن موسى بن المتوكّل، وأحمد بن محمد العطّار رضي الله عنهم قالوا: حدّثنا محمد بن يحيى العطّار قال: حدّثني إسحاق بن رياح البصري، عن أبي جعفر العمري قال:

لما ولد السيّد عليه السلام قال أبو محمد عليه السلام: «ابعثوا إلى أبي عمرو^(٢)» فبعث إليه فصار إليه فقال له: «اشتر عشرة آلاف رطل خبز، وعشرة آلاف رطل لحم وفرّقه - أحسبه قال: على بني هاشم - وعقّ عنه بكذا وكذا شاة».^(٣)

وروى أيضاً بسنده إلى محمد بن إبراهيم الكوفي أنّ أبا محمد عليه السلام بعث إلى

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٥

(٢) يعني عثمان بن سعيد.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣١-٤٣٢.

٣٧٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بعض مَنْ سَمَّاهُ لي بشاة مذبوحة، وقال: «هذه من عقيقة ابني محمد»^(١).
ثالثاً: إعلام الثقات بشكل مفرد بحسب المناسبة واللقاء وهم كثيرون
وبعضهم جاء للرؤية والتهنئة والسؤال عن حاله واسمه، وقد أقر هؤلاء بأنهم
رأوه فوصفوه وأخبروا الآخرين، ومن هؤلاء الخدم الثقات في بيت الإمام عليه السلام.
فقد روى الصدوق في الإكمال بسنده إلى السياري قال: حدثني نسيم ومارية
قالتا: إنه لما سقط صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمه جاثياً على ركبتيه، رافعاً
سبابتيه إلى السماء، ثم عطس فقال: «الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد
 وآله، زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة لو أذن لنا في الكلام لزال الشك»^(٢).
وبسنده إلى أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً،
فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: «هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي
عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً
وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً»^(٣).
وروى أيضاً بسنده عن محمد بن الحسن الكرخي قال: سمعت أبا هارون -
رجلاً من أصحابنا - يقول: رأيت صاحب الزمان عليه السلام وكان مولده يوم الجمعة
سنة ست وخمسين ومائتين^(٤).
وروى بسنده إلى غياث بن أسيد قال: شهدت محمد بن عثمان العمري قدس

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٠.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٢.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣١.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٢.

الله روحه يقول: لما ولد الخلف المهدي عليه السلام سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء، ثم سقط لوجهه ساجداً لربه تعالى ذكره، ثم رفع رأسه وهو يقول: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ [ال عمران / ١٨ - ١٩].
قال: وكان مولده يوم الجمعة. ^(١)

وروى بسنده إلى أبي الفضل الحسن بن الحسين العلوي قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسر من رأى فهنأته بولادة ابنه القائم عليه السلام. ^(٢)
وروى بسنده إلى يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وهو جالس على دكان في الدار وعن يمينه بيت وعليه ستر مُسَبَّل فقلت له: يا سيدي، مَنْ صاحب هذا الأمر؟ فقال: «ارفع الستر» فرفعته، فخرج إلينا غلام خماسي له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دري المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ أبي محمد عليه السلام ثم قال لي: «هذا هو صاحبكم»، ثم وثب فقال له: «يا بني، ادخل إلى الوقت المعلوم»، فدخل البيت وأنا أنظر إليه، ثم قال لي: «يا يعقوب، انظر مَنْ في البيت؟» فدخلت فما رأيت أحداً. ^(٣)
رابعاً: مراسلاته وتوقعاته إلى أصحابه لإعلامهم بأمر الولادة ومن هؤلاء

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٣.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٤.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٧.

٣٨٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أحمد بن إسحاق القمّي المعروف بقربه من أهل البيت ووكيل لهم عليه السلام في قم. روى الصدوق نور الله ضريحه بسنده إلى أحمد بن الحسن القمي قال: لما ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام على جدّي أحمد بن إسحاق كتاب وإذا فيه مكتوب بخطّ يده عليه السلام الذي كان ترد به التوقيعات عليه وفيه:

«ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً فإنّما لم نظهر عليه إلاّ الأقرب لقرابته والوليّ لولايته، أحببنا إعلامك ليسرّك الله به مثل ما سرّنا به، والسلام»^(١).

وما يكمل هذا الخبر أنّه تمّ لقاء بين أحمد بن إسحاق وبين الإمام الحسن العسكري وفيه أمر يتعلّق بالكتاب المذكور.

وفي إثبات الوصيّة: يحدث الحميري، عن أحمد بن إسحاق قال: دخلت على أبي محمد عليه السلام فقال لي: «يا أحمد، ما كان حالكم فيما كان الناس فيه من الشكّ والارتياب؟» قلت: يا سيّدي، لما ورد الكتاب بخبر سيّدنا ومولده لم يبق منّا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلاّ قال بالحقّ، فقال: «أما علمتم أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله»^(٢).

وروى الصدوق عليه الرحمة بسنده إلى معلّى بن محمد البصري قال: خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قتل الزبيري: «هذا جزاء من افترى على الله تبارك وتعالى في أوليائه، زعم أنّه يقتلني وليس لي عقب، فكيف رأى قدرة الله عزّ وجلّ» وولد له

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٣-٤٣٤.

(٢) إثبات الوصيّة: ٢٤٧، عنه خاتمة المستدرک: ٥٥ / ٤.

ولد وسمّاه «م ح م د» سنة ست وخمسين ومائتين.^(١)

وروى أيضاً: بسنده إلى جعفر بن وهب البغدادي أنه خرج من أبي محمد عليه السلام توقيع: «زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل وقد كذب الله عز وجلّ قولهم والحمد لله».^(٢)

خامساً: إقرار الإمام عليه السلام أمام أصحابه الثقات وإرائتهم إياه ومنهم أربعين رجلاً في مجلس واحد.

روى صاحب كفاية الاثر بسنده إلى أحمد بن إسحاق القمي قال: سمعت أبا محمد الحسن العسكري عليه السلام يقول: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله خلقاً وخلقاً، يحفظه الله في غيبته ويظهره فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».^(٣)

وشيخنا المفيد صاحب الإرشاد بالسند إلى أبي عمرو الأهوازي قال: أرانيه أبو محمد عليه السلام وقال: «هذا صاحبكم».

ورواه في ينابيع المودة (ص ٤٦١) عن عمر الأهوازي قال: أراني أبو محمد ابنه وقال: «هذا إمامكم من بعدي».

ورواه الشيخ في غيبته والكليني بسنده عن عمرو في الكافي قال: أراني أبو

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٠.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٠٧.

(٣) كفاية الاثر: ٢٩٥.

محمد ابنه وقال: «هذا صاحبكم». (١)

وفي غيبة الشيخ: جعفر بن محمد بن مالك الفزاري البرّاز عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح في خبر طويل مشهور قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه عليه السلام أربعون رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري، فقال له: يا بن رسول الله، أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني، فقال له: «اجلس يا عثمان» فقام مغضباً ليخرج. (٢)

فقال: «لا يخرج أحد» فلم يخرج منّا أحد إلى أن كان بعد ساعة فصاح عليه السلام بعثمان فقام على قدميه فقال: «أخبركم بما جئتم؟» قالوا: نعم يا بن رسول الله.. قال: «جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي..» قالوا: نعم؛ فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام فقال: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم

(١) الإرشاد: ٣٥٤ / ٢.

(٢) أقول: لعل هذه الحركة من قبل عثمان كانت مقصودة والإمام على علم بها كيف لا وشخصية عثمان الذي أصبح وكيل وسفير الإمام الحجة وبابه ومعروف بجلالته وثقته كيف يتصرّف هذا التصرف؟! والغاية منه إظهار أنّ شخصية عثمان ليست شخصية معصومة وإنّما هو مطيع ومنقذ لما يطلبه الإمام منه، وبقرينة ذيل الرواية أنّ الإمام يأمر بقيّة الأصحاب بقبول قوله وتنفيذ ما يأمره ليس لكونه من باب الاستقلال وإنّما هو خليفة الإمام ونائبه. حيث إنّ بعض الصحابة بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام طرحوا مسألة انتخاب شخصية للرجوع إليها حتّى يكبر الإمام الجواد ولكن معظم الأصحاب لم يقبلوا هذا القول وقالوا: إنّ الجواد هو معصوم كآبائه.

أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ألا وإنّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتم له عمر فأقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره وأقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» في حديث طويل. ^(١)

السابع: إقرار الإمام ووصيته إليه أمام بعض أصحابه في آخر ساعة حياته

روى الشيخ الطوسي في غيخته بسنده عن أبي سليمان داود بن عنان (غسان - خ) البحراني قال: قرأت على أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي مولد (م ح م د) ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا بن موسى بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليهم أجمعين) ولد له عليه السلام بسامراء سنة ست وخمسين ومائتين، أمّه صقيل ويكنّى أبا القاسم وبهذه الكنية، أوصى النبي ﷺ أنّه قال: «اسمه كاسمي وكنيته كنيّتي»، لقبه المهدي، وهو الحجة وهو المنتظر وهو صاحب الزمان عليه السلام.

قال إسماعيل بن علي: دخلت على أبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام في المروضة التي مات فيها وأنا عنده إذ قال لخادمه عقيد وكان الخادم أسوداً نوبياً قد خدم من قبله عليّ بن محمّد وهو ربّي الحسن عليه السلام، فقال له: «يا عقيد، اغلّ لي ماءً بمصطكي»، فأغلى له، ثمّ جاءت به صقيل الجارية أمّ الخلف عليه السلام، فلمّا صار القدح في يديه وهمّ بشربه فجعلت يده ترتعد حتّى ضرب القدح ثانياً الحسن فتركه من يده.

وقال لعقيد: «ادخل البيت فإنّك ترى صبيّاً ساجداً فأتيني به». قال أبو سهل:

(١) الغيبة للطوسي: ٣٥٧.

قال عقيد: فدخلت أتحرّى فإذا أنا بصبيّ ساجد رافع سبّابته نحو السماء، فسلمت عليه فأوجز في صلاته، فقلت: إنّ سيّدي يأمرُك بالخروج إليه، إذ جاءت أمّه صقيل فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام.

قال أبو سهل: فلما مثل الصبيّ بين يديه سلّم وإذا هو درّيّ اللون، وفي شعر رأسه قطط، مفلّج الاسنان، فلما رآه الحسن عليه السلام بكى وقال: «يا سيّد أهل بيته، أسقني الماء فإنّي ذاهب إلى ربّي» وأخذ الصبيّ القدح المغليّ بالمصطكي بيده، ثم حرّك شفّتيه ثم سقاه، فلما شربه قال: «هيّئوني للصلاة» فطرح في حجره منديل فوضّاه الصبيّ واحدة واحدة ومسح على رأسه وقدميه، فقال له أبو محمّد عليه السلام: «ابشر يا بنيّ فأنت صاحب الزمان، وأنت المهدي، وأنت حجّة الله على أرضه، وأنت ولدي، ووصيّي، وأنا ولدتك، وأنت (م ح د) ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولدك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت خاتم الاوصياء الائمة الطاهرين، وبشر- بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسمّاك، وكنّاك بذلك، عهد إليّ أبي عن آبائك الطاهرين صلّى الله على أهل البيت ربّنا إنّّه حميد مجيد»، ومات الحسن بن عليّ من وقته صلوات الله عليهم أجمعين. (١)

الثامن: كراماته في حياة أبيه

روي عن إبراهيم بن محمّد بن فارس النيسابوري * قال: لما همّ الوالي عمرو بن عوف بقتلي وهو رجل شديد النصب، وكان مولعاً بقتل الشيعة، فأخبرت بذلك وغلب عليّ خوف عظيم، فودّعت أهلي وأحبائي وتوجّهت إلى دار أبي

(١) ينظر: الغيبة للطوسي: ٢٧١ - ٢٧٣.

محمد ﷺ لأودعه، وكنت أردتُ الهرب، فلما دخلت عليه رأيت غلاماً جالساً في جنبه، وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيّرت من نوره وضيائه، وكاد أنسى ما كنت فيه من الخوف والهرب، فقال: «يا إبراهيم لا تهرب، فإن الله تبارك وتعالى سيكفيك شرّه»، فازداد تحيري، فقلت لأبي محمد ﷺ: يا سيدي، جعلني الله فداك، مَنْ هو فقد أخبرني عما كان في ضميري فقال: «هو ابني وخليفتي من بعدي، وهو الذي يغيب غيبة طويلة، ويظهر بعد امتلاء الأرض جوراً وظلماً فيملأها عدلاً وقسطاً»، فسألته عن اسمه، قال: «هو سميّ رسول الله ﷺ وكنيته، ولا يحل لأحد أن يسميه باسمه ويكنيه بكنيته إلى أن يظهر الله دولته وسلطنته، فاكم يا إبراهيم ما رأيت وسمعت منّا اليوم إلا عن أهله»، فصلّيت عليها وآبائهما، وخرجت مستظهِراً بفضل الله تعالى واثقاً بما سمعته من صاحب ﷺ، فبشّرني عليّ بن فارس بأن المعتمد قد أرسل أبا أحمد أخاه وأمره بقتل عمرو بن عوف، فأخذه أبو أحمد في ذلك اليوم وقطّعه عضواً عضواً، والحمد لله ربّ العالمين. (١)

وروى الصدوق بسنده إلى إبراهيم بن محمد بن عبد الله قال: حدّثني نسيم خادمة أبي محمد ﷺ قالت: دخلت على صاحب هذا الأمر ﷺ بعد مولده ليلة فعطست عنده، قال لي: «يرحمك الله»، قالت نسيم: ففرحت [بذلك] فقال لي ﷺ: «ألا أبشّرك في العطاس؟» قلت: بلى [يا مولاي]، قال: «هو أمان من

(١) ينظر: النجم الثاقب: ١/ ٥١٦-٥١٧.

الموت ثلاثة أيام»^(١).

الإمام يجيب عما في ضمير السائل وهو ابن أربع سنين:

روى الشيخ الطوسي بسنده إلى أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري، قال: وجّه قوم من المفوضة والمقصرة كامل بن إبراهيم المدني إلى أبي محمد عليه السلام، قال كامل: فقلت في نفسي: أسأله: لا يدخل الجنة إلا مَنْ عرف معرفتي وقال بمقالتني، قال: فلما دخلت على سيدي أبي محمد عليه السلام نظرت إلى ثياب بياض ناعمة عليه فقلت في نفسي: ولي الله وحجته يلبس الناعم من الثياب ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان، وينهانا عن لبس مثله، فقال متبسماً: «يا كامل - وحسر عن ذراعيه فإذا مسح أسود خشن على جلده فقال - هذا الله وهذا لكم» فسلمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخي، فجاءت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا بفتى كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: «يا كامل بن إبراهيم» فاقشعررت من ذلك، وألهمت أن قلت: لبيك يا سيدي، فقال: «جئت إلى ولي الله وحجته وبابه تسأله هل يدخل الجنة إلا مَنْ عرف معرفتك وقال بمقالتك؟» فقلت: أي والله، قال: «إذن والله يقلُّ داخلها، والله إنه ليدخلها قوم يقال لهم الحقيقة»، قلت: يا سيدي، ومن هم؟ قال: «قوم من حبهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام يحلفون بحقه ولا يدرون ما حقه وفضله».

ثم سكت (صلوات الله عليه) عني ساعة، ثم قال: «وجئت تسأله عن مقالة المفوضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشية الله فإذا شاء الله شئنا، والله يقول: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان/ ٣٠]» ثم رجع الستر إلى حالته فلم أستطع

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣.

كشفه، فنظر إليّ أبو محمد عليه السلام متبسّماً فقال: «يا كامل، ما جلوسك؟ وقد أنباك بحاجتك الحجة بعدي»، فقمّت وخرجت ولم أعاينه بعد ذلك. ^(١)

الإمام يُخبر عن المال الحلال من الحرام:

روى الشيخ الصدوق بسنده إلى سعد بن عبدالله القميّ قال في حديث طويل نذكر موضع الحاجة:

كنت قد اتخذت طوماراً وأثبتّ فيه نيّفاً وأربعين مسألة من حساب صعب المسائل لم أجد لها مجيباً على أن أسأل عنها خبير أهل بلدي أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبي محمد عليه السلام فارتحلت خلفه وقد كان خرج قاصداً نحو مولانا بسرّ من رأى، فلحقته في بعض المنازل... [إلى أن يقول:] فوردنا سرّ من رأى فانتهينا منها إلى باب سيّدنا عليه السلام فاستأذنّا فخرج علينا الإذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطّاه بكساء طبري فيه مائة وستون صرة من الدنانير والدراهم، على كلّ صرة منها ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبّهت وجه مولانا أبي محمد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلّا بيدر قد استوفى من ليلاليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشتري في الخلقة والمنظر، على رأسه فرق بين وفرتين كأنّه ألف بين واوين [إلى أن قال:] فسلمنا عليه فألطف في الجواب، وأومى إلينا بالجلوس، فلمّا فرغ من كتبة البياض الذي كان بيده أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طيّ كسائه

(١) الغيبة للطوسي: ٢٤٦-٢٤٧.

فوضعه بين يديه (فنظر الهادي عليه السلام) ^(١) إلى الغلام وقال له: «يا بني فضّ الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك»، فقال: «يا مولاي، أيجوز أن أمدّ يداً طاهرة إلى هدايا نجسة وأموال رجسة، قد شيب أحلّها بأحرمها؟».

فقال مولاي: «يا بن إسحاق، استخرج ما في الجراب ليميّز ما بين الحلال والحرام منها»، فأول صرّة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: «هذه لفلان بن فلان، من محلة كذا بقم، يشتمل على اثنين وستين ديناراً، فيها من ثمن حجارة باعها صاحبها وكانت إرثاً له عن أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر- ديناراً، وفيها من أجرة الخوانيت ثلاثة دنائير»، فقال مولانا: «صدقت يا بني، ذلّ الرجل على الحرام منها»، فقال عليه السلام: «فتش عن دينار رازي السكة، تاريخه سنة كذا، قد انطمس من نصف إحدى صفحتيه نقشه، وقراضه أملية وزنها ربع دينار، والعلّة في تحريمها أنّ صاحب هذه الصرّة وزن في شهر كذا من سنة كذا على حائك من جيرانه من الغزل منّا وربع منّ فأتت على ذلك مدّة وفي انتهائها قيّض ذلك الغزل سارق، فأخبر به الحائك صاحبه فكذّبه واستردّ منه بدل ذلك منّا ونصف منّ غزلاً أدقّ ممّا كان دفعه إليه واتّخذ من ذلك ثوباً، كان هذا الدينار مع القراضة ثمنه».

فلما فتح رأس الصرّة صادف رقعة في وسط الدنانير باسم من أخبر عنه وبمقدارها على حسب ما قال، واستخرج الدينار والقراضة بتلك العلامة. ثمّ أخرج صرّة أخرى، فقال الغلام: «هذه لفلان بن فلان، من محلة كذا بقم، تشتمل على خمسين ديناراً لا يحلّ لنا لمسها». قال: وكيف ذاك؟ قال: «لأنّها من

(١) فنظر ابو محمد عليه السلام كما في دلائل الإمامة للطبري: ٥٠٦.

ثمن حنطة حاف صاحبها على أكاره في المقاسمة، وذلك أنه قبض حصته منها بكيل واف وكان ما حصّ الأكار بكيل بخس» فقال مولانا: صدقت يا بني.

ثم قال ﷺ: «يا أحمد بن إسحاق، احملها بأجمعها لتردها أو توصي بردها على أربابها فلا حاجة لنا في شيء منها، واثنتا بثوب العجوز». قال أحمد: وكان ذلك الثوب في حقيبة لي فنسيته. فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إليّ مولانا أبو محمد ﷺ فقال: «ما جاء بك يا سعد؟» فقلت: شوقني أحمد بن إسحاق على لقاء مولانا، قال: «والمسائل التي أردت أن تسأله عنها؟» قلت: على حالها يا مولاي، قال: «فسل قرّة عيني - وأوماً إلى الغلام» فقال لي الغلام ﷺ: «سل عما بدا لك منها»، فقلت له: مولانا وابن مولانا إنّنا روينا عنكم أنّ رسول الله ﷺ جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين ﷺ حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشة: «إنّك قد أرهجت على الإسلام^(١) وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فإن كفت عني غربك^(٢) وإلاّ طلقتك» ونساء رسول الله ﷺ قد كان طلاقهنّ وفاته، قال ﷺ: «ما الطلاق؟» قلت: تخلية السبيل، قال ﷺ: «فإذا كان طلاقهنّ وفاة رسول الله ﷺ قد خلّيت لهنّ السبيل فلم لا يحلّ لهنّ الأزواج؟» قلت: لأنّ الله تبارك وتعالى حرّم الأزواج عليهنّ، قال ﷺ: «كيف وقد خلّ الموت سبيلهنّ؟» قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن معنى الطلاق الذي فوّض رسول الله ﷺ حكمه إلى أمير المؤمنين ﷺ، قال: «إنّ الله تقدّس

(١) الإرهاج: إثارة الغبار.

(٢) الغرب: الحدة.

٣٩٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

اسمه عَظُم شأن نساء النبي ﷺ بشرف الأمّهات، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الحسن، إنّ هذا الشرف باقٍ لمنّ ما دمن الله على الطاعة، فأيتهنّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين...»^(١).

التاسع: الإمام لا يغسله إلا الإمام

وبمعنى أعمّ إنّ المعصوم لا يغسله إلا المعصوم، وهذا الأمر عندنا من الأصول المسلّمة في المذهب وهي سيرة جرت لجميع المعصومين من الأنبياء والصدّيقين، وكذا جرت في هذه الأئمة منذ شهادة رسول الله ﷺ حيث غسله أمير المؤمنين عليه السلام وصلى عليه، وكذا غسل الزهراء وصلى عليها، وهذا الفعل جرى لجميع الأئمة المعصومين حتّى الإمام العسكري عليه السلام فقد غسله ابنه الحجة المهدي عليه السلام.

قال المحدث القمي رحمه الله:

اعلم قد ثبت في محله أنّه لا يلي أمر المعصوم إلا المعصوم، وإنّ الإمام لا يغسله إلا الإمام، ولو قبض إمام في المشرق وكان وصيّ في المغرب لجمع الله بينهما، وهذا يوافق الأحاديث الصحيحة التي عند علمائنا الإمامية، بل هو جزء من أصول المذهب، فالقول بدفن قبيلة بني أسد للحسين عليه السلام يشير إلى ظاهر الأمر لكن الواقع هو مجيء الإمام زين العابدين عليه السلام إلى كربلاء وتوليّه دفن أبيه كما صرح بهذا إمامنا الرضا عليه السلام في احتجاجه على الواقفية^(٢).

(١) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٤٥٤-٤٥٩.

(٢) ينظر: موسوعة شهادة المعصومين: ٢/٢٩٦.

بل يستفاد من حديث (بصائر الدرجات) المروي عن الإمام الجواد عليه السلام أن رسول الله ﷺ كان حاضراً عند دفن الحسين عليه السلام وكذلك أمير المؤمنين والحسن وعلي بن الحسين وجبرئيل والروح والملائكة التي نزلت في ليلة القدر. وفي المناقب أن ابن عباس رأى النبي ﷺ في منامه بعد قتل الحسين عليه السلام وهو مغبر الوجه، حافي القدمين، باكي العينين، وقد ضمّ حجز قميصه إلى نفسه وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [ابراهيم/ ٤٢] .

وقال: «إني مضيت إلى كربلاء والتقطعت دم الحسين من الأرض وهو ذا في حجرى، وأنا ماض أخاصمهم بين يدي ربّي». (١) وفي رواية سلمى أمها قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعلى رأسه ولحيته أثر التراب، فقلت: مالك يا رسول الله مغبراً؟ قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً». (٢)

وهذا المبدأ ثابت لجميع الأئمة والمعصومين عليهم السلام حتى الذين استشهدوا بعيدين عن أوطانهم فقد حضر- أوصيائهم عندهم وأجروا السنة في الغسل والكفن والدفن والصلاة بطريق المعجزة الربانية كما حصل للرضا عليه السلام عندما استشهد وهو في طوس وابنه الجواد بعيداً عنه في المدينة حيث حضر عنده بطريق الإعجاز، وكذلك الرضا حضر عند والده موسى بن جعفر عند شهادته فكان الإمام في بغداد والرضا في المدينة، والرواية في ذلك صحيحة سوف نوردها،

(١) ينظر: مناقب ال أبي طالب: ٣/ ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) منتهى الآمال: ١/ ٥٦٥.

٣٩٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقد حاول الظالمون القيام بأمر الأئمة في التمسيل كما حاول المأمون للرضا، وكذا سليمان العباسي للإمام موسى بن جعفر، وكذا حاول جعفر الكذاب تمسيل الإمام العسكري لكنه لم يوفق وحضر- عنده الإمام المهدي عليه السلام وقام بتسيله وسوف نورد الروايات في هذا الشأن.

وفي أصل الموضوع قد وردت روايات عديدة منها:

١ - ما في البحار عن منتخب البصائر بسنده إلى إبراهيم بن أبي سماء قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: إنا قد رويناه عن أبي عبد الله عليه السلام أن الإمام لا يغسله إلا الإمام وقد بلغنا هذا الحديث، فما تقول فيه؟ فكتب إلي: «إن الذي بلغك هو الحق»، قال: فدخلت عليه بعد ذلك فقلت له: أبوك من غسله ومن وليه؟ فقال: «لعل الذين حضروه أفضل من الذين تخلّفوا عنه»، قلت: ومن هم؟ قال: «حضره الذين حضروا يوسف عليه السلام؛ ملائكة الله ورحمته».

قال العلامة المجلسي في تعليقه على الخبر: الخبر محمول على التقيّة مع صحّة الخبر في نفسه إذ الرحمة في الخبر إشارة إلى الإمام، وحضور الملائكة لا ينافي حضوره، وسيأتي في باب تاريخ موسى عليه السلام أخبار كثيرة دالة على حضور الرضا عليه السلام عند الغسل.

٢ - أيضاً في البحار عن المناقب عن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: «فيما أوصاني به أبي عليه السلام أن قال: يا بني، إذا أنا مت فلا يغسلني أحدٌ غيرك، فإن الإمام لا يغسله إلا إمام».^(١)

٣ - وفي البحار أيضاً عن الكافي بسنده عن الرضا عليه السلام، قال الراوي: قلت له:

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٢٧/٢٨٨ - ٢٩١.

إِنَّهُمْ يَحَاجُّونَا يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِمَامَ لَا يَغْسَلُهُ إِلَّا الْإِمَامُ، قَالَ: فَقَالَ: «مَا يَدْرِيهِمْ مَنْ غَسَّلَهُ؟ فَمَا قُلْتَ لَهُمْ؟» قَالَ: قُلْتَ: جَعَلْتَ فِدَاكَ، قُلْتَ لَهُمْ: إِنْ قَالَ مَوْلَايَ إِنَّهُ غَسَّلَهُ تَحْتَ عَرْشِ رَبِّي فَقَدْ صَدَقَ، وَإِنْ قَالَ غَسَّلَهُ فِي تَحُومِ الْأَرْضِ فَقَدْ صَدَقَ، قَالَ: «لَا هَكَذَا»، فَقُلْتَ: فَمَا أَقُولُ لَهُمْ؟ قَالَ: «قُلْ لَهُمْ: إِنِّي غَسَّلْتُهُ» فَقُلْتَ: أَقُولُ لَهُمْ: إِنَّكَ غَسَّلْتَهُ. ^(١)

٤ - وفي البحار عن الكافي عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قُلْتَ لَهُ: مَنْ غَسَّلَ فَاطِمَةَ؟ قَالَ: «ذَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ»، فَكَأَنِّي اسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ، فَقَالَ: «كَأَنَّكَ ضَقْتَ بِمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ؟!» قَالَ: فَقُلْتَ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ جَعَلْتَ فِدَاكَ، قَالَ: فَقَالَ: «لَا تَضِيقَنَّ فَإِنَّهَا صَدِيقَةٌ وَلَمْ يَكُنْ يَغْسِلُهَا إِلَّا صَدِيقٌ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَرْيَمَ لَمْ يَغْسِلُهَا إِلَّا عِيسَى عليه السلام». ^(٢)

أقول: لعل وجه استغراب المفضل عند الصادق ومعرفة الإمام منه ذلك بسبب أنه كيف يقوم الإمام علي عليه السلام بذلك الغسل مع جوازه له والمفترض الأولى أن تقوم امرأة بغسل الصديقة كما ذكر في الفقه حيث إن الأولى في الغسل للمائثل فهناك نساء جليات فيمكن لهن القيام بغسل الزهراء عليها السلام مثل أم سلمة وأم أيمن وأسما بنت عميس.

وأجابه الإمام العلة بعدم قيام مثل هؤلاء النساء بغسل الزهراء وهي إنما صديقة ومعصومة ولا يوجد لها كفو إلا الإمام علي عليه السلام، فالعصمة والمقام

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٩١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٩١.

والطهارة يمنع الآخرين من القيام بهذه المهمة.

٥ - في البحار عن بصائر الدرجات بالسند إلى بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما قبض رسول الله ﷺ هبط جبرئيل ومعه الملائكة والروح الذين كانوا يهبطون في ليلة القدر، قال: ففتح لأمر المؤمنين بصره فرآهم في منتهى السماوات إلى الأرض يغسلون النبي معه ويصلون معه عليه ويحفرون له، والله ما حفر له غيرهم، حتى إذا وضع في قبره نزلوا مع من نزل فوضعوه، فتكلم وفتح لأمر المؤمنين عليهم السلام سمعه فسمعه يوصيهم به، فبكى وسمعهم يقولون: لا نألوه جهداً، وإنما هو صاحبنا بعدك إلا أنه ليس يعايننا ببصره بعد مرتنا هذه، حتى إذا مات أمر المؤمنين عليهم السلام رأى الحسن والحسين مثل ذلك الذي رأى ورأى النبي ﷺ أيضاً يعين الملائكة مثل الذي صنعوا بالنبي حتى إذا مات الحسن رأى منه الحسين مثل ذلك، ورأى النبي وعلياً يعينان الملائكة حتى إذا مات الحسين رأى علي بن الحسين منه مثل ذلك، ورأى النبي وعلياً والحسن يعينون الملائكة، حتى إذا مات علي بن الحسين رأى محمد بن علي مثل ذلك، ورأى النبي وعلياً والحسن والحسين يعينون الملائكة، حتى إذا مات محمد بن علي رأى جعفر مثل ذلك ورأى النبي وعلياً والحسن والحسين وعلي بن الحسين يعينون الملائكة، حتى إذا مات جعفر رأى موسى منه مثل ذلك.. هكذا يجري إلى آخرنا»^(١).

وهذه سنة جارية جرت لجميع الأئمة والمعصومين عليهم السلام، وهنا نورد بعض الروايات في هذا الشأن:

(١) بحار الأنوار: ٢٧ / ٢٨٩ - ٢٩٠.

١ - غسل النبي والصلاة عليه من قبل أمير المؤمنين عليه السلام:

في كفاية الأثر: (ص ١٢٥) في خبر طويل، قال: إن النبي ﷺ التفت إلى علي عليه السلام وقال: «يا علي، لا يلي غسلي وتكفيني غيرك». فقال له علي عليه السلام: «يا رسول الله، مَنْ يناولني الماء، فإنك رجل ثقیل لا أستطيع أن أقلبك؟» فقال له: «إن جبرائیل معك، ویناولك الفضل الماء» وقال ﷺ: «فليغط عينيه، فإنه لا يرى أحد عورتي غيرك إلا انفقأت عيناه». ^(١)

عن الصدوق عليه الرحمة بإسناده عن ابن عباس قال: لما مرض رسول الله ﷺ وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال له: فداك أبي وأُمِّي يا رسول الله، مَنْ يُغَسِّلُكَ مَنْ إذا كان ذلك منك؟ قال: «ذاك علي بن أبي طالب، لأنه لا يهَمُّ بعضو من أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك». ^(٢)

وقال المحدث القمي: فلما أراد أمير المؤمنين عليه السلام غسله استدعا الفضل بن العباس فأمره أن يناول الماء فغسله بعد أن عَصَبَ عينيه ثم شق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ إلى سَرَّتِه، وتولَّى غسله وتحنيطه وتكفينه، والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه، فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدّم فصلّى عليه وحده ولم يشرّكه معه أحد في الصلاة عليه، وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمّمهم في الصلاة عليه وأين يدفن، فخرج إليهم أمير المؤمنين عليه السلام وقال لهم: «إن رسول الله ﷺ إمامنا حيّاً وميتاً فليدخل عليه فوجاً بعد فوج منكم فيصلّون عليه بغير إمام وينصرفون، وإن الله لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه لرمسه فيه وإنّي

(١) بحار الأنوار ٢٢: ٥٣٦.

(٢) امالي الصدوق: ٧٣٢.

٣٩٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

لدافنه في حجرته التي قبض فيها فسلم القوم لذلك ورضوا به»^(١).

أمير المؤمنين يتولى غسل الزهراء عليها السلام:

قال الشيخ عباس القمي: لما حضرتها الوفاة وصّت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرها ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها، فتولى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها وعفى موضع قبرها، فلما نفص يده من تراب القبر هاج به الحزن...^(٢)

وهذا موافق لما جاءت به الروايات في وصيتها لأمر المؤمنين عند لحظة وفاتها: في روضة الواعظين: إنّ فاطمة الزهراء لما نعت إليها نفسها دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس، ووجهت خلف عليّ وأحضرته، فقالت: «يا بن عمّ، إنّ قد نعت إليّ نفسي وإنني لأرى ما بي، لا أشك إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وانا أوصيك بأشياء في قلبي» قال لها عليّ عليه السلام: «أوصيني بما أحببت، يا بنت رسول الله ﷺ». فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: «يا بن عمّ ماعهدتني كاذبة...» فأوصته بأمر عديده، وفي نهاية الوصية، قالت: «فإذا أنت قرأت (يس)، فاعلم أنّي قد قضيت نحبي، فغسلني، ولا تكشف عني فإنّي طاهرة مطهرة، وليصل عليّ معك من أهلي الأدنى فالأدنى، ومن رزق أجري، وادفني ليلاً في قبري، بهذا أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ»^(٣).

الإمام الحسن عليه السلام يقوم بتنفيذ وصية أمير المؤمنين عليه السلام بتجهيزه:

فقد جاء في وصيته عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام فيما أخبر محمد بن الحنفية قال: لما

(١) منتهى الآمال: ١ / ١٤٨.

(٢) منتهى الامال: ١ / ١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) ينظر: روضة الواعظين: ١ / ١٥١، بحار الأنوار: ٤٣ / ١٧٩.

كانت ليلة إحدى وعشرين واطلم الليل وهي الليلة الثانية من الكائنة جمع أبي أولاده وأهل بيته وودعهم، ثم قال لهم: «الله خليفتي عليكم، وهو حسبي ونعم الوكيل» وأوصاهم بجميع الأحكام التي وصّاه بها رسول الله ﷺ، ثم قال: «إذا أنا مت - يا أبا محمد - فغسلني وكفّني وحتّطني ببقية حنوط جدك رسول الله ﷺ فإنه من كافور الجنة، جاء به جبرائيل، ثم ضعني على سريري، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير وأحملوا مؤخره وأتبعوا مقدمه، فأني موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر، فحيث قام سريري فهو موضع قبري، ثم تقدم يا أبا محمد وصلّ عليّ، يا بني يا حسن، وكبر عليّ سبعاً، واعلم أنه لا يحلّ ذلك على أحد غيري إلاّ على رجل يخرج في آخر الزمان، اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين، يقيم اعوجاج الحق، فإذا أنت صليت عليّ يا حسن فتح السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً، ولحداً مشقوقاً، وساجة منقوبة، فأضجعني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري، فافتقدي فإنك لا تجدني، وإنّي لاحق بجدك رسول الله ﷺ، واعلم يا بني ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالشرق، ويموت وصيه بالمغرب إلاّ ويجمع الله عز وجل بين روحيهما وجسديهما، ثم يفترقان فيرجع كلّ واحد منهما إلى موضع قبره، وإلى موضعه الذي حط فيه، ثم اشرح اللحد باللبن، وأهل التراب عليّ، ثم غيّب قبري»^(١).

وفي التهذيب بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام: غسّلاني وكفّناني وحتّطاني واحملاني على سريري

(١) بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٩٠ - ٢٩٢.

٣٩٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

واحملاً مؤخره...»^(١).

وهكذا غسل الحسين الشهيد عليه السلام أخاه الحسن عليه السلام ودفنه في البقيع بوصية منه، وكذا زين العابدين عليه السلام حضر عند أبيه الحسين عليه السلام بعد شهادته في كربلاء بثلاثة أيام ودفنه وواراه في لحده وكتب على قبره: هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتل عطشاناً غريباً.

وكذا الباقر حضر وغسل ودفن أبيه السجاد، وكذا الصادق لأبيه الباقر، وكذا موسى بن جعفر قام بتجهيز أبيه الصادق، وكذا حضر- الرضا عند أبيه موسى بن جعفر رغم أنه كان بعيداً عنه في بغداد، وكذا الجواد حضر- عند أبيه الرضا رغم بعد المسافة وقت شهادته حيث كان الرضا في خراسان والجواد في المدينة، وكذا قام الإمام الهادي بتجهيز أبيه الجواد، وكذا العسكري قام بتجهيز والده الهادي، وكذا صاحب الأمر قام بتجهيز والده العسكري صلوات الله عليهم أجمعين.

الإمام الرضا عليه السلام يحضر لتجهيز والده موسى بن جعفر عليه السلام الذي استشهد في بغداد حيث كان الرضا في المدينة عند شهادة أبيه:

على رغم أن بعض الحالات التي وقعت للأئمة الطاهرين الذين استشهدوا على أيدي الطغاة حيث كانوا يقومون بتغسيلهم بشكل إجباري كما حدث للإمام موسى بن جعفر عليه السلام الذي استشهد في بغداد بعيداً عن أهله في قبضة الظالمين، فإنهم وإن كانوا يقومون بتغسيله في الظاهر إلا أن الإمام الرضا عليه السلام في الواقع الذي يقوم بتغسيله وتجهيزه، على أن فعلهم لا يبطل الأصل المتفق عليه بأن الإمام لا يغسله إلا إمام، ولا ينقص من قدره شيئاً، وقد شك البعض في هذه

(١) تهذيب الأحكام: ١٠٦/٦.

المقولة للأئمة عليهم السلام لعدم معرفتهم بأن الرضا حضر- لتغسيل والده عليه السلام حيث سئل الرضا عليه السلام لعدة مرّات عن هذا الأمر وقد أجابهم إجابات صريحة وبعضها غير صريحة إمّا تقيّةً من السائل أو مراعاةً لضعاف العقول.

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن أحمد بن عمر الحلال أو غيره عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: إنهم يحاجّونا يقولون: إنّ الإمام لا يغسله إلاّ الإمام، قال: فقال: «ما يدرهم من غسّله؟ فما قلت لهم؟» قال: فقلت: جعلت فداك، قلت لهم: إن قال مولاي إنّ غسّله تحت عرش ربّي فقد صدق، وإن قال غسّله في تخوم الأرض فقد صدق، قال: «لا هكذا»، فقلت: فما أقول لهم؟ قال: «قل لهم: إنّني غسّلته» فقلت: أقول لهم: إنّك غسّلته فقال: نعم.^(١)

صاحب مختصر البصائر بسنده إلى إبراهيم بن أبي سماء قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّنا قد رويّا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ الإمام لا يغسله إلاّ الإمام وقد بلغنا هذا الحديث، فما تقول فيه؟ فكتب إليّ: «إنّ الذي بلغك هو الحقّ»، قال: فدخلت عليه بعد ذلك فقلت له: أبوك من غسّله ومن وليه؟ فقال: «لعلّ الذين حضر-وه أفضل من الذين تخلّفوا عنه»، قلت: ومن هم؟ قال: «حضر-وه الذين حضروا يوسف عليه السلام؛ ملائكة الله ورحمته». ^(٢)

وروى الكليني بسنده إلى يونس بن طلحة قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّ الإمام لا يغسله إلاّ الإمام؟ فقال: «أما تدرون من حضر لغسله قد حضره خير ممّن غاب عنه: الذين حضروا يوسف في الجبّ حين غاب عنه أبواه وأهل بيته». ^(٣)

(١) الكافي: ١/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ١/ ٢٨٨، مختصر بصائر الدرجات: ١٣.

(٣) الكافي: ١/ ٢٨٥.

٤٠٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

قال العلامة المجلسي في تعليقه على الخبرين: لعلّ الخبرين محمولان على التقيّة إمّا من أهل السنّة أو من نواقص العقول من الشيعة، مع أنّ كلاّ منهما صحيح في نفسه إذ الرحمة في الخبر الأوّل إشارة إلى الإمام، وفي الخبر الثاني لم ينف صريحاً حضور الإمام، وحضور الملائكة لا ينافي حضوره.^(١)

وروى الكليني أيضاً بسنده إلى أبي معمر قال: سألت الرضا عليه السلام عن الإمام يغسله الإمام؟ قال: «سنّة موسى بن عمران عليه السلام»^(٢).

قال المجلسي رحمه الله: لعله أيضاً محمول على المصلحة، فإنّ الظاهر من الأخبار أنّ موسى عليه السلام غسّله الملائكة، والمراد أنّه كما غسّل موسى المعصوم لا يغسل الإمام إلاّ معصوم مع أنّه يحتمل أن يكون حضر يوشع لغسله عليه السلام^(٣).

وأشدّ ما واجه الإمام الرضا عليه السلام من المشكّكين هي الفرقة الواقفيّة التي توقّفت عند إمامة موسى بن جعفر عليه السلام وادّعوا أنّه لم يمت حيث إنّهم ضلّوا ضلالاً بعيداً حيث اعتبرهم الإمام عليه السلام كفّار مشركون زنادقة كما جاء في رواية الكشيّ بسنده إلى يوسف بن يعقوب، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أُعطي هؤلاء الذين يزعمون أنّ أباك حيّ من الزكاة شيئاً؟ قال: «لا تعطهم فإنّهم كفّار مشركون زنادقة»^(٤).

ومن جملة الأدلّة التي يستدلّون بها على عدم شهادة الإمام موسى بن

(١) بحار الأنوار: ٢٧/ ٢٨٩.

(٢) الكافي: ١/ ٢٨٥.

(٣) بحار الأنوار: ٢٧/ ٢٩٠-٢٩١.

(٤) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٦٣.

جعفر عليه السلام إنهم تمسكوا بهذا الحديث المشهور أن الإمام لا يغسله إلا الإمام الذي بعده حيث إنهم ادّعوا عدم حضور الرضا عند أبيه في تغسيله لأنه كان في المدينة ووالده في بغداد وقد ردّ عليهم الإمام في حوار - ضمن حديث طويل - نأخذ منه قدر الحاجة: روى الكشي بسنده إلى إسماعيل بن سهل قال: حدّثنا بعض أصحابنا وسألني أن أكتب اسمه قال: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه علي بن أبي حمزة - البطائني أحد أعمدة الواقفة - وابن السراج وابن المكارى، فقال له علي بن أبي حمزة إنا روينا عن آبائك عليه السلام أن الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله. فقال له أبو الحسن عليه السلام: «فأخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام كان إماماً أو كان غير إمام؟» قال: كان إماماً. قال: «فمن ولي أمره؟» قال: علي بن الحسين. قال: «وأيّن كان علي بن الحسين؟» قال: كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد، قال: خرج وهم كانوا لا يعلمون حتّى ولي أمر أبيه ثم انصرف. فقال له أبو الحسن عليه السلام: «إنّ هذا أمكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه فهو يمكن صاحب الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثم ينصرف وليس في حبس ولا في أسار». ^(١)

الإمام الجواد عليه السلام يحضر من المدينة لغسل والده الإمام الرضا عليه السلام في طوس بطريق المعجزة:

اتّسمت سياسة المأمون مع الرضا عليه السلام بالمكر والدهاء حيث كان يتقرّب إليه في الظاهر ويبعده في الواقع وقد فرض عليه القبول بولاية العهد لغرض محاصرة

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ٢٧٠.

٤٠٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الإمام وتشويه سمعته، ولما قام باغتياله مشى وراء جنازته حاسر الرأس حافي القدمين لإبعاد التهمة عن نفسه، وفي نفس الوقت كان يريد تكذيب المقولة المسلّمة عند الشيعة بأنّ الإمام لا يغسّله إلّا إمام مثله وكان يخطط لقيام بتغسيل الإمام، ولكنّ الرضا عليه السلام فوّت عليه خطته ومكره لما سبق من علمه الباطني بمحاولته الخبيثة ولذا فقد أوصى عليه السلام إلى هرثمة بأن لا يقترب من تغسيل الإمام وإلّا تعرض للهلاك، ولما أبلغه هرثمة بهذه الوصيّة أخذها على محمل الجد وتراجع عن قراره وباءت خطته بالفشل والرواية التالية تبيّن كيفيّة شهادته على يدي المأمون ووصاياه نأخذ منها قدر الحاجة:

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام بالسند إلى هرثمة بن أعين، قال: «... فإذا أنا متُّ فسيقول (المأمون) أنا أغسّله بيدي فإذا قال ذلك فقل له عنّي بينك وبينه: إنّه قال لي لا تتعرّض لغسلي ولا لتكفيني ولا لدفني، فإنّك إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب ما أُخّر عنك، وحلّ بك أليم ما تحذر فإنّه سينتهي».

قال: فقلت: نعم يا سيّدي، قال: «إذا خلّى بينك وبين غسلي فسيجلس في علوّ من أبنيته، مشرفاً على موضع غسلي ينظر، فلا تعرّض يا هرثمة لشيء من غسلي حتّى ترى فسطاطاً أبيض قد ضربت في جانب الدار، فإذا رأيت ذلك فاحملني في أثوابي التي أنا فيها فضعني من وراء الفسطاط وقف من ورائه، ويكون منّ معك دونك، ولا تكشف عن الفسطاط حتّى تراني فتهلك، فإنّه سيشرف عليك ويقول لك: يا هرثمة، أليس زعمتم أنّ الإمام لا يغسّله إلّا إمام مثله، فمن يغسّل أبا الحسن عليّ بن موسى وابنه محمّد بالمدينة من بلاد الحجاز، ونحن بطوس؟!»

فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إننا نقول إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله، فإن تعدى متعدّ وغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدّي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن عليّ بن موسى بالمدينة لغسله ابنه محمّد ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفى، فإذا ارتفع الفسباط فسوف تراني مدرجاً في أكفاني، فضعني على نعش واحملني...»^(١).

ولا يخفى بعد ذكر هذه الأخبار أنّ موضوع غسل الإمام من قبل الإمام الذي بعده صار من الضرورات، ويمكن استظهار الأسباب كما يلي والله العالم.

١ - حفظ مكانة الإمام الراحل وكرامته وفضله وشرفه وعصمته وعلمه وطهارته التي لا يعرفها إلا الإمام الذي بعده من خلال توليه لغسله.

٢ - ولمعرفة منزلة ومقام الإمام الذي بعده وإنّه وصيّ بالحق.

٣ - لقطع الطريق على أئمة الجور الذين ظلموا أهل البيت أن يدّعوا مقام الإمامة والوصاية بحرمانهم من هذا الشرف، وهذا واضح لمن تتبّع أخبار شهاداتهم عليهم السلام ومحاولات الطغاة نيل شرف التغسيل، ولكن يأبى لتك الأيادي النجسة المتلطّخة من دمائهم الطاهرة أن يقوموا بذلك.

٤ - لإثبات المعجزة الربّانية فيمن يتحدّى أمر الله بالخلافة في الأرض وأنّ هذا الأمر (التغسيل) من أمارات الاستخلاف في الأرض للأئمة المعصومين.

٥ - ولأنّ هذا الأمر أصبح من الضرورات والسيرة تؤكّد ذلك في جميع

(١) بحار الأنوار: ٤٩ / ٢٩٤، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ٢٧٥ - ٢٧٦.

٤٠٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

المعصومين فإنّه لم يتخلّف عن المعصوم الأوّل وهو رسول الله ﷺ، كذلك لم يتخلّف عن المعصوم الثالث عشر الحسن العسكري ﷺ حيث إنّ الضرورة تنطبق عليه فإنّ ولده الإمام المهدي ﷺ قام بتغسيله والصلاة عليه رغم محاولات جعفر الكذاب أن ينال شرف ذلك، ولكنّه خاب وخسر ذلك بحسب الروايات المتواترة والسيرة المتّصلة وشهادات من حضر المؤيّد بسيرة المعصومين جميعاً المؤكّدين لهذه الحقيقة الساطعة...

وعليه يكون حضور الإمام المهدي لتغسيل والده والصلاة عليه بحضور جميع الشيعة، ووصول الخبر للسلطات العبّاسيّة ومداهمتهم لبيت الإمام العسكري ﷺ للتفتيش عن الإمام المهدي، دليل واضح وساطع للذين في قلوبهم شكّ بأنّ الإمام المهدي لم يولد.

العاشر: كراماته بعد شهادة أبيه والأحداث التي رافقتها:

جميع هذه الكرامات والمعاجز والأحداث تدلّك على أنّ الإمام ﷺ هو في الميدان لا يغيب عن الأحداث وخصوصاً في الأمور المصيريّة التي ثبت فيها الإمام حقّه وإمامته، وكذب الظالمين الذين أرادوا إطفاء نور الله، وفضح محاولات جعفر في ادّعاء الإمامة.

فإنّ المواقف التي شاهدها الصديق والعدو في أحداث شهادة أبي محمّد العسكري ﷺ وكيف تصرّف الإمام مع شيعته وعند تجهيز جنازة والده والصلاة عليها، هي واحدة من عشرات الدلائل على وجوده وممارسة دوره منذ اليوم الأوّل من ولادته في حياة أبيه ﷺ.

وقد أثبت الإمام بنفسه وبالمعجزة والكرامة أمام مواليه ومحبيه والوكلاء الذين قدموا من خراسان يسألون عن الإمام العسكري وفوجئوا بشهادته عن

طريق إخبارهم عن الغيب وسؤاله عن الأموال التي يحملونها وصفاتها ومصادرها وأشخاصها، وقد كانت هذه علامة من العلامات التي تعرّف عليها بها الوكلاء على الإمام الوصي من بعد الإمام العسكري، وهي في نفس الوقت علامة اعتاد الوكلاء عليها من قبل الأئمة حيث كانوا يخبروهم عن أحوال أموالهم وأسئلتهم قبل عرضها عليهم، ولعلهم ﷺ أرادوا تثبيت قلوب شيعتهم على إمامتهم وربّما أرادوا التمهيد لعصر الغيبة لما سوف يتعرّضون من امتحانات في أمر ولادة صاحب الزمان وغيبته.

وفي هذا الباب نستعرض المواقف والأخبار التي تدلّ على ذلك:

رواية الخادم أبو الأديان: روى الصدوق بسنده إلى أبي الأديان، قال: كنت أخدم الحسن بن عليّ ابن محمّد ﷺ، وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علّته التي توفيّ فيها ﷺ، فكتب معي كتاباً، وقال: «امض بها إلى المدائن فإنّك ستغيب أربعة عشر يوماً، وتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر، وتسمع الواعية في داري وتجديني على المغسل».

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيّدي، فإذا كان ذلك فمن؟ قال: «من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي».

فقلت: زدني، فقال: «من يصليّ عليّ فهو القائم بعدي».

فقلت: زدني، فقال: «من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي»، ثمّ منعني هيئته أن أسأله عمّا في الهميان، وخرجت بالكتب إلى المدائن، وأخذت جواباتها، ودخلت سرّ من رأى يوم الخامس عشر. كما ذكره ﷺ وإذا أنا بالواعية في داره وإذا به على المغسل، وإذا أنا بجعفر أخيه بباب الدار، والشيعة من حوله يعزّونه، ويهنّونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة لأنّي كنت

أعرفه بشرب النبيذ، ويقامر بالجوسق، ويلعب بالطنبور.

فتقدّمت فعزّيت وهنّيت فلم يسألني عن شيء، ثمّ خرج عقيد فقال: يا سيّدي، قد كفّن أخوك، فقم فصلّ عليه، فدخل جعفر بن عليّ والشيعّة من حوله يقدمهم السّمان، والحسن بن عليّ قبيل المعتصم المعروف بسلمة، فلمّا صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن عليّ عليه السلام على نعشه مكفّناً، فتقدّم جعفر بن عليّ ليصلّي على أخيه، فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ عليه السلام وعلى آباءه الطاهرين بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجذب برداء جعفر بن عليّ وقال: «تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي».

فتأخّر جعفر وقد أربد وجهه واصفرّ، وتقدّم الصبيّ فصلّي عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام، ثمّ قال: «يا بصري، هات جوابات الكتب التي معك» فدفعتهما إليه، فقلت في نفسي: هذه بيتان، بقي الهميان، ثمّ خرجت إلى جعفر بن عليّ وهو يزفر، فقال له حاجز الوشّا: يا سيّدي، منّ الصبيّ؟ ليقم الحجّة عليه، فقال: والله ما رأيته قطّ ولا أعرفه، فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن عليّ عليه السلام فعرفوا موته، فقالوا: فمنّ نعزيّ؟ فأشاروا إلى جعفر بن عليّ، فسلموا عليه وعزّوه وهنّوه، وقالوا: معنا كتب ومال، فتقول ممّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه، ويقول: تريدون ممّا أن نعلم الغيب، قال: فخرج الخادم، فقال: معكم كتب فلان وفلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية، فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن عليّ على المعتمد، وكشف ذلك له، فوجّه له المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبي، وأنكرته وادّعت حبلاً به لتغطّي على حال الصبي، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيدالله

بن خاقان فجأة، وخرج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت عن أيديهم والحمد لله رب العالمين. ^(١)

وروي في ينابيع المودة عن أبي الأديان نحوه. ^(٢)

روى الصدوق بسنده إلى أبي الحسن علي بن سنان الموصلي قال: حدثنا أبي: لما قبض سيدنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام وقد قدم من قم والجبال وفود بالأموال التي كانت تُحمل على الرسم والعادة، ولم يكن عندهم خبر وفاة الحسن عليه السلام، فلما أن وصلوا إلى سرّ من رأى سألوا عن سيدنا الحسن عليه السلام، ف قيل لهم: إنّه قد فقد، فقالوا: ومنّ وارثه؟ قالوا: أخوه جعفر بن علي، فسألوا عنه، ف قيل لهم: إنّه قد خرج متنزّهاً، وركب زورقاً في الدجلة يشرب ومعه المغنّون، قال: فتشاور القوم، قالوا: هذه ليس من صفة الإمام، وقال بعضهم لبعض: امضوا بنا حتّى نردّ هذه الأموال على أصحابها..

ثم ذكر تفصيل لقاءهم مع جعفر واختبارهم إيّاه وفشله في ذكر العلامات - قال - فلما أن خرجوا من البلد خرج إليهم غلام أحسن وجهاً كأنّه خادم، فصاح: يا فلان، ابن فلان بن فلان، أجيئوا مولاكم، قال: فقالوا: أنت مولانا؟ قال: معاذ الله، أنا عبد مولاكم، فسيروا إليه.

قال: فسرنا إليه حتّى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي عليه السلام، فإذا ولده سيدنا القائم عليه السلام قاعد على سرير كأنّه فلقة قمر، عليه ثياب خضر، فسلمنا عليه فردّ علينا السلام، ثم قال: «جملة المال كذا وكذا دينار، حمل فلان كذا، وحمل فلان

(١) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) ينابيع المودة: ٣/٣٢٦.

٤٠٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

كذا» ولم يزل يصف حتى وصف الجميع، ثم وصف ثيابنا، ورحالنا، وما كان معنا من الدواب، فخررنا سجداً لله عز وجل شكراً لما عرّفنا وقبلنا الأرض بين يديه، وسألنا عما أردنا فأجاب، فحملنا إليه الأموال، وأمرنا القائم عليه السلام أن لا نحمل إلى سرّ مَنْ رأى بعدها شيئاً من المال وإنّه ينصب لنا ببغداد رجلاً يحمل إليه الأموال، ويخرج من عنده التوقيعات.

قالوا: فانصرفنا من عنده ودفع إلى أبي العباس محمد بن جعفر القمي الحميري شيئاً من الخنوط والكفن، فقال له: «أعظم الله أجرك في نفسك»، قال: فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمته الله... (١)

الحادي عشر: تصرّف السلطة دليل على ولادة الإمام المهدي عليه السلام:

ولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في شهر ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ وقد عاصر ثلاثة من سلاطين بني العباس وهم: المعتز (ت ٢٥٥هـ)، والمهتدي (ت ٢٥٦هـ)، والمعتمد (ت ٢٧٩هـ) وقد كان المعتمد شديد التعصّب والحقد على آل البيت عليهم السلام ومن تصفح كتب التاريخ المشهورة كالطبري وغيره، واستقرأ ما في حوادث سنة ٢٥٧ - ٢٦٠هـ، وهي السنوات الأولى من حكمه علم مدى حقه على أئمة أهل البيت عليهم السلام. ولقد عاقبه الله في حياته إذ لم يكن في يده شيء من ملكه حتى أنّه احتاج إلى ثلاثمائة دينار فلم ينلها، ومات ميتة سوء إذ ضجر منه الأتراك فرموه في رصاص مذاب باتفاق المؤرخين. (٢)

ومن مواقفه الخسيسة أمره شرطته بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

(١) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٤٧٦ - ٤٧٨.

(٢) ينظر: الاعلام: ١٠٧/٢.

مباشرة بتفتيش داره تفتيشاً دقيقاً والبحث عن الإمام المهدي عليه السلام والأمر بحبس جوارى أبي محمد عليه السلام واعتقال حلائله، يساعدهم بذلك جعفر طمعاً في أن ينال منزلة أخيه العسكري عليه السلام في نفوس شيعته حتى جرى بسبب ذلك - كما يقول الشيخ المفيد - على مخلفي أبي محمد عليه السلام كل عزيمة من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذل.

كل هذا والإمام المهدي عليه السلام في الخامسة من عمره الشريف ولا يهيم المعتمد العباسي العمر بعد أن عرف أن هذا الصبي هو الإمام الذي سيهد عرش الطاغوت نظراً لما تواتر من الخبر بأن الثاني عشر من أهل البيت عليه السلام سيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، فكان موقفه من مهدي الأمة كموقف فرعون من نبي الله موسى عليه السلام الذي ألقته أمه خوفاً عليه في اليم صبيّاً. ولم يكن المعتمد العباسي قد عرف هذه الحقيقة وحده وإنما عرفها من كان قبله كالمعتز والمهدي، ولهذا كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام حريصاً على أن لا ينتشر خبر ولادة المهدي إلا بين الخُلص من شيعته ومواليه عليه السلام، مع أخذ التدابير اللازمة والاحتياطات الكافية لصيانة قادة التشيع من الاختلاف بعد وفاته عليه السلام إذ أوقفهم بنفسه على المهدي الموعود مرّات عديدة، وأمرهم بكتمان أمره لمعرفة الطواغيت بأنّه الثاني عشر الذي ينطبق عليه حديث جابر بن سمرة الذي رواه القوم وأدركوا تواتره، وإلاّ فأيّ خطر يهدّد كيان المعتمد في مولود يافع لم يتجاوز من العمر خمس سنين لو لم يدرك أنّه هو المهدي المنتظر، الذي رسمت الأحاديث المتواترة دوره العظيم بكلّ وضوح، وبيّنت موقفه من الجبابة عند ظهوره، ولو لم يكن الأمر على ما وصفناه فلماذا لم تقتنع السلطة

٤١٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بشهادة جعفر الكذاب وزعمه بأن أخاه العسكري عليه السلام مات ولم يخلف ولداً؟
أما كان بوسع السلطة أن تعطي جعفر الكذاب ميراث أخيه عليه السلام من غير ذلك
التصرّف الأحق الذي يدلّ على ذعرها وخوفها من ابن الحسن عليه السلام...

الثاني عشر: شهادة الخدم والجواري والإماء برؤية المهدي عليه السلام.

كما شاهد الإمام المهدي عليه السلام مَنْ كان يخدم أباه العسكري عليه السلام في داره مع
بعض الجواري والإماء، كطريف الخادم أبي نصر، وخادمة إبراهيم بن عبدة
النيسابوري التي شاهدت مع سيدها الإمام المهدي عليه السلام، وأبي الأديان الخادم،
وأبي غانم الخادم الذي قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولدٌ فسماه محمّداً، فعرضه على
أصحابه يوم الثالث وقال: هذا صاحبكم من بعدي وخلفتي عليكم وهو القائم
الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها
قسطاً وعدلاً، وشهد بذلك أيضاً: عقيد الخادم، والعجوز الخادمة، وجارية أبي
علي الخيزراني التي أهداها إلى الإمام العسكري عليه السلام، ومن الجواري اللواتي
شهدن برؤية الإمام المهدي عليه السلام: نسيم ومارية، كما شهد بذلك مسرور الطباخ
مولي أبي الحسن عليه السلام، وكلّ هؤلاء قد شهدوا بنحو ما شهد به أبو غانم الخادم في
بيت العسكري عليه السلام.

وقد استعرضنا بعض شهادات هؤلاء الخدم في طيّات البحوث السابقة.

الثالث عشر: مَنْ شهد في الغيبة الصغرى أنّه رآه ووصفه:

شهد برؤية الإمام المهدي في حياة أبيه العسكري عليه السلام وبإذن منه عدد من
أصحاب الإمام العسكري وأبيه الهادي عليهما السلام كما شهد آخرون منهم ومن غيرهم
برؤية الإمام المهدي بعد وفاة أبيه العسكري عليهما السلام ذلك في غيبته الصغرى التي

ابتدأت من سنة ٢٦٠هـ إلى سنة ٣٢٩هـ، ولكثره مَنْ شهد على نفسه بذلك سوف نقتصر على ما ذكره المشايخ المتقدمون وهم: الكليني (ت ٣٢٩هـ) الذي أدرك الغيبة الصغرى بتمامها تقريباً، والصدوق (ت ٣٨١هـ) وقد أدرك من الغيبة الصغرى أكثر من عشرين عاماً، والشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ولا بأس بذكر اليسير جداً من رواياتهم الخاصة في تسمية من رآه عليه السلام ثم الاكتفاء ببيان أسماء المشاهدين للإمام المهدي عليه السلام مع تعيين موارد رواياتهم في كتب المشايخ الأربعة لأجل الاختصار.

فمن تلك الروايات ما رواه الكليني في أصول الكافي بسند صحيح: عن محمد بن عبدالله ومحمد بن يحيى جميعاً، عن عبدالله بن جعفر الحميري قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عليه السلام عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد ابن إسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمرو، إني أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاكّ فيما أريد أن أسألك عنه، إلى أن قال بعد إطراء العمري وتوثيقه على لسان الأئمة عليهم السلام، فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد عليه السلام؟ فقال: إي والله ورقبته مثل ذا وأوماً بيده..^(١) ومنها: ما رواه في الكافي بسند صحيح عن علي بن محمد وهو ابن بندار الثقة، عن مهران القلانسي الثقة قال: قلت للعمري: قد مضى أبو محمد؟ فقال لي: قد مضى ولكن خلف فيكم من رقبته مثل هذه، وأشار بيده.

(١) ينظر: الكافي: ١ / ٣٣٠.

٤١٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ومنها: ما رواه الصدوق بسند صحيح عن أجلاء المشايخ قال: حدثنا محمد بن الحسن رحمته الله قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال: قلت لمحمد بن عثمان العمري رحمته الله: إني أسألك سؤال إبراهيم ربّه جلّ جلاله حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾ [البقرة/ ٢٦٠] فأخبرني عن صاحب هذا الأمر هل رأيته؟ قال: نعم، وله رقبة مثل ذي، وأشار بيده إلى عنقه. ^(١)

ومنها: ما رواه الصدوق في (كمال الدين)، قال: وحدثنا أبو جعفر محمد بن علي الأسود رحمته الله قال: سألتني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رحمته الله بعد موت محمد بن عثمان العمري رحمته الله أن أسأل أبا القاسم الروحي أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله عزّ وجلّ أن يرزقه ولداً ذكراً، قال فسألته، فأخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به وبعده أولاد - وقال الصدوق بعد ذلك - قال مصنف هذا الكتاب رحمته الله: كان أبو جعفر محمد بن علي الأسود رحمته الله كثيراً ما يقول لي إذا رأيته أختلف إلى مجلس شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمته الله، وأرغب في كتب العلم وحفظه: ليس بعجب أن تكون لك هذه الرغبة في العلم، وأنت ولدت بدعاء الإمام عليه السلام. ^(٢)

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن أجلاء هذه الطائفة وشيوخها قال: وأخبرني محمد بن محمد بن النعمان والحسين بن عبيد الله، عن أبي

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٥.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٠٢ - ٥٠٣.

عبدالله محمد بن أحمد الصفواني قال: أوصى الشيخ أبو القاسم رحمته الله إلى أبي الحسن علي بن محمد السمرى رحمته الله فقام بما كان إلى أبي القاسم (السفير الثالث) فلما حضرته الوفاة، حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده، ولمن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن ^(١)، ولا يخفى أن مقام السمرى مقام أبي القاسم الحسين بن روح في الوكالة عن الإمام تتطلب رؤيته في كل أمر يحتاج إليه فيه، ومن هنا تواتر ما يخرج على يد السفراء الأربعة الذين ذكرناهم في هذه الروايات.

وهناك روايات أخرى كثيرة صريحة برؤية السفراء الأربعة كل في زمان وكالته للإمام المهدي وكثير منها بمحضر من الشيعة وها نحن نشير إلى أسماء مَنْ رآه عليه السلام وهم: إبراهيم بن إدريس أبو أحمد، وإبراهيم بن عبدة النيسابوري، وإبراهيم بن محمد التبريزي، وإبراهيم بن مهزيار أبو إسحاق الأهوازي، وأحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، ورآه مرة أخرى مع سعد ابن عبدالله بن أبي خلف الأشعري (من مشايخ والد الصدوق والكليني). وأحمد بن الحسين بن عبد الملك أبو جعفر الأزدي وقيل الأودي، وأحمد ابن عبدالله الهاشمي من ولد العباس مع تمام تسعة وثلاثين رجلاً، وأحمد ابن محمد بن المطهر أبو علي من أصحاب الهادي والعسكري عليهما السلام، وأحمد ابن هلال أبو جعفر العبرتي الغالي الملعون، وكان معه جماعة منهم: علي ابن بلال، ومحمد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيوب بن نوح، وعثمان بن سعيد العمري رحمته الله إلى تمام أربعين رجلاً،

(١) الغيبة للطوسي: ٣٩٤.

٤١٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وإسماعيل بن علي النوبختي أبو سهل، وأبو عبدالله بن صالح، وأبو محمد الحسن بن وجناء النصيبي، وأبو هارون من مشايخ محمد بن الحسن الكرخي.

وجعفر عم الإمام المهدي عليه السلام رأى الإمام المهدي عليه السلام مرتين، والسيدة العلوية الطاهرة حكيمة بنت الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، والزهرى - وقيل: الزهراني - ومعه العمري عليه السلام، ورشيق صاحب المداري، وأبو القاسم الروحي عليه السلام وعبدالله السوري، وعمرو الأهوازي، وعلي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، وعلي بن محمد الشمشاطي رسول جعفر بن إبراهيم اليماني، وغانم أبو سعيد الهندي، وكامل بن إبراهيم المدني، وأبو عمرو عثمان بن سعيد العمري عليه السلام، ومحمد بن أحمد الأنصاري أبو نعيم الزيدي، وكان معه في مشاهدة الإمام المهدي عليه السلام: أبو علي المحمودي، وعلاء الكليني، وأبو الهيثم الديناري، وأبو جعفر الأحول الهمداني، وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً فيهم السيد محمد بن القاسم العقيقي، والسيد الموسوي محمد بن إسماعيل بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وكان أسنّ شيخ في عصره من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومحمد بن جعفر أبو العباس الحميري على رأس وفد من شيعة مدينة قم، ومحمد بن الحسن بن عبيدالله التميمي الزيدي المعروف بأبي سورة، ومحمد بن صالح بن علي بن محمد بن قنبر الكبير مولى الإمام الرضا عليه السلام، ومحمد بن عثمان العمري عليه السلام وكان قد رآه مع أربعين رجلاً بإذن الإمام العسكري عليه السلام، وكان من جملتهم: معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ويعقوب بن منقوش، ويعقوب بن يوسف الضراب الغساني، ويوف بن أحمد الجعفري.

وروى الصدوق عليه الرحمة بسنده إلى محمد بن أبي عبدالله الكوفي أنّه ذكر عدداً ممن انتهى إليه ممن وقف على معجزات صاحب الزمان عليه السلام ورآه من

الوكلاء ببغداد: العمري وابنه، وحاجز، والبلالي، والعطار، ومن الكوفة: العاصمي، ومن أهل الأهواز: محمد بن إبراهيم بن مهزيار، ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق، ومن أهل همدان: محمد بن صالح، ومن أهل الري: البسامي، والأسدي - يعني نفسه - ومن أهل آذربيجان: القاسم بن العلاء، ومن أهل نيسابور: محمد بن شاذان.

ومن غير الوكلاء من أهل بغداد: أبو القاسم بن أبي حليس، وأبو عبدالله الكندي، وأبو عبيدالله الجندي، وهارون القزاز، والنيلي، وأبو القاسم بن ديبس، وأبو عبدالله بن فروخ، ومسرور الطباخ مولى أبي الحسن عليه السلام، وأحمد ومحمد ابنا الحسن، وإسحاق الكاتب من بني نبيخت، وصاحب النواء، وصاحب الصرّة المختومة.

ومن همدان: محمد بن كشمرد، وجعفر بن حمدان، ومحمد بن هارون ابن عمران.

ومن الدينور: حسن بن هارون، وأحمد بن أخية، وأبو الحسن.

ومن أصفهان: ابن باذشالة.

ومن الصيمرة: زيدان.

ومن قم: الحسن بن النضر، ومحمد بن محمد، وعلي بن محمد بن إسحاق، وأبوه، والحسن بن يعقوب.

ومن أهل الري: القاسم بن موسى وابنه، وأبو محمد بن هارون، وصاحب الحصاة، وعلي بن محمد، ومحمد بن محمد الكليني، وأبو جعفر الرفاء.

ومن قزوین: مرداس، وعلي بن أحمد.

ومن فاقت: رجالان.

٤١٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ومن شهرزور: ابن الخال.

ومن فارس: المحروج.

ومن مرو: صاحب الألف دينار، وصاحب المال والرقعة البيضاء، وأبو ثابت.

ومن نيسابور: محمد بن شعيب بن صالح.

ومن اليمن: الفضل بن يزيد، والحسن ابنه، والجعفري، وابن الأعجمي، والشمشاطي.

ومن مصر: صاحب المولودين، وصاحب المال بمكة، وأبو رجاء.

ومن نصيبين: أبو محمد بن الوجناء.

ومن الأهواز: الحصيني.^(١)

والراوي هو محمد بن أبي عبد الله الكوفي (الأسدي) وهو من الوكلاء، وقد ذكر هؤلاء الذين رأوا منه المعجزات والتقوه في مناسبات مختلفة. وعددهم تسعة وأربعون شخصاً، هذا عدا من رأوه ولم يحصه من المقربين والخدم وغيرهم، في أيام أبيه وما بعدها في الغيبة الصغرى.

الرابع عشر: معجزاته في الغيبة الصغرى

وهي كثيرة نورد بعضها.

أنا القائم من آل محمد عليه السلام: روى الشيخ ابن بابويه عن أحمد بن فارس الأديب يقول: سمعت بهمدان حكاية حكيته كما سمعتها لبعض اخواني فسألني ان اثبتها له بخطي ولم اجد الى مخالفته سبيلا وقد كتبتها وعهدتها على من

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤٢-٤٤٣.

حكاها: وذلك ان بهمدان ناساً يعرفون ببني راشد وهم كلهم يتشيّعون ومذهبهم مذهب أهل الإمامة، فسألت عن سبب تشيّعهم من بين أهل همدان، فقال لي شيخ منهم - رأيت فيه صلاحاً وسمتاً.

إنّ سبب ذلك أنّ جدنا الذي نتسب إليه خرج حاجاً، فقال: إنّّه لما صدر من الحج وساروا منازل في البادية، قال: فنشطت في النزول والمشي - فمشيت طويلاً حتّى أعييت ونعست، فقلت في نفسي: أنام نومةً تريخني، فإذا جاء أواخر القافلة قمت. قال: فما انتبهت إلّا بحرّ الشمس ولم أر أحداً فتوحّشت ولم أر طريقاً ولا أثراً، فتوكّلت على الله عزّ وجلّ وقلت: أسير حيث وجهني، ومشيت غير طويل فوقعت في أرض خضراء نضراء كأنّها قريبة عهد من غيث، وإذا تربتها أطيب تربة، ونظرت في سواد تلك الأرض إلى قصر يلوح كأنّه سيف.

فقلت: ليت شعري ما هذا القصر الذي لم أعهده ولم أسمع به، فقصدته فلمّا بلغت الباب رأيت خادمين أبيضين، فسلمّمت عليهما فردّا ردّاً جميلاً وقالوا: اجلس فقد أراد الله بك خيراً، فقام أحدهما ودخل واحتبس غير بعيد، ثمّ خرج فقال: قم فادخل، فدخلت قصرًا لم أر بناءً أحسن من بنائه ولا أضوء منه، فتقدّم الخادم إلى ستر على بيت فرفعه ثمّ قال لي: ادخل، فدخلت البيت فإذا فتى جالس في وسط البيت، وقد علّق فوق رأسه من السقف سيف طويل تكاد ظبته تمس رأسه، والفتى كأنّه بدر يلوح في ظلام، فسلمّمت، فردّ السلام بالطف كلام وأحسنه.

ثمّ قال لي: أتدري من أنا؟

فقلت: لا والله فقال: أنا القائم من آل محمد عليه السلام أنا الذي أخرج في آخر

٤١٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الزمان بهذا السيف - وأشار إليه - فأملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

فسقطت على وجهي وتعفرت.

فقال: لا تفعل ارفع رأسك أنت فلان من مدينة بالجبل يقال لها: همدان.

فقلت: صدقت يا سيدي ومولاي. قال: أتحب أن تؤوب إلى أهلك؟

فقلت: نعم يا سيدي وأبشرهم بما أتاح الله عز وجل لي، فأومأ إلى الخادم فأخذ بيدي وناولني صرة وخرج ومشى معي خطوات، فنظرت إلى ظلال واشجار ومنازة مسجد. فقال: أتعرف هذا البلد؟

فقلت: إنه بقرب بلدنا بلدة تعرف بـ«أسد آباد» وهي تشبهها.

قال: فقال: هذه أسد آباد امض راشداً، فالتفت فلم أراه، فدخلت أسد آباد، وإذا في الصرة أربعون أو خمسون ديناراً، فوردت همدان وجمعت أهلي وبشرتهم بما يسره الله عز وجل لي ولم نزل بخير ما بقي معنا من تلك الدنانير.^(١)

علم الإمام بنقص المال:

دلائل الإمامة بسنده إلى محمد بن شاذان قال: اجتمع عندي «للغريم»^(٢)

أطال الله بقاءه، وعجل نصره - خمسمائة درهم فنقصت عشرون درهماً، وأنفت أن أبعث بها ناقصة هذا المقدار.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) قد شاع في الأخبار إطلاق الغريم عليه عليه السلام وهو من ألقابه الخاصة.

قال: فأتممتها من عندي، وبعثت بها إلى «محمد بن جعفر»^(١) ولم أكتب بها لي منها، فأنفذ إليّ محمد بن جعفر القبض، وفيه: «وصلت خمسمائة درهم ولك فيها عشرون درهماً».^(٢)

أخرج حقّ ولد عمّك منه: صاحب دلائل الإمامة بسنده إلى الشيخ العمري محمد بن عثمان يقول: صحبت رجلاً من أهل السواد ومعه مال للغريم عليه السلام، فأنفذه فردّ عليه وقيل له: «أخرج حقّ ولد عمّك منه وهي أربعمائة درهم». قال: فبقي الرجل باهتاً متعجباً، فنظر في حساب المال وكانت في يده ضيعة لولد عمّه قد كان ردّ عليهم بعضها فإذا الذي فضّل لهم من ذلك أربعمائة درهم كما قال عليه السلام، فأخرجها وأنفذ الباقي، فقبل.^(٣) وروي في كمال الدين والكافي والإرشاد نحوه.^(٤)

والدلائل في ذلك كثيرة، وقد روى صاحب منتخب الأثر سبعة وعشرون حديثاً.

(١) قال الشيخ في رجاله: محمد بن جعفر الأسدي يكنى أبا الحسين الرازي كان أحد الأبواب.

(٢) منتخب الأثر: ٤٧٤.

(٣) دلائل الإمامة: ٥٢٥.

(٤) دلائل الإمامة: ٥٢٥.

الخامس عشر: شهادة من التقوه في الغيبة الصغرى من الثقات وكلموه

وهم كثيرون تقتصر على بعض الشواهد وقد ذكرنا بعضهم سابقاً.

* ينابيع المودة عن كتاب الغيبة، عن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي قال: قدمت المدينة ومكة لطلب صاحب الزمان، فبينما أنا في الطواف قال لي رجل أسمر اللون: من أي البلاد أنت؟ قلت: من الأهواز، قال: أتعرف إبراهيم بن مهزيار؟ قلت: أنا هو، فعانقني، فقلت له: هل تعرف من أخبار صاحب الزمان؟ قال لي: فارتحل معي إلى الطائف في خفية من أصحابك.

فمشينا إلى الطائف من رملة إلى رملة حتى وصلنا إلى الفلاة، فبدت لنا خيمة قد أشرقت بها الرمال، وتتلأأ بها تلك البقاع، ثم أسرعنا حتى وصلنا إليها، فبالإذن دخلت على صاحب الزمان عليه السلام، قال لي: «مرحباً بك يا أبا إسحاق»، فقلت: بأبي وأمي ما زلت أتفحص عن أمرك بلداً فبلداً حتى من الله عليّ بمن أرشدني إليك، ثم قال لي: «يا أبا إسحاق، ليكن هذا المجلس مكتوماً عندك».

قال إبراهيم: فمكثت عنده حيناً أقتبس منه موضحات الأعلام، ونيّرات الأحكام، فأذن لي في الرجوع إلى الأهواز، وأردفني من صالح دعائه ما يكون ذخراً عند الله لي، ولعقبى وقرابتي، وعرضت عليه ما لا كان معي يزيد على خمسين ألف درهم، وسألته أن يتفضل بقبوله، فتبسّم وقال: «يا أبا إسحاق، استعن به على منصرفك، ولا تحزن لإعراضنا عنه، وبارك الله فيما حوّل وأدام لك ما حوّل، وكتب لك أحسن ثواب المحسنين، وأستودعه نفسك وديعة لا تضيع بمنه ولطفه إن شاء الله تعالى».^(١)

(١) ينابيع المودة: ٣/ ٣٣٥ - ٣٣٦.

* ينابيع المودة عن كتاب الغيبة عن أبي عبد الله بن صالح قال: رأى المهدي عليه السلام عند الحجر الأسود والناس يزدهمون عليه وهو يقول: «ما بهذاأمروا»^(١).
وروى في تبصرة الولي عن محمد بن يعقوب بسنده عن أبي عبد الله ابن صالح نحوه.

* ينابيع المودة عن كتاب الغيبة عن إبراهيم بن إدريس قال: رأيت المهدي بعد أن مضى- أبو محمد رضي الله عنهما غلاماً حين أيفع، وقبّلت يده ورأسه الشريف.^(٢)

* كمال الدين عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمته الله فقلت له: أرايت صاحب هذا الأمر؟ فقال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني».^(٣)
وقد روى صاحب المنتخب خمسة وعشرين حديثاً.

السادس عشر: توقيعاته الصادرة منه مباشرة عبر وكلائه

وهي بمثابة أقواله ورواياته وأجوبة مسائل وردت من بعض الموالين وهي تعتبر من آثاره التي تدلّ على حضوره معنا وتفاعله مع قضايانا، وهي من الكرامات والمعجزات لصاحب الأمر، حيث إنّ بعض الأجوبة تصدر للسائل قبل وصول أسئلته أو تخبر عما في ضميره الداخلي من دون تفوّه منه أو تخبر عن

(١) ينابيع المودة: ٣/ ٣٢٩.

(٢) ينابيع المودة: ٣/ ٣٢٤.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤٠.

٤٢٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

قضايا إيجابية للشخص أو بعض التقصيرات، أو عبارة عن قبوضات للمال المدفوع، أو دعاء... وقد ذكر المحدث الجليل ابن بابويه في (كمال الدين) اثنين وخمسين توقيعاً ونحن نختار بعض هذه التوقيعات الصادرة منه عليه السلام.

* روى محمد بن محمد بن عصام بسنده إلى الكليني عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمته الله أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام:
«أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس منّي وسيله سبيل ابن نوح عليه السلام.

أما سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليهم السلام...
وأما ظهور الفرج فإنّه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقّاتون.
وأما قول من زعم أنّ الحسين عليه السلام لم يقتل فكفر وتكذيب وضلال.
وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم.

وأما محمد بن عثمان العمري - رحمته الله - وعن أبيه من قبل - فإنّه ثقتي وكتابه كتابي.

وأما محمد بن عليّ بن مهزيار الأهوازي فسيصلح الله له قلبه ويزيل عنه شكّه..

وأما علّة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة/ ١٠١].

إنّه لم يكن لأحد من آبائي عليهم السلام إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه،

وإنِّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.
وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبت عنها الأبصار
السحاب، وإنِّي لأمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا
باب السؤال عمّا لا يعنيتكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتكم، وأكثروا الدعاء
بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم والسلام عليكم يا إسحاق بن يعقوب وعلى
من اتّبع الهدى»^(١).

* روى الصدوق أيضاً عن أبي الحسين الأسدي عن أبيه عليه السلام ^(٢) قال: ورد
عليّ توقيع من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري - قدّس الله روحه -
ابتداء لم يتقدّمه سؤال:

«بسم الله الرحمن الرحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على مَنْ استحلّ
من مالنا درهماً».

قال أبو الحسين الأسدي عليه السلام: فوق في نفسي أنّ ذلك فيمن استحلّ من مال
الناحية درهماً دون مَنْ أكل منه غير مستحلّ له، وقلت في نفسي: إنّ ذلك في جميع
مَنْ استحلّ محرّماً، فأيّ فضل في ذلك للحجّة عليه السلام على غيره؟ قال: فوالذي بعث
محمدّاً بالحقّ بشيراً لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجدته قد انقلب إلى ما وقع
في نفسي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على مَنْ أكل من

(١) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٣-٤٨٥.

(٢) وهو من الوكلاء للصاحب عليه السلام.

٤٢٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

مالنا درهماً حراماً».

قال أبو جعفر محمد بن محمد الخزاعي: أخرج إلينا أبو علي بن أبي الحسين الأسدي هذا التوقيع حتى نظرنا إليه وقرأناه. ^(١)

* وروى الصدوق أيضاً عن أبيه عن سعد بن عبدالله قال: حدّثني أبو القاسم بن أبي حليس قال: كنت أزور الحسين عليه السلام في النصف من شعبان، فلما كان سنة من السنين وردت العسكر قبل شعبان وهممت أن لا أزور في شعبان، فلما دخل شعبان قلت: لا أدع زيارة كنت أزورها، فخرجت زائراً وكنت إذا وردت العسكر أعلمتهم برقعة أو برسالة، فلما كان في هذه الدفعة قلت لأبي القاسم الحسن بن أحمد الوكيل: لا تعلمهم بقدومي فإنّي أريد أن أجعلها زورة خالصة، قال: فجاءني أبو القاسم وهو يتبسّم وقال: بعث إليّ بهذين الدينارين وقيل لي: أدفعهما إلى الحلبي- وقال له: «من كان في حاجة الله عزّ وجلّ كان الله في حاجته»، قال: واعتلت بسرّ من رأى علّة شديدة أشفقت منها فأطليت مستعدّاً للموت، فبعث إليّ بستوفة فيها بنفسجين وأمرت بأخذه، فما فرغت حتّى أفقت من علّتي، والحمد لله ربّ العالمين. ^(٢)

السابع عشر: كراماته وشهادة من رآه وكلمه من الأعلام والفضلاء

في الغيبة الكبرى والقصص في هذا الشأن لا عدّها ولا حصر وهي تؤكّد الحقيقة النورانية الساطعة أنّ الإمام عليه السلام يعيش منذ حياة أبيه مستتراً بين الناس

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٢٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٩٢.

فيسمع منهم مسائلهم وحوادثهم واستغاثاتهم فيقضي- هذه الحوائج ويفرّج همومهم وينعش مريضهم ويكشف كربهم ويدافع عن مظلومهم..
وهذه القصص صارت بحدّ الكثرة والتواتر والوثاقة من أصحابها بما لا يدع أدنى شكّ في حياة الإمام عليه السلام في الغيبة الكبرى وإطلاعه على كامل أوضاعنا فترضيه أعمالنا الحسنة وتسوؤه الأعمال السيئة.
وقد ذكرنا عدّة شواهد وقصص بما فيه الكفاية وهنا نذكر بعضها كشاهد على ما قصدنا في هذا الباب.

منها قصّة الحاج علي البغدادي ذكرها الشيخ النوري في كتابه (النجم الثاقب) أنّ رجلاً من أهل بغداد اسمه الحاج علي البغدادي، وكان من الصالحين الأخيار وقد فاز بقاء الإمام المهدي المنتظر، وهذه خلاصة القصّة:

كان الحاج علي يسافر بصورة دائمة من بغداد إلى مدينة الكاظميّة - التي تقع في ضاحية بغداد - وذلك لزيارة الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام.

يقول الحاج علي: كان قد اجتمع في ذمتي ثمانون تومان من الخمس والحقوق الشرعيّة، فسافرت إلى مدينة النجف الأشرف، ودفعت عشرين توماناً منها إلى العالم الزاهد الفقيه الشيخ مرتضى الأنصاري، وعشرين توماناً إلى المجتهد الفقيه الشيخ محمّد حسين الكاظمي، وعشرين توماناً إلى الشيخ محمّد حسن الشروقي، وبقيت في ذمتي عشرين منها، قرّرت أن أدفعها عند رجوعي إلى بغداد إلى الفقيه الشيخ محمّد حسن آل ياسين.

وعدت إلى بغداد في يوم الخميس، فتوجّهت - أولاً - إلى مدينة الكاظميّة، وزرت الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام، ثمّ ذهبت إلى دار الشيخ آل ياسين،

٤٢٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقدّمت له جزءاً ممّا بقي عليّ من الخمس كي يصرفه في موارد المقرّرة في الفقه الإسلامي، واستأذنت منه على أن أدفع باقي المبلغ بصورة تدريجيّة إليه أو إلى من أراه مستحقّاً لذلك، ثمّ أصرّ الشيخ بأن أبقى عنده، فلم أجبه إلى ذلك، معتذراً بأنّ عليّ بعض الأشغال الضروريّة، وودّعته وتوجّهت نحو بغداد، فلمّا قطعت ثلث الطريق التقيت بسيدّ جليل القدر، عظيم الشأن، عليه الهيبة والوقار، وقد تعمّم بعمامة خضراء، وعلى خدّه خال أسود، وكان قاصداً مدينة الكاظميّة للزيارة، فاقترب منّي وسلّم عليّ وصافحني وعانقني بحرارة وضمّني إلى صدره، ورحب بي وسألني: «على خير... إلى أين تذهب؟» قلت: لقد زرت الإمامين الكاظميين، والآن أنا عائد إلى بغداد.

فقال: «عدّ إلى الكاظمين فهذه ليلة الجمعة». قلت: لا يسعني ذلك.
فقال: «إنّ ذلك في وسعك، ارجع كي أشهد لك بأنك من الموالين لجدي أمير المؤمنين (عليه السلام) ولنا، ويشهد لك الشيخ، فقد قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَاهِدَيْنِ﴾ [البقرة/ ٢٨٢]».

وكنت قد طلبت من الشيخ آل ياسين أن يدفع إليّ وثيقة يشهد لي فيها بأنني من الموالين لأهل البيت (عليه السلام) كي أجعلها في كفني، فسألت السيّد: من أين عرفتني؟ وكيف تشهد لي؟ فقال: «كيف لا يعرف المرء من وافاه حقّه!».
قلت: أيّ حقّ هذا الذي تقصده؟ فقال: «الحقّ الذي قدّمته لوكيلى»، قلت: من هو؟ قال: «الشيخ محمّد حسن». قلت: أهو وكيلك؟ قال: «نعم».

فتعجّبت من كلامه، واحتملت أن تكون بيننا صداقة سابقة لا أتذكرها، لأنّه ناداني باسمي في أوّل اللقاء، كما أنّي احتملت أن يكون متوقّعا منّي لأن أدفع إليه شيئاً من الخمس - باعتباره من ذريّة رسول الله. فقلت له: سيّدنا.. لقد بقي

في ذمّتي شيء من حقّكم - حقّ السادة - وقد استأذن الشيخ محمّد حسن أن أدفعه إلى من أحبّ.

فتبسّم وقال: «نعم... لقد دفعت شيئاً - من حقّنا - إلى وكلائنا من النجف الأشرف».

فقلت: «هل حظّي هذا العمل بالقبول؟

قال: «نعم».

ثمّ انتبهت إلى أنّ هذا السيّد يعبر عن أعظم العلماء بكلمة «وكلائي» فاستعظمت ذلك، ولكن عادت إليّ الغفلة مرّة أخرى.

ثمّ قال لي: «عد إلى زيارة جدّي» فوافقت فوراً وتوجّهنا معاً نحو مدينة الكاظميّة، وكانت يدي اليسرى في يده اليمنى.

وسرنا نتجاوب أطراف الحديث، وكنت أسأله عن مسائل مختلفة ويحييني عليها وكان ممّا سألته عن رواية سليمان الأعمش حول زيارة الحسين هي صحيح؟ فقال: «نعم.. تأمّ صحيح».

قلت: سيّدنا.. هل صحيح ما يقال من زار الإمام الحسين ليلة الجمعة كان له آمناً؟

فقال: «نعم.. ودمعت عيناه وبكى».

فلم تمض علينا إلاّ فترة قصيرة من الوقت وإذا بي أرى نفسي - في روضة الإمامين الكاظمين عليهما السلام من دون أن نمّر بالشوارع والطرق المؤدّية إلى الروضة الشريفة، ووقفنا على مدخل الحرم الشريف.. فقال لي: «زُر».

قلت: لا أحسن القراءة.

قال: «هل أقرأ الزيارة وتقرأ معي؟» قلت: نعم.
 فشرع في الزيارة وجعل يُسَلِّم على رسول الله والأئمة الطاهرين عليهم السلام واحداً
 بعد واحد... حتى بلغ الإمام العسكري... ثم خاطبني قائلاً: «هل تعرف إمام
 عصرك؟»

فقلت: وكيف لا أعرفه؟
 قال: «فسلِّم عليه»، فقلت: السلام عليك يا حجة الله يا صاحب الزمان يا ابن
 الحسن، فتبسَّم وقال: «عليك السلام ورحمة الله وبركاته».
 ثم دخلنا الحرم الشريف، وقبلنا الضريح المقدَّس، فقال لي: «زُر»، قلت: لا
 أحسن القراءة، قال: «هل أقرأ لك الزيارة؟» فقلت: نعم.
 فشرع بالزيارة المعروفة بـ(أمين الله) وبعد انتهاء الزيارة قال لي: «هل تزور
 جدِّي الحسين؟» قلت: نعم، فهذه ليلة الجمعة، فزاره بالزيارة المعروفة بزيارة
 وارث، وحان وقت صلاة المغرب، فأمرني بالصلاة، وقال لي: «التحق بصلاة
 الجماعة». فوقفت للصلاة وبعد الفراغ من الصلاة غاب عني ذلك السيِّد،
 فخرجت أبحث عنه فلم أجده.

فانتبهت من غفلتي وتذكَّرت أنَّ السيِّد ناداني باسمي، ودعاني إلى العودة إلى
 الكاظمية مع العلم أنني امتنعت عن ذلك وكان يعبر عن الفقهاء بـ(وكلائي) ثم
 غاب عني فجأة، فعلمت أنه صاحب الزمان الإمام المهدي عليه السلام.^(١)

(١) النجم الثاقب: ٢/ ١٥٠-١٦٠.

تشرف العلامة الحلي بخدمة الإمام الحجة عليه السلام:

كان العلامة الحلي في إحدى ليالي الجمعة قد تشرف بزيارة سيّد الشهداء عليه السلام وكان لوحده راكباً على حماره ويده سوط، وفي أثناء الطريق صاحبه شخص عربي وكان راجلاً، ثمّ تكلم في المسائل العلميّة، والعلامة يسأله عن مشكلاته في العلوم واحدة تلو الأخرى، وكان هذا الشخص يجيب عليها ويقوم بحلّها حتّى انجرّ الحديث إلى إحدى المسائل، فأفتى ذلك الشخص بخلاف ما يراه العلامة الحليّ وقال: لم يرد حديث عندنا يؤيّد هذه الفتوى.

فقال الرجل: «إنّ حديثاً في هذا الباب قد ذكره الشيخ الطوسي في التهذيب - فتصفّح كتاب التهذيب، وفي الصفحة الفلانيّة والسطر الفلاني تجده مذكوراً». فأخذت العلامة الحيرة، مَنْ يكون هذا الشخص؟

فسأل الرجل، وقال: هل يمكن في زمان الغيبة الكبرى أن نرى صاحب الأمر عليه السلام أو لا؟

وفي هذه الأثناء سقط السوط من يد العلامة، فأخذ الرجل السوط من الأرض ووضع به يد العلامة، وقال: وكيف لا يمكن أن يرى صاحب الزمان عليه السلام والحال أن يده في يدك فسقط العلامة وبدون اختيار من حماره إلى الأرض وهو يقبل قدمي الإمام عليه السلام وأغمي عليه، ولمّا انتبه لم يرَ أحد، وبعد أن رجع إلى البيت تصفّح كتاب «التهذيب»: وهذا الحديث هو الذي أرشدني إليه صاحب الأمر...^(١)

(١) ينظر: رعاية الإمام المهدي للمراجع والعلماء الأعلام: ٧٠-٧١.

٤٣٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الإمام عليه السلام يكتب للعلامة الحلي كتاباً:

السيد الشهيد القاضي نور الله الشوشتری في مجالس المؤمنين في ترجمة آية الله العلامة الحلي عليه السلام أن من جملة مقاماته العالية، أنه اشتهر عند أهل الإيمان أن بعض علماء أهل السنة ممن تتلمذ عليه العلامة في بعض الفنون ألف كتاباً في رد الإمامية، ويقراً للناس في مجالسه ويضللهم، وكان لا يعطيه أحداً خوفاً من أن يرده أحد من الإمامية، فاحتال عليه السلام في تحصيل هذا الكتاب إلى أن جعل تتلمذه عليه وسيلة لأخذه الكتاب منه عارية، فالتجأ الرجل واستحى من رده وقال: إنني آليت على نفسي- أن لا أعطيه أحداً أزيد من ليلة، فاغتنم الفرصة في هذا المقدار من الزمان، فأخذه منه وأتى به إلى بيته لينقل منه ما تيسر منه.

فلما اشتغل بكتابته وانتصف الليل، غلبه النوم، فحضر- الحجة عليه السلام وقال: ناولني الكتاب وخذ في نومك فانتبه العلامة وقد تم الكتاب بإعجازه عليه السلام. وظاهر عبارته يوهم أن الملاقاة والمكالمة كان في اليقظة وهو بعيد والظاهر أنه في المنام والله العالم. ^(١)

الثامن عشر: التجربة الشخصية لكل من توسل بالإمام الحجة:

أو ممن رآه في عالم الرؤيا وهذا الأمر لا نعتبره دليلاً مستقلاً وإنما هو من المؤيدات الإيمانية الوجدانية والحالات العرفانية الفطرية التي تحصل عند المؤمن في حالات معينة تصل إلى حد الحقيقة واليقين كالشمس الطالعة في رابعة النهار.. ومن هذه القضايا قضاء حوائجه وتفريج همومه وحل مشكلاته عند

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٥٣/ ٢٥٢، رعاية الإمام المهدي عليه السلام للمراجع والعلماء الأعلام: ٦٩-

توسّله بصاحب الأمر.

وهناك عشرات الشواهد والقصص الذي نقلها العلماء في كتبهم تحكي مواقف لأناس من أصحاب المشكلات أو لعلماء كانت لديهم معضلات ومسألات حصلوا على حلّها والجواب لها عند توسّلهم بصاحب الأمر عليه السلام. وهذه المواقف والشواهد صارت من الشهرة بما لا تحتاج إلى تكلف، فأغلب المؤمنين لهم تجارب شخصيّة في هذا الشأن لأقاربهم وأصدقائهم أو عالم تركز إليه أنفسهم، وليس ذلك من الوهم ولو كان ذلك لما قضيت الحوائج وحصل السائل على مراده.

وقد نقلنا مجموعة من القصص في فصل سابق من هذا الكتاب، وكنموذج على التجارب الشخصيّة لمن توسّل بصاحب الزمان لحلّ معضلاته: نقل سماحة العلامة السيّد عبّاس المدرسيّ: ذهبت برفقة والدي المرحوم إلى لقاء العالم الرباني آية الله السيّد حجّت تدريسه في منزله الكائن خلف مدرسة الحجتية بقم المقدّسة سنة ١٤٠٢ هـ، فحكى لنا السيّد حجّت قصة وقعت له في أيّام دراسته قائلاً (كنت في فقر مدقع وضيق مالي شديد إلى درجة لم أحصل أنا وزوجتي وأطفالي ما نأكله قدر الحاجة الطبيعيّة).

وذات يوم حينما عزمت على الخروج إلى الدرس قالت لي زوجتي: يا سيّد ليس لدينا اليوم أي شيء من الطعام على الإطلاق، أنزلت رأسي خجلاً وودعتها إلى الدّرس ولما عدت إلى المنزل وجدت الوضع مؤلماً للغاية.

فدخلت غرفتي وصلّيت ركعتين هدية إلى سيّدي ومولاي الإمام الحجة عليه السلام، ثم قلت مخاطباً إيّاه: سيّدي.. لمن نُدّرس ونُعَلّم، وندرس

٤٣٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ونتعلّم، ألسنا طلاب مدرستك، ألسنا جنود نهضتك؟ إذا كنّا كذلك فأعنا على لقمة العيش كي نواصل طريقك.

ساعة وإذا بطريقة باب المنزل، ذهبْتُ وفتحْتُ الباب، سلّم عليّ الطارق وسلمني ظرفاً وقال كلّ شهر مثل هذا اليوم آتيك بمثله ولا تُخبر أحداً وفي أمان الله!

مشى ولم أستطع أن أكلمه بسبب التعجّب والسرور والبهجة الغالبة. دخلتُ المنزل وفتحت الظرف أمام زوجتي وكان فيه من المال ما يسدّ حاجة العوائل المرفهة في شمال طهران!

صرنا بذلك المال نشترى جميع حوائجنا المنزليّة ويبقى منه فائض على الحاجة! وكما أخذ منّي العهد لم أصرّح لهذا الأمر الغريب لأحد، حتّى جاء على وعده بعد شهر فقدم لي ظرفاً آخر، واستمرّ هذا الكرم شهران آخران حتّى سألته: هل من الممكن أن أعرف إسمكم الشريف؟ قال: إسمي الحاج (...). وعنواني: الطابق (...) الغرفة رقم (...) من العمارة التجارية رقم (...) في سوق طهران. ذات يوم كنت جالساً مع شقيق زوجتي وهو العالم الكبير آية الله الشيخ مرتضى الحائري رحمته الله ابن المرجع الراحل الشيخ عبدالكريم الحائري مؤسس حوزة قم فبحثُ له بالسّر.

ثمّ راحت الأيام حتّى اليوم الموعود، حيث كنت أنتظر الرجل فلم يأت.. وانتهى الشهر ولم أره، وبدأ المال ينفذ وينفذ حتّى نهاية الشهر الآخر فعادت أيام الضيق وصعوبات الجوع.

تذكرت أنّه أعطاني عنوانه فلماذا لا أذهب إليه وأستفسر. عن سبب الانقطاع؟!

وهكذا جئته على العنوان فدخلت عليه الغرفة، سلمت وجلست حتى انتهى الحاضرون من مهامهم وخرجوا. فدنوت منه وسألته عن حاله وكنت أود أن يفاتحني بالموضوع بنفسه ولكنه لم يفعل..

ففاتحته به خجلاً وقلت: يا حاج... كنت قد عودتنا على عطاء سخّي وقد انتظرتك حسب الاتفاق في ثلاثة أشهر الأخيرة، فلم أتشرف باللقاء؟! خيراً إن شاء الله.

أطرق الرجل رأسه قليلاً ثم نظر إليّ نظرة الأسفين وقال: إنّ الذي أمرني أن أعطيك فقد أمرني بالتوقّف! سكت الرجل ولم يتكلّم أكثر من هذا، هنا عرفتُ كم قد خسرتُ من لطف الإمام وكرمه عندما خالفتُ الشرط (بأن لا أبوح بالسر- ل أحد ولو كان آية الله الشيخ مرتضى الحائري!)^(١)

صاحب الزمان عليه السلام يعطي العلامة محمد تقي المجلسي الصحيفة السجادية الكاملة في عالم الرؤيا

وكنموذج على من رأى صاحب الزمان في عالم الرؤيا ليعلمه، ويدلّه على أمور مهمّة، العلامة محمد تقي المجلسي والد العلامة محمد باقر المجلسي صاحب بحار الأنوار.

قال العالم النحرير، النقاد البصير، المولى أبو الحسن الشريف العاملي الغروي

(١) قصص وخواطر: ٦١٨.

٤٣٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

تلميذ العلامة المجلسي وهو جد شيخ الفقهاء في عصره صاحب جواهر الكلام،
من طرف أمّه

قال رحمه الله: إني كنت في أوائل البلوغ لمرضاة الله، ساعياً في طلب رضاه، ولم يكن لي قرار بذكره إلى أن رأيت بين النوم واليقظة أنّ صاحب الزمان عليه السلام كان واقفاً في الجامع القديم بإصبهان قريباً من باب الطنبي الذي الآن مدرسي، فسلمت عليه وأردت أن أقبل رجله، فلم يدعني وأخذني، فقبّلت يده، وسألت منه مسائل قد أشكلت عليّ.

منها إني كنت أوسوس في صلاتي، وكنت أقول إنها ليست كما طلبت منّي وأنا مشغول بالقضاء، ولا يمكنني صلاة الليل، وسألت عنه شيخنا البهائي رحمه الله فقال: صلاة الظهر والعصر والمغرب بقصد صلاة الليل، وكنت أفعل هكذا فسألت الحجة عليه السلام أصلي صلاة الليل؟ فقال: صلّها، ولا تفعل كالمصنوع الذي كنت تفعل، إلى غير ذلك من المسائل التي لم تبقي في بالي.

قلت: يا مولاي لا يتيسر لي أن أصل إلى خدمتك كلّ وقت فأعطني كتاباً أعمل عليه دائماً فقال: أعطيت لأجلك كتاباً إلى مولانا محمد التاج، وكنت أعرفه في النوم، فقال عليه السلام: رح وخذ منه، فخرجت من باب المسجد الذي كان مقابلاً لوجهه إلى جانب دار البطيخ (محلة من إصبهان)، فلمّا وصلت إلى ذلك الشخص فلمّا رأي قال لي: بعثك صاحب عليه السلام إليّ؟ قلت: نعم، فأخرج من جيبه كتاباً قديماً فلمّا فتحته ظهر لي أنّه كتاب الدعاء فقبلته ووضعتة على عيني وانصرفت عنه متوجّهاً إلى صاحب عليه السلام: فانتبهت ولم يكن معي ذلك الكتاب. فشرعت في التضرّع والبكاء، والحوار لفوت ذلك الكتاب إلى أن طلع الفجر فلمّا فرغت من الصلاة والتعقيب، وكان في بالي أنّ مولانا محمد هو الشيخ

وتسميته بالتاج لاشتهاره من بين العلماء.

فلما جئت إلى مدرسته وكان في جوار المسجد الجامع فرأيتُه مشغلاً بمقابلة الصحيفة، وكان القاري السيّد صالح أمير ذوالفقار الجرفادقاني فجلست ساعة حتّى فرغ منه والظاهر أنّه كان في سند الصحيفة لكن للغم الذي كان لي لم أعرف كلامه ولا كلامهم، وكنت أبكي فذهبت إلى الشيخ وقلت له رؤياي وكنتُ أبكي لفوات الكتاب، فقال الشيخ: أبشر- بالعلوم الإلهيّة، والمعارف اليقينيّة وجميع ما كنت تطلب دائماً، وكان أكثر صحبتي مع الشيخ في التصوّف وكان مائلاً إليه، فلم يسكن قلبي وخرجت باكياً متفكّراً إلى أن ألقى في روعي أن أذهب إلى الجانب الذي ذهبت إليه في النوم، فلما وصلت إلى دار البطيخ رأيت رجلاً صالحاً اسمه آغا حسن، وكان يلقب بتاج، فلما وصلت إليه وسلّمت عليه، قال: يا فلان الكتب الوقفيّة التي عندي كلّ مَنْ يأخذها من الطلبة لا يعمل بشروط الوقف وأنت تعمل به، وقال: وانظر إلى هذه الكتب وكلّ ما تحتاج إليه خذه، فذهبت معه إلى بيت كتبه فأعطاني أوّل ما أعطاني الكتاب الذي رأيتُه في النوم، فشرعت في البكاء والنحيب، وقلت: يكفيني وليس في بالي أني ذكرت له النوم أم لا، وجئت عند الشيخ وشرعت في المقابلة مع نسخته التي كتبها جد أبيه مع نسخة الشهيد وكتب الشهيد نسخته مع نسخة عميد الرؤساء وابن السكون، وقابلها مع نسخة ابن ادريس بواسطة أو بدونها وكانت النسخة التي أعطانيها صاحب مكتوبة من خط الشهيد وكانت موافقة غاية الموافقة حتّى في النسخ التي كانت مكتوبة على هامشها، وبعد أن فرغت من المقابلة شرع الناس في المقابلة عندي، وبركة إعطاء الحجّة عليه صارت الصحيفة الكاملة في جميع

٤٣٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

البلاد كالشمس طالعة في كل بيت، وسيما في إصبعان فإن أكثر الناس لهم الصحيفة المتعددة وصار أكثرهم صلحاء وأهل الدعاء، وكثير منهم مستجابو الدعوة، وهذه الآثار معجزة لصاحب الأمر عليه السلام والذي أعطاني الله من العلوم بسبب الصحيفة لا احصيها.

وذكرها العلامة المجلسي رضوان الله عليه في إجازات البحار مختصراً^(١).
وأما هذه القصص عشرات بل مئات أثبتتها العلماء في كتبهم بل صنفوا كتباً خاصة لمثل هذه اللقاءات.

التاسع عشر: اعترافات علماء الأنساب بولادة الإمام المهدي عليه السلام:

لا شك أن الرجوع إلى أصحاب كل فن ضرورة والأولى ما نحن فيه هم علماء الأنساب وإليك بعضهم:

١ - النسابة الشهير أبو نصر سهل بن عبدالله بن داود بن سليمان البخاري من أعلام القرن الرابع الهجري، كان حياً سنة ٣٤١ هـ وهو من أشهر علماء الأنساب المعاصرين لغيبة الإمام المهدي عليه السلام الصغرى التي انتهت سنة ٣٢٩ هـ. قال في سر السلسلة العلوية: وولد علي بن محمد التقي عليه السلام: الحسن ابن علي العسكري عليه السلام من أم ولد نوبية تدعى: ريجانة، وولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقبض سنة ستين ومائتين بسامراء، وهو ابن تسع وعشرين سنة، وولد علي بن محمد التقي عليه السلام جعفرأ وهو الذي تسميه الإمامية جعفر الكذاب، وإنما تسميه الإمامية بذلك لادّعائه ميراث أخيه الحسن عليه السلام دون ابنه القائم

(١) بحار الأنوار: ٥٣ / ٢٧٦ - ٢٧٨.

الحجة عليه السلام، لا طعنًا في نسبه. ^(١)

٢ - السيد نجم الدين أبي الحسن علي بن محمد العمري النسابة المشهور من أعلام القرن الخامس الهجري، قال ما نصّه: ومات أبو محمد عليه السلام وولده من نرجس عليه السلام معلوم عند خاصّة أصحابه وثقات أهله، وسنذكر حال ولادته والأخبار التي سمعناها بذلك، وامتنحن المؤمنون بل كافّة الناس بغيبته، وشره جعفر بن عليّ إلى مال أخيه وحاله فدفع أن يكون له ولد، وأعانه بعض الفراعنة على قبض جوارى أخيه. ^(٢)

٣ - الفخر الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) قال في كتابه الشجرة المباركة في أنساب الطالبيّة تحت عنوان: أولاد الإمام العسكري عليه السلام ما هذا نصّه: أمّا الحسن العسكري الإمام عليه السلام فله ابنان وبتتان: أمّا الابنان فأحدهما صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، والثاني موسى درج في حياة أبيه، وأمّا البتتان: ففاطمة درجت في حياة أبيها، وأمّ موسى درجت أيضاً. ^(٣)

٤ - المروزي الأزورقاني (ت بعد سنة ٦١٤ هـ) فقد وصف في كتاب الفخري جعفر بن الإمام الهادي في محاولته إنكار ولد أخيه بالكذاب، وفيه أعظم دليل على اعتقاده بولادة الإمام المهدي. ^(٤)

٥ - السيد النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه

(١) سر السلسلة العلوية: ٣٩ - ٤٠.

(٢) المجدي في أنساب الطالبيين: ١٣٠.

(٣) الشجرة المباركة: ٩٢ - ٩٣.

(٤) المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: ١٢١.

(ت ٨٢٨هـ) قال في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: «أمّا علي الهادي فيلقّب العسكري لمقامه بسرّ مَنْ رأى، وكانت تسمّى العسكر، وأمّه أمّ ولد، وكان في غاية الفضل ونهاية النبل، أشخصه المتوكّل إلى سرّ مَنْ رأى فأقام بها إلى أن توفّي، وأعقب من رجلين هما: الإمام أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام، وكان من الزهد والعلم على أمر عظيم، وهو والد الإمام محمّد المهدي عليه السلام ثاني عشر- الأئمة عند الإماميّة وهو القائم المنتظر عندهم من أمّ ولد اسمها نرجس، واسم أخيه أبو عبدالله جعفر الملقّب بالكذاب، لادّعائه الإمامة بعد أخيه الحسن»^(١). وقال في الفصول الفخرية (مطبوع باللغة الفارسية) ما ترجمته: أبو محمّد الحسن الذي يقال له العسكري، والعسكر هو سامراء، جلبه المتوكّل وأباه إلى سامراء من المدينة، واعتقلهما، وهو الحادي عشر من الأئمة الاثني عشر-، وهو والد محمّد المهدي عليه السلام ثاني عشرهم.

٦ - النسابة الزيدي السيّد أبو الحسن محمّد الحسيني اليماني الصنعاني من أعيان القرن الحادي عشر، ذكر في المشجّرة التي رسمها لبيان نسب أولاد أبي جعفر محمّد بن علي الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتحت اسم الإمام علي التقي المعروف بالهادي عليه السلام خمسة من البنين وهم: الإمام العسكري، الحسين، موسى، محمّد، علي. وتحت الإمام العسكري عليه السلام مباشرة كتب: (محمّد بن) وبإزائه: (منتظر الإماميّة)^٢.

٧ - محمّد أمين السويدي (ت ١٢٤٦هـ) قال في سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: محمّد المهدي: وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين، وكان مربوع

(١) عمدة الطالب: ١٩٩.

^٢ المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: ١٢٢.

القامة، حسن الوجه والشعر، أفتى الأنف، صبيح الجبهة.^١

٨ - النسابة المعاصر محمد ويس الحيدري السوري قال في الدرر البهيّة في الأنساب الحيدريّة والأويسيّة في بيان أولاد الإمام الهادي عليه السلام: أعقب خمسة أولاد: محمد وجعفر والحسين والإمام الحسن العسكري وعائشة. فالحسن العسكري أعقب محمد المهدي صاحب السرداب. ثمّ قال بعد ذلك مباشرة وتحت عنوان: (الإمامان محمد المهدي والحسن العسكري): الإمام الحسن العسكري: ولد بالمدينة سنة ٢٣١ هـ وتوفيّ بسامراء سنة ٢٦٠ هـ. الإمام محمد المهدي: لم يذكر له ذريّة ولا أولاد له أبداً. ثمّ علّق في هامش العبارة الأخيرة بما هذا نصّه: ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥، وأمّه نرجس، وصف فقال عنه: ناصع اللون، واضح الجبين، أبلج الحاجب، مسنون الخد، أفتى الأنف، أشم، أروع، كأنّه غصن بان، وكأنّ غرته كوكب دريّ في خده الأيمن خال كأنّه فتات مسك على بياض الفضة، وله وفرة سمحاء تطالع شحمة أذنه، ما رأت العيون أقصد منه ولا أكثر حسناً وسكينة وحياء.^٢

العشرون: إقرار أعلام السنة بولادته عليه السلام.

وهم مجموعة كبيرة ممّن أقرّوا وشهدوا بولادته يوافقون ممّا أجمعت عليه الطائفة الشيعيّة، فيكون هذا من الشواهد الداعمة والمؤيدة للأدلة التي تقدّمت. ونختار نخبة من هؤلاء في هذا الموضع:

^١ المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: ١٢٢.

^٢ المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي: ١٢٢ - ١٢٣.

٤٤٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

١ - الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي المتوفى سنة ٩٧٢ صاحب الصواعق.

٢ - السيّد جمال الدين عطاء الله بن السيّد غياث الدين فضل الله السيّد عبدالرحمن المحدث المعروف صاحب كتاب روضة الأحياء.

٣ - عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي المكي الذي يعرف بابن الصبّاغ، المتوفى سنة ٨٥٥.

٤ - الشيخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغي، المتوفى سنة ٦٥٤، صاحب التاريخ الكبير.

٥ - نور الدين عبدالرحمن بن أحمد بن قوام الدين الحنفي، صاحب شرح الكافية.

٦ - الشيخ الحافظ أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي، المتوفى سنة ٦٥٨. صاحب كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان.

٧ - أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الشافعي، المتوفى سنة ٤٥٨.

٨ - الشيخ كمال الدين أبو سالم محمّد بن طلحة الشافعي النصيبي، صاحب العقد الفريد.

٩ - الحافظ أبو محمّد أحمد بن إبراهيم الطوسي البلاذري.

١٠ - القاضي فضل بن روزبهان، شارح الشائل للترمذي.

١١ - العالم المشهور أبو محمّد عبدالله بن أحمد بن الخشاب، المتوفى ٥٦٧.

١٢ - الشيخ محيي الدين أبو عبدالله المعروف بابن الحاتمي الطائي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨.

١٣ - الشيخ سعد الدين محمّد بن المؤيد بن أبي الحسين بن محمّد بن حمويه

المعروف بالشيخ سعد الدين الحموي.

١٤ - أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، المتوفى سنة ٩٧٣.

١٥ - الشيخ حسن العراقي.

١٦ - الشيخ علي الخواجي.

١٧ - حسين بن معين الدين المييدي.

١٨ - الحافظ محمد بن محمود المعروف بخواجه پارسا، المتوفى سنة ٨٢٢.

١٩ - الحافظ أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس.

٢٠ - أبو المجد عبد الحق الدهلوي البخاري صاحب التصانيف الكثيرة.

٢١ - الشيخ أحمد الجامي النامقي.

٢٢ - الشيخ فريد الدين محمد العطار النيسابوري.

٢٣ - جلال الدين محمد العارف البلخي الرومي المعروف بالمولوي، المتوفى

سنة ٦٧٢.

٢٤ - الشيخ صلاح الدين الصفدي، المتوفى سنة ٧٦٤.

٢٥ - المولوي علي أكبر بن أسد الله.

٢٦ - الشيخ عبد الرحمن صاحب كتاب مرآة الأسرار أحد مشايخ الصوفية.

٢٧ - ملك العلماء القاضي شهاب الدين بن شمس الدين الدولة آبادي

صاحب التفسير الموسوم بـ «البحر الموج».

٢٨ - الشيخ سليمان بن شيخ إبراهيم المعروف بخواجه كلان الحسيني

البلخي القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٤ صاحب ينابيع المودة.

٢٩ - الشيخ عامر بن عامر البصري صاحب القصيدة التائية المسماة بـ «ذات

٤٤٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الأنوار».

٣٠ - القاضي جواد الساباطي، صاحب كتاب البراهين الساباطية.

٣١ - الشيخ أبو المعالي صدر الدين القونوي صاحب تفسير الفاتحة ومفتاح

الغيب.

٣٢ - الفاضل البارع عبدالله بن محمد المطيري شهرة المدني.

٣٣ - شيخ الإسلام أبو المعالي محمد سراج الدين الرفاعي صاحب صحاح

الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار.

٣٤ - الشيخ محمد بن إبراهيم الجويني الشافعي المتوفى ١١٧٦.

٣٥ - القاضي المحقق بهلول بهجت أفندي مؤلف كتاب المحاكمة في تاريخ آل

محمد، بالتركية.

٣٦ - السيد مؤمن بن حسن الشبلنجي صاحب كتاب نور الأبصار.

٣٧ - الشيخ النسابة أبو الفوز محمد أمين البغدادي صاحب كتاب سبائك

الذهب في معرفة قبائل العرب.

٣٨ - المولى حسين بن علي الكاشفي صاحب جواهر التفسير، المتوفى سنة

٩٠٦.

٣٩ - السيد علي بن شهاب الهمداني.

٤٠ - صاحب كتاب شذرات الذهب أبو الفلاح عبدالحكي بن العماد الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٨٩.

ونكتفي بذكر هؤلاء الأعلام ومن يريد الزيادة فليرجع للكتب المختصة.



الفصل السابع

معاني أسمائه وألقابه المباركة

أولاً: المهدي

وسُمِّيَ بالمهدي لأنَّ الله تعالى يهديه ويرشده إلى الأمور الخفية التي لا يطلع عليها أحد.

وقد جاء في الحديث عن الباقر عليه السلام: «إذا قام مهدينا أهل البيت، قسّم بالسوية، وعدل في الرعية؛ فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وإنّا سُمِّيَ المهدي لأنّه يهدي إلى أمر خفي»^(١).

ثانياً: القائم

عن أبي حمزة الثمالي قال: سألت الباقر عليه السلام: يا بن رسول الله ألسّتم كلّكم قائمين بالحقّ؟ قال: «بلى».

قلت: فلم سُمِّيَ القائم قائماً؟

قال: «لما قُتل جدّي الحسين عليه السلام ضجّت عليه الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيّدنا أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك! فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم: قرّوا ملائكتي، فوعزّي وجلالي لأنتقمّ منهم ولو بعد حين.. ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصليّ، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقمّ منهم»^(٢).

وروى الصدوق في (كمال الدين)، عن الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت أبا

(١) عقد الدرر: ٤٠.

(٢) علل الشرائع: ١/ ١٦٠.

٤٤٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

جعفر محمد بن عليّ الرضا عليه السلام يقول: «... إنَّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر»، فقلت له: يا بن رسول الله، لم سَمِّي القائم؟ قال: «لأنَّه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته». ^(١)

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد عن محمد بن عجلان عن أبي عبد الله عليه السلام «... وسمِّي بالقائم لقيامه بالحق». ^(٢)

وروى الشيخ الطوسي في الغيبة عن أبي سعيد الخراساني أنَّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المهدي والقائم واحد؟ فقال: «نعم» - إلى أن يقول: - «وسمِّي القائم لأنَّه يقوم بعد ما يموت، إنَّه يقوم بأمر عظيم». ^٣

والمقصود بالموت «موت ذكره» كما رواه الشيخ الصدوق في معاني الأخبار «وسمِّي القائم قائماً لأنَّه يقوم بعد موت ذكره». ^٤

قال العلامة القزويني: يُسمَّى بالقائم، لأنَّه يقوم بأعظم قيام عرَفه التاريخ البشري، ويقوم بالحقّ الذي لا يشوبه باطل أبداً، وهذا ممَّا يمتاز به قيامه عليه السلام لأنَّ التاريخ قد سجَّل قيام بعض الأفراد بثورات ونهضات، ولكن قيامهم ونهضتهم لم تكن على الصراط المستقيم، إلَّا أنَّ الإمام المهدي عليه السلام يقوم بالحق.. ولا غير. ^(٥)

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٨.

(٢) الإرشاد: ٣٨٣/٢.

^٣ الغيبة للطوسي: ٤٧١.

^٤ معاني الأخبار: ٦٥؟

(٥) الإمام المهدي من المهد إلى الظهور: ٢٨.

ثالثاً: المنتظر

سُئِلَ الإمام محمد الجواد عليه السلام: ولم سَمِّي المنتظر؟ قال: «لأنَّ له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدُها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون»^(١).

قال المحدث النوري تعليقاً على هذا الخبر: بفتح «الظاء» يعني المنتظر الذي تعلّقت كلّ الخلائق بانتظار قدومه^(٢).

رابعاً: المنصور

روي في تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ [الاسراء: ٣٣].

قال: «سَمِيَ الله المهدي منصوراً (المنصور - خل) كما سَمِيَ أحمد ومحمد ومحموداً، وكما سَمِيَ عيسى المسيح»^(٣).

قال المحدث النوري رحمته الله: ولعلّ النكتة من التعبير عنه عليه السلام بـ (إمام منصور) في زيارة عاشوراء لمناسبة ما ذكر في الآية ووجهها واضح، والله العالم^(٤)،

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٢٧٨.

(٢) النجم الثاقب: ١/ ٢٣٨.

(٣) ينظر: تفسير فرات الكوفي: ٢٤٠.

(٤) النجم الثاقب: ١/ ٢١٨.

انتهى.

أقول: قد ورد في زيارة عاشوراء هذه العبارة التي أشار إليها المحدث النوري: «أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

وتؤيده العبارة التالية التي وردت في دعاء الندبة: «أَيُّنَ الْمَنْصُورُ عَلَى مَنْ اِعْتَدَى عَلَيْهِ وَافْتَرَى».

خامساً: بَقِيَّةُ اللَّهِ

في غيبة الفضل بن شاذان عن الصادق عليه السلام في ضمن أخبار القائم عليه السلام أنه قال: «إذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وأول ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [هود/٨٦]. ثم يقول: أنا بَقِيَّةُ اللَّهِ وَحَجَّتُهُ وَخَلِيفَتُهُ عَلَيْكُمْ، فلا يسلم عليه مسلماً إلا قال: السلام عليك يا بَقِيَّةُ اللَّهِ في أرضه».

وروى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن عمران بن زاهر قال: قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام: نسلم على القائم بإمرة المؤمنين؟ قال: «لا، ذلك اسم سمي الله به أمير المؤمنين عليه السلام لا يُسَمَّى به أحدٌ قبله ولا بعده إلا كافر». قال: فكيف نسلم عليه؟ قال: «تقول: السلام عليك يا بَقِيَّةُ اللَّهِ» قال: ثم قرأ جعفر عليه السلام: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. (١)

(١) تفسير فرات الكوفي: ١٩٣.

سادساً: الخلف - الخلف الصالح

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «الخلف الصالح من ولد أبي محمد الحسن بن عليّ وهو صاحب الزمان وهو المهدي»^(١).
والمقصود بالخلف: الخليفة.

وهو عليه السلام خلف جميع الأنبياء والأوصياء الماضين، وعنده جميع علومهم وصفاتهم وحالاتهم وخصائصهم، وجمعت له كلّ الموارث الإلهية التي توارثها بعضهم عن البعض الآخر.

ويحتمل بما أنّه لم يكن للإمام العسكري عليه السلام ولد، وكان الناس يقولون: لا خلف له، وبقي على هذه العقيدة جماعة، فعندما ولد عليه السلام بشّر الشيعة بعضهم البعض الآخر أنّه ظهر الخلف. ولعلّه لهذه المسألة لقب، بل لقبه الأئمة عليهم السلام بهذا اللقب.^(٢) وهو احتمال قويّ تسنده الروايات.

السابع: أحمد

روى الشيخ الصدوق في (كمال الدين) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان - إلى أن يقول: - له اسمان: اسم يخفى واسم يعلن. فأما الذي يخفى فأحمد وأما الذي يعلن فمحمد»^(٣).

وروي في غيبة الطوسي عن حذيفة أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ ذكر المهدي فقال: «إنّه يبائع بين الركن والمقام، اسمه أحمد وعبدالله والمهدي فهذه

(١) كشف الغمّة: ٣/ ٢٧٥.

(٢) النجم الثاقب: ١/ ١٨٨.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٦٥٣.

٤٥٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أسماؤه ثلاثتها»^(١).

الثامن: المؤمل

روى الشيخ الكليني والشيخ الطوسي عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال حين ولد الحجة عليه السلام: «زعم الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل، فكيف رأوا قدرة الله، وسماء المؤمل»^(٢).

قال المحدث النوري: الظاهر أنه بفتح الميم الثانية، يعني أن الخلائق يتأملونه، وقد أُشير في دعاء النذبة إلى هذا المضمون: «بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةٌ شَائِقٌ يَتَمَنَّى مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرًا فَحَنًّا»^(٣).

التاسع: صاحب الزمان

وهو من ألقابه المشهورة عليه السلام ويعني حاكم الزمان من قبل الله عز وجل. وروى الحسين بن حمدان عن الريان بن الصلت أنه قال: سمعت الرضا علي بن موسى عليه السلام يقول: «القائم المهدي عليه السلام ابن ابني الحسن، لا يرى جسمه، ولا يُسمّى باسمه بعد غيبته أحدٌ حتى يراه ويعلن باسمه فيتسمه كلّ الخلق». فقلنا له: يا سيّدنا، فإن قلنا صاحب الغيبة، وصاحب الزمان، والمهدي؟ قال: «هو كلّ جائر مطلقاً، وإنّا نهيتكم عن التصريح باسمه الخفي عن أعدائنا فلا يعرفوه»^(٤).

١ الغيبة للطوسي: ٤٥٤.

(٢) الغيبة للطوسي: ٢٢٣.

(٣) النجم الثاقب: ٢٣٧/١، عن الغيبة للطوسي: ٢٢٣.

(٤) مستدرک الوسائل: ٢/٢٨٠، والنجم الثاقب: ١/١٩٧.

العاشر: خاتم الأوصياء

وهو من ألقابه الشائعة. فقد روى عن إبراهيم بن محمد العلوي قال: حدثني طريف أبو نصر- خادم الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: دخلت على صاحب الزمان عليه السلام فقال: «عليّ بالصندل الأحمر»، فأتيته به. ثم قال: «أتعرفني؟» قلت: نعم. فقال: «من أنا؟» فقلت: أنت سيدي وابن سيدي. فقال: «ليس عن هذا سألتك». قال طريف: فقلت: جعلني الله فداك، فين لي. قال: «أنا خاتم الأوصياء، وبني يدفع الله عز وجلّ البلاء عن أهلي وشيعتي».^(١)

الحادي عشر: البئر المعطلة

روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ [الحج/٤٥]. «هو مثل لآل محمد عليه السلام، قوله: «وبئر معطلة» هي التي لا يستقى منها وهو الإمام الذي قد غاب فلا يقتبس منه العلم [إلى وقت ظهوره]».^(٢) قال المحدث النوري: أي لا يقتبس بالأسباب الظاهرية المتداولة لكل أحد، وفي كل وقت، كما كان ميسراً في كل عصر كل إمام- الذين هم عليهم السلام (قصر مرتفع)- غيره عليهم السلام إذ لم يكن هناك مانع خارجي.^(٣)

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٤١، النجم الثاقب: ١/ ١٨٥.

(٢) تفسير القمي: ٨٥/ ٢.

(٣) النجم الثاقب: ١٨٤-١٨٥.

الثاني عشر: الحق

روى في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في الآية الشريفة: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ...﴾ [الاسراء/ ٨١] «إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل»^(١).
قال المحدث النوري: وطبق هذا التفسير فقد جاء التعبير بالماضي لأجل تأكيد وضوحه، وهو بيان لعدم وجود شك في وقوعه.
وجاء في زيارته عليه السلام: «السلام على الحق الجديد».
والظاهر أن في جميع حالاته وصفاته وأفعاله وأقواله وأوامره ونواهيه تمام المنافع والخيرات والمصالح الثابتة الباقية التامة وليس فيها أي ضرر أو مفسدة أو خطأ في الدنيا أو في الآخرة، لا على نفسه، ولا على أتباعه عليه السلام.^(٢)

الثالث عشر: الساعة

روي في حديث المفصل - الطويل - وغيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه هو الساعة في الآية الشريفة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف/ ١٨٧].
وفي الآية المباركة الشريفة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [النازعات/ ٤٢].
وفي الآية الشريفة: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف/ ٨٥].
وفي الآية الكريمة: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ [الزخرف/ ٦٦].
وفي الآية الشريفة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ [الاحزاب/ ٦٣].
إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى/ ١٨]
فإنها جميعاً مؤولة بالمهدي عليه السلام. قال المفصل: قلت: فما معنى «يمارون»؟ قال:

(١) الكافي: ٨ / ٢٨٧.

(٢) النجم الثاقب: ١ / ١٨٤.

«يقولون: متى ولد؟ ومن رأى؟ وأين يكون؟ ومتى يظهر؟ وكل ذلك استعجالاً لأمر الله، وشكاً في قضائه». (١)

قال المحدث النوري: إن تشبيهه ﷺ بالساعة من جهات كثيرة لا تخفى مثل ما أمره، ومثل مجيئه والاثنان بغتة، والاشتراك في علامات كثيرة مثل الخسف والمسح وظهور النار وغيرها، وتمييز المؤمن عن الكافر بهما، وهلاك الجبارين، وعدم توقيت الله عز وجل مجيئهما عند الأنبياء والملائكة، وإخبار جميع الأنبياء أممهم بمجيئهما. وجاء في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم/٥] خطاب إلى موسى ﷺ أن يذكر بني إسرائيل بأيام، فإن أيام الله تعالى ثلاث أيام: يوم القائم ﷺ، ويوم الرجعة، ويوم القيامة.

وروي في غيبة الفضل بن شاذان عن الإمام الحسن المجتبي ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ قائلاً له: «يا رسول الله، فمتى يخرج قائمنا أهل البيت؟» قال: «يا حسن، مثله مثل الساعة أخفى الله علمها على أهل السماوات والأرض لا تأتي إلا بغتة». ٢

وروي في الكافي أنه قال في الآية الشريفة: ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ [مريم/٧٥] «فهو خروج القائم، وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه». (٣)

(١) بحار الأنوار: ٢/٥٣.

٢ النجم الثاقب: ١/١٩٤.

(٣) النجم الثاقب: ١/١٩٤ - ١٩٥.

الرابع عشر: السيد

«ذكر عليه السلام بهذا اللقب في عدّة من الأخبار وهو مروي في (كمال الدين) للصدوق عن علي الخيزراني عن جارية له كان أهداها لأبي محمد عليه السلام، فلما أغار جعفر الكذاب على الدار جاءته فارة من جعفر.

قال أبو علي: فحدثتني أنّها حضرت ولادة السيد عليه السلام، وإن اسم أم السيد صقيل، وإن أبا محمد عليه السلام حدثها بما يجري على عياله، فسألته أن يدعو الله عز وجل لها أن يجعل منيتها قبله، فماتت في حياة أبي محمد عليه السلام، وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أم محمد.

قال أبو علي: وسمعت هذه الجارية تذكر أنّه لما ولد السيد عليه السلام رأت له نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير..

فأخبرنا أبا محمد عليه السلام بذلك فضحك ثم قال: «تلك ملائكة نزلت للتبرّك بهذا المولود وهي أنصاره إذا خرج».

وقد تقدّم في الباب السابق عن أبي جعفر محمد بن عثمان النائب الثاني، قال: «لما ولد السيد عليه السلام..» إلى آخره. ^(١)

الخامس عشر: الغريم

صرّح علماء الرجال أنّ من ألقابه الخاصّة.. وإطلاقه عليه عليه السلام شائع في الأخبار. والغريم بمعنى (الدائن) وبمعنى (المدين)، وهنا بمعنى الأوّل، وهذا اللقب مثل (الغلام) كان للتقيّة، فعندما كانت الشيعة تريد أن تبعث مالا

(١) النجم الثاقب: ١ / ١٩٥ - ١٩٦.

إليه ﷺ أو إلى وكلائه أو يوصون إليه، أو يطالب هو به ﷺ، وما شابه ذلك، فقد كانوا ينادونه بهذا اللقب.

وقد كان ﷺ يطلب أغلب الزّراع والتّجار وأرباب الحرف والصناعات. وروى الشيخ المفيد في الإرشاد عن محمّد بن صالح قال: لما مات أبي، وصار الأمر إليّ، كان لأبي على الناس سفاتج من مال الغريم. قال الشيخ: وهذا رمز كانت الشيعة تعرفه قديماً بينها، ويكون خطابها له للتقيّة. ^(١)

السادس عشر: الفقيه

روى الشيخ الطوسي في التهذيب في باب (حدّ حرم الحسين ﷺ) عن محمّد بن عبدالله الحميري أنّه قال: «كتبت إلى الفقيه ﷺ أسأله هل يجوز أن يُسبّح الرجل بطين قبر الحسين ﷺ، وهل فيه فضل؟ فأجاب وقرأت التوقيع، ومنه نسخت: «سبّح به، فما من شيء من التسبيح أفضل منه ومن فضله، إنّ المسبّح ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح».

وروي عنه أيضاً، قال: كتبت إلى الفقيه ﷺ أسأله عن طين القبر يوضع مع الميّت في قبره هل يجوز ذلك، أم لا؟ فأجاب وقرأت التوقيع ومنه نسخت: «يوضع مع الميّت في قبره ويخلط بحنوطه إن شاء الله».

والمراد بالفقيه هنا أنّه هو ﷺ قطعاً. ^(٢)

(١) النجم الثاقب: ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) النجم الثاقب: ٢٠٦-٢٠٧.

السابع عشر: الموتور

وقد ذكر هذا اللقب في عدّة أخبار شريفة، والموتور بوالده أي قُتل والده ولم يطلب بدمه.

وقال المجلسي رحمته الله: والمراد بالوالد إمّا العسكري عليه السلام أو الحسين، أو جنس الوالد ليشمل جميع الأئمة عليهم السلام.^(١)

وهناك خبر (الموتور بأبيه) وهو كسابقه.

وبما أنّه لم يطلب بدم الأئمة الماضين، وقد وصل إرث الإمامة إليه عليه السلام، فقد انتقل هذا الحقّ إليه وسوف يطلب بدمهم جميعاً، بل إنّ وارث جميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء الراشدين، فسوف يطلب بكلّ دماء الذين استشهدوا، كما هو مذكور صريحاً في دعاء الندبة.^(٢)

وبملاحظة أنّ جميعهم بمنزلة والده عليه السلام لأنّه يرثهم جميعاً، فهو موتور بجميع تلك السلسلة العليّة.

وقد روي في غيبة النعماني عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث أنّه قال لأبي بصير: «يا أبا محمّد، إنّ يخرج موتوراً، غضبان، أسفاً [لغضب الله على هذا الخلق]، يكون عليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان عليه يوم أحد» يعني ذلك القميص الملطّخ بالدم، كما سيأتي في (الوارث).^(٣)

١ بحار الأنوار: ٣٧/٥١.

(٢) «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدُحُولِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمُقْتُولِ بِكَرْبَلَاءِ...».

(٣) النجم الثاقب: ١/٢٤٦-٢٤٧.

الثامن عشر: المضطر

وروي في تفسير علي بن إبراهيم عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في الآية الشريفة: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل/ ٦٢] .

«نزلت في القائم عليه السلام، وهو والله المضطر إذا صلى في المقام (يعني مقام إبراهيم) ركعتين ودعا الله فأجابه ويكشف السوء ويجعله خليفة في الأرض». وفي تأويل الآيات للشيخ شرف الدين، مروى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في الآية المذكورة: «هذه نزلت في القائم عليه السلام إذا خرج تعمم وصلى عند المقام وتضرع إلى ربه فلا ترد له راية أبداً» يعني أين يوجهها تفتح.

وروى أيضاً عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ القائم إذا خرج دخل المسجد الحرام فيستقبل الكعبة، ويجعل ظهره إلى المقام، ثم يصلي ركعتين، ثم يقوم فيقول: [أيها الناس، أيها الناس، أنا أولى الناس بآدم، أنا أولى الناس بإبراهيم]. يا أيها الناس، أنا أولى الناس بإسماعيل، أيها الناس، أنا أولى الناس بمحمد عليه السلام، ثم يرفع يديه إلى السماء فيدعوه ويتضرع حتى يقع على وجهه، وهو قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ...﴾ إلى آخره»^(١).

التاسع عشر: الوارث

عدّه في المناقب القديمة والهداية من ألقابه، ويأتي في الخطبة الغديرية أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا إنه وارث كل علم والمحيط به». ومن الواضح أنه عليه السلام وارث العلوم والكمالات والمقامات والآيات والبيّنات

(١) النجم الثاقب: ١/ ٢٤٩-٢٥٠.

لجميع الأنبياء والأوصياء وآبائه الطاهرين عليهم السلام.

وفي حديث طويل ومفصل أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «حتى يرد الكوفة... ثم يقول الحسيني: خلّوا بيني وبين هذا، فيخرج إليه المهدي عليه السلام فيقفان بين العسكرين، فيقول له الحسيني: إن كنت مهدي آل محمد عليه السلام فأين هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمه وبرده، ودرعه الفاصل، وعمامة السحاب، وفرسه المربوع، وناقته العضباء، وبغلته الدلدل، وحماره اليعفور، ونجييه البراق، وتاجه والمصحف الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بغير تغيير وتبديل. (فيحضر- له السفط الذي فيه جميع ما طلبه)». قال المفضل: يا سيدي، فهذا كلّ كان في السفط؟ قال: «(نعم والله) وتركات جميع النبيين حتى عصى آدم، وآلة نجارة نوح، وتركه هود وصالح، ومجموع إبراهيم، وصاع يوسف، ومكيل شعيب وميزانه، وعصى- موسى وتابوته الذي فيه بقيّة ما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، ودرع داود وعصاته، وخاتم سليمان وتاجه، ورحل عيسى وميراث النبيين والمرسلين في ذلك السفط»^(١).

العشرون: نور آل محمد عليه السلام:

وعده في الذخيرة من أسمائه عليه السلام المذكورة في القرآن. وهو مذكور في عدة اخبار متقدمة. وفي الآية الشريفة: ﴿أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر/ ٦٩]. يعني أشرقت الأرض بنوره عليه السلام.

وجاء في إحدى الزيارات الجامعة في أوصافه عليه السلام: «نور الأنوار الذي تشرق

(١) النجم الثاقب: ١/ ٢٥٨ - ٢٥٩.

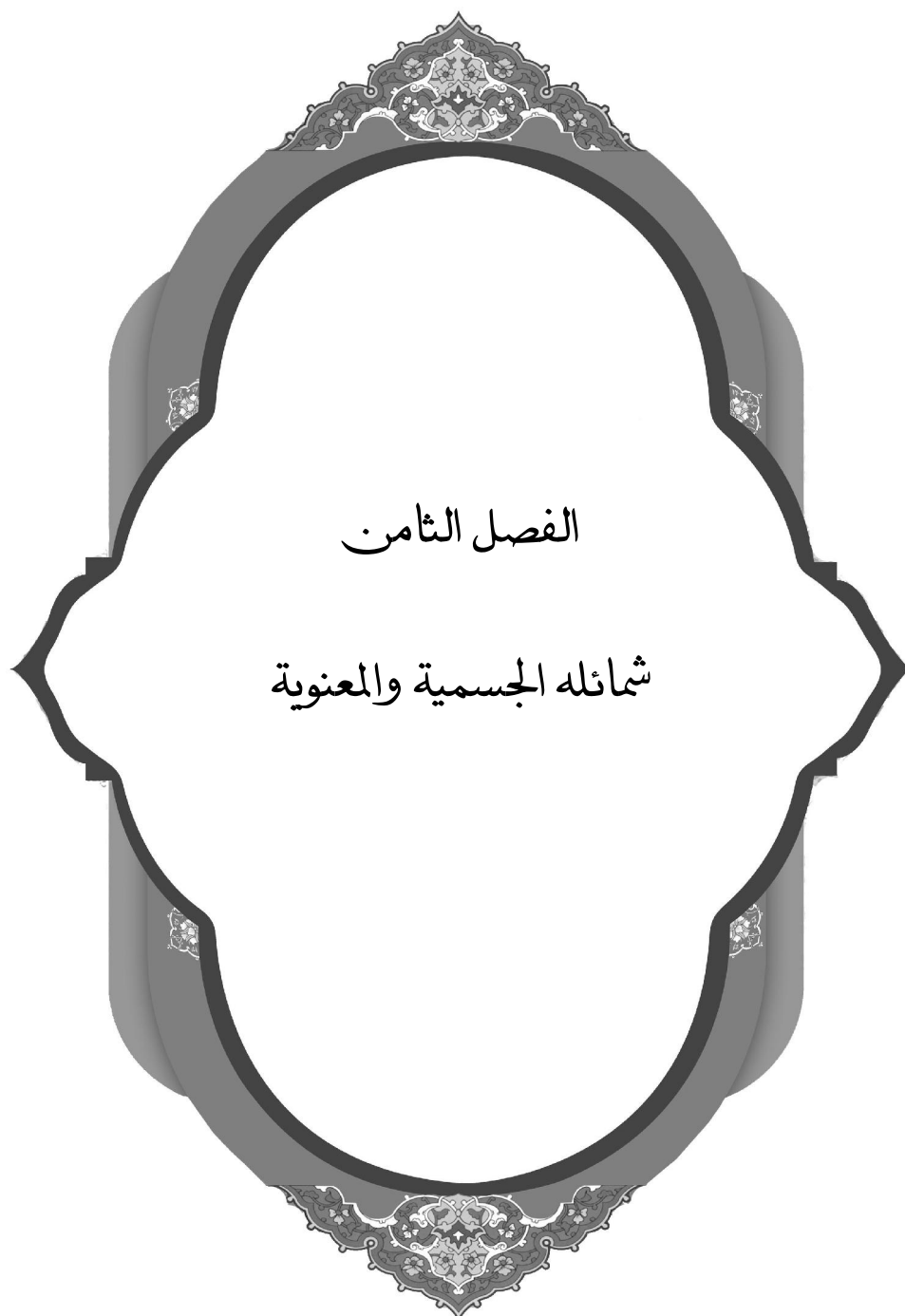
به الأرض عما قليل».

ومروي في غاية المرام وغيره عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت إلى مسجد الكوفة وأمير المؤمنين عليه السلام يكتب بإصبعه ويتبسم، فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما الذي يضحكك؟ فقال: «عجبت لمن يقرأ هذه الآية ولم يعرفها حق معرفتها»، فقلت له: وأي آية يا أمير المؤمنين؟ فقال: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور/٣٥] المشكاة محمد عليه السلام، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أنا المصباح ﴿فِي زُجَاجَةٍ﴾ الزجاجاة الحسن والحسين ﴿كَأَنَّمَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ وهو علي بن الحسين ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ محمد بن علي ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ جعفر بن محمد ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ﴾ موسى بن جعفر ﴿لَا غَرْبِيَّةٍ﴾ علي بن موسى [الرضا] ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ محمد بن علي ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ علي بن محمد ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ الحسن بن علي ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ القائم المهدي عليه السلام.

وقد ذكر في جملة من أخبار المعراج أن نوره عليه السلام في عالم الأظلة بين أنوار وأشباح الأئمة عليهم السلام مثل الكوكب الدرّي بين سائر الكواكب، وفي خبر كنجم الصبح لأهل الدنيا. (١)

وقد ذكر صاحب النجم الثاقب طاب ثراه مائة واثان وثمانون اسماً ولقباً من ألقابه عليه السلام اكتفينا بانتخاب صفوة منها.

(١) النجم الثاقب: ١/ ٢٥٥-٢٥٦.



الفصل الثامن

شماله الجسمية والمعنوية

صفات الإمام المهدي عليه السلام البدنية:

أجلى الجبهة - أقى الأنف - أفلج الشنايا

أبو داود (٤: ١٤٥) عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة، أقى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين».^(١)

أجلى الجبهة: الذي انحسر الشعر عن جبهته وخفّ على جانبيها.^(٢)
أقى الأنف: طويله مع دقة أرنبته واحدداب في وسطه.^(٣)

وفي أحمد (٣: ١٧) عن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتّى يملك رجل من أهل بيتي، أجلى أقى، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً، يكون سبع سنين».^(٤)

والفردوس (٤: ٢٢١) عن حذيفة، عن النبي ﷺ: «المهدي رجل من ولدي، وجهه كالقمر الدرّي، اللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير

(١) وابن حمّاد: ١ / ٣٦٩ و ٣٧٣، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ بعدة أحاديث، وفيها: عن النبي ﷺ قال: «هو رجل مني». وعبدالرزاق: ١١ / ٣٧٢ عن أبي سعيد الخدري، ولم يرفعه.

(٢) لسان العرب: ١٤ / ١٥١.

(٣) لسان العرب: ١٥ / ٢٠٣.

(٤) وفي أبي يعلى: ٢ / ٣٦٧، عن أبي سعيد: «ليقومنّ على أمتي من أهل بيتي أقى أجلى، يوسع الأرض عدلاً كما وسعت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين».

٤٦٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

في الهواء، يملك عشرين سنة»^(١).

لون عربي: حنطيّ أو أبيض، وقد ورد في صفة المهدي عليه السلام أنّ لونه لون النبي صلى الله عليه وآله أبيض مشرب بحمرة.

وجسم إسرائيلي: أي طويل مملوء كأجسام أبناء يعقوب عليه السلام وقد كان بنو إبراهيم معروفين بكمال أجسامهم وجمالهم، ومعناه أنّ صفات إبراهيم عليه السلام ظاهرة في المهدي عليه السلام. الطير في الهواء: تعبير عن عموم الرضا بالمهدي عليه السلام، وقد يكون حقيقياً بمعنى أنّ الازدهار يشمل المجتمع والطبيعة.

شيخ السن - شاب المنظر - لا يهرم بمرور الأيام:

في (كمال الدين: ٦٥٢) عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: «علامته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتّى أنّ الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإنّ من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي، حتّى يأتيه أجله»^(٢).

وفي النعماني (ص ١٩٤ و ١٩٥) عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «لو قد قام القائم لأنكره الناس، لأنّه يرجع إليهم شاباً موقفاً، لا يثبت عليه

(١) ومثله العلل المتناهية: ٨٥٨/٢، عن حذيفة.. إلى آخر المصادر. ومثله دلائل الإمامة:

١٩٦-١٩٧، وعنه العمدة لابن البطريق: ٤٣٩، والطرائف في معرفة

الطوائف: ١/١٧٨، بتفاوت يسير وفيه: «واللون منه لون العربي. يملأ الأرض قسطاً

وعداً كما ملئت ظلماً».

(٢) وينظر: إعلام الوری: ٢/٢٩٥، الخرائج والجرائح: ٣/١١٧، منتخب الأنوار: ٣٨،

إثبات الهداة: ٣/٧٢٢، بحار الأنوار: ٥٢/٢٨٥.

إِلَّا مَنْ قَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ فِي الذَّرِّ الْأَوَّلِ».

وفي غير هذه الرواية أنّه قال ﷺ: «وإنَّ أعظم البليّة أن يخرج إليهم صاحبهم شابّاً وهم يحسبونّه شيخاً كبيراً». (١)

أبيض اللون - مشرب بحمرة - مبدّح البطن:

وفي (كمال الدّين: ٦٥٣) عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عن أبيه عن جدّه ﷺ قال: «قال أمير المؤمنين ﷺ وهو على المنبر: يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض اللون، مشرب بالحمرة، مبدّح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده وشامة على شبه شامة النبي ﷺ، له اسمان: اسمٌ يخفى واسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد، وأما الذي يعلن فمحمّد، إذا هزّ رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلّا صار قلبه أشدّ من زبر الحديد، وأعطاه الله تعالى قوّة أربعين رجلاً، ولا يبقى ميّت إلّا دخلت عليه تلك الفرحة في قلبه وهو في قبره، وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم صلوات الله عليه». (٢)

غائر العينين - مشرف الحاجبين - عريض ما بين المنكين:

في النعماني (ص ٢٢٣ - ٢٢٤) عن حمّان بن أعين قال: قلت لأبي جعفر

(١) وانظر أيضاً: منتخب الأنوار: ٢٢٩، ونحوه الغيبة للطوسي: ٢٥٩، وعنه إثبات الهداة:

٣/ ٥١٢ و ٥٨٣، وبحار الأنوار: ٥٢/ ٢٨٧ و ٣٨٥.

(٢) ومثله إعلام الوري: ٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥، والخرائج: ٣/ ١١٤٩، وإثبات الهداة:

٣/ ٤٩٠، وبحار الأنوار: ٥١/ ٣٥.

٤٦٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الباقري عليه السلام: جعلت فداك، إنّي قد دخلت المدينة وفي حقّويّ هميان فيه ألف دينار، وقد أعطيت الله عهداً أنّي أنفقها ببابك ديناراً ديناراً، أو تحبيني فيما أسألك عنه! فقال: «يا حمران، سل تحب ولا تنفقنّ دنائرك». فقلت: سألتك بقرابتك من رسول الله ﷺ أنت صاحب هذا الأمر والقائم به؟ قال: «لا». قلت: فمن هو بأبي أنت وأمي؟ فقال: «ذاك المشرب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، العريض ما بين المنكبين، برأسه حزاز وبوجهه أثر، رحم الله موسى».

وفيها عن حمران بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت له: أنت القائم؟ فقال: «قد ولدني رسول الله ﷺ وإنّي المطالب بالدم ويفعل الله ما يشاء».

ثمّ أعدت عليه فقال: «قد عرفت حيث تذهب، صاحبك المبدح البطن، ثمّ الحزاز برأسه، ابن الأرواع، رحم الله فلاناً».^(١)

وفي النعماني (ص ٢٢٤) عن أبي بصير، قال أبو جعفر عليه السلام أو أبو عبد الله عليه السلام - الشك من أبي عصام - يا أبا محمد...: «يا أبا محمد، بالقائم علامتان: شامة في رأسه وداء الحزاز برأسه، وشامة بين كتفيه من جانبه الأيسر، تحت كتفه الأيسر ورقة مثل ورقة الآس».^(٢)

(١) وعنه إثبات الهداة: ٣ / ٥٣٨. وقال: المراد أنّه من أولاد موسى بن جعفر عليه السلام أو أنّه شبيه موسى بن عمران عليه السلام كما صرح به في الأحاديث المتواترة، وليس المراد به أنّ اسمه موسى لمنافاته للأحاديث المتواترة.

وبحار الأنوار: ٥١ / ٤٠، وقال: المشرف الحاجبين أي في وسطها ارتفاع من الشرفة. والحزاز: ما يكون في الشعر مثل النخالة.

(٢) عنه بحار الأنوار: ٥١ / ٤١.

اسمه اسمي .. وشِئَالُهُ شِئَالِي:

في (كمال الدين) (ص ٤١١) عن الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ:
«القائم من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشِئَالُهُ شِئَالِي، وستته ستتي،
يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربّي عزّ وجلّ، من أطاعه
فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن
كذّبه فقد كذّبني، ومن صدّقه فقد صدّقني، إلى الله أشكو المكذّبين لي في أمره
والجاحدين لقولي في شأنه، والمضللين لأُمّتي عن طريقته، وسيعلم الذين ظلموا
أيّ منقلب ينقلبون».

والشِئَالُ: الطباع، وتطلق على ملامح البدن.

وقد دلّت هذه الأحاديث وغيرها على شبه المهدي عليه السلام بجده
رسول الله ﷺ في خلقه وخلقه، واتّباعه لستته وتجديده الإسلام والقرآن، وبسط
نوره على العالم، وكفى به مقاماً عظيماً.

سيرة المهدي عليه السلام في ملبسه:

عن حمّاد بن عثمان قال: حضرت أبا عبد الله عليه السلام وقال له رجل: أصلحك الله،
ذكرت أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن، يلبس تفسير القميص
بأربعة دراهم وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجديد؟ فقال له: «إنّ عليّ بن
أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر عليه ولو لبس مثل ذلك اليوم
شهر به، فخير لباس كلّ زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا أهل البيت إذا قام لبس
ثياب عليّ وسار بسيرة عليّ عليه السلام.^(١)

(١) الكافي: ١ / ٤١١، وعنه وسائل الشيعة: ٣ / ٣٤٨، بحار الأنوار: ٤٠ / ٣٣٦.

٤٦٨ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وفي تحف العقول (ص ٤٤٦) عن معمر بن خلاد أنه قال للرضا عليه السلام: عجل الله فرجك، فقال عليه السلام: «يا معمر، ذاك فرجكم أنتم، فأما أنا فوالله ما هو إلا مزود فيه كف سوق مختوم بخاتم»^(١).
ردّ صفة أزيل الفخذين:

في شرح النهج (١: ٢٨١): إسماعيل بن عباد، عن علي عليه السلام أنه ذكر المهدي وقال إنه من ولد الحسين عليه السلام وذكر حليته فقال: «رجل أجلى الجبين، أقنى الأنف، ضخم البطن، أزيل الفخذين، أبلغ الشنأيا، بفخذه اليمنى شامة». وذكر هذا الحديث بعينه عبدالله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث (١: ٣٥٩)، انتهى^(٢).

وفي النعماني (ص ٢٢٢-٢٢٣) عن أبي وائل قال: نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسين عليه السلام فقال: «إنّ ابني هذا سيّد، كما سمّاه رسول الله ﷺ سيّداً، وسيخرج الله من صلبه رجلاً باسم نبيكم، يشبهه في الخلق والخلق، يخرج على حين غفلة من الناس، وإماتة للحق وإظهار للجور، والله لو لم يخرج لضربت عنقه، يفرح بخروجه أهل السماوات وسكّانها، وهو رجل أجلى الجبين، أقنى الأنف، ضخم البطن، أزيل الفخذين، بفخذه اليمنى شامة، أبلغ الشنأيا، ويملاً الأرض عدلاً

(١) وعنه بحار الأنوار: ٣٣٩/٧٨.

(٢) وذكره في شرحه: ١٣٠/١٩، وفي غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٥٩/١، وقال: أزيل الفخذين، والمراد انفراج فخذه وتباعد ما بينهما وهو الزَّيْل. والنهاية: ٣٢٥/٢ عن الغريبين للهروي. والحاوي: ٨٥/٢.

كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

قال العلامة الكوراني: أقول: لم ترد صفة (أزِيل الفخذين) من طريق أهل البيت عليه السلام، وهذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ينتهي إلى رواية غير شيعية، والقاعدة التحفظ في صفاته التي لم ترد عنهم عليه السلام لا احتمال أن تكون موضوعاً لتتطبق على شخص أفحج ادّعى المهديّة. نعم ورد في (كمال الدّين: ص ٦٥٣) عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر: «يخرج رجل من ولدي آخر الزمان أبيض اللون مشرب الحمرة، مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين». وعريض الفخذين بمعنى ضخامتهما، وهو غير الأزيل أي الأفحج الذي في فخذه خلل يؤثّر على مشيه وركوعه وسجوده.

وفي لسان العرب: ٣١٧ / ١١: والزَّيْل - بالتحريك - تباعد ما بين الفخذين كالفحج، ورجل أزيل الفخذين: منفرجهما متباعدهما، وهو ذلك لأنّ المتباعد مفارق.

(١) ونحوه الغيبة للطوسي: ١١٥، والعمدة: ٤٣٤، عن الجمع بين الصحاح، وفيه: ونظر إلى ابنه الحسين وقال: «.. كما سمّاه رسول الله ﷺ، وسيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيكم.. يملأ الأرض عدلاً». والطرائف: ١ / ١٧٧، عن الجمع بين الصحاح، وملاحم ابن طاووس: ٢٨٦، عن فتن السليبي، وفيه: دخل الحسين بن عليّ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعنده جلساؤه فقال... قيل له: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: «هيئات، إذا خرجتم عن دينكم كما تخرج المرأة عن وركيها لبعليها!» وإثبات الهداة: ٣ / ٥٠٥، عن الغيبة للطوسي، وبحار الأنوار: ١٢٠ / ٥١.

٤٧٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

والنتيجة: أنّ الزيل كالفتح أو هو نفسه وهو عيب في المعصوم، وهذا يخالف كمال المعصوم معنوياً وجسمياً.

صفات الإمام المهدي عليه السلام المعنوية

يعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي

في نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده (٢: ٢١): «يعطف الهوى على الهدى، إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي، حتّى تقوم الحرب بكم على ساق، بادياً نواجذها، مملوءة أخلافها، حلواً رضاعها، علقماً عاقبتها، ألا وفي غد - وسيأتي غد بما لا تعرفون - يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوئ أعمالها، وتخرج له الأرض أفاليد كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها، فيريكم كيف عدل السيرة، ويحيي ميت الكتاب والسنة»^(١).

نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح (ص ٢٠٨): «وأخذوا يميناً وشمالاً ضعناً في مسالك الغي، وتركاً لمذاهب الرشد، فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصداً، وتستبطئوا ما يجيء به الغد، فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنّه لم يدركه، وما أقرب اليوم من تباشير غد.

يا قوم، هذا أبان ورود كلّ موعود، ودنو من طلعة ما لا تعرفون، ألا ومن أدركها منّا يسري فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين، ليحلّ فيها ربّقاً ويعتق رقاً ويصدع شعباً، ويشعب صدعاً في ستره عن الناس، لا يبصر.

(١) وانظر: ينابيع المودة: ٤٣٧، وشرح ابن ميثم البحراني: ٣ / ١٦٨، وغرر الحكم: ٣٦٣ أوله.

القائف أثره ولو تابع نظره، ثمّ ليشحدنّ فيها قوم شحد القين النصل، تجلى بالتنزيل أبصارهم، ويرمى بالتفسير في مسامعهم، ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبح»^(١).

قد لبس للحكمة جُتَّتْها وأخذها بجميع أدبها
نهج البلاغة شرح الصالح (ص ٢٦٣ الخطبة ١٨٢): «قد لبس للحكمة
جُتَّتْها، وأخذها بجميع أدبها، من الإقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها، فهي
عند نفسه ضالّته التي يطلبها، وحاجته التي يسأل عنها، فهو مغترّب إذا اغترّب
الإسلام، وضرب بعسيب ذنبه، وألصق الأرض بجرائه، بقيّة من بقايا حجّته،
خليفة من خلائف أنبيائه»^(٢).

وقال في شرح النهج (١٠: ٩٥): هذا الكلام فسّره كلّ طائفة على حسب
اعتقادها، فالشيعة الإمامية تزعم أنّ المراد به المهدي المنتظر عندهم.
والصوفيّة يزعمون أنّه يعني به وليّ الله في الأرض، وعندهم أنّ الدنيا لا تخلو
عن الأبدال وهم أربعون، وعن الأوتاد وهم سبعة، وعن القطب وهو واحد،
فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطباً عوضه، وصار أحد الأربعين وتداً
عوض الوند، وصار بعض الأولياء الذين يصطفاهم الله تعالى أبدالاً عوض
ذلك البذل.

وأصحابنا يزعمون أنّ الله تعالى لا يخلي الأمّة من جماعة من المؤمنين العلماء

(١) انظر: بحار الأنوار: ٢٩/ ٦١٥-٦١٦.

(٢) انظر: ينابيع المودة: ٤٣٧، و بحار الأنوار: ٥١/ ١١٣.

٤٧٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بالعدل والتوحيد، وأنّ الإجماع إنّما يكون حجة باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنّه لما تعدّرت معرفتهم بأعيانهم، اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنّما الأصل قول أولئك، قالوا: وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة، ولكنّه يصف حال كلّ واحد منهم، فيقول: من صفته كذا، ومن صفته كذا.

والفلاسفة يزعمون أنّ مراده عليه السلام بهذا الكلام العارف ولهم في العرفان وصفات أربابه كلام يعرفه مَنْ له أنس بأقوالهم.

وليس يبعد عندي أن يريد به القائم من آل محمد عليه السلام في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى وإن لم يكن الآن موجوداً، فليس في الكلام ما يدلّ على وجوده الآن، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أنّ الدنيا والتكليف لا ينقضي إلّا عليه.

قوله عليه السلام: «قد لبس للحكمة جُنَّتْها»، الجُنَّة: ما يُستتر به من السلاح كالدرع ونحوها، ولبس جُنَّة الحكمة قمع النفس عن المشتبهات، وقطع علائق النفس عن المحسوسات، فإنّ ذلك مانع للنفس عن أن يصيبها سهام الهوى، كما تمنع الدرع الدارع عن أن يصيبه سهام الرماية.. الخ، انتهى.

يطبّق القرآن ويعلمه للناس كما أنزل

في الكافي (٨: ٣٩٦) عن أحمد بن عمر قال: قال أبو جعفر عليه السلام وأتاه رجل فقال له: إنكم أهل بيت رحمة اختصّكم الله تبارك وتعالى بها، فقال له: «كذلك نحن والحمد لله لا ندخل أحداً في ضلالة ولا نخرجه من هدى، إنّ الدنيا لاتذهب حتّى يبعث الله عزّ وجلّ رجلاً منّا أهل البيت يعمل بكتاب الله، لا يرى

فيكم منكراً إلا أنكره»^(١).

وفي الإرشاد (٣٨٦: ٢) عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إذا قام قائم آل محمد عليه السلام ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن على ما أنزل الله عز وجل، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنه يخالف فيه التأليف»^(٢).

وفي البصائر (ص ٢١٣) عن سالم بن أبي سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «مه مه كفّ عن هذه القراءة، إقرأ كما يقرأ الناس حتّى يقوم القائم، فإذا قام قرأ كتاب الله على حدّه، وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ عليه السلام». وقال: «أخرجه عليّ عليه السلام إلى الناس حيث فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزل على محمد عليه السلام وقد جمعته بين اللوحين، قالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا به! قال: أما والله لا ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنّما كان عليّ أن أخبركم به حين جمعته لتقرؤوه»^(٣).

وفي النعماني (ص ٣٣٣) عن حبة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط يعلمون الناس القرآن كما أنزل، أما إنّ قائمنا إذا قام كسره وسوّى قبلته»^(٤).

(١) وعنه بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) ومثله روضة الواعظين: ٢ / ٢٦٥، وعنه كشف الغمّة: ٣ / ٢٥٦، وإثبات الهداة: ٣ / ٥٥٦.

(٣) ومثله الكافي: ٢ / ٦٣٣، وعنه إثبات الهداة: ٣ / ٤٤٩، بحار الأنوار: ٩٢ / ٨٨.

(٤) وعنه بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٦٤.

وفي الاحتجاج (١: ١٥٥): وفي رواية أبي ذر الغفاري أنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ جمع عليّ ﷺ القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم، لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ... فلما استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن، فقال: يا أبا الحسن، إن جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال ﷺ: «هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئنا به، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي». قال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم؟ فقال: «نعم، إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السنة به»^(١).

الشريد الطريد الفريد الوحيد - المفرد من أهله!

في (كمال الدين: ٣٠٣) عن الأصمغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين ﷺ يقول: «صاحب هذا الأمر الشريد الطريد الفريد الوحيد».

وفي النعماني (ص ١٨٣ - ١٨٤) عن عبد الأعلى بن حصين الثعلبي، عن أبيه قال: لقيت أبا جعفر محمد بن عليّ ﷺ في حجّ أو عمرة فقلت له: كبرت سنّي ودقّ عظمي فلست أدري يقضى لي لقاءك أم لا، فاعهد إليّ عهداً وأخبرني متى الفرج؟ فقال: «إنّ الشريد الطريد الفريد الوحيد، المفرد من أهله، الموتور بوالده، المكنى بعمّه، هو صاحب الرايات، واسمه اسم نبي». فقلت: أعد عليّ، فدعا بكتاب أديم أو صحيفة فكتب لي فيها.

وفي رواية: فقال: «أحفظت أم أكتبها لك؟» فقلت: إن شئت، فدعا بكراع

(١) وعنه بحار الأنوار: ٨٩ / ٤٢ - ٤٣.

من أديم أو صحيفة فكتبها لي ثمّ دفعها إليّ، وأخرجها حصين إلينا فقرأها علينا ثمّ قال: هذا كتاب أبي جعفر عليه السلام.

وفي (ص ١٨٤) عن أبي الجارود، عن الإمام الباقر عليه السلام: «صاحب هذا الأمر هو الطريد الشريد، الموتور بأبيه، المكنى بعمّه، المفرد من أهله، اسمه اسم نبي». ^(١)

معه راية النبي صلى الله عليه وآله وموارثه، وموارث الأنبياء عليهم السلام:

في النعماني (ص ٣٢٩) عن أبي بصير، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ القائم يهبط من ثنية ذي طوى، في عدّة أهل بدر ثلاثائة وثلاثة عشر رجلاً حتّى يسند ظهره إلى الحجر الأسود، ويهزّ الراية الغالبة». قال عليّ بن أبي حمزة: فذكرت ذلك لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال: «كتاب منشور». ^(٢)

وأيضاً في النعماني (ص ٣١٩) عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما التقى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البصرة، نشر الراية راية رسول الله صلى الله عليه وآله، فزلزلت أقدامهم، فما اصفرّت الشمس حتّى قالوا: آمناً يابن أبي طالب، فعند ذلك قال: لا تقتلوا الأسرى ولا تجهزوا على الجرحى، ولا تتبعوا مولياً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ولما كان يوم صفّين سأله نشر الراية فأبى

(١) وفي دلائل الإمامة: ٤٨٦ ، وعنه بحار الأنوار: ٥١ / ٣٧ ، وإثبات الهداة: ٥٣٥ / ٣ ، وقال: ورواه أيضاً بعدّة طرق.

(٢) وعنه إثبات الهداة: ٥٤٧ / ٣ ، وبحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٠ ، وقال: أي هذا مثبت في الكتاب المنشور، أو معه الكتاب، أو الراية كتاب منشور.

٤٧٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

عليهم فتحملوا عليه بالحسن والحسين عليهما السلام وعمّار ابن ياسر رضي الله عنه، فقال للحسن: «يا بني، إنّ للقوم مدّة يبلغونها وإنّ هذه راية لا ينشرها بعدي إلاّ القائم صلوات الله عليه». (١)

وفي البحار (٥٢: ٣٠٥) عن الفضل بن شاذان قال: وروي أنّه يكون في راية المهدي عليه السلام: إسمعوا وأطيعوا. (٢)

وفي الإرشاد (١٨٦/٢) عن الصادق عليه السلام: «علمنا غابراً ومزبوراً، ونكّت في القلوب، ونقرّ في الأسماع؛ وإنّ عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام؛ وإنّ عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه». فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال: «أمّا الغابر فالعلم بما يكون، وأمّا المزبور: فالعلم بما كان، وأمّا النكت في القلوب فهو الإلهام، والنقر في الأسماع: حديث الملائكة؛ نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم، وأمّا الجفر الأحمر: فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، ولن يظهر حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، وأمّا الجفر الأبيض: فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الأولى، وأمّا مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث، وأسماء كلّ من يملك إلى أن تقوم الساعة، وأمّا الجامعة: فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله من فلق فيه وخطّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه والله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة، حتّى أن فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة». وكان عليه السلام يقول: «إنّ حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي،

(١) وانظر: الغيبة للنعماني: ٣١٩، بحار الانوار: ٣٢/ ٢١١.

(٢) وعنه إثبات الهداة: ٣/ ٥٨٢.

وحديث جديّ حديث عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث عليّ أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله ﷺ عز وجل^(١).
وفي البصائر (ص ٢٠٩) عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، إنّي أريد أن ألمس صدرك، فقال: «افعل»، فمست صدره ومناكبه، فقال: «ولم يا أبا محمد؟» فقلت: جعلت فداك، إنّي سمعت أباك وهو يقول: «إنّ القائم واسع الصدر، مسترسل المنكين، عريض ما بينهما». فقال: «يا أبا محمد، إنّ أبي لبس درع رسول الله ﷺ وكانت تستخب على الأرض، وأنا لبستها فكانت وكانت، وإنّها تكون من القائم كما كانت من رسول الله ﷺ مشمرة كانت ترفع نطاقها بحلقتين وليس صاحب هذا الأمر من جاز أربعين»^(٢).

وفي إثبات الوصية (ص ٢٢٣): قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنت صاحبنا أعني صاحب الأمر؟ فقال: «ألبيت درع رسول الله ﷺ فانجرت عليّ وإنّه ليأخذني بالركاب، وإنّ صاحبكم يلبس الدرع فتستوي عليه ولا يؤخذ له بالركاب». ثمّ قال لي: «أتى يكون ذلك ولم يولد الغلام الذي تريه جدّته».

وفي البصائر (ص ٢٠٤) عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عندي سلاح رسول الله ﷺ لا أنزع فيه»؛ ثمّ قال: «إنّ السلاح مدفوع عنه، لو وضع عند شرّ خلق الله كان أخيرهم»، ثمّ قال: «إنّ هذا الأمر يصير إلى

(١) ومثله الإحتجاج: ١٣٤/٢، وعنه كشف الغمّة: ٣٨١/٢، ومثله إعلام الوری:

١/٥٣٥-٥٣٦، وعنه إثبات الهداية: ٣/٥٢٥، وعنهما بحار الأنوار: ٢٦/١٨.

(٢) ومثله الخرائج: ٦٩١/٢، وعنه إثبات الهداة: ٣/٥٢٠.

٤٧٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

مَنْ يُلَوِي لَهُ الْحَنَكُ، فَإِذَا كَانَتْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ الْمَشْيَةُ خَرَجَ فَيَقُولُ النَّاسُ: مَا هَذَا الَّذِي كَانَ، وَيَضَعُ اللَّهُ لَهُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ رَعِيَّتِهِ»^(١).

وفي الكافي (١: ٢٨٤) عن عبد الأعلى، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المتوثب على هذا الأمر المدّعي له، ما الحجّة عليه؟ قال: «يُسْتَلُّ عَنْ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ». قال: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْحِجَّةِ لَمْ تَجْتَمِعْ فِي أَحَدٍ إِلَّا كَانَ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ: أَنْ يَكُونَ أَوْلَى النَّاسِ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَيَكُونَ عِنْدَهُ السَّلَاحُ، وَيَكُونَ صَاحِبَ الْوَصِيَّةِ الظَّاهِرَةِ، الَّتِي إِذَا قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ سَأَلَتْ عَنْهَا الْعَامَّةَ وَالصَّبِيَّانَ: إِلَى مَنْ أَوْصَى فَلَان؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ»^(٢).

وفي النعماني (ص ٢٥٠) عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أُرِيكَ قَمِيصَ الْقَائِمِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَدَعَا بِقَمْطَرٍ (مَحْفَظَةُ الْكُتُبِ) فَفَتَحَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ قَمِيصَ كِرَابِيسٍ فَنَشَرَهُ فَإِذَا فِي كَمِّهِ الْأَيْسَرُ دَمٌ، فَقَالَ: «هَذَا قَمِيصُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي عَلَيْهِ يَوْمَ ضَرَبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَفِيهِ يَقُومُ الْقَائِمُ». فَقَبَّلْتُ الدَّمَ وَوَضَعْتُهُ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ طَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَرَفَعَهُ»^(٣).

وفي البصائر (ص ١٨٢) عن عبد الملك بن أعين قال: أراني أبو جعفر عليه السلام بعض كتب علي عليه السلام ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأَيِّ شَيْءٍ كَتَبْتَ هَذِهِ الْكُتُبَ؟» قُلْتُ: مَا أَبِينِ الرَّأْيَ فِيهَا، قَالَ: «هَاتِ»، قُلْتُ: عَلِمْتُ أَنَّ قَائِمَكُمْ يَقُومُ يَوْمًا فَأَحَبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا

(١) ومثله الإرشاد: ١٩٨/٢، وعنه بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٠٩.

(٢) ومثله الخصال: ١١٧/١، بحار الأنوار: ٢٥/ ١٣٨.

(٣) وعنه إثبات الهداة ٣: ٥٤٢، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٥٥.

فيها، قال: «صدقت». ^(١)

النعمانى (ص ٢٤٣) عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «عصا موسى قضيب آس من غرس الجنة، أتاه بها جبرئيل عليه السلام لما توجه تلقاء مدين، وهي وتابوت آدم في بحيرة طبرية، ولن يبليا ولن يتغيرا حتى يخرجهما القائم عليه السلام إذا قام». ^(٢)

وفي البصائر (ص ٢٠٣-٢٠٤) عن محمد بن الفيض، عن محمد بن علي عليه السلام قال: «كانت عصا موسى لآدم فصارت إلى شعيب ثم صارت إلى موسى بن عمران وإثمها لعندنا، وإن عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين أُنزعت من شجرها، وإثمها لتنطق إذا استنطقت، أعدت لقائنا ليصنع كما كان موسى يصنع بها، وإثمها لتروع وتلقف».

قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد الله أن يقبضه أورث علياً عليه السلام علمه وسلاحه وما هناك ثم صار إلى الحسن والحسين، ثم حين قتل الحسين استودعه أم سلمة، ثم قبض بعد ذلك منها».

قال: فقلت: ثم صار إلى علي بن الحسين ثم صار إلى أبيك ثم انتهى إليك؟ قال: «نعم» ^(٣).

(١) وعنه إثبات الهداة ٣: ٥٢٠، بحار الأنوار: ٢٦ / ٥١.

(٢) وعنه إثبات الهداة ٣: ٥٤٠، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٥١.

(٣) ونحوه في الكافي: ١ / ٢٣١، وفيه: «إثمها حيث أقبلت تلقف ما يافكون، يفتح لها شعبتان: إحداها في الأرض والأخرى في السقف، وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما

٤٨٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

يُظهر القرآن بخطّ عليّ عليه السلام:

في الكافي (٨: ٢٨٧) عن عاصم بن حميد، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [هود/١١٠]؟ قال: «اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة في الكتاب، وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم الذي يأتيهم به حتّى ينكره ناس كثير فيقدّمهم فيضرب أعناقهم».

معه عهدٌ معهود من النبي ﷺ.

في البحار (٥٢: ٣٠٥) عن ابن محبوب رفعه الى أبي جعفر عليه السلام قال: إذا خسف بجيش السفىاني.. والقائم يومئذ بمكة عند الكعبة مستجيراً بها يقول: «أنا وليّ الله»، فيبايعونه بين الركن والمقام.. ومعه عهد من رسول الله ﷺ قد تواترت عليه الآباء، فإن أشكل عليهم من ذلك الشيء فإنّ الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه. (١)

الإمام المهدي عليه السلام ساقى الأمة في المحشر:

في (مائة منقبة ص ٥٠) عن عبدالله بن عمر: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي، أنا نذير أمتي وأنت هاديها، والحسن قائدها، والحسين سائقها، وعليّ بن الحسين جامعها، ومحمد بن عليّ عارفها، وجعفر بن محمد كاتبها، وموسى بن جعفر محصيها، وعليّ بن موسى معبرها ومنجيها وطاردها».

→

يأفكون بلسانها». ومثله كمال الدين ٢: ٦٧٣، والاختصاص: ٢٦٩، وإثبات الهداة:

٣/ ٤٣٩ و ٥٥٨، وبحار الأنوار: ٢٤ / ٣٣١ و ٥٢: ٣١٨.

(١) وعنه إثبات الهداة: ٥ / ٢١١.

مبغضيتها ومُدني مؤمنيتها، ومحمد بن عليّ قائمها وسائقها، وعليّ بن محمد ساتها وعالمها، والحسن بن عليّ مناديا ومعطيها، والقائم الخلف ساقيا ومناشدها: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر/٧٥].^(١)

أقول: لعل اسم عبدالله بن عمر في سند الحديث تصحيف لعبدالله آخر، فلم يعهد عنه رواية مثل هذه الأحاديث.

وهو الصراط السوي:

في تأويل الآيات (١: ٣٢٣) عن عيسى بن داود النجّار، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «سألت أبي عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه/٣٥]؟ قال: الصراط السوي هو القائم عليه السلام، والهدى من اهتدى إلى طاعته. ومثلها في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه/٨٢] قال: إلى ولايتنا». ^(٢)

وهو صاحب ليلة القدر:

في تفسير القمّي (٢: ٢٩٠) عن عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ قال: فهو القرآن أنزل إلى البيت المعمور في ليلة القدر جملة واحدة، وعلى رسول الله ﷺ في طول ثلاث وعشرين سنة. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾

(١) وانظر: مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ٢٥١، وإثبات الهداة: ١/ ٧٢١، و بحار الأنوار:

(٢) وعنه البرهان: ٣/ ٥٠، بحار الأنوار: ٤٩ / ١٤٨.

٤٨٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ومعنى ليلة القدر أن الله يقدر فيها الآجال والأرزاق وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جذب أو خير أو شر، كما قال الله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان/٤] إلى سنة.

قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر/٤] قال: تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان، ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأمور. (١).

وفي تفسير القمّي (٢: ٢٩٠) عن عبد الله بن مسكان، عن أبي جعفر، وأبي عبد الله، وأبي الحسن (عليه السلام): ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ وهي ليلة القدر، أنزل الله القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة. ثم نزل من البيت المعمور على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في طوال ثلاث وعشرين سنة. ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ في ليلة القدر ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل وما يكون في تلك السنة، وله فيه البداء والمشية، يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء، ويلقيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويلقيه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الأئمة (عليهم السلام) حتى ينتهي إلى صاحب الزمان (عليه السلام)، ويشترط له ما فيه البداء والمشية والتقديم والتأخير. (٢).

وهو الكوكب الدرّي والنور الإلهي في الآية:

وفي رسالة في المحكم والمتشابه (ص ٢١) المعروف بتفسير النعماني عن

(١) وعنه بحار الأنوار: ١٤ / ٩٤.

(٢) وعنه المحجة: ٢٠٢، بحار الأنوار: ١٠١ / ٤، ومجمع البيان: ٦١ / ٥ مختصراً، وقال: عن

ابن عباس وقتادة وابن زيد، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليه السلام).

إسماعيل بن جابر قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول في حديث طويل عن أنواع آيات القرآن، فيه مجموعة أسئلة لأمير المؤمنين عليه السلام عن آيات القرآن وأحكامه، قال فيه: «وسأله عليه السلام عن أقسام النور في القرآن، فقال: النور: القرآن، والنور: اسم من أسماء الله تعالى، والنور: النورية، والنور: ضوء القمر، والنور: ضوء المؤمن وهو الموالاة التي يلبس لها نوراً يوم القيامة، والنور في مواضع من التوراة والإنجيل والقرآن حجة الله على عباده، وهو المعصوم... فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الاعراف/١٥٧] فالنور في هذا الموضع هو القرآن، ومثله في سورة التغابن قوله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن/٨] يعني سبحانه القرآن وجميع الأوصياء المعصومين، من حملة كتاب الله تعالى وخزّانه وتراجمته، الذين نعتهم الله في كتابه فقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [ال عمران/٧] فهم المنعوتون الذين أنار الله بهم البلاد وهدى بهم العباد، قال الله تعالى في سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور/٣٥] فالمشكاة رسول الله ﷺ، والمصباح الوصي والأوصياء عليهم السلام، والزجاجة فاطمة، والشجرة المباركة رسول الله ﷺ، والكوكب الدرّي القائم المنتظر عليه السلام الذي يملأ الأرض عدلاً. (١)

(١) عنه بحار الانوار: ٢١ / ٩٠.

وفي التوحيد للصدوق (ص ١٥٨) عن عيسى بن راشد، عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿كَمْشَكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: «المشكاة نور العلم في صدر النبي ﷺ». ﴿المِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ﴾ «الزجاجة صدر علي عليه السلام، صار علم النبي ﷺ إلى صدر علي عليه السلام». ﴿الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ قال: «نور». ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ قال: «لا يهودية ولا نصرانية». ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ «يكاد العالم من آل محمد عليه السلام يتكلم بالعلم قبل أن يسئل». ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ «يعني إماماً مؤيداً بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد عليه السلام وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة، فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله عز وجل خلفاءه في أرضه وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم»^(١).

المهدي والأئمة عليهم السلام هم السبع المثاني:

في تفسير العياشي (٢: ٢٥٠) عن القاسم بن عروة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر/٨٧] قال: «سبعة أئمة والقائم عليه السلام».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إِنَّ ظَاهِرَهَا الْحَمْدُ، وَبَاطِنُهَا وَلَدُ الْوَلَدِ. وَالسَّابِعُ مِنْهَا الْقَائِمُ عليه السلام»^(٢).

(١) وعنه مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ٢٤٠، ومجمع البيان ٧: ٢٥٢، وتأويل الآيات:

١/ ٣٥٨، والبرهان: ٣/ ١٣٤.

(٢) وعنه إثبات الهداة: ١/ ٦٢٩ و ٣: ٥٥١، المحجة: ١١٣، بحار الأنوار: ٢٤/ ١١٧.

له سيف مذکور من جدّه عبدالمطلب ﷺ:

في الكافي (٤: ٢٢٠-٢٢٢) عن الحسن بن راشد قال: سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول: «لما احتفر عبدالمطلب زمزم وانتهى إلى قعرها خرجت عليه من إحدى جوانب البئر رائحة منتنة أفضعته، فأبى أن ينثني، وخرج ابنه الحارث عنه، ثم حفر حتّى أمعن فوجد في قعرها عيناً تخرج عليه برائحة المسك، ثم احتفر فلم يحفر إلاّ ذراعاً حتّى تجلّاه النوم فرأى رجلاً طويل الباع حسن الشعر جميل الوجه جيّد الثوب طيّب الرائحة وهو يقول: احفر تغنم، وجُد تسلم، ولا تدّخرها للمقسم، الأسياف لغيرك والبئر لك، أنت أعظم العرب قدراً، ومنك يخرج نبيّها ووليّها والأسباط النجباء الحكماء العلماء البصراء، والسيوف لهم وليسوا اليوم منك ولا لك، ولكن في القرن الثاني منك بهم ينير الله الأرض ويخرج الشياطين من أقطارها ويذلّها في عزّها، ويهلكها بعد قوّتها، ويذلّ الأوثان ويقتل عبّادها حيث كانوا، ثمّ يبقى بعده نسل من نسلك هو أخوه ووزيره ودونه في السنّ..»

فوجد ثلاثة عشر سيفاً مسندة إلى جنبه فأخذها وأراد أن يبتّ فقال: وكيف ولم أبلغ الماء، ثمّ حفر فلم يحفر شبراً حتّى بدا له قرن الغزال ورأسه فاستخرجه وفيه طبع «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، فلان خليفة الله». فسألته فقلت: فلان متى كان قبله أو بعده؟ قال: «لم يجيء بعد ولا جاء شيء من أشراته..»

رأى عبدالمطلب أن يبطل الرؤيا التي رآها في البئر ويضرب السيوف صفائح للبيت، فأثاه الله بالنوم فغشيه وهو في حجر الكعبة، فرأى ذلك الرجل بعينه

٤٨٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وهو يقول: يا شبيبة الحمد، احمد ربك فإنه سيجعلك لسان الارض ويتبعك قريش خوفا ورهبة وطمعا، ضع السيوف في مواضعها...، فادفع هذه الثلاثة عشر سيفاً إلى ولد المخزومية، ولا يبان لك أكثر من هذا، وسيف لك منها واحد سيقع من يدك فلا تجد له أثراً إلا أن يستجنّه جبل كذا وكذا فيكون من أشراف قائم آل محمد!

فانتبه عبدالمطلب وانطلق والسيوف على رقبتة فأتى ناحية من نواحي مكة ففقد منها سيفاً كان أرقّها عنده، فيظهر من ثمّ، ونحن نقول: لا يقع سيف من أسيافنا في يد غيرنا إلاّ رجل يعين به معنا إلاّ صار فحماً...»^(١).

(١) انتهى الفصل الثامن وقد تم الإستفادة من (المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام

المهدي عليه السلام: ٢٤٣ - ٢٦٢، علماً انا أخرجنا النصوص من مصادرها الأصلية.



الفصل التاسع

مقام الإمام المهدي عليه السلام عند الله

الإمام المهدي عليه السلام أحد سبعة سادة أهل الجنة

روى ابن ماجة (٢: ١٣٦٨) عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن ولد عبدالمطلب سادة أهل الجنة: أنا، وحمة، وعليّ، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي»^(١).

وفي المسند الجامع (٢: ٤٤٦) عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن ولد عبدالمطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمة وعليّ وجعفر والحسن

(١) ومثله الحاكم: ٣/ ٢١١، وصحّحه على شرط مسلم، وفيه: «أنا وعليّ وجعفر وحمة». وتاريخ بغداد: ٩/ ٤٣٤، وفيه: «نحن سبعة بنو عبدالمطلب سادات أهل الجنة: أنا وعليّ أخي وعمي حمزة وجعفر والحسن والحسين والمهدي». وتلخيص المتشابه: ١/ ١٩٧. والفردوس: ١/ ٥٣ وفيه: «بني عبدالمطلب سادة...». ومناقب ابن المغازلي: ٩٥، وليس فيه المهدي عليه السلام. ومقتل الحسين للخوارزمي: ١/ ١٠٨، عن أبي نعيم. وبيان الشافعي: ٤٨٨ كابن ماجة، وقال: هذا الحديث صحيح أخرجه ابن ماجة الحافظ في صحيحه كما سقناه، ورزقناه عالياً بحمد الله. وأخرجه الطبراني عن جعفر بن عمر الصباح، عن سعد بن عبد الحميد كما أخرجه، ورواه أبو نعيم الحافظ في مناقب المهدي بطرق شتى. وذخائر العقبى: ١٥ و ٨٩ كابن ماجة بتفاوت يسير. وعقد الدرر: ١٤٤ كتاريخ بغداد وقال: أخرجه جماعة من أئمة الحديث في كتبهم، منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني في سننه، وأبو القاسم الطبراني في معجمه، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني وغيرهم. وفتن ابن كثير: ١/ ٤٤ عن ابن ماجة، وقال: أورده البخاري في التاريخ، وابن حاتم في الجرح والتعديل. وجمع الجوامع ٧: ٣٥٦.

والحسين والمهدي»^(١).

وقال ابن الصديق المغربي (ص ٥٤٢): وقد وجدت ما يصلح أن يكون للحديث شاهداً، قال الطبراني في المعجم الصغير: حدّثنا أحمد بن محمد بن العباس المرّي القنطري... عن أبي أيّوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمّ أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو ابن عمّ أبيك جعفر، ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك، ومنا المهدي»^(٢).

ومن مصادرنا: كتاب سليم بن قيس (ص ٣٧٩ - ٣٨٠) قال: كانت قريش إذا جلست في مجالسها، فرأت رجلاً من أهل البيت قطعت حديثها، فيبينها هي جالسة إذ قال رجل منهم: ما مثل محمد في أهل البيت إلّا كمثّل نخلة نبتت في

(١) وجامع الأحاديث: ٦ / ٧٢٣، سنن ابن ماجة: ٢ / ١٣٦٨، جامع المسانيد والسنن: ٢١ / ٥١، مصباح الزجاجة: ٢ / ٣١٤، شرح أصول الاعتقاد أهل السنة: ٨ / ١٤١٢٣، الدرّ النظيم: ٧٥٥ و ٧٩٨، استجلاب ارتقاء الغرف: ٢١٤ و ٢٥٣، الكشف والبيان: ٨ / ٣١٢، مسند شمس الأخبار: ٢ / ٣٠٥، كفاية الطالب: ٤٨٨، عوالم النصوص: ٣٠٤، وكلّها عن أنس عن النبي ﷺ كالمسند الجامع. ونحوه العلل المتناهية: ١ / ٢٢٣، والدرّ النظيم: ٧٩٨، ومناقب محمد بن سليمان: ١ / ٢٣٧، عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «أول سبعة يدخلون الجنة أنا وعليّ والحسن والحسين وحمزة وجعفر والمهدي محمد بن عبد الله». وفي ٢: ٥٤٩: عن ابن سيرين: قال رسول الله ﷺ: «خير هذه الأمة بعد نبيّها ستّة». قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين والمهدي».

(٢) المعجم الصغير: ١ / ٣٧.

كناسة! فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب ثم خرج فأتى المنبر فجلس عليه حتى اجتمع الناس، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال... وأورد خطبة طويلة في فضله وفضل أهل بيته عليه السلام جاء فيها: «ألا ونحن بنو عبدالمطلب سادة أهل الجنة: أنا وعليّ وجعفر وحمة والحسن والحسين وفاطمة والمهدي»^(١).

وفي دلائل الإمامة (ص ٤٧٨ / ٤٧٩) عن الأصمغ بن نباتة قال: كنّا مع عليّ بالبصرة، وهو على بغلة رسول الله ﷺ، وقد اجتمع هو وأصحاب محمد فقال: «الا أخبركم بأفضل خلق الله عند الله يوم يجمع الرسل؟» قلنا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: «أفضل الرسل محمد، وإنّ أفضل الخلق بعدهم الأوصياء، وأفضل الأوصياء أنا، وأفضل الناس بعد الرسول والأوصياء الأسباط، وإنّ خير الأسباط سبطا نبيكم، يعني الحسن والحسين، وإنّ أفضل الخلق بعد الأسباط الشهداء، وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبدالمطلب؛ قال ذلك النبي، وجعفر بن أبي طالب ذوالجناحين، مختصان، بكرامة خصّ الله عزّ وجلّ بها نبيكم، والمهديّ منّا في آخر الزمان لم يكن في أمة من الأمم مهديّ يُتَظَر غيرَه»^(٢).

وفي قرب الإسناد (ص ١٣) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «منّا سبعة خلقهم الله

(١) ونحوه في أمالي الصدوق: ٥٦٢، عن أنس، وفيه: «نحن بنو عبدالمطلب سادة أهل الجنة: رسول الله، وحمزة سيّد الشهداء، وجعفر ذوالجناحين، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، والمهدي». والغيبة للطوسي: ١٨٣، كالحاكم، والعمدة لابن البطريق: ٢٨١، كابن ماجة عن الثعلبي، والطرائف: ١ / ١٧٦، مختصراً، عن الثعلبي.. الخ.

(٢) وعنه إثبات الهداة ٣: ٥٧٤.

عز وجل لم يخلق في الأرض مثلهم: منّا رسول الله ﷺ سيّد الأولين والآخرين وخاتم النبيّين، ووصيّ خير الوصيّين، وسبطاه خير الأسباط حسناً وحسيناً وسيّد الشهداء حمزة عمّه، ومن قد طار مع الملائكة جعفر، والقائم^(١).
أقول: كفى بهذا الحديث الشريف دليلاً على مكانة هؤلاء العظماء من أبناء عبدالمطلب سلام الله عليهم، ومنهم الإمام المهدي ﷺ، فهو حديث بقوّته ووضوحه حاكمٌ على كلّ ما رَووه من أفضليّة زيد وعمر و.

الإمام المهدي ﷺ مختار مصطفى من الله عز وجل:

في الكافي (٨: ٥٠) عن الإمام الصادق ﷺ قال: «خرج النبيّ ﷺ ذات يوم وهو مستبشر يضحك سروراً، فقال له الناس: أضحك الله سنّك يا رسول الله، وزادك سروراً، فقال رسول الله ﷺ: إنّهُ ليس من يوم ولا ليلة إلاّ فيهما تحفة من الله، ألا وإنّ ربّي أتحنّني في يومي هذا بتحفة لم يتحنّني بمثلها فيما مضى، إنّ جبرئيل أتاني فأقرّاني من ربّي السلام وقال: يا محمّد، إنّ الله عز وجل اختار من بني هاشم سبعة لم يخلق مثلهم فيمن مضى ولا يخلق مثلهم فيمن بقي: أنت يا رسول الله سيّد النبيّين، وعليّ بن أبي طالب وصيك سيّد الوصيّين، والحسن والحسين سبطاك سيّدا الأسباط، وحمزة عمّك سيّد الشهداء، وجعفر بن عمّك الطيّار في الجنّة يطير مع الملائكة حيث يشاء، ومنكم القائم يصليّ عيسى بن مريم خلفه إذا أهبّطه الله إلى الأرض، من ذريّة عليّ وفاطمة، من ولد الحسين».

وفي المسترشد (ص ٦١٣) عن أبي أيّوب الأنصاري أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام: «إنّا أهل بيت أُعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا،

(١) وعنه بحار الأنوار: ٢٢ / ٢٧٥.

ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمك، ومن له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر بن أبي طالب ابن عمك، ومنا سبطا هذه الأمة، ومهديهم ولدك».

وفي الإرشاد (ص ٣٧) عن ابن عباس قال: لنا أهل البيت سبع خصال، ما منهنّ خصلة في الناس: منا النبي ﷺ، ومنا الوصي خير الأمة بعده عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، ومنا حمزة أسد الله وأسود رسوله وسيد الشهداء، ومنا جعفر بن أبي طالب المزيّن بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، ومنا سبطا هذه الأمة، وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ومنا قائم آل محمد الذي أكرم الله به نبيه، ومنا المنصور»^(١).

قال العلامة الكوراني: ورد وصف الإمام المهدي عليه السلام بأنه منصور في أكثر من حديث، كما ورد لقباً له في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الاسراء/ ٣٣] كما ورد اسماً أو لقباً لوزير المنصور اليماني.. الخ.

أما السفّاح فلعله ورد وصفاً للإمام المهدي عليه السلام لأنه ينهي الظلم ويسفح دم أعداء الله تعالى، وكان المسلمون يتداولون أسماء هؤلاء الموعودين ويتصورون

(١) وفي بحار الأنوار: ٣٧ / ٤٨ عن الإرشاد، وقال: لعلّ المراد بالمنصور أيضاً القائم عليه السلام بقرينة أنّ بالقائم يتم السبع، ويحتمل أن يكون المراد به الحسين عليه السلام فإنه منصور في الرجعة.

أنهم سيظهرون قريباً! وكان اليمانيون يفتخرون بالمنصور الموعود منهم، والذي هو وزير المهدي عليه السلام، وكان القرشيون المتعصبون ينفون ذلك عن اليمانيين ويدعون أنه منهم!

فقد روى ابن حماد (١: ٢٣٧) وعنه الحاوي ٢: ٧٩، والبرهان: ١٦٨) أن ابن عمرو العاص كان يقول لليمانيين: يا معشر- اليمن، تقولون إن المنصور منكم، والذي نفسي بيده إنه لقرشي أبوه، ولو أشاء أن أسميه إلى أقصى جدّ هو له لفعلت، انتهى. (١)

وفي النعماني (ص ٧٣) بسندين عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل اختار من كل شيء شيئاً: اختار من الأرض مكة، واختار من مكة المسجد، واختار من المسجد الموضع الذي فيه الكعبة، واختار من الأنعام إناثها، ومن الغنم الضأن، واختار من الأيام يوم الجمعة، واختار من الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختار من الناس بني هاشم، واختارني وعلياً من بني هاشم، واختار منّي ومن عليّ الحسن والحسين، وتكملة اثني عشر إماماً من ولد الحسين، تاسعهم باطنهم وهو ظاهرهم وهو أفضلهم وهو قائمهم، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

وفي إثبات الوصية (ص ٢٢٥) قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل اختار من الأيام يوم الجمعة، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الشهور شهر رمضان، واختارني من الرسل، واختار منّي علياً، واختار من عليّ الحسن والحسين،

(١) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي: ٢٧٠-٢٧١.

واختار منها تسعة، تاسعهم قائمهم وهو ظاهرهم وهو باطنهم»^(١).
وفي المسلك في أصول الدين (ص ٢٧٣) عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَةَ فَاخْتَارَنِي مِنْهَا، ثُمَّ أَطَّلَعَ ثَانِيَةً فَاخْتَارَ مِنْهَا عَلِيًّا
وهو أَبُو سَبْطِيٍّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ. إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي وَإِيَّاهُمْ حُجَجًا عَلَى عِبَادِهِ،
وَجَعَلَ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ ﷺ أُمَّةً يَقُومُونَ بِأَمْرِي، التَّاسِعَ مِنْهُمْ قَائِمٌ أَهْلُ بَيْتِي
وَمَهْدِي أُمَّتِي»^(٢).

وفيه: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَ مِنَ الْأَيَّامِ الْجُمُعَةَ، وَمِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَمِنَ
الشُّهُورِ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَاخْتَارَ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرُّسُلِ، وَاخْتَارَ مِنْهُ
عَلِيًّا، وَاخْتَارَ مِنْ عَلِيٍّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَاخْتَارَ مِنَ الْحُسَيْنِ تِسْعَةَ أُمَّةٍ وَتَاسِعَهُمْ
ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ، وَهُوَ سَمِّيَ جَدَّهُ وَكُنِيَ»^(٣).

وفي (ص ٣٧٤) عن الإمام الحسين ﷺ قال: «دَخَلْتُ أَنَا وَأَخِي الْحَسَنُ عَلَى
جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجْلَسَنِي عَلَى فَخْذِهِ وَأَجْلَسَ أَخِي عَلَى فَخْذِهِ الْآخَرَ
وَقَبَّلَنَا، وَقَالَ: أَبَايَ وَأُمِّي أَنْتُمَا مِنْ إِمَامَيْنِ زَكِيَّيْنِ صَالِحَيْنِ، اخْتَارَكُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
مَنْنِي وَمَنْ أَبَيْكُمَا وَأُمَّكُمَا، وَاخْتَارَ مِنْ صُلْبِكَ يَا حُسَيْنَ تِسْعَةَ أُمَّةٍ، تَاسِعَهُمْ
قَائِمُهُمْ، وَكَالَاكُمَا فِي الْمَنْزِلَةِ سِوَاءً».

(١) ومثله كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨١، دلائل الإمامة: ٤٥٤، وفيه: «أُمَّةٌ يَنْفُونَ..»
ومقتضب الأثر: ٩، عن جابر وفيه: «واختار من الحسين حجة العالمين، تاسعهم قائمهم
أعلمهم أحكمهم». ونحوه في ص ١٠٩.

(٢) ونحوه في الهداية الكبرى: ٣٧٤ عن الإمام الصادق ﷺ.

(٣) ومثله في الهداية الكبرى: ٣٦٣، غيبة الطوسي: ٩٣ مختصراً.

وفي تقريب المعارف (ص ١٨٢) نصّ رسول الله ﷺ على أنّ الأئمة من بعده اثنا عشر عليهم السلام، كقوله ﷺ للحسين بن عليّ عليه السلام: «أنت إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة حجج تسع، تاسعهم قائمهم أعلمهم أحكمهم أفضلهم»^(١). وفي (ص ٤٢٠) عن سلمان قال: رأيت رسول الله ﷺ وقد أجلس الحسين بن عليّ عليه السلام على فخذه وتفرّس في وجهه ثم قال: «إمام ابن إمام أبو أئمة حجج تسع، تاسعهم قائمهم أحلمهم أعلمهم».

وفي (ص ٤٢٥) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تاسعهم قائمهم»^(٢). في أمالي الصدوق (ص ٧٣١) عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء السابعة ومنها إلى سدرة المنتهى ومن السدرة إلى حجب النور، ناداني ربّي جلّ جلاله: يا محمد، أنت عبدي وأنا ربّك، فلي فاضع، وإيّاي فاعبد، وعليّ فتوكّل، وبي فثق، فإنّي قد رضيت بك عبداً وحبیباً ورسولاً ونبيّاً، وبأخيك عليّ خليفة وباباً، فهو حجّتي على عبادي وإمام خلقي، به يعرف أوليائي من أعدائي، وبه يميّز حزب الشيطان من حزبي، وبه يقام ديني وتحفظ حدودي وتنفذ أحكامي، وبك وبه وبالأئمة من ولده أرحم عبادي وإمائي، وبالقائم منكم أعمار أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبري وتمجدي، وبه أظهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا، وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي، وله أظهر الكنوز والذخائر بمشيّتي، وإيّاها أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي، وأمدّه بملائكتي

(١) ونحوه في ص ٤١٩ عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ.

(٢) الحديث عن أبي جعفر عليه السلام «يكون تسعة أئمة بعد الحسين عليه السلام تاسعهم قائمهم عليه السلام».

لتؤيده على إنفاذ أمري وإعلان ديني، ذلك وليي حقاً ومهدي عبادي صدقاً».

المهدي عليه السلام يحدث تعدّته الملائكة:

في تفسير القمي (٢: ٦٥): ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [طه/١١٠] قال: ما بين أيديهم ما مضى من أخبار الأنبياء، وما خلفهم من أخبار القائم عليه السلام. وقوله: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه/١١١] أي ذلت. وأما قوله: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه/١١٣] يعني ما يحدث من أمر القائم عليه السلام والسفياي.

أخذ الله الميثاق للمهدي عليه السلام:

في البصائر (ص ٩٠-٩١) عن حمran، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مَاءً عَذْبًا وَمَاءً مَالِحًا أَجَاجًا فَامْتَزَجَ الْمَاءَانِ، فَأَخَذَ طِينًا مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرَكًا شَدِيدًا فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ فِيهِمْ كَالذَّرِّ يَدْبُونَ: إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ يَدْبُونَ: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي. ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [طه/١١٥]».

قال: ثُمَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ثُمَّ قَالَ: وَأَنْ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنْ هَذَا عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟

قالوا: بلى. فثبّت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم ألاّ يأتي ربكم، ومحمد رسول، وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاية أمري وخزان علمي، وأن المهدي أنتصر به لديني، وأظهر به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأعبد به

طوعاً وكرهاً؟

قالوا: أقررنا وشهدنا يا رب، ولم يحدد آدم ولم يقرّ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي، ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه/١١٥].

قال: «إنما يعني فترك. ثم أمر ناراً فأججت فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها، فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها فكانت عليهم برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا ربّ أقلنا، فقال: قد أقلتكم، اذهبوا فادخلوها، فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والمعصية والولاية»^(١).

قال العلامة الكوراني: إذا صحّت الرواية فينبغي أن تكون نسبة ذلك إلى آدم عليه السلام قبل نزوله إلى الدنيا، واجتباء الله له وجعله نبياً معصوماً عليه السلام.

المهدي عليه السلام أحد أربعة أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بحبهم:

في كشف اليقين (ص ٣٢٨) عن الفردوس، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجنة تشاق إلى أربعة من أهلي، قد أحبهم الله وأمرني بحبهم: علي بن أبي طالب والحسن والحسين والمهدي صلى الله عليه وآله الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم عليه السلام»^(٢).

(١) ومثله في الكافي: ٨ / ٢ بتفاوت يسير، ومختصر البصائر: ١٦٢-١٦٣، وإثبات الهداة: ١:

٤٦١، بحار الأنوار: ٥ / ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) وعنه كشف الغمّة: ١ / ٥٢.

ترافق المهدي عليه السلام غمامة تظله وفيها ملك:

في بيان الشافعي (ص ٧٥-٧٦) عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي على رأسه غمامة، فيها مناد ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه». وقال: هذا حديث حسن ما رويناها إلا من هذا الوجه. (١)

كفاية الطالب (ص ٤٦٣) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي على رأسه غمامة فيها مناد ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه». وفي بعض الروايات: «على رأسه غمامة» بالعين وهو تصحيف.

وفي تلخيص المتشابه (١: ٤١٧) عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: إن هذا المهدي فاتبعوه». (٢)

وفي النعماني (ص ٢٢١-٢٢٢) عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «جاء رجل إلى

(١) أقول: أخرجه أبو نعيم في مناقب المهدي عليه السلام، ومثله عقد الدرر: ١٣٥، فرائد السمطين: ٢ / ٣١٦ كما في بيان الشافعي بتفاوت يسير، وفيه: «هذا المهدي فاتبعوه». وعنه الفصول المهمة: ٢٩٨، وقال: روته الحفّاظ كأبي نعيم، والطبراني، وغيرهما. ومثله تاريخ الخميس: ٢ / ٢٨٨، عن أبي نعيم، وفرائد فوائد الفكر: ٣٠.

(٢) ومثله بيان الشافعي: ٥١٢، عن عبدالله بن عمرو، وقال: قلت: هذا حديث حسن روته الحفّاظ والأئمة من أهل الحديث كأبي نعيم والطبراني وغيرهما. ومثله المغربي: ٥٧٣، وفي مواليد الأئمة ووفياتهم عليه السلام: ٢٠١ مرسلاً: «غمامة تظله من الشمس تدور معه حيثما دار، تنادي بصوت فصيح هذا المهدي»، إثبات الهداة: ٣ / ٦١٥ وفيه «يفهمه كل قوم بلسانهم».

٥٠٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين، نبأنا بمهديكم هذا؟ فقال: إذا درج الدارجون وقلّ المؤمنون وذهب المجلبون، فهناك هناك.

فقال: يا أمير المؤمنين، ممّن الرجل؟ فقال: من بني هاشم، من ذروة طود العرب وبحر مغيضها إذا وردت، ومخفر أهلها إذا أتيت، ومعدن صفوتها إذا اكتدرت، لا يجبن إذا المنايا هلعت، ولا يخور إذا المنون اكتنعت^(١)، ولا ينكل إذا الكماة اضطرعت، مشمرّ مغلوب ظفرّ ضرغامه، حصد مخدش ذكر، سيف من سيوف رسول الله، رأس قثم، نشو رأسه في باذخ السؤدد وغارز مجده في أكرم المحتد، فلا يصرفنك عن بيعته صارف عارض ينوص إلى الفتنة كلّ مناص، إن قال فشرّ قائل، وإن سكت فذو دعاير.

ثمّ رجع إلى صفة المهدي عليه السلام فقال: «أوسعكم كهفاً، وأكثركم علماً، وأوصلكم رحماً، اللهمّ فاجعل بعثه خروجاً من الغمّة، واجمع به شمل الأُمّة، فإنّ خار الله لك فاعزم ولا تنثنّ عنه إن وُفّقت له، ولا تجوزنّ عنه إن هُديت إليه، هاهـ - وأوماً بيده إلى صدره - شوقاً إلى رؤيته». ^(٢)

تظهر على يده معجزات الأنبياء عليهم السلام:

في إثبات الهداة (٣: ٧٠٠) عن إثبات الرجعة للفضل بن شاذان بسندين قال: «ما من معجزة من معجزات الأنبياء والأوصياء إلّا ويظهر الله تبارك وتعالى مثلها في يد قائمنا، لإتمام الحجّة على الأعداء». ^(٣)

(١) اكتنعت: دنت واقتربت.

(٢) وعنه: إثبات الهداة: ٣ / ٥٣٧، بحار الأنوار: ٥١ / ١١٥.

(٣) معجم احاديث الإمام المهدي: ٣ / ٣٨٠.

مقام الإمام المهدي عند الله..... ٥٠١

مقامه عند أهل البيت عليه السلام :

في النعماني (ص ٢٥٢) عن خلاد بن الصفار قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام: هل ولد القائم عليه السلام؟ فقال: «لا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي». (١)

مقامه في الجنة:

في الفردوس (٢: ٣٥٩) عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي طاووس أهل الجنة». (٢)

وفي ابن حماد (٢٢٥) عن كعب قال: المهدي خاشع لله كخشوع النسر- بجناحه. وفي ملاحم ابن طاووس (ص ٤٤)، وقال: فيما ذكره نعيم في خشوع المهدي: وفيه: كخشوع الزجاجة. ومعنى كخشوع النسر بجناحيه: لأنه يخفضهما عند مشيه، أو طيرانه، وكخشوع الزجاجة: أي شفاف الروح كالزجاجة.

عظمة الملك الذي يعطيه الله لوليّه المهدي عليه السلام:

تواترت الأحاديث عند الجميع أنّ الإمام المهدي عليه السلام يملك مشارق الأرض ومغاربها، ويملؤها قسطاً وعدلاً، وهو أمر لا سابقة له في تاريخ الأنبياء وأوصيائهم!

روى الشيخ الطوسي في الغيبة (ص ٤٧٤) وغيره قول الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ القائم ليملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، يملأ

(١) انظر: عقد الدرر: ١٦٠، وبحار الأنوار: ٥١ / ١٤٨.

(٢) وعنه: بيان الشافعي: ٥٠١.

٥٠٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، ويفتح الله عليه شرق الأرض وغربها.. يدعو الشمس والقمر فيجيبانه، وتطوى له الأرض، فيوحى الله إليه فيعمل بأمر الله^(١).

وفي الخصال (ص ٢٤٨) عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث الأنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح: ذوالقرنين واسمه عيَّاش، وداود، وسليمان، ويوسف عليه السلام. فأما عيَّاش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأما داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد اصطخر، وكذلك كان ملك سليمان، وأما يوسف فملك مصر وبرايرها، لم يجاوز إلى غيرها».

قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله (أي الشيخ الصدوق): جاء هذا الخبر هكذا، والصحيح الذي أعتقده في ذي القرنين أنه لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً أحبَّ الله فأحبَّه الله، ونصح الله فنصحه الله. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وفيكُم مثله»، وذوالقرنين ملك مبعوث وليس برسول ولا نبي كما كان طالوت ملكاً، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة/ ٢٤٧] وقد يجوز أن يذكر في جملة الأنبياء مَنْ ليس بنبي كما يجوز أن يذكر في جملة الملائكة مَنْ ليس بملك، قال الله عزَّ وجلَّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف/ ٥٠].^(٢)

وفي النعماني (ص ٢٤٦ - ٢٤٧) عن سالم الأشل، قال: سمعت أبا جعفر محمد ابن علي الباقر عليه السلام يقول: «نظر موسى بن عمران في السفر الأول إلى ما يعطى

(١) ينظر: دلائل الإمامة: ٤٥٦.

(٢) وانظر أيضاً: تفسير العيَّاشي: ٢ / ٣٤٠، بحار الأنوار: ١٢ / ١٨١.

قائم آل محمد من التمكين والفضل، فقال موسى: رب اجعلني قائم آل محمد، ف قيل له: إنَّ ذاك من ذرية أحمد، ثمَّ نظر في السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك فقال مثله، ف قيل له مثل ذلك، ثمَّ نظر في السفر الثالث فرأى مثله فقال مثله، ف قيل له مثله». (١)

وفي (كمال الدين ٢٨٢) عن سيد الاوصياء امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «الأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم أنت يا علي وآخراهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها». (٢)

وفي (ص ٧٢٨): «قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني بعدد الأئمة بعدك، فقال: يا علي، هم اثنا عشر أولهم أنت وآخراهم القائم». (٣)

وفي كمال الدين وتمام النعمة (ص ٢٨٢) عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن سيد الشهداء الحسين بن علي عن سيد الاوصياء امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «الأئمة بعدي اثنا عشر؛ أولهم أنت يا علي وآخراهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها». وفي تفسير القمي (٢: ٨٧) روى أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله

(١) وانظر: بحار الأنوار: ٥١/٧٧، إثبات الهداة: ٣/ ٦١٤، ٥٤١، عقد الدرر: ٢٦، وعنه الصراط المستقيم: ٢/ ٢٥٧.

(٢) ومثله: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٥٦، أمالي الصدوق: ٩٧.

(٣) انظر: روضة الواعظين: ١/ ١٠٢، وابن شهر آشوب: ١/ ٢٩٨، وإثبات الهداة: ١: ٦١٦.

تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج/٤١] قال عليه السلام: «وهذه الآية لآل محمد عليه السلام إلى آخر الآية، والمهدي وأصحابه يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين ويُميت الله به وأصحابه البدع والباطل كما أُمات السفه الحق حتى لا يرى أثر للظلم». ^(١)

وفي العياشي (١: ١٨٣) عن رفاعه بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران/٨٣] قال: «إذا قام القائم عليه السلام لا يبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». ^(٢)

وفي العياشي (١: ١٨٣) عن ابن بكير قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾؟ قال: «أنزلت في القائم عليه السلام إذا خرج (أمر) باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردة والكفار في شرق الأرض وغربها فعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة وما يؤمر به المسلم ويجب الله عليه، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلا وحّد الله». قلت له: جعلت فداك، إن الخلق أكثر من ذلك! فقال: «إن الله إذا أراد أمراً قلّل الكثير وكثّر القليل». ^(٣)

(١) ومثله: تأويل الآيات: ٣٤٣/١، إثبات الهداة: ٥٦٣/٣، بحار الأنوار: ٢٤/١٦٥،

المحجّة: ١٤٣.

(٢) وعنه: إثبات الهداة: ٥٤٩/٣، المحجّة: ٥٠، بحار الأنوار: ٥٢/٣٤٠.

(٣) وعنه: إثبات الهداة: ٥٤٩/٣، بحار الأنوار: ٥٢/٣٤٠.

وفي الإرشاد (٢: ص ٣٨٤ - ٣٨٥) عن علي بن عقبة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاها، وردّ كلّ حقّ إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتّى يظهر الإسلام ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمد ﷺ، فحينئذ تظهر الأرض كنوزها وتبدي بركاها فلا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبرّه لشمول الغنى جميع المؤمنين!». ثم قال: «إنّ دولتنا آخر الدول ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا لئلاّ يقولوا إذا رأوا سيرتنا.. إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾» [الاعراف/١٢٨]. (١)

وفي غيبة الطوسي (ص ٤٧٥) عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: «ثمّ يتوجّه إلى (كابل شاه) وهي مدينة لم يفتحها أحد قط غيره فيفتحها، ثمّ يتوجّه إلى الكوفة فينزلها وتكون داره، ويهجر سبعين قبيلة من قبائل العرب..» تمام الخبر. وفي خبر آخر: «يفتح قسطنطينية والرومية وبلاد الصين». (٢)

وفي البحار ٥٢: ٣٩٠ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «يملك القائم ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما

(١) ونحوه روضة الواعظين: ٢/ ٢٦٥، وإعلام الوري: ٤٣٢، وعنه كشف الغمّة: ٣/

٢٥٥، إثبات الهداة: ٣/ ٥٢٨، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٣٨.

(٢) منتخب الأنوار: ١٩٤، وعنه بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٣٣.

مُلئت ظلمًا وجورًا، فيفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل الناس حتى لا يبقى إلاّ دين محمد، ويسير بسيرة سليمان بن داود، ويدعو الشمس والقمر فيجيبانه وتطوى له الأرض ويوحى إليه فيعمل بالوحي بأمر الله^(١).

وفي ينابيع المودة (٣: ٢٣٨) عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المهدي من ولدي الذي يفتح الله به مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان».

وفي كتاب سليم بن قيس (ص ٢٥٢) في حديث شمعون بن حمون الراهب الذي لقي أمير المؤمنين عليه السلام في رجوعه من صفين، وهو طويل فيه وصف النبي ﷺ والأئمة بعده، جاء فيه: «حتى يبعث الله رجلاً من العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن من أرض تدعى تهامة، من قرية يقال لها مكة، يقال له أحمد، الأنجل العينين، المقرون الحاجبين، صاحب الناقة والحمار والقضيب والتاج يعني العمامة، له اثنا عشر اسماً، ثم ذكر مبعثه ومولده وهجرته ومن يقاتله ومن ينصره ومن يعاديه، وكم يعيش، وما تلقى أمته من بعده من الفرقة والاختلاف. وفيه تسمية كل امام هدى وامام ضلالة إلى أن ينزل الله عيسى بن مريم من السماء، فذكر في الكتاب ثلاثة عشر رجلاً من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم، هم خير من خلق الله وأحب من خلق الله إلى الله، وأن الله ولي من والاهم وعدو من عاداهم، من أطاعهم اهتدي، ومن عصاهم ضلّ، طاعتهم لله طاعة، ومعصيتهم لله معصية، مكتوبة

فيه أسماؤهم وأنسابهم ونعتهم وكم يعيش كل رجل منهم، واحداً بعد واحد، وكم رجل منهم يستتر بدينه ويكتمه من قومه، ومن يظهر ومن يملك وينقاد له الناس حتى ينزل الله عيسى بن مريم عليه السلام على آخرهم، فيصلي عيسى خلفه ويقول: «إنكم أئمة لا ينبغي لأحد أن يتقدمكم»، فيتقدم فيصلي بالناس وعيسى خلفه إلى الصف الأول، أولهم وأفضلهم وآخرهم، له مثل أجورهم وأجور من أطاعهم واهتدى بهداهم.. فأول من يظهر منهم يملأ جميع بلاد الله قسطاً وعدلاً، ويملك ما بين المشرق والمغرب حتى يظهره الله على الأديان كلها. ^(١)

وفي الختام ينبغي أن نشير إلى تفسير أهل البيت عليهم السلام للملك العظيم في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٥٤] وأنه الطاعة المفروضة للنبي وآله عليهم السلام التي تفوق ما أعطي من قبلهم من الأنبياء عليهم السلام. ^(٢)

(١) انظر: الغيبة للنعماني: ٧٤ عن سليم بن قيس الهلالي.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٥.

(٣) انتهى الفصل التاسع تم الاستفادة فيه من (المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام

المهدي عليه السلام: ٢٦٧-٢٧٦، علماً أنا خرجنا النصوص من مصادرها الأصلية.



الفصل العاشر

معرفة الإمام المهدي عليه السلام ومقاماته

مقام الإمامة:

قبل الحديث عن مقام الإمام لابدّ أن نعرف أنّ كلّ صفة من صفات الإمام إنّما هي عطاء من الله سبحانه وتعالى، لأنّه الواحد المتفرد الخالق القادر المدبّر العزيز الحكيم الذي يهب لمن يشاء من فيوضه بقدرته وحكمته.

ولكي نعرف الإمام المهدي (عليه السلام) مَنْ هو وما هي صفاته واختصاصاته لابدّ أولاً أن نعرف المقام الذي تقلّده - وأعني به الإمامة - حتّى نستطيع أن نعرف شخصه الكريم.

فالإمامة حلقةٌ من حلقات نظام هذا الوجود المتّصل اتصالاً وثيقاً بعقيدة التوحيد والمعاد والنبوة والرسالة، وهو غرض هذا الخلق، ولأنّها كذلك فهي عميقة الأغوار، بعيدة المنال، ومحيط لا نهاية له، فنحن بوسائلنا البشريّة وإمكاناتنا لا نستطيع المعرفة إلاّ بمقدار ما يحمل المرء في كفّه قطرة من بحار المحيطات!!

فما هي الإمامة؟

وَمَنْ هو الإمام؟

وَمَنْ هو صاحب الزمان (عليه السلام)؟

القرآن يعرّف الإمامة بأنّها «عهد الله» في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/ ١٢٤].

فهل نستطيع إدراك حقيقة هذا العهد الربّاني؟! والذي يجب معرفته أن نعترف بقصورنا عن نيل غور هذا المحيط ما لم يشرح الأئمة (عليهم السلام) قلوبنا وينيروا عقولنا بكلماتهم النورانيّة..

فقد عرّف الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث طويل حقيقة الإمام فأشار في معرض

كلامه أنّها ليست سهلة المنال:

«إنّ الإمامة أجلُّ قدراً، وأعظمُ شأنًا وأعلى مكاناً، وأمنعُ جانباً، وأبعدُ غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم». فهي ليست مسرحاً للآراء الشخصية أو الاستحسان والقياس، أو إصابة العقول؛ لأنّها مقام أعطاه الله خاصّة أوليائه باختيار منه وليس من البشر، ولذلك فالناس لا يحقّ لهم تنصيب الإمام لأنّه من مختصّاته وجعله، فهو الخالق والجاعل المدبّر العالم الحكيم بأسرار خلقه.

فالإمامة من أصول العقائد وليست من فروع الأحكام حتّى تصبح مجالاً للاجتهاد والتنظير والاختيار.

فهو سرٌّ ملكوتيّ يهبه الله ويتفضّل به على عباده الذين اصطفاهم.

فهذا المقام لا ينال إلاّ بمراتب ومروراً بسلسلة امتحانات.

فقد تفضّل الله سبحانه وتعالى بها على نبيّ الله إبراهيم الخليل في آخر عمره الشريف ليتوّج بها مقاماته ومنازله التي مرّ بها وهي مقام العبوديّة والنبوّة والرسالة والخلّة ثمّ مقام الإمامة في أعلى المقامات.

وقد جعل الله الإمامة جعلاً لا بالكسب ولا بالطلب، وحصرها في الصفوة من عباده، من هم في سلسلة الطهارة والعصمة والنبوّة، ولا ينالها غيرهم من أهل الذنوب والعصيان، وقد علّل الإمام الرضا (عليه السلام) عدم إدراك الناس حقيقتها بالأمور التالية:

- ١ - «أجلُّ قدراً» وصيغة «أجلّ» من التفضيل وهي صيغة مبالغة في جلال القدر والمنزلة والمقام وهويكشف حالة عجز الإنسان من معرفة هذا المقام.
- ٢ - كما وصفها الإمام بأنّها عظيمة الشأن على نفس صيغة التفضيل والمبالغة.
- ٣ - علوّ مكانها، فالعلوّ متعلّق بالمكان، فهي أعلى الدرجات والمكانة، فلا

يوجد درجة أعلى منها.

٤ - منعته، ومتعلق المنعة عزّة الجانب، بمعنى أنّها ممنوعة المعرفة، والوصول إلى درجتها فلا تطاول، فمن هو في هذه المنزلة عزيز الجانب، غني في ذاته لا يحتاج إلى من هو دونه، فهو قوي مقتدر مستغني مفتقر إليه غير مفتقر إلا إلى الله سبحانه، لأنّه هو الذي يهب هذه العزّة لأوليائه، فقد جاء في الدعاء المأثور عنهم: «... فأوليائه بعزّه يعتزّون...» كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/ ٨].

فالعزّة مستمدة من عزّة الله سبحانه وتعالى، ولأنهم يعتزّون بعزّته فإنهم يحصلون على هذا المقام.

٥ - «أبعد غوراً» يدلّ على العمق الذي لا ينال بسهولة.. فالإمام (عليه السلام) يصفها بأنّها محيط لا نهاية له، يقف الفكر البشري في ابتدائها ولا يعرف غورها وانتهاها؛ لأنّها صناعة ربّانية صاغها ربّ العزّة بقدره وحكمة وتدبير وفق مصلحة لعباده.

ويستدلّ الإمام الرضا (عليه السلام) على قوله بشاهد واقعي وتاريخي من القرآن الكريم، فيقول:

«... إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل (عليه السلام) بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثةً وفضيلةً شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة/ ١٢٤] فقال الخليل (عليه السلام) سروراً بها: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة، ثمّ أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾

٥١٤ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٢-٧٣﴾ [الأنبياء/ ٧٢-٧٣].

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً، حتى ورثها الله تعالى النبي ﷺ فقال جلّ وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [ال عمران/ ٦٨] فكانت له خاصة فقلدها ﷺ علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم/ ٥٦] فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد ﷺ فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟! (١).

وبعد هذه الإشارة المختصرة لمقام الإمامة يطرح السؤال التالي: من هو الإمام؟!

نعود إلى كلمة الإمام الرضا عليه السلام لكي نأخذها من لسانه الناطق عن الله تعالى حيث أورد أكثر من خمسين صفة للإمام ومنها:

«الإمام واحد دهره، لا يُدانيه أحدٌ ولا يعادله عالمٌ، ولا يوجد منه بدلٌ، ولا له مثلٌ ولا نظير، مخصوص بالفضل كُلُّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يُمكنه اختياره....» (٢).

ولأن الأئمة صنائع الله والخلق بعد صنائعهم، ولأنهم أول ما خلقوا في سابق

(١) الكافي: ١/ ١٩٩.

(٢) الكافي: ١/ ٢٠١، وذكر هذا القول كل من الشيخ المفيد في الامالي: ٤٧٤، والصدوق في

عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١٦٩، وفي كمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٦.

علمه من نور عظمته فزجوا في عوالم النور والمراتب والمقامات القدسيّة، فكيف لا يكون الإمام في زمانه «وحيد دهره» واحد لا يتكرّر ولا يمكن لأحد أن يصل إلى مستوى فهمه ومعرفته، لأنّ علمه من علم الله، فإذا كان وصيّ سليمان «آصف بن برخيا» قد جلب عرش بلقيس من اليمن إلى القدس بطرفة عين وعنده «علم من الكتاب» فكيف بالذي عنده علم الكتاب كلّ، فذلك العالم عنده قطرة من العلم، أمّا الإمام المعصوم من آل بيت محمد ﷺ عنده محيطات من بحر المعارف فكيف لا يحرك العالم بأسره من مكانه «فهو لا يعادله عالم». وكلّ ذلك من الواهب الصانع الخالق القادر العليم الذي يهب هذا المنصب لمن هو أهلّ له بفضلو اختصاص منه تعالى، فهو ليس بالطلب ولا بالاكساب.

مَنْ هُوَ الْإِمَامُ الْمُنْتَظَرُ؟

رغم صعوبة البحث واعترافنا بالعجز عن درك أغواره وأسراره ولكن نستفيد من إشارات كلمات الأئمة ﷺ لعلّها تكون دليلاً لنا لنعرف ومضات من بحار نوره الزاخر.

فالإمام ﷺ له مقامات، وصفات، واختصاصات، وأسماء، وعناوين أحصاها العالم المحدث الجليل الشيخ النوري طاب ثراه في كتابه القيم «النجم الثاقب في معرفة الإمام الغائب» مائة واثنين وثمانين مقاماً وصفة، تحت عنوان: «أسماءه وألقابه»، أمّا حقيقة مقاماته فهي لا حصر لها.

ونحن هنا نذكر بعض الصفات والمقامات للإمام الثاني عشر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بما نستطيع وبمعونة بيانهم ضمن الروايات والأدعية والزيارات التي وردت في حقّه وشأنه.

أولاً: النورانية

النورانية من الأمور الغامضة لنا حيث لا يمكن معرفة حقيقتها ولكننا نورد ما نفهمه من أقوالهم عليه السلام وما ورد في حقّه من القرآن الكريم وأوّل فيه، وقد وردت عدّة مصطلحات وكلمات تدلّ على أنّه نور متميّز مبارك.

١ - نور الله سبحانه وتعالى:

وذلك لأنّ النبي وآله الأطهار عليهم السلام هم تجلّيات لنور الله سبحانه وتعالى عند ما خلقهم من نوره في سابق علمه حيث لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا قمر منيراً ولا شمس مضيئة ولا شيء سواه سبحانه، فلم يزل أحدٌ فردٌ صمدٌ حيٌّ قيّومٌ، وعندما أراد خلقهم تكلم بكلمة فصارت نوراً، وتكلم بكلمة أخرى فصارت روحاً، ومزج النور بالروح فخلق نور النبي محمّد عليه السلام ومنه خلق عليّاً ثمّ فاطمة والحسن والحسين... وبقت هذه الأنوار معلقة في ظلّه تسبّح الله تعالى، وبواسطة أنوارهم خلق سائر الأشياء؛ فهم واسطة الفيض والرحمة الإلهية للوجود^(١)، وكان نور الثاني عشر- من الأئمة المعصومين المهدي بن الحسن

(١) فعن محمّد بن الحسن الطوسي بإسناده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار. فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال يا عمّ: لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ثمّ تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً ثمّ مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين فكانت نسبته حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلما أراد الله أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونوري من نور الله

متميّز ويتلأأ من وسطهم.

ففي سورة الصف قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف/٨] فكانت إرادة الظالمين طوال مسيرتهم مع الأنبياء هي محاولة القضاء على الرسالات وعلى أنبياء الله وأوصيائهم لكي يحققوا أطماعهم الدنيوية، ولكن إرادة الله قضت إبقاء النور محفوظاً ممتداً متلئلاً لأنه عصارة الأنوار متمثلاً في بقيه سلالة الأنبياء والأوصياء المهدي بن الحسن، ولأنه آخرهم وآخر الحجج، وبه يحفظ البلاد والعباد، وبه يُعبد الله تعالى فلا بد من حفظه والعناية كونه الذخيرة وبقية الصفوة لإقامة الدين وبسط العدالة في جميع المعمورة.

وفي معرض هذه الآية المباركة يقول آية الله الشيخ وحيد الخراساني ضمن محاضراته المدونة:

→

ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي، فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور علي ونور علي من نور الله وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن، فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين، فخلق منه الجنة والحدود العين، فالجنة والحدود العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نور الله وولدي الحسين أفضل من الجنة والحدود العين». بحار الأنوار: ١٥ / ١٠ - ١١.

في الآية المباركة من سورة الصفّ إضافة إلى اسمه المقدّس مرّتين؛ مرّة بشكل المضمّر ومرّة إلى اسمه الصريح... فمن الخصائص الذاتيّة للإضافة أنّ المضاف يكتسب معرفته وخصائصه من المضاف إليه، وكلّما كان المضاف أعلى درجة كان حيث التعريف في المضاف أعلى!

وفي الإضافتين الظاهرة والمضمرة بحث عميق، تكمن فيه معرفه الإمام صاحب الزمان عليه السلام، فالإضافة الأولى هي الظاهرة لمرحلة ظهوره: ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾، والثانية المضمرة لمرحلة غيبته عليه السلام: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ فهو عليه السلام مظهر اسم الله الظاهر ومظهر اسمه الباطن، فهو نور الله الذي لا يطفى، وفيه جمع الله الغيب والشهود، ونحن الآن في عصر غيبته، حتّى ياذن الله بظهور نوره فيه، وهنالك يتكئ على ركن الكعبة ويخطب ويبدأ نور الله مرحلة الظهور المقدّسة ^(١).

ومن تجلّيات نوره سبحانه أن جعل وليّه الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام «مُتَمِّمٌ نور الله في أرضه» وعندما يظهر ويقوم تكتمل الرسالات والأديان، ويتحقّق الدّين الحقّ في كلّ الأرض حتّى يظهر الله دين الإسلام على جميع الأديان كلّها، ولا تبقى بقعة في الأرض إلّا وينادى فيها: «أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله»، ويعمّ العدل والخيرات والبركات والسعادة للبشريّة جمعاء.

وكما في سورة الصفّ كذلك ورد في آيات عديدة يكشف الله سبحانه مستقبل العالم بكمال نوره بحجّته من آل محمد عليهم السلام.

قال في سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ

(١) الحقّ المبين في معرفة المعصومين: ٥١٣.

يُتِمُّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿التوبة/ ٣٢-٣٣﴾.

وحيث إنّ الإسلام اكتمل بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين في يوم الغدير كونه الضمان لخطّ النبوة واستمرار علم النبوة وتطبيق وحيتها أخذت البيعة لعلّي يوم الغدير، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

وقد علم الله تعالى وأخبر رسوله بأنّ الأُمَّة سوف تغدر بالإمام بعده، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) عليّ: «إِنَّ الْأُمَّةَ سَتَغْدِرُ بِكَ بَعْدِي وَأَنْتَ تَعِيشُ عَلَى مِلَّتِي وَتُقْتَلُ عَلَى سَنَّتِي، مَنْ أَحَبَّكَ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَبْغَضَنِي، وَإِنَّ هَذِهِ سَتَخْضِبُ مِنْ هَذَا - يعني لحيته من رأسه»^(١).

وعلم سبحانه أنّ الليل سيغشى قبل أن يتجلّى النهار، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل/ ١-٢]، وأخبر تعالى أنّهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ثمّ أخبر ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ... وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ وقضى تجلّي النهار الموعود على يد الإمام المهدي (عليه السلام) فكان هو «مُتَمِّمُ نور الله تعالى».

لقد اكتمل الدّين على يد جدّه المصطفى بإمامة جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) ولكن هذا الاكتمال لم يتحقّق به الهدف الذي هو إتمام النور الإلهي فجعله الله على يد إمامنا المهدي (عليه السلام) وخصّته الله بأنّه متّمّ نوره في الأرض!

إنّ عمله ودوره (عليه السلام) هو غاية الغايات ومنتهى النهايات لبعثة نبيّنا (صلى الله عليه وآله) وكلّ

٥٢٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الأنبياء فهو الجزء الأخير للعلّة التامة وبه يظهر الله دينه على الدّين كلّ وهو مقام اختصّه الله به من بين الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ولا نبيّ بعد نبينا، ولا أحد أفضل منه عليه السلام. وقد ورد في الأثر أنّ المقصود من هذا النور في هذه الآيات هو نور الإمام المنتظر عليه السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لم تخل الأرض منذ كانت من حجة عالم، يحيي فيها ما يمتون من الحقّ» ثم تلا هذه الآية: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١)

وقال عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة / ٣٣] قال: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتّى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بالامام إلاّ كره خروجه، حتّى أن لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرنى واقتله». (٢)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ «أظهر بعد ذلك؟» قالوا: نعم، قال: «كلاً، فوالذي نفسي بيده حتّى لا تبقى قرية إلاّ ينادى فيها بشهادة أن لا إله إلاّ الله؛ بكرة وعشيّاً». (٣)

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٠.

(٣) مجمع البيان: ٤٦٤ / ٩.

٢ - النور العظيم:

جاء في دعاء العهد الذي رواه السيّد ابن طاووس عن الصادق عليه السلام - والذي يكشف عن مضامين عالية لا تصدر إلا عن أهل بيت الوحي تغني عن سنده فقد جاء في مطلع هذا الدعاء: «اللَّهُمَّ رَبَّ النُّورِ الْعَظِيمِ».

لماذا وصفه الله سبحانه بالعظمة؟

ذلك لأنّه من تجليات نوره سبحانه وتعالى حيث خلقهم الله من نور عظمته وهو مقام رفيع لا ندرك حقيقته إلا أننا نعرف أنّه لا يبلغه أحدٌ مقرب من ملك ولا نبي إلا نبينا محمد ﷺ.

فعندما عرج بنينا محمد ﷺ سدرة المنتهى فكان قاب قوسين أو دنى، وكان جبرائيل مصاحباً للنبي ﷺ، فقال لجبرائيل: تقدّم! فقال له جبرائيل: لو تقدّمت لاحترقت!... وهذا مقام لا يبلغه إلا النبي وأهل بيته الأطهار لأنهم من ذلك المقام خلّقوا!

فنور الإمام المهدي من هذا النور المنحدر من نور النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة الأطهار، ومن نور الأنبياء والمرسلين، فقد اجتمعت فيه جميع هذه الأنوار، فكان يتقلّب في أصلاب الأنبياء والأوصياء، وكان قبله يتقلّب في مقامات النور الربّانية.

فكيف لا يكون هو النور العظيم وبه يختم الله سلسلة الأوصياء ويحقّق وعده لعباده بالعدل المطلق.

وقد ورد في الروايات أنّ نوره المبارك كالكوكب الدرّي يتلأل من بين أنوارهم عليه السلام، كما في رواية الشافعي الحموي والخوارزمي، أورد السيّد الشيرازي في كتابه «المهدي في القرآن» قائلاً:

٥٢٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أخرج الفقيه الشافعي (الحموي) محمد بن إبراهيم في فرائده، وكذا الفقيه الحنفي موفق بن أحمد الخوارزمي في المقتل بأسانيده العديدة المذكورة قال:

عن أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليلة أُسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة/ ٢٨٥] قلت: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾؟ قال: صدقت يا محمد، قال: من خلّفت في أمّتك؟ قلت: خيرها! قال: عليّ بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا رب.

قال: يا محمد، إنّي اطلّعت إلى الأرض اطلّاعة فاخترتك منها، وشققت لك اسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلاّ ذكرت معي؛ فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلّعت الثانية فاخترت منها عليّاً وشققت له اسماً من أسمائي فأنا الأعلى وهو عليّ.

(يا محمد) إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من شبح نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض؛ فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدّها كان عندي من الكافرين.

(يا محمد) لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشنّ البالي ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم.

(يا محمد) تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ، فقال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا بعليّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمد بن عليّ وعليّ بن محمد والحسن بن عليّ والمهدي في ضحضاح من نور قياماً يصلّون وهو في وسطهم - يعني المهدي - كأنّه كوكب دريّ.

وقال: (يا محمد) هؤلاء الحجج وهو الثائر من عترتك، وعزّي وجلالي إنّه المحجّة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي» انتهى الحديث.

ثم قال المؤلف: ضحضاح يعني الماء الكثير وقد استعير هنا لمجمع النور.
قوله: (وهو في وسطهم) يعني كأن الأئمة في صورة دائرة قيام، والإمام
المهدي في وسطهم قائم.

قوله: (كوكب دري) أي كالنجمة المتلألئة.

قوله: (وهو الثائر) يعني الإمام المهدي عليه السلام لأنه يثور على الظلم والباطل.
(والمحجة) أي الطريق إلى الحق. ^(١)

٣- نوره القدسي الظاهري:

عن حسن بن محبوب الثقة من أصحاب الإجماع عن الرضا عليه السلام: ... ثم قال:
«بأبي وأمي سمي جدِّي شبيهي، وشبيه موسى بن عمران عليه السلام، عليه جيوب
النور تتوقد بشعاع القدس». ^(٢)

ومن عظمة نوره المبارك ينبعث منه نور ظاهري مُشرق عندما يظهر يستغني
الناس عن نور الشمس والقمر.. بسبب ما ينبعث منه نور مصدره وقوده ليس
المادة ولكن هو من نور الأنوار لأنه تجلّي لنور الله تعالى حتّى أن طيّات قبائه
وعبائه وثيابه ينبعث منها النور لاتصاله بشعاع القدس حتّى صارت روحه
وبدنه وثيابه تتوقد بشعاع ضياء القدس!!

فقد روى الشيخ المفيد رحمته الله بإسناده عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى:
﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر/٦٩].

(١) المهدي في القرآن: ١٥-١٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٠، الإمامة والتبصرة: ١١٤.

٥٢٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

قال عليه السلام: «ان قائمنا إذا قام عليه السلام أشرقت الأرض بنور ربها واستغنى الناس عن ضوء الشمس وذهبت الظلمة...».

وروى القمي رحمته الله بإسناده إلى المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ قال: «رب الأرض يعني إمام الأرض»، فقلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: «إذا استغنى الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام!». ^(١)

وهذا التعبير يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام يكشف عن حقيقة عظيمة هي أن الإمام المهدي عليه السلام سر رباني كبير وإنه عندما يحضر من عالم الغيب إلى عالم الشهود تقوم أشعة بدنه وجيوب النور التي خصه الله بها، مقام نور الشمس والقمر! كما أن أشعة نفسه المباركة تشرق على البشر فتخرج معادن الإنسانية من القوة إلى الفعل، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة...». ^(٢)

وقد ورد في وصفه الظاهري عنهم عليهم السلام أن وجهه أبيض مشرب بالحمرة كالكوكب الدرّي كما في الروايات التالية:

عن الباقر عليه السلام بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض اللون، مشرب بالحمرة...». ^(٣)

وعن حذيفة اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي، وجهه

(١) تفسير القمي: ٢ / ٢٥٣.

(٢) الكافي: ٨ / ١٧٧.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٣.

كالكوكب الدرّي، واللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(١).

محاولات إطفاء هذا النور:

ومنذ ما حلّ بالمسلمين من تفرّق وابتعاد عن أهل البيت عليه السلام جرت محاولات عديدة للقضاء على هذه الذرّيّة الطاهرة للوصول إلى غايتهم وهي منع تولّد القائم أو قتله، ولكنّ الله سبحانه كذب الطغاة وقد ولد القائم سرّاً وعاش سرّاً في غيبته الصغرى، ثمّ في غيبته الكبرى حتّى يظهره الله على الدّين كلّ ولو كره المشركون حيث ينادي بشهادة أن «لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله» فوق كلّ منارة وفي كلّ قرية في الدنيا.

وعندها تخيب آمال الظالمين ويتحقّق الوعد الإلهي بإتمام نوره الوضّاء وظهوره على جميع الأديان. كما أنبأ في كتابه المبارك: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

وقرينة صدق هذا الوعد أنّ هذا النور مقترن بالله سبحانه وتعالى العظيم القادر الصادق للوعد، فمثل محاولاتهم مثل مَنْ يحاول أن يطفئ نور الشمس بفيه.

يهدي الله لنوره من يشاء:

فقد جاء في تفسير ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّه القائم المهدي عليه السلام» وهو أحد أبرز مصاديق هذه الآية المباركة.

(١) دلائل الإمامة للطبري: ٤٤١.

٥٢٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

ولأنَّ الله سبحانه هو الواحد لنور الكون الظاهري كذلك هو الواحد لنور أوليائه ونور الرسالات.

ولأنَّنا لا نعرف ولا يمكن أن نفهم نور الله سبحانه وتعالى المنزه عن نور المخلوقين فإنه تعالى قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ...﴾ أن نور الانبياء والأوصياء من هذا الصنف الذين اصطفاهم في سابق علمه وكانوا تجليات لنوره سبحانه وتعالى.

ولأنَّ الهداية والمعرفة تمت في تلك العوالم وأُخذت عليهم المواثيق وعرف الناس الحق باليقين فطبعت المعرفة في نفوسهم بالفطرة، فمن سلّم وصدّق في هذه الدنيا فإنما هو عن علم وتصديق تمّ في عالم الذر ولكن الهداية في مدّ وجزر؛ ففي عالم الدنيا تحتاج هذه الهداية إلى سقي بنور المعرفة والعلم حتّى تنمو وتثمر بالمحبة والعمل والولاء والعلم.

ولا شكّ أنّ الهداية درجات فكلّما رقى المؤمن درجة زاده الله درجة أخرى، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد/١٧].

وهناك فرق بين إنسان محبّ وبين مؤمن موالٍ، وبين شخص من الأولياء والمقرّبين.

وفرق بين من يصبح يعرف إمامه فهو في ضميره وقلبه ويهتم له ويحزن لحزنه ويفرح لفرحه وبين من هو لا أبالي.

ولا يقاس شخص يصبح وهو مُدافع عنهم بلسانه ويده وفكره، وبين من لا يعمل، وفرق بين من هو ثابت لا تحرّكه العواصف وبين من يتزلزل لأبسط الأحداث والضغوطات.

وبين هذه المستويات هنالك درجات أخرى، فمن يكذب وهو جاحد، ومن هو عدوّ وشاكّ، وهنالك في المقابل المخلصون والمسلّمون والمتظرون.

ولذا تأتي أهمية معرفة القائم حتى يُصنّف الإنسان نفسه من أيّ الفئات، وفي الرواية التالية تصنيف خطير لموقف الناس من القائم عليه السلام.
فقد روى الصدوق رحمته الله بسند مفصل عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليه السلام أنّه قال: ... فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ فقال عليه السلام: «لأنّ له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزء بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون». (١)

من هنا تأتي أهمية المعرفة بصاحب الزمان، فقد ورد عن الصادق عليه السلام أنّه كان يقول: «اعرف العلامة فإذا عرفته لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، إنّ الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الاسراء / ٧١]؛ فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر». (٢)

ثانياً: بقية الله:

عن عمر بن زاهر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل عن القائم يُسلم عليه بإمرة المؤمنين؟ قال: «لا، ذاك اسم سمى الله به أمير المؤمنين عليه السلام لم يسم به أحد قبله ولا يسم به بعده إلاّ كافر». قلت: جعلت فداك، كيف يُسلم عليه؟ قال: «يقولون: السلام عليك يا بقية الله»، ثمّ قرأ: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٧٨.

(٢) الغيبة للنعماني: ٣٥٢.

مُؤْمِنِينَ ﴿هُود/٨٦﴾. (١)

عندما يظهر حجّة الله بعد غيبته في بيت الله الحرام ويسند ظهره إلى الكعبة يجتمع حوله أصحابه ويعرّف نفسه قائلاً: «بَقِيَّتُ الله خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ». وجاء في (كمال الدين) بسند إلى محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام يقول: «... فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأول ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّتُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ثم يقول: أنا بقيّة الله في أرضه وخليفته وحجّته عليكم، فلا يسلم عليه مسلّم إلا قال: السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه...». (٢)

ومعنى «بقيّة الله» ما يبقى من الشيء، ويفضل، والإمام يعني به نفسه الطاهرة والمباركة وهو البقيّة الباقية من صفوة أولياء الله الذين هم أفضل طبقات البشر، فالنبوة ختمت برسول الله ﷺ فلا نبي بعده، والوصاية ختمت بالإمام المهدي عليه السلام فلا إمام بعده وهو بقيّة المرسلين الذي اختاره الله لإصلاح البشرية.

الإمام ومواريث الأنبياء:

فمن صفاته عليه السلام كما جاء في الروايات: «المنتهى إليه مواريث الأنبياء ولديه موجود آثار الأصفياء». (٣)

فهو نقطة نهاية المطاف في دائرة النبوة والإمامة، وعلى يده يحقّق الله ثمراتها، وفيه يجمع الله ما شاء من الطافه الخاصّة التي وزّعها في أنبيائه وأوليائه، ما كان

(١) الكافي: ١/ ٤١١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣١.

(٣) المزار للشهيد الأوّل: ٢٠٩.

أعطاه إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام، فيجمعها في خاتم الحجج ومحقق أهداف الأنبياء عليه السلام.^(١)

ولذا فهو وارث علوم جميع الأنبياء، وما جاؤوا به من كتب وعلوم، ووارث لجدّه النبي المصطفى والأئمة من أجداده الطاهرين كما أنّه وارث لجميع آثار الأنبياء كخاتم سليمان، وقميص يوسف، وحجر موسى وعصاه، وراية رسول الله ودرعه... كما أنّه عالم بجميع الكتب السماوية التي جاء بها الأنبياء، ويزيد عليهم أيضاً بأنّه الخاتم والمبين للحقّ والعدل والعلم، ففي أيام عهده يظهر الله على يديه جميع العلوم فيحوّل العالم إلى جنة في الأرض وتصبح جميع المخلوقات تحت إمرته وخدمته، فالملائكة من جنوده وخدمه، ويعطيه الله القدرات التكوينية فيصبح الرعب من أسلحته التي يهزم به الأعداء، وتطوى له الأرض، وتتكامل العقول، ويصبح المؤمن قوّة تعادل قوّة أربعين رجل، وتخرج الأرض ثمارها، وينتشر الأمن حتّى تتحوّل السباع إلى حيوانات أليفة.

وعندما يقوم يسند ظهره إلى الكعبة ويبدأ بخطبته قائلاً: «أنا بقيّة الله وخليفته وحيّته عليكم»^(٢)، كما عن الباقر عليه السلام قال: القائم يومئذ في مكّة قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به فينادي: أيّها الناس، إنّنا نستنصر الله ومن أجابنا من الناس فإنّا أهل بيت نبيكم محمّد، ونحن أولى الناس بالله وبمحمّد عليه السلام؛ فمنّ حاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومنّ حاجّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومنّ حاجّني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومنّ

(١) الحقّ المبين في معرفة المعصومين: ٥٦١.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٣٩٢.

٥٣٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

حاجني في محمد ﷺ فأنا أولى الناس بمحمد، ومن حاجني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، أليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٣٣-٣٤].

فأنا بقيّة من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد (صلى الله عليهم أجمعين).

ألا فمن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله.

ألا ومن حاجني في سنة رسول الله ﷺ فأنا أولى بسنة رسول الله ﷺ.

فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لما أبلغ الشاهد منكم الغائب، وأسألكم بحق الله وبحق رسوله وبحقّي فإن لي عليكم حق القربى من رسول الله إلا أعتمونا ومنعتمونا ممن يظلمنا، فقد أخفنا وظلمنا، وطردنا من ديارنا وأبنائنا وبغى علينا، ودفعنا عن حقنا، وافتري أهل الباطل علينا. فالله الله فينا لا نخذلونا، وانصرونا ينصركم الله. (١)

ومعنى الحاجة هنا لعله يريد القول أن من أراد أن يحتج عليّ بأنّه أولى وأحق وأجدر يجادلني ويخاصمني بآدم أو عيسى نسباً أو وراثة في العلم فأنا أولى بذلك كوني البقية من هؤلاء... نسباً.. لأنني من سلالة الأنبياء. ويستدلّ السلام بالآية المباركة ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٣٣]. فهو من نفس السلالة من آل إبراهيم.

وكذلك أتباعاً ومنهجاً في الرسالة.. والحنيفية. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ٦٨].

(١) الغيبة للنعماني: ٢٩٠.

فهو أولى بإبراهيم لأنَّ جدّه رسول الله ﷺ الذي هو من سلالة إبراهيم الخليل وهو أولى به من غيره نسباً ونهجاً وعلماً.

والدليل الآخر هو أولى بكتاب الله وسنّة نبيّه كونه العالم بالكتاب والسنّة. وهذا ليس ادّعاءً ولكن ربّ العالمين يصدّقه في كتابه: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/٤٣]. وأمر الله بالرجوع إليهم دليل أعلميتهم بالكتاب، ومثل هذا الادّعاء لم يدّع به غيرهم (صلوات الله عليهم).

ماذا يعني «خير لكم إن كنتم مؤمنين»؟

يمكن استظهار أمرين أساسيين من الآية:

أولاً: ماذا تعني «خير لكم»؟ لا شكّ إنّ الخير المطلق الشامل لجميع مناحي الحياة في الدنيا والآخرة.

فهو يمثل الحقّ والعدل والأمن والاستقرار الذي تفتقر إليه البشريّة طوال مسيرتها.

إنّه يومٌ يحلّم به كلّ مستضعف وكلّ محروم وكلّ مظلوم...

إنّه الهادي المهدي الذي يهدي إلى كلّ أمر خفي، ومُبيّن للعلوم، ففي عهده تكون حضارة راقية آمنة مزدهرة تكتمل فيه العقول وتُنبت الأرض خضرواتها وتأمين السبل، وتُحترم الحقوق وتُصان الأوطان وتُخرج الأرض بركاتها، وهو سفينة النجاة وعين الحياة.

ثانياً: والسؤال الآخر: مَنْ يحصل على هذا الخير المطلق؟ إنّما يحصل عليه وينعم به من آمن وصدّق وأخلص له، وأمّا من عاند وكابر وكذّب فإنّ مصيره إلى الشقاء، فينزل به القصاص والعقاب فإنّه لا مجال للعفو، فقد أمهل الله عباده وأعطاهم الفرصة الكافية آلاف السنوات ومرّت عليهم آلاف الحجج

٥٣٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

والبراهين، وبعث الله إليهم مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ووصي، فمن لا يتوب ويرجع إلى الصراط المستقيم يلاقي جزاء عمله.

ثالثاً: الكلمة التامة:

جاء في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي رحمته الله الدعاء الذي يُقرأ في ليلة ميلاد الإمام المهدي متصرف شعبان: «اللَّهُمَّ بِحَقِّ لَيْلَتِنَا هَذِهِ وَمَوْلُودِهَا وَحُجَّتِكَ وَمَوْعُودِهَا، الَّتِي قَرَنْتَ إِلَى فَضْلِهَا فَضْلاً، فَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ صِدْقاً وَعَدَلاً، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِكَ»^(١).

وجاء في الدعاء الذي يُقرأ بعد زيارة آل ياسين: «اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى ذَلِيلِكَ، وَخَلِيفَتِكَ، وَحُجَّتِكَ وَكَلِمَتِكَ التَّامَّةِ فِي أَرْضِكَ»^(٢).

ماذا تعني الكلمة التامة؟:

وقبل معرفة الكلمة التامة لابد أن نعرف معنى «الكلمة» ولماذا استخدمها رب العالمين على الذوات وعلى المعاني والحقائق؟ وبمعنى آخر: لماذا استخدمها رب العزة على أوليائه من الأنبياء والأوصياء فسمّى عيسى عليه السلام في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران/ ٤٥]؟! فهل «الكلمة» هنا هي اللفظ المشتمل على الأحرف؟ أو على فعل الله وإرادته وأمره؟

المفسرون في الآية المباركة ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ يرجحون كونه متصلاً بالأمر الإلهي سبحانه وتعالى ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ حيث إن عيسى لم يتكوّن عبر

(١) مصباح المتهجد: ٨٤٢.

(٢) الحق المبين في معرفة المعصومين: ١٠٢.

السنن الكونية الطبيعية وإنما خلقه الله بكلمة منه تعالى.
ولا يعني الأمر الإلهي هنا ﴿كن فيكون﴾ بهذه الأحرف الظاهرة، ولكن هو الأمر الإلهي الذي تعلقت به إرادته سبحانه وتعالى.
إنَّ إرادة الله ومشيتته الحرة تتجسّد في أمر إلهي، يسمّيه القرآن بالكلمة، لأنَّ كلّ أمر يصدر منّا نحن الذين يتحدّث القرآن لنا حسب فهمنا، يُعبّر عنه بالكلمة^(١). كما أنّه من الواضح أنَّ الكلمة تطلق على الحقائق والأحكام والآيات القرآنيّة فتسمّى كلام الله تعالى.. لأنّها مرادة الله سبحانه وتعالى أوجدتها وأرادها وشرّعها وسنّها للناس.

والإمامة تعطي المعنيين حيث تعطي المعنى للأحكام لأنّها موطن للأحكام وترجمة وتطبيقاً وبالتالي فهما من مصادر التشريع فلذا صارت من أكبر وأصدق الكلمات الربّانيّة.

وكذا تصدق على الأنبياء والأوصياء لأنهم لا ينفصلون عن إرادة الله سبحانه، فهم مواطن لها وأوکار لها، لا يشاؤون إلّا ما يشاء الله سبحانه وتعالى، وكذا فإنّهم أهل العلم والوحي الذين فضّلهم الله على العباد فقال: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

الكلمة الباقية:

وقد سمّى الله سبحانه وتعالى الأئمة عليهم السلام الكلمة في الآية المباركة التالية: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف/٢٨]. وقد سأل المفصّل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى هذه الآية، فقال الإمام عليه السلام: «يعني بذلك الإمامة

(١) من هدى القرآن: ١/ ٤٠٧.

٥٣٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة...»^(١).
وقد ورد في القرآن الكلمة والكلمات مرّات عديدة وأريد منها أشخاص
الأئمة عليهم السلام.

ومنها ما جاء في الآية المباركة ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...﴾ [البقرة/ ١٢٤]،
فقد جاء في تأويلها عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول
الله عزّ وجلّ (الآية) ما هذه الكلمات؟ قال: «هي الكلمات التي تلقّاها آدم عليه السلام
من ربّه فتاب عليه، وهو أنّه قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة
والحسن والحسين إلّا تبت عليّ، فتاب الله عليه إنّهُ هو التّوّاب الرحيم».

فقلت: يا بن رسول الله، فما يعني عز وجل بقوله ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟ قال: «يعني
فأتمهنّ إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً؛ تسعة من ولد الحسين عليه السلام».

قال المفضل: فقلت له: يا بن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ:
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ قال: «يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب
الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة».

قال: فقلت له: يا بن رسول الله ﷺ، فكيف صارت الإمامة في ولد
الحسين عليه السلام دون ولد الحسن عليه السلام وهما جميعاً ولدا رسول الله ﷺ وسبطاه
وسيداً شباب أهل الجنّة؟ فقال عليه السلام: «إنّ موسى وهارون كانا نبيّين مرسلين
أخوين، فجعل الله النبوّة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن
يقول: لمّ فعل الله ذلك؟ وإنّ الإمامة خلافة من الله عزّ وجلّ ليس لأحد أن
يقول: لمّ جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن عليهما السلام لأنّ الله عزّ وجلّ

(١) ينظر: الخصال: ٣٠٥.

هو الحكيم في أفعاله لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون»^(١).

هذه الآيات وغيرها تُفصح عن حقيقة، أن القرآن أراد من الكلمات الأئمة عليهم السلام لأنهم هم الكلمة بكل معانيها، وبهم تعرض أنبياء الله للامتحان في الميثاق، وفي العوالم السابقة كما جرى لإبراهيم ونبي الله آدم..

فلما صدقوا بتلك الكلمات واعترفوا بها أعطاهم الله المقامات والدرجات العالية، وكذا الملائكة الذين أطاعوا الله وقبلوا السجود لآدم سألوا رضى الله وعلى العكس منهم إبليس الرجيم الذي سقط في الامتحان بالامتناع عن السجود، كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

أما آدم فلما نزل إلى الأرض على ما اقترف من خطأ «ترك الأولى» توسل بالله من أجل التوبة، فقال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٧]. فقد ورد عن النبي وأهل بيته عليهم السلام تفسير هذه الكلمات.

فقد روى ابن بابويه بسنده إلى ابن عباس، قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: «سأله بحق محمد وعلي

وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ فتاب الله عليه»^(١).

الكلمات التامة:

متى تتمّ هذه الكلمات؟

ولأنّ آيات الله وكلماته هي الكمال حيث تقوم على أساس الصدق والعدل، وتفي حاجة البشر، ولا يمكن لأحد أن يأتي بديل عنها، ولا يستطيع أحد أن يغيّرّها ويبدّلها إلى ما هو أصدق وأعدل وأتمّ، كذلك الأمر بالنسبة للأئمة الأطهار، فإنّهم يمثلون كلمات الله التامة، حيث خلقهم الله سبحانه في أحسن صور، وجعلهم أعلى المثل، فعصمهم وطهرهم وأودع فيهم علمه فصاروا مظهرًا للكلمات وترجمانًا للقيم والأخلاق، فأصبحوا مظهرًا من مظاهر العدل الإلهي وكذا الصدق والعفو والكرم... الخ.

وذلك لأنّ إرادة الله تعلّقت بجعلهم كمال الكلمة وتماها منذ بدء خلقهم في أرحام أمّهاتهم، فأكرمهم بالعلم والفهم والعصمة منذ اللحظة الأولى ولذا صاروا الكلمة التامة التي لا تبدل لها.

فقد أفصحت الروايات بأنّهم الكلمة التامة فعن يونس بن ظبيان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ الله عز وجل إذا أراد أن يخلق الإمام من الامام بعث ملكاً فأخذ شربةً من ماء تحت العرش ثمّ أوقعها أو دفعها إلى الإمام فشرّبها، فيمكث في الرحم أربعين يوماً لا يسمع الكلام، ثم يسمع الكلام بعد ذلك فإذا وضعته أمّه بعث الله إليه ذلك الملك الذي أخذ الشربة فكتب على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١/ ١٩٣.

الْعَلِيمُ ﴿[الأنعام/١١٥] فإذا قام بهذا الأمر رفع الله [له] في كل بلدة مناراً ينظر به إلى [أعمال] العباد﴾. ^(١)

وعن الحسن بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب أن يخلق الإمام أمر ملكاً يأخذ شربة من ماء من تحت العرش فيسقيها إياه، فمن ذلك يخلق الإمام، ويمكث أربعين يوماً وليلة في بطن أمه لا يسمع الصوت، ثم يسمع بعد ذلك الكلام، فإذا ولد بعث ذلك الملك فيكتب بين عينيه ﴿وَمَكَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فإذا مضى الإمام الذي كان من قبله، رفع لهذا مناراً من نور ينظر به إلى أعمال الخلائق، فبهذا يحتج الله على خلقه». ^(٢)

فبهذا العلم الموهوب لهم من رب العالمين منذ كونهم في بطون أمماتهم وحتى بعد مماتهم إلى قيام الساعة، حيث لا يغيب عنهم أعمال العباد، فهم أكمل الناس وأفضلهم وأعلمهم، يصبحون الحجة البالغة على الخلق؛ فإذا كانوا كذلك فلا شك أنهم أولياء الخلق من الأولين والآخرين وهم ساسة العباد وأركان البلاد وقادة الأمة، وهم أولى بالخلافة السياسية في الأمة بعد رسول الله ﷺ.

وهذه من صفة الولي القائد المفوض إليه أمور العباد، فهو مطلع عليهم وتعرض عليه أعمالهم، وصاحب الزمان الإمام المهدي عليه السلام هو الولي المطلع المرفوع إليه أعمال الخلق، وهو يعيش في أوساطهم ويمارس دوره الميداني لرعاية مصالح الناس وإن خفي عليهم.

(١) الكافي: ١/ ٣٨٧.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٥٢.

ما هي العلاقة بين أسماء الله وكلماته التامة؟:

وبمعنى آخر: ماذا يعني قولهم نحن الأسماء الحسنی؟ فهل هناك ربط بين أهل البيت عليه السلام وبين أسماء الله الحسنی؟ فكيف صاروا يمثلونها؟
كما ذكرنا أنّ الكلمات عبارة عن حقائق ومعاني، وهي كاشفة عن صفات وأسماء الله الحسنی إنّما هي إخبار عن معنى وحقيقة، فذات الله سبحانه غير اسمه ولذا ورد في الروايات الصحيحة أنّ عبادتنا للمعنى وليس للاسم؛ لأنّ عبادة الاسم والمعنى يساوي الشرك.

كما جاء عن الصادق عليه السلام:

«مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالتَّوَهُّمِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ عَبَدَ الْاسْمَ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ عَبَدَ الْاسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ اشْرَكَ، وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى بِإِيقَاعِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهِ بِصِفَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فَعَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ، وَنَطَقَ بِهِ لِسَانَهُ فِي سِرِّائِهِ وَعِلَانِيَتِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا». (١)

وعن مولانا الصادق عليه السلام: «نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا». (٢)

وذلك لأنهم عليهم السلام وسائل معرفة ذاته، ووسائل ظهور صفاته، وأرباب أنواع مخلوقاته، ولا يحصل لأحد العلم بالأسماء كلّها إلّا إذا كان مظهرًا لها، ولا يكون مظهرًا لها كلّها إلّا إذا كان في جبلّته استعداد قبول ذلك... (٣)

(١) الكافي: ١ / ٨٧.

(٢) الكافي: ١ / ١٤٤.

(٣) تفسير الصافي: ١ / ١١٣.

وربّ العالمين أعطى لأهل البيت هذه الامتيازات والصفات وجعلهم مظهرًا لآياته ونعمه وصفاته، وميّزهم ووسمهم واشتقّ لهم اسماً من أسمائه. ففي الحديث القدسي:

«يا آدم، هذه الاشباح أفضل خلّاقي وبرّياتي، هذا محمد ﷺ وأنا الحميد المحمود في فعلي، شققت له اسماً من اسمي، وهذا عليّ وأنا العليّ العظيم، شققت له اسماً من اسمي...»^(١).

فهم الدليل إلى الله سبحانه ووسائل إليه، وهم الطريق إلى معرفته وشفعائه لقبول الأعمال والعبادات، لأنّ الله سبحانه وتعالى منزّه عن مباشرة خلقه فجعلهم الوسائط إليه، ومظهر علمه وقدرته وأوكاراً لمشيّته، كلّ ذلك بعبء وتفَضُّل ومنّة منه سبحانه وتعالى لأفضل خلقه.

فقد ورد في الدعاء الذي يقرأ في كلّ يوم من رجب الصادر عن الناحية المقدّسة على يد نائبه الأوّل عثمان العمري وقد ذكره الشيخ في المصباح: «اللهمّ إنّني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به وُلاةُ أمرك، المأمونون على سرّك، المستبشرون بأمرك، الواصفون لقدرتك، المعلنون لعظمتك، أسألك بما نطق فيهم من مشيَّتِكَ فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلّا أنّهم عبادُكَ وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدوّها منك وعودها إليك أعضاداً وأشهاداً ومناةً وأذواداً وحفظةً ورواداً فيهم ملأت سمائك وأرضك حتّى (ظهر) أن لا إله

(١) بحار الأنوار: ٢٦/٣٢٧-٣٢٨.

٥٤٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

إلا أنت فبذلك أسئلك...»^(١).

الإمام المهدي عليه السلام ذروة الكلمات التامات !:

نمّا تقدّم نصل إلى النتيجة التالية وهي أنّ الإمام الحجة بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه الشريف) هو الكلمة التامة وذروتها وسانمها.. وذلك لأنّه البقية الباقية من تلك الكلمات التامات اجتمعت في شخصه المبارك فصارت موطناً لها ومصدّقاً جلي، فهو وارث جميع الأنبياء والمرسلين والصدّيقين، ورافع لواء التوحيد وحامي الشريعة ومظهر لآيات الله وقدرته، ومحقق وعده وتمام نوره المبارك.

وقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى بأنّه الكلمة التامة والنور الذي يجب أن يتمّ والوعد الذي يجب أن يتحقّق في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور/٥٥].

وهذا هو مصداق معنى: «فَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ صِدْقًا وَعَدْلًا، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِكَ». أي إنّ مظهر الحق والعدل الإلهي إلى واقع الوجود ولذا نقول أيضاً في زيارته التي أوردها السيّد ابن طاووس في المصباح وأورده القمي في المفاتيح:

«سلام الله الكامل التامّ الشامل العام وصلواته الدائمة وبركاته القائمة التامة على حجة الله ووليّه في أرضه في بلاده وخليفته على خلقه وعباده وسلالة النبوة

(١) المصباح للكفعمي: ٥٢٩.

وبقية العترة والصفوة صاحب الزمان ومظهر الإيمان ومُلقن أحكام القرآن ومظهر الأرض وناشر العدل في الطول والعرض...»^(١).

رابعاً: عين الحياة:

قد ورد في دعاء يوم الجمعة التسليم على صاحب الزمان: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَ الْحَيَاةِ».

فما هو المقصود من عين الحياة؟ رغم أنه وردت للعين معان عديدة في اللغة العربية مثل عين الماء، وكذلك عين الإنسان الباصرة، وكذلك للشخص الذي يطلع على أحوال الناس ويراقبهم أو ما يُسمّى بالجالسوس.

أما في هذه العبارة فإنّ السياق يوضح المقصود عن كلمة العين حيث أضافها إلى الحياة فأعطت معناً جديداً، فكما أنّ عين الماء التي تروّي الأرض الميتة فتحييها بالنبات كذلك الإمام عليه السلام يحيي القلوب الميتة بنور علمه وسيرته وعمله.

وهذه المقارنة بين حياة الأرض بالزراع وحياة النفوس يشير إليها القرآن الكريم في الآيات التالية: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك/ ٣٠] فعن أبي جعفر عليه السلام في تأويلها، قال: «هذه نزلت في القائم، يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو، فمَنْ يَأْتِيكُمْ بِإِمَامٍ ظَاهِرٍ، يَأْتِيكُمْ بِأَخْبَارِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَحَلَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَرَامِهِ؟».

ثمّ قال عليه السلام: «والله ما جاء تأويل هذه الآية ولا بدّ أن يجيء تأويلها»^(٢). وقد استفاضت الروايات عن أهل البيت في تأويل هذه الآية بالقائم عليه السلام.

(١) بحار الأنوار: ٣١ / ٩١.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٦.

أما الآية الأخرى في هذا الشأن: قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد/١٧] فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «يحييها الله عز وجل بالقائم بعد موتها - بموتها كفر أهلها - والكافر ميت»^(١).
وقد جاءت هذه الآية المباركة بعد هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فمن خلال سياقها تكشف عن حقيقة وربط بين حالة الموت والقسوة التي تحل بالقلوب وبين نور الإيمان وذكر الله الذي يحيي القلوب من جديد، وهو تحذير للأمة عن حالة اليأس والغفلة وقسوة القلوب، وضرورة انتظار القائم عليه السلام لأنه الأمل الذي يحيي النفوس من مرض اليأس، ولأنه الماء المعين الذي سوف يحيي القلوب من الظمأ.

ويؤيده أن الله تعالى استعمل تعبير إحياء الأرض في عدة مواضع، ولم يصدره بـ (اعلموا) إلا في هذا المورد، وإنه استعمل تعبير اعلموا في بضعة وعشرين موضعاً كلها مهمة، وتمثل أهم الأمور التي ينبغي للمؤمنين أن يعلموها... وإحياء الأرض السنوي لا يحتاج إلى تنبيه بقوله (اعلموا).^(٢)

واقع الحال: إن أهم نعمة فقدناها من غياب الإمام المهدي عليه السلام هو العلم الذي يحيي النفوس ويوقظ الضمائر ويبعث العقول.
أما على الصعيد الاجتماعي فإن التمزق الحاصل في المجتمع الإسلامي

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٦٨.

(٢) الحق المبين في معرفة المعصومين: ٦٤٧.

والتناقضات والمذاهب والصراعات هي نتيجة فقدان الإمام المنتظر لأن المجتمع من دون قيادة موحدة يؤول إلى الضعف والاختلاف، والهزيمة أمام الأعداء. وما نشاهده من سيطرة القوى الاستكبارية على البلاد الإسلامية ونهب ثرواتها ما هي إلا نتيجة من نتائج الغيبة للإمام عليه السلام.

أمّا على الصعيد الاقتصادي فإنّ نقص البركات والخيرات رغم توفّر النعمة العظيمة ومصادرها في بلادنا إلا أنّ الجوع والتشرّد وعدم وجود المأوى والعيش الكريم، ووجود عشرات المشاكل الاقتصادية من الفقر والتضخم والظلم وعدم العدالة في توزيع الثروة.

أمّا على الصعيد السياسي فقد تسلّطت الأنظمة الظالمة والفاسدة التي تعمل بالجهور والقتل والفسق والفجور على رقاب الناس.

وعلى صعيد الأمن الشخصي- فقد انتشرت الأمراض الفتاكة التي يصعب علاجها وانتشر الإرهاب الذي يحصد النفوس والأرواح في كلّ يوم، فلا ينام الإنسان إلاّ على الخوف والرعب.

ما أحوالنا اليوم ونحن نشاهد السيل الجارف من الظلم والجهور والفساد الذي يهدّد الكرة الأرضية ومنّ عليها بالزوال إلى الفرع والعودة إلى ربّ العالمين والتوسّل إليه من أجل أن يعجّل فرج المنقذ المصلح الذي يُرجع الأمور إلى نصابها.

إنّنا ننتظر تلك اللحظة التي تنفجر عين الحياة على البشرية فتسيل على الكرة الأرضية فتحيي الأرض وتطهّر النفوس الميتة، وتعيد الحقّ إلى أهله، وتعيد القرآن إلى الحياة، فتجرى الأحكام والسنن والأخلاق.

ما أحوالنا إلى تلك النظرة التي يطلّ بها على العالم فينبجج النور بعد الظلمة،

والحياة بعد الموت، والعدل بعد الجور.

إنَّه صاحب الزمان، وإمام الإنس والجان، والعلم المنصوب، والعلم المصبوب.. إنَّه عين الحياة!

ماذا يحدث عند عودة الماء المعين إلى الأرض؟

جاء في حديث المعراج عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَمِنْهَا إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى وَمِنْ السِّدْرَةِ إِلَى حُجُبِ النُّورِ، نَادَانِي رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، فَلِي فَاخْضَعْ وَإِيَّاي فَاعْبُدْ وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ، وَبِي فَتَق، فَإِنِّي رَضِيتُ بِكَ عَبْدًا وَحَبِيبًا وَرَسُولًا وَنَبِيًّا، وَأَخِيكَ عَلِيَّ خَلِيفَةً وَبَابًا، فَهُوَ حُجَّتِي عَلَى عِبَادِي، وَإِمَامًا لَخَلْقِي، بِهِ يَعْرِفُ أَوْلِيَائِي مِنْ أَعْدَائِي، وَبِهِ يُمَيِّزُ حَزْبَ الشَّيْطَانِ مِنْ حَزْبِي، وَبِهِ يَقَامُ دِينِي وَتَحْفَظُ حَدُودِي وَتَنْفُذُ أَحْكَامِي، وَبِكَ وَبِهِ وَبِالْأُئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ أَرْحَمُ عِبَادِي وَإِمَائِي، وَبِالْقَائِمِ مِنْكُمْ أَعْمَرُ أَرْضِي بِتَسْبِيحِي وَتَهْلِيلِي وَتَقْدِيسِي وَتَكْبِيرِي وَتَمْجِيدِي، وَبِهِ أُطَهَّرُ الْأَرْضَ مِنْ أَعْدَائِي وَأُورِثُهَا أَوْلِيَائِي، وَبِهِ أَجْعَلُ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِي السُّفْلَى، وَكَلِمَتِي الْعُلْيَا، وَبِهِ أَحْيِي عِبَادِي وَبِلَادِي بِعِلْمِي، وَلَهُ أَظْهَرَ الْكُنُوزِ وَالذِّخَائِرِ بِمَشِيئَتِي، وَإِيَّاهُ أَظْهَرَ عَلَى الْأَسْرَارِ، وَالضَّمَائِرِ بِإِرَادَتِي، وَأَمَدَّهُ بِمَلَأَتِكْتِي لِتُؤَيِّدَهُ عَلَى إِنْفَازِ أَمْرِي وَإِعْلَانِ دِينِي، وَذَلِكَ وَلِيِّي حَقًّا، وَمَهْدِيَّ عِبَادِي صِدْقًا»^(١).

وقد تضمَّن هذا الخبر آفاقاً كبيرة عند عودة الماء المعين إلى الحياة:

أولاً: إحياء الأرض بالتوحيد وتطهيرها من الشرك: حتَّى يشهد أهل الكرة الأرضية بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، ويكون الدين الإسلامي هو الدين الوحيد، وتتوحد القيادة الربانية تحت راية الإمام المهدي عليه السلام، ويفتح

(١) امالي الصدوق: ٧٣١.

الله على يديه جميع البلاد والحصون، ولا يبقى شخصٌ واحد خارج إطار الإسلام، وقد ورد في بعض الروايات أن نبي الله عيسى عليه السلام ينزل من السماء ويصلي خلف صاحب الزمان في القدس، وهو من الأمور التي تساعد على اتباع المسيحيين الدين الإسلامي.

وقد روى الصدوق في الإكمال بسنده إلى محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: «القائم منا منصور بالعرب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلا قد عمر، وينزل روح الله عيسى ابن مريم عليه السلام فيصلي خلفه...»^(١).

ثانياً: تطهير الأرض من الظالمين وتولييتها الصالحين: كما جاء في الحديث «وبه أطهر الأرض من أعدائي، وأورثها أوليائي...».

وذلك لأن الله سبحانه وتعالى اذخر الانتقام من أعداء الله على يد وليه الإمام المنتظر، فإنه يقوم بعملية القصاص العادل من جميع أعداء الله من الأولين والآخرين، الأحياء منهم والأموات، حيث يخرجهم من قبورهم فيجري عليهم القصاص العادل بما حاربوا الأنبياء والصالحين، واستولوا على رقاب العباد كرهاً، وعاثوا في الأرض فساداً فأحيوا البدعة وأماتوا السنة، وعطلوا الحدود، واستحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وحرفوا كلامه، وسفكوا دماء الصالحين، وقتلوا الأنبياء وذرائعهم من الأوصياء، ولذا فإنه يخرج أولئك الذين حاربوا النبي الأعظم من قبورهم ويصلبهم بما حرفوا وبدلوا وخانوا وانقلبوا عليه من

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣١

٥٤٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بعده، وظلموا عترته وانتهبوا حقهم وإرثهم، وغصبوا الخلافة منهم.
فإن الله أدخره لذلك اليوم الرهيب حيث يقوم بالمحاكمة العادلة التي
يشهدها العالم بأسره.

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾

ثالثاً: كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى: «وبه أجعل كلمة الذين
كفروا بي السفلى وكلمتي العليا».

ولأن الله قد أعطى للظالمين والكافرين المهلة ليزدادوا إثماً وجوراً ولتكون
الحجة عليهم بالغة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾
[آل عمران/ ١٧٨].

فقد ظفر أهل الجور على أهل العدل غالباً، وعاش المؤمنون والصالحون في
خوف ورعب وتشريد وقتل، وفي المقابل تنعم الظالمون والفاستقون بمختلف
النعم بالجور والباطل، وعصوا الله جهرةً، وتحذوا أوامره وكذبوا أوليائه،
وخالفوا أحكامه فأصبح الحرام شائعاً والمنكر معروفاً..

ففي مثل هذه الظروف التي تغيرت الموازين، فأصبح الجور محموداً، والعدل
قبيحاً، فلا أمل ولا رجاء بالخلاص والفرج إلا بمن أدخره الله لذلك اليوم الذي
يشع الوجود بنوره فيملاً الدنيا عدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

فأقول: يا سيدي، يا فرج الله، أيها الإمام المنتظر، وحتى لحظة الإذن الرباني
أرنا نظرة لوجهك المشرق، واسقنا من عين ماءك فقد طال الصدى.

فعن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج / ٤١].

قال: «هذه لآل محمد؛ المهدي وأصحابه، يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين، ويميت الله عز وجل به وبأصحابه البدع والباطل كما أمت السفهة الحق حتى لا يرى أثر من الظلم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والله عاقبة الأمور»^(١).

رابعاً: ظهور العلم الإلهي وإحياء البلاد والعباد: «وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي».

يظهر الله على يد وليه جميع العلوم التي تحيي القلوب من ظمأ الجهل والضلالة، ويبعث العقول للتكامل والنشاط ووصول الآفاق.

وعلى رغم ما وصلت إليه البشرية من التطور العلمي إلا أنه لا يعد شيئاً في عصر الإمام المهدي عليه السلام، حيث تتكامل العقول في عصره. ويظهر الله على يديه جميع العلوم، ويصبح الرجل بقوة أربعين رجلاً.

وينكشف للمؤمن المشرق والمغرب من دون استخدام للأجهزة الحديثة وإنما يرفع كفه ليجد ما يريد من العلوم والأحكام والمشاهد في الدنيا. وتصبح المرأة عالمة قاضية؛ تقضي في بيتها بكتاب الله من دون الرجوع إلى أحد.

(١) بحار الأنوار: ٢٤ / ١٦٥ - ١٦٦.

٥٤٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وتطوى الأرض للمؤمنين، وتسخر لهم الرياح، فتصبح الأرض كلها مثل القرية الواحدة، فلا يحتاج إلى وسيلة السفر المعهودة. وتصبح الأرض جنة تفيض منها الأنهار والمياه، وتكسوها الخضرة فلا ترى شبراً بلا خضرة، كما أن الأعمار تزداد حتى يرى الإنسان له ألف ولد وحفيد، وتتطور الحياة الاقتصادية فيقسم فيها بالسوية، ويصبح المال كدوساً من كثرته، ويصبح مثل التراب يحثوه الإمام حثوا لمن يريده فلا تجد مريضاً وفقيراً. وتتحول الدنيا إلى جنة مثالية ببركات صاحب الزمان، والنصوص في ذلك كثيرة:

منها: ما ورد عن الباقر عليه السلام: «إذا قام قائمنا عليه السلام وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم»^(١).
ومنها: قال الصادق عليه السلام: «إن قائمنا إذا قام مد الله عز وجل لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه»^(٢).
ومنها: قال الصادق عليه السلام: «إن المؤمن في زمان القائم وهو بالشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالشرق»^(٣).
خامساً: تسخير جميع المعادن والكنوز الأرضية: «وله أظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي».

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٥.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٤١.

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٩١.

إذا تصوّرنا الحياة قبل مائة عام وأكثر فلا توجد الوسائل الحياتية الحديثة؛ فلا نفط ولا معادن بهذه الصور، ولا طائرات ولا سيارات ولا تلفون ولا حاسوب ولا أنترنت ولا فضائيات ولا كلّ هذه الوسائل الحديثة..

أمّا عصر صاحب الزمان فإنّ الحياة تتبدّل تماماً حيث تزدهر الأرض؛ لأنّ جميع المعادن والذخائر الغير معروفة الآن تصبح في متناول إمام الزمان والقائد العام، ففي ذلك اليوم لا نحتاج إلى هذه الوسائل لاستخراج هذه المعادن، فلا يحتاج الإمام لصرف آلاف العمّال ومختلف الوسائل وإنّما هو ببركاته ودعائه وأمره بإذن الله سبحانه وتعالى.

سادساً: تطوّر القضاء: «وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي». في عهده عليه السلام يتطوّر القضاء والحكم فلا يحتاج إلى البيّنة لإطلاعه على الضمائر والنفوس فيحكم بحكم نبيّ الله داود عليه السلام.

وقد يسأل السائل: ألم يكن النبي ﷺ يعتمد البيّنة ويأمر بها كما قال: «إنّما أقضي بينكم بالآيمان والبيّنات» فصارت سنّة جارية عند المسلمين إلى يومنا هذا، فلم يحكم بعلمه الشخصي؟!

ويمكن الإجابة على ذلك أنّ النبي ﷺ أراد أن تكون تلك سنّة في أمّته لكي لا يأتي أحد من حكام الجور الذي يتسلّطون على الأُمّة الإسلامية فيقضي بهواه وميله، ويدّعي أنّها سنّة من النبي ﷺ، فقد سدّ الباب في وجوه المدّعين لخلافته من الاستفادة السيّئة لطريقة النبي في الحكم، وعلى رغم أنّ النبي لو حكم بعلمه الشخصي كان هو الصواب والحقّ لأنّه مصدّق من الله سبحانه وتعالى.

أمّا في عهد الإمام المهدي وهو الخاتم للأوصياء فلا دولة للجائر من بعده حتّى يخاف من الذين يأتون من بعده، ولذلك فإنّه يحرص على تطبيق الحقّ

٥٥٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بحذايره من دون إجحاف بأحد، وإنّما هو بالعدل والقسط والحزم والدقّة، وقد كثرت الروايات في هذا الشأن:

منها: ما جاء عن الصادق عليه السلام قال: «إذا قام قائم آل محمد عليه وعليهم السلام حكم بين الناس بحكم داوود، لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله تعالى، فيحكم بعلمه، ويخبر كلّ قوم بما استبطنوه...»^(١)

ومنها: عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: لأي شيء سمّي المهدي؟ قال: «لأنّه يهدي لأمر خفي، يبعث إلى الرجل من أصحابه لا يعرف له ذنب فيقتله»^(٢).

والسؤال: كيف يطبّق العدالة في كلّ مكان وفي جميع البلدان، مع العلم أنّه يعمل بعلمه في القضايا والمرافعات التي يرجع له فيها؟ وبمعنى آخر: هل يستطيع بمفرده إدارة جميع المشكلات والبّت فيها؟

ليس من الضروري أنّ الإمام عليه السلام يقوم هو شخصياً بهذه الأمور، فأنصاره الذين يبعثهم في البلدان حكّاماً وقضاة ٣١٣ منهم علماء ويستطيعون الرجوع إلى الإمام في المسائل أسرع من الوسائل الحديثة فيحصلون على الحكم الشرعي حيث يكشف الله لهم عن أبصارهم ويمدّ لهم في أسماعهم فتصبح المسافات والاتّصالات والمعلومات أسرع ما يمكن.

فقد ورد أيضاً في الروايات عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كلّ إقليم رجلاً.. يقول: عهدك في كفّك، فإذا ورد عليك أمرٌ

(١) الإرشاد: ٣٨٦/٢.

(٢) الخرائج والجرائح: ٨٦٢/٢.

لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كَفِّك واعمل بما فيها»^(١).

وهذا الأمر ليس مستبعداً في الوقت الذي نشاهده ونتعامل اليوم مع التقنية المتطورة التي تنقل الصوت والصورة والمعلومات في نفس الوقت في كل أصقاع العالم.. فإذا كان البشر العاديين قد توصلوا إلى هذا التطور فكيف بالإمام المهدي الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ويسخر الله له الرياح والأراضي وبواطنها، وجميع المخلوقات تحت إرادته!

ويتقدم القضاء في عهده وذلك لأنّ الأفهام تتطور والعقول تتكامل، والمقدرة التدبيرية (الحكمة) تتقدم عند النساء أيضاً.

فمن المعروف في زماننا أنّ الشريعة الإسلامية لا تجوز منصب القضاء للمرأة بسبب التركيب النفسي العاطفي التي تمتاز بها المرأة، أمّا في عهد الإمام عليه السلام فإنّ الناس يتغيرون ويتطورون فإنّ الحكمة تأتي للمرأة والعلم والفهم حتّى أنّها تقضي في بيتها معرفتها بكتاب الله سبحانه.

فقد ورد عن الباقر عليه السلام: «... تؤتون الحكمة في زمانه حتّى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ»^(٢).

فإذا كانت المرأة تصل بركاته إلى هذا المستوى من العلم والفهم والقضاء فكيف هو شأن الإمام عليه السلام الذي يرث جميع علوم الأنبياء ويؤتي علم جميع الكتب السماوية، ويؤتي علم النفوس والضمائر، ويقام له عمود من نور يعرف به جميع الأخبار والبلدان.

(١) الغيبة للنعماني: ٣٣٤.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٤٥.

كما قال تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾^(١)
 فالكلمة الصادقة هو الإمام المعصوم الصادق العادل في قوله وفعله وحكمه؛
 لأنّه موافق لما يريد الله سبحانه وتعالى.
 سابعاً: تأييد الله سبحانه بجنود منه: «وأمدّه بملائكتي لتؤيّدنه على إنفاذ أمري
 وإعلان ديني، ذلك وليّ حقّاً، ومهدي عبادي صدقاً».
 وكلّ الذي يقوم به الإمام من إنجازات حضاريّة على مستوى الكرة الأرضيّة
 بمشيئة من الله سبحانه وإرادته وإذنه وتأييده بالملائكة وغيرها من أجل أن يقوم
 بهمّته العالميّة الإصلاحيّة على مستوى البشريّة جمعاء.
 فقد جاء في الأخبار عن عبدالرحمن بن كثير عن الصادق عليه السلام في قوله
 عزّ وجلّ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل/ ١]، فقال: «هو أمرنا أمر الله عزّ
 وجلّ ألاّ تستعجل به حتّى يؤيّدنه ثلاثة أجناد: الملائكة والمؤمنين والرعب،
 وخروجه كخروج رسول الله ﷺ وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
 مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال/ ٥]».^(١)
 وعن عليّ بن أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام القائم عليه السلام نزلت
 ملائكة بدر وهم خمسة آلاف؛ ثلث على خيول شهب، وثلث على خيول بلق،
 وثلث على خيول حوّ، قلت: ما الحوّ؟ قال: «هي الحمر»».^(٢)

(١) الغيبة للنعماني: ٢٥١.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٥١.

خامساً: باب الله

نقل الشيخ المفيد والشهيد في المزار، زيارته في السرداب في سامراء، ومنها هذه العبارة: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ»^(١).
هذه العبارة تشتمل على نفى وإثبات.

ففي القسم الثاني من العبارة «لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ» نفى يفيد الحصر- أي نفى السبل والطرق إلا عن طريق واحد وهو طريق الإمام المهدي عليه السلام، خاتم الأوصياء، وذخيرة الصالحين، ووارث الأنبياء وصفوة المرسلين، وبقية الله في أرضه.
وإنما حصر الطريق فيه لأنَّ مَنْ قَبْلَهُ قَبِلَ جميع الأنبياء والأوصياء، وَمَنْ أَنْكَرَهُ أَنْكَرَهُمْ جميعاً!

كما أنَّ العكس صحيح أيضاً!!

والقبول يعني المعرفة والولاء والاتباع كما أراده الله سبحانه من المكلف وليس حسب ما يميل إليه الإنسان بهواه ومقاسه الشخصي.

ولابدَّ أن نعرفه عبر الطريق الذي رسمه الله سبحانه وتعالى وهم أهل البيت عليهم السلام لأنَّهم الناطقون الرسميون الوحيدون عن الله سبحانه وتعالى وليس عن طريق مَنْ يَتَسَمَّى بأنه عالم أو يتَّبِع أفكار الشرق والغرب، وَمَنْ يَنْطِق عن الشيطان أمثال الفلاسفة والمتصوّفين المخالفين لنهج أهل البيت عليهم السلام.

لأنَّ العبارة التي وردت عن أهل البيت في حقّه نفت أيَّ باب آخر لا يكون غير باب الإمام المهدي عليه السلام: «الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ».

(١) المزار للشهيد الأوّل: ٢٠٣-٢٠٤.

فالإثبات لا يمكن إلا بإسقاط السبل التي لم ينصّبها الله تعالى لعباده، فهي لا توصل إلى الله سبحانه، لأنّها فاقدة للهدى كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس/ ٣٠].

هل الطرق بعدد أنفاس الخلائق كما يقولون؟!

هناك مَنْ يعتقد أنّ كلّ الطرق تؤدّي إلى الله فيمكن الأخذ بها كلّها، ولكن هذا القول باطل لأنّه يخالف الحقّ الذي رسمه الله وحصره في الناطقين عنه من المعصومين المطهّرين، ويخالف سنّة المرسلين المصطفين الذين يوحى إليهم. فهناك اختلاف كبير في الأمّة، وهناك مناهج متناقضة في تفسير الشريعة والقرآن، وهناك تباين ومعاداة من المذاهب لبعضها، فهل الجميع على الحق؟ أم إنّ هناك ضمان رسمه ربّ العالمين للأمّة كما في حديث الثقلين؟!

الطريق إلى معرفة الله وعبادته وطاعته هو اتباع السبل التي عينها الله سبحانه كما جاء في زيارة الجامعة: «مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بَدْءَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَدَهُ قَبْلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ».

وعليه فإنّ الطريق الحصري لله سبحانه لا بدّ أن يأتي من أبوابهم لأنّ المقادير والتدبيرات والأرزاق للعباد تنزل على صاحب الزمان.

يقول الشيخ وحيد الخراساني: باب الله... بهذه الدقّة في التعبير والاستثناء المفيد للحصر القطعي، وتأكيد بالنفى، وبلفظ يؤتى المطلق المبني للمجهول، الذي يعني أنّ كلّ آت في كلّ مكان في كلّ مقام، من جبرائيل في الملأ الأعلى، إلى الإنسان العادي على كرّتنا الأرضيّة، إنّما يأتي ببركتهم صلوات الله عليهم^(١).

(١) الحقّ المبين في معرفة المعصومين: ٦٢١.

ماذا يعني إنه صلوات الله عليه باب إلى الله؟

أولاً: من الواضح إنه ليس باباً مادياً وإنّما هو وسيلة إلى الله سبحانه وباب علم وهدي كما قال رسول الله ﷺ في حق أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

ثانياً: أضيف الباب إلى اسم «الله» الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا! فباب الله يعني باب الرحمن، وباب الرحيم، وباب العليم، وباب الحكيم... وتتم الألف خصوصيةً منحصرة في ذاته المقدسة التي لا تنال إلا عن هذا الطريق.

ثالثاً: كون الإمام هو باب الله ليس هو مبالغة ولا خيال ولا مجاز، وإنّما هو تنصيب من الله سبحانه وتعالى وعطاء وتفضل منه لعبده ليكون الوسيلة إليه والخليفة على عبادته.

رابعاً: إنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نأتي البيوت من أبوابها، فإذا كان العرف يفهم ذلك، ويستقبح الدخول إلى البيوت من غير الأبواب المجعلولة في المباني، فكيف الدخول إلى طاعة الله وعلمه وهديه من غير الأبواب المجعلولة منه تعالى، ولذا فإنّ الطاعة منحصرة بطاعة الإمام واتباعه.

«مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ». (١)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾ [النساء/ ٥٩].

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ٣٠٩ / ١.

سادساً: حجة الله

ذكرنا فيما سبق معنى الحجية، وأن الإمام عليه السلام هو حجة الله على خلقه، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو: ما مدى حجية صاحب الزمان زماناً ومكاناً وأشخاصاً؟

أولاً: حجتيته شاملة على سكان السماوات والأرضين: من الملائكة المقربين وحتى الجن والإنس والحيوان والنبات والجماد، فقد جاء في البحار في السلام على صاحب الزمان: «السلام عليك يا حجة الله على مَنْ في الأرض والسماء»^(١).

والقرائن اللفظية من هذا السلام تؤيد العموم لجميع المخلوقات من أهل السماء والأرض.

فحرف «من» يفيد العموم.

وكذلك الأرض والسماء المحلان بالألف واللام يفيد العموم من دون تقييد. وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «نحنُ الحجةُ البالغة على مَنْ دون السماء وفوق الأرض»^(٢).

فالملائكة المقربون من الله سبحانه، معصومون وهم يعملون تحت ولاية القائم، لأنه وليّ العصر ووليّ الزمان على جميع الخلق، فإنهم ينزلون بالمقادير على صاحب الزمان في ليلة القدر كما قال تعالى: ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر / ٤].

(١) بحار الأنوار: ١١٧/٩٩.

(٢) تفسير العياشي: ٣٨٣/١.

فإذا كان المؤمن الملتزم يصبح أفضل من الملائكة فكيف بالإمام المعصوم حجة الله وسفيره وخليفته على عباده ألا يكون أفضل منهم؟ وقد عرضنا قصة بداية الخلق وكيف إن الله سبحانه علّم آدم الأسماء وأمر الملائكة أن تتعلّم منه وأن تسجد له طاعةً وكرامةً وعبوديةً لله سبحانه. أمّا حجّيته على الناس فهو من الأمور المسلّمة، فإنّ الله بعث الأنبياء رحمةً للعالمين وحجةً عليهم يوم القيامة.

الثاني: حجة الله على الماضين والباقيين: وهذا دليل على عظمة سلطان الإمام المهدي عليه السلام، فهو حجة على الخلق الماضين من الأنبياء والأولياء، حيث أخذ الله الميثاق على الأنبياء لمحمد وآله الطاهرين، فمعرفة وولايته كانت مفروضة على الجميع كونه خاتم الأوصياء.

فقد ورد في المزار للشهيد الأوّل: «أشهد أنّك الحجة على من مضى - ومن بقي...»^(١).

وقد صارت كلمة «الحجة» اسماً مشهوراً له وعلماً يُعرف به رغم أنّ جميع الأنبياء والأوصياء من آل محمد حجج الله إلاّ أنّه إذا ذكر الحجة من دون قرينة فيقصد به هو عليه السلام.

فقد ورد عن أبي هاشم الجعفري أنّه قال: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام يقول: «الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف بكم بالخلف من بعد الخلف؟»

(١) المزار للشهيد الاول: ٢٠٤.

فقلت: ولم جعلني الله فداك؟

فقال: «لأنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه».

قلت: فكيف نذكره؟ قال: «قولوا: الحجّة من آل محمد عليه السلام». ^(١)

قال المحدث النوري: وهو من ألقابه الشائعة المذكورة في كثير من الأدعية والأخبار، وقد ذكره أكثر المحدثين، ومع أنّه يشارك باقي الأئمة عليهم السلام بهذا اللقب، وكلّهم حجّة الله على الخلق، ولكن مع ذلك فهو مختصّ به، فكلّما ذكر بدون قرينة فإراد به هو عليه السلام.

وقال بعضهم: لقبه (حجّة الله) بمعنى غلبة وتسلّط الله على الخلائق، فإنّها سوف يكونان بواسطته عند ظهوره.

ونقش خاتمه (أنا حجّة الله). وبرواية: (حجّة الله وخالصته). وبهذا الخاتم سوف يحكم الأرض. ^(٢)

سابعاً: وعد الله

ورد في زيارة آل ياسين: «السّلامُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَهُ». لماذا سُمّي الإمام عليه السلام بـ«وعد الله»؟ ولماذا نسبته ربّ العالمين إلى نفسه عزّ وجلّ؟

الوعد من الأمور المحترمة والقيم العظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وفي الشرائع كلّها بل في كلّ القوانين البشريّة تعتبر من الأخلاق الرفيعة الممدوحة، كما أنّ مخالفة الوعد من الأمور المذمومة عند العقلاء، بل إذا اتّصلت بالتزامات

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٨١، الغيبة للطوسي: ٢٠٢.

(٢) النجم الثاقب: ١/ ١٨٣.

قانونية وعقود بين الناس فإنّ مخالفتها من الأمور التي يعاقب عليها في القانون البشري وكذا في الشرع.

وصدق الوعد من الصفات التي أثنى الله تعالى على ذاته المقدسة في أكثر من آية مباركة:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم/٦].

وقال: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل/٦].

وقال: ﴿... إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم/٦١].

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [آل عمران/١٥٢].

وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء/١٢٢].

وقد وصف نفسه في هذه الآيات المباركات بعدة مفردات أنّ وعده صادق ولا يخلفه وهو محقق فعليّ وآتي لا محالة.

وهناك الكثير من الوعود التي وعد الله عليها المؤمنين ومنها وعده بالنصر- للمؤمنين والمستضعفين والصالحين والأنبياء والأئمة عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [غافر/٥١]

وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا...﴾

[يوسف/١١٠]

وقد وعد الله الأنبياء وخاتمهم بالنصر- الشامل ووراثه الأرض كلّها ودخول الأمم جميعها في الدين الإسلامي في آيات كثيرة، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف/٩].

وقوله: ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.
 وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ
 وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.
 وقوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ
 مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص/٦].
 وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
 الْأَرْضِ﴾
 وقوله سبحانه أيضاً: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
 يَعْلَمُونَ﴾

وهذا الوعد لم يتحقق بعد ولا نزال ننتظره، ولأنه سبحانه أصدق القائلين
 فلا بد أن يتم لا محالة.

وقد أولت هذه الآيات المباركة بقيام الإمام المهدي عليه السلام وثورته على جميع
 الكفار الظالمين، وتحقيق الدولة الإسلامية العالمية في جميع الكرة الأرضية.

روى الحافظ القندوزي الحنفي بإسناده إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله
 تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ
 كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) قال: «والله ما يجيء تأويلها حتى يخرج القائم المهدي عليه السلام، فإذا
 خرج لم يبق مشرك إلا كره خروجه، ولا يبقى كافر إلا قُتل، حتى لو كان كافر في
 بطن صخرة قالت: يا مؤمن، في بطني كافر فاكسرنى واقتله»^(١).

وروى أيضاً بإسناده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ما يجيء

(١) المهدي في القرآن والسنة: ٥٣.

نصر الله حتى تكونوا أهون على الناس من الميتة، وهو قول ربي عز وجل في كتابه في سورة يوسف: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ وذلك عند قيام (قائمتنا) المهدي^(١).

وروى أيضاً بإسناده إلى الباقر والصادق عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: «هم القائم وأصحابه».

أخرج العلامة النيسابوري في تفسيره في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة/٣]. قال: المهدي المنتظر الذي وعد الله به في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور/٥٥] وماورد عنه عليه السلام: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أمتي يواطئ اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

وروى صاحب تفسير البرهان عن العالم الحنفي «الشياني» في كشف البيان، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالوا في الآية المباركة ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾: أن هذه الآية مخصوصة بصاحب الأمر الذي يظهر في آخر الزمان ويبعد الجبابة والفراغة،

(١) المهدي في القرآن والسنة: ٦٨.

(٢) المهدي في القرآن والسنة: ١٠٤.

ويملك الأرض شرقاً وغرباً فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً.^(١)
وفي تفسير الآية المباركة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم/٦] جاء في «عقد الدرر» للمقدسي الدمشقي بسنده عن حذيفة ابن اليمان عن النبي ﷺ قال: «ويل لهذه الأمة من ملوك جابرة، كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهروا طاعتهم، فالملء من التقي يصانعهم بلسانه ويخالفهم بقلبه فإذا أراد الله عز وجل أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كل جبار عنيد وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها».

ثم قال: ﷺ «يا حذيفة، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي، تجري الملاحم على يديه ويُظهر الإسلام».
قال ﷺ: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وهو سريع الحساب.^(٢)

وقد أكدت الروايات المتواترة والمستفيضة أن خروجه لا بد منه وأنه من المحتومات المؤكدة. وفي معرض ذكر العلامات، ذكر الصادق ﷺ العلامات الحتمية لخروج القائم، ثم أشار الإمام أن العلامات فيها البداء، فقال السائل للإمام: وهل في خروج القائم البداء؟ فقال ﷺ: «ذلك من الموعود؛ فالموعود لا يمكن أن يتخلف لأنها من الصفات الحميدة لله رب العالمين وهي لا تتخلف عن ذاته المقدسة». وبما أنه سبحانه عز وجل وصف نفسه بـ«صادق الوعد» المتعلق بخروج صاحب الزمان ﷺ، فلذا عرف صاحب الأمر بـ«الموعود».

قال المحدث النوري: عده في الهداية من ألقابه.

وروى الشيخ الطوسي عن الإمام السجاد ﷺ أنه قال في الآية الشريفة:

(١) المهدي في القرآن والسنة: ١١٢.

(٢) المهدي في القرآن والسنة: ١١٧.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ* فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات/ ٢٢-٢٣].

قال: «قيام القائم عليه السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله». ونقل عن ابن عباس مثله. ثم قال: ويحتمل أنه عليه السلام يريد تأويل الرزق في الآية بظهوره عليه السلام الذي يكون سبباً لانتشار الإيمان والحكمة وأنواع العلوم والمعارف وهي حقيقة الرزق وسند الحياة الإنسانية وعيش الخلود، كما فسر- الطعام في الآية الشريفة: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس/ ٢٤]. بالعلم..

أو يكون المقصود من تفسير ﴿وما توعدون﴾ يعني ذلك الموعد الذي وُعدتم به ووُعدَ بمجيئه جميع الأمم هو مجيئه عليه السلام، كما في زيارته عليه السلام: «السلام على المهدي الذي وعد الله به الأمم أن يجمع به الكلم». وجاء في إحدى الزيارات الجامعة في أوصافه عليه السلام: «واليوم الموعد، وشاهد ومشهود». (١)

الثامن: ميثاق الله

ورد في زيارة آل ياسين: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مِثَاقَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ».

ماذا يعني أنه ميثاق الله؟ وماذا يعني أنه وكَّده؟

لعله إشارة إلى الميثاق الذي أخذ على الخلق قبل هذه النشأة في عالم الأرواح وعالم الذرّ، حيث خلقهم وأقامهم وعرفهم بنفسه تعالى ونبيه صلى الله عليه وآله وبأهل بيته الطاهرين، فأخذ عليهم الميثاق بالربوبية والإقرار بالتوحيد والإقرار بنبوة النبي

(١) النجم الثاقب: ١/ ٢٤٠-٢٤١.

٥٦٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

والولاية لعلّ ولأولاده المعصومين حتّى آخرهم المهدي عليه السلام، فمن أعطى الميثاق بصدق اللسان والقلب فقد ثبت على التوحيد والنبوة والولاية، ومن أقرّ وهو مكره وغير موقن فقد ثبت كفره ونفاقه ونصبه.

والقرآن يشير إلى موضوع الميثاق في آيات عديدة بشكل مجمل، ومن هذه الآيات: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الاعراف/ ١٧٢]

أخذ الميثاق من الأنبياء، وخصوصاً أولي العزم:

وقد جاء في الرواية بأنّ علّة تسميتهم بأولي العزم لأنّهم أقرّوا للإمام المهدي وشهدوا فثبتت لهم العزيمة بعكس آدم حيث لم ينكر ولم يجحد ولذا قال عنه تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه/ ١١٥].

فقد جاء في الكافي بسنده إلى حمran عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق، خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاجاً، فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض فعرّكه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدبّون: إلى الجنّة بسلام، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أبالي، ثمّ قال عز وجل: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا: بلى، ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

ثمّ أخذ الميثاق على النبيين، فقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وأنّ هذا محمّد رسول، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى، فثبتت لهم النبوة، وأخذ الميثاق على أولي العزم أنّي ربكم، ومحمّد رسول، وعليّ أمير المؤمنين، وأوصياؤه من بعده ولادة أمري

وخزان علمي عليه السلام، وأن المهدي أنتصر به لديني، وأظهر به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأعبد به طوعاً وكرهاً، قالوا: أقررنا يا ربّ وشهدنا، ولم يحدد آدم ولم يقرّ فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي، ولم يكن لآدم عزمٌ على الإقرار به، وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِيٍّ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

قال: «إنما هو: فترك. ثم أمر ناراً فأججت، فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها، فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها فكانت عليهم برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا ربّ أقلنا، فقال: قد أقلتكم، اذهبوا فادخلوها، فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والولاية والمعصية»^(١).

وهناك تأكيد على خصوصية الميثاق للمهدي كونه صاحب النصر- على الأعداء ومحقق الدولة الإسلامية العالمية العادلة، فهو وعد الله الذي ضمنه للعباد وأمل الأنبياء والمستضعفين... وبهذه الصفة أخذ الميثاق على الأنبياء.

أمّا: لماذا التأكيد على الميثاق بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام كما جاء في الزيارة: «ووكّده»؟

فيه احتمالات:

الأول: هناك تصريحٌ في روايات الميثاق أنّه قد أخذ الميثاق مرّات عديدة على العباد، في جميع العوالم السابقة: في عالم الأرواح، ثمّ في عالم الطينة (الذر) ثمّ في عالم الأصلاب. ولأهميّة عموم الميثاق بالتوحيد والنبوة والولاية أخذ كراراً على العباد، لأنّ الانتظار يحمل في طياته معاني وأهداف ربّانية كبيرة.

(١) الكافي: ٨/٢.

٥٦٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الثاني: ولأنّ ميزان الأعمال بخواتيمها كان هناك تأكيد في أخذ الميثاق لصاحب الزمان، لأنّ الإيمان به إيمان بجميع الأنبياء والأوصياء وجميع الكتب السماوية التي وعدت به.

الثالث: ولأنّ الغيبة من الأمور الاعتقادية الراسخة لأهل الإيمان والتسليم بالغيب وتصديق بوعد الله سبحانه وتعالى، ولما يكون في زمان الغيبة من الامتحانات الشديدة التي لا يثبت فيها إلاّ مَنْ محض الإيمان محضاً.. وفي ذلك روايات عديدة، خلاصتها إنّ لا ينجو ولا يثبت إلاّ مَنْ كان أخذ عليه الميثاق في تلك العوالم ووقّى بذلك الميثاق.

فقد جاء في الرواية عن الكافي وكمال الدين والنعماني عن المفصل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يَا كُمْ وَالتَّنْوِيهِ، أَمَا وَاللَّهِ لِيُغَيِّبَنَّ إِمَامَكُمْ سَنِيْنًا مِنْ دَهْرِكُمْ، وَلْتَمَحَّصَنَّ حَتَّى يَقَالَ: مَاتَ، قَتَلَ، هَلَكَ، بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ؟ وَلْتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عَيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلْتَكْفَأَنَّ كَمَا تَكْفَأُ السَّفْنُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهَ مِيثَاقَهُ، وَكُتِبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيْمَانُ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَلِيَرْفَعَنَّ اثْنَا عَشْرَةَ رَايَةً مُشْتَبِهَةً لَا يَدْرِي أَيُّ مِنْ أَيٍّ».

قال: فبكيت، ثمّ قلت: كيف نصنع؟ قال: فنظر إلى الشمس داخلية في الصُّفَّة، فقال: «يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، تَرَى هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قلت: نعم، فقال عليه السلام: «وَاللَّهِ لَا مَرْنَا أَيْينَ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ».^(١)

نسأل الله الثبات وأن يوفّقنا لنصرته إنّهُ سميع الدعاء.

(١) الكافي: ١/ ٣٣٦، الغيبة للنعماني: ١٥٣.

التاسع: داعي الله

جاء في زيارة آل ياسين: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللَّهِ».

لا شك أن نسبة صفته بالداعي إلى الله سبحانه فيه إشارة إلى كمال هذه الصفة لديه ﷺ، حيث تصل دعوته كما في الأخبار والنصوص القرآنية إلى العالم كله فلا يبقى هنالك مشرك أو كافر إلا آمن، لأن إرادة الله قضت أن يتم نوره ولو كره المشركون، وأن يكون الدين الإسلامي هو الدين الأوحى للعالم، الذي ارتضاه للبشرية منذ اليوم الأول.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ فقد جاء في تفسيرها عن الكنجي الشافعي والشبلنجي الشافعي في كتابيهما البيان ونور الأبصار، قالا: جاء في تفسير الكتاب عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ قالا: هو المهدي من ولد فاطمة (رضي الله عنهما).

وفي عهده يطهر الله على يديه الأرض من الشرك فلا يعبد غير الله، وبذلك يتحقق الوعد الإلهي بوراثة الأرض للعباد الصالحين كما قال في كتابه المجيد: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾

فقد أخرج النيسابوري في تفسيره عند تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ قال: المهدي المنتظر الذي وعد الله به في القرآن بقوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... ﴿١﴾

وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قرأ الآية وقال: «هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوماً لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً». (٢)

وقد جاء في دعاء الافتتاح تأييد ذلك في نفس السياق:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلَى كِتَابِكَ، وَالْقَائِمَ بِدِينِكَ، اسْتَخْلِفْهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكَّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْنًا يَعْبُدُكَ لَا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا». ثم يقول أيضاً:

اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعِزِّزْ بِهِ، وَانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ، وَانْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا. اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ خَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ» (٣).

العاشر: وجه الله

نقرأ في دعاء الندبة: «أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ».

كيف يكون وجه الله؟

(١) المهدي في القرآن والسنة: ١٠٤.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٦٢٠/٣.

(٣) إقبال الأعمال: ١٤٢/١.

من المسلّمات الثابتة في توحيد الله وصفاته أنّه ليس بجسم ولا مادّة حتّى يكون له يد أو وجه أو ما شابه ذلك!

ولكن ماذا يعني إضافة الوجه إليه سبحانه وتعالى؟

يجب تأويل جميع ظواهر النصوص الواردة في هذا الاطار توافقاً مع الثوابت والضرورات بأنّ الله ليس كمثله شيء لكي لا نقع في التشبيه والتجسّم الذي يؤدّي إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى.

ولأنّ الوجه هو الذي يتوجّه إليه الإنسان ويخاطب صاحبه والذي فيه وسيلة الاستماع والإدراك والعقل، وقد جرت عادت الناس في احترام المخاطب بالنظر إلى وجهه، وكلّما كان المخاطب عظيم الشأن ازداد الاحترام وشدّة الحبّ والسرور.

ولكي لا يتوهّم المتوهّم بأنّ المقصود من كلمات أهل البيت عليهم السلام بأنّنا وجه الله أو جنب الله أو عينه المعنى الظاهري، فلننظر إلى كلماتهم المشرقة في تأويل ذلك: عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾

[الفصل / ٨٨].

قال: «فيفنى كلّ شيء ويبقى الوجه، الله أعظم من أن يوصف؟ لا، ولكن معناه كلّ شيء هالك إلّا دينه، ونحن الوجه الذي يؤتى منه، لم نزل في عباده مادام الله له فيهم رويّة، فإذا لم يكن له فيهم رويّة رفعنا الله إليه ففعل بنا ما أحبّ».

٥٧٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

قلت: جعلت فداك، وما الروية؟ قال: «الحاجة»^(١).

وعن أبي بصير عن الحارث بن المغيرة قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله تبارك وتعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فقال عليه السلام: «ما يقولون؟» قلت: يقولون: هلك كلّ شيء إلا وجهه!

فقال عليه السلام: «سبحان الله، لقد قالوا عظيماً، إنّما عنى كلّ شيء هالك إلا وجهه الذي يؤتى منه، ونحن وجهه الذي يؤتى منه»^(٢).

ولذا فإنّ صاحب الأمر المهدي بن الحسن عليه السلام وليّ الله وخليفته وحجّته وجه الله حيث إنّ الخلق لا يمكن لهم النظر إلى وجه الله لأنّه ليس بمادّة ولا جسم، وبما أنّهم مفتقرون ومحتاجون ومضطّرون لمخاطبته وطلب الحوائج منه تعالى، فلا بدّ لهم من التوجّه إلى الوسطة الذي يكون الطريق إلى الله سبحانه فيوصل طلباتهم ومسائلهم إلى الباري عزّ وجلّ.. حيث إنّ عيّنه وليّاً خلقه ومسؤولاً عنهم وقائداً ودليلاً وعيناً وناصرأً ومعيناً لهم على نوائب الدهر.

ولأنّنا نحن البشر العاديين نقترف الذنوب والمعاصي والمحرّمات التي تسبّب بعدنا عن الله وعدم نظره إلينا، وعدم قبوله ورضاه عن أعمالنا، وعدم قابليّتنا لمخاطبته مباشرة فلا بدّ من التوجّه إلى ساحة وليّه الأعظم حجّة الله على خلقه المهدي بن الحسن أرواحنا له الفداء.

هذا هو السبب الذي يجعلنا نتوجّه إلى صاحب الزمان، فمن دونه لا يفتح الطريق إلى الله ولا يمكن أن يقبل توسّلنا ودعائنا وأعمالنا من دون رضاه عنا.

(١) بحار الأنوار: ١٩٣/٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٠٠/٣٤.

ولكن السؤال الآخر: هل كل الناس يوفقون للتوجه إلى صاحب الزمان فيكون شفيعهم إلى الله تعالى؟!

يبدو إنه ليس كل الناس يوفقون لذلك، فهناك فئة خاصة من الناس وهم الذين يتوجهون إلى الله به عليه السلام، فمن هم هؤلاء؟

إنهم أولياء الله الذين يصفهم رب العالمين في كتابه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس/ ٦٢-٦٤]

ويصفهم القرآن أيضاً بأئمة المسلمون للغيب، الموالون المعتقدون بالإمامة، المنتظرون لصاحب الزمان، فقد جاء في تفسير الآية المباركة: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وعن الصادق عليه السلام عندما سُئل، فقال: «المتقون شيعة علي عليه السلام، والغيب فهو الحجة الغائب، وشاهد ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس/ ٢٠]. (١)

وعندما يستدل الإمام الصادق عليه السلام بالآية المباركة ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كشاهد ومؤيد ومفصل للغيب الذي هو الحجة عليه السلام، فهو الآية المحقق نزولها، وقد أمر الله نبيه أن ينتظرها الناس وأن يكون معهم من المنتظرين ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾، وإن هذه الآية من الغيب المختص بالله

٥٧٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

تعالى ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾.

وعليه فالانتظار عقيدة قرآنية بأمر من الله سبحانه للناس، وهي جارية حتى على نبيينا ﷺ.

ولذلك لا غرابة عندما يتشوق النبي ﷺ إلى رؤية ولده صاحب الزمان في ظهوره، كما ورد في دعاء العهد حيث يقول الدعاء... «اللهم وسّر نبيك ﷺ برؤيته ومن تبعه على دعوته...».

بل ولا غرابة عندما يتمنى النبي رؤية هؤلاء المخلصين الأولياء الذين يكونون مع صاحب الزمان والذين يعتقدون به وينتظرون قدومه ويسلمون فقد ورد عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: «اللهم لقني إخواني» - مرتين - فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: «لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة». (١)

الحادي عشر: عين الله

روى الشيخ في المصباح عن الرضا عليه السلام في خلال أعمال الجمعة الدعاء لصاحب الأمر، حيث جاء فيه: «... وَعَيْنُكَ النَّاطِرَةُ بِإِذْنِكَ، وَشَاهِدُكَ عَلَى

(١) بصائر الدرجات: ١٠٤.

عِبَادُكَ»^١.

قد ذكرنا في المقام العاشر (وجه الله) أَنَّ اللهَ مَنْزَهُ عن الشبه مع خلقه فليس له جوارح كما يتصوّر المجسّمون ولكن الإضافة شأنيّة لتعظيم وبيان ما حُبى الله به وليّه الحجة عليه السلام من المقام والولاية على الخلق.. فكأنّما يراد القول إن كان هناك عين لله سبحانه وتعالى وهو ليس كذلك، فلا بدّ تأويل «عينك» إلى معاني، المعنى الأول: أي الناظر المراقب لعباده، والشاهد عليهم وهو صاحب الزمان حيث أُعطيت له الولاية التامّة على الخلق، فهو الذي تنزل عليه مقادير العباد وله ترفع صحائف أعمالهم، ويُكشّف له سرائر الخلق ويُطلعه بإذنه على نواياهم وأعمالهم ليكون المفوّض والوكيل، والسفير والشاهد غداً عليهم في يوم القيامة.. وسياق الكلام يدلّ على أَنَّ اللهَ أعطاه هذه المنزلة ليكون الشاهد على العباد كما جاء في الدعاء: «وشاهدك على عبادك».

والسؤال: ما الفائدة من اطلاع صاحب الأمر على أعمال العباد مع أَنَّ اللهَ سبحانه هو المطلّع على سرائر وقلوب الخلق قبل وبعد وجودهم وتحقيق أعمالهم في الواقع الخارجي؟!

والجواب واضح لمن تأمل وعرف سنّة الله في خلقه في جميع الشؤون الدنيويّة والأخرويّة والتكوينيّة والتشريعيّة.. ومن هذه السنن:

١ - سنّة الأسباب والمسبّبات.. فجعل لكلّ شيء سبباً كما قال تعالى في كتابه:

(١) مصباح المتهجد: ٤٠٩.

٥٧٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف/ ٨٤].

فجعل الشمس سراجاً والقمر نوراً والأرض فراشاً.. وخلق الكون ضمن نظام محدد ومقوم بأسباب تحفظه، ومن أسباب نظام الحياة والكون والعباد أن جعل لأوليائه والصفوة من خلقه الولاية على خلقه، فهم الوسائط لتسيير شؤون الخلق وهو منزّه عن المباشرة مع خلقه.

٢ - من السنن أن جعل نظام الطاعة له والعبادة عبر طاعة أوليائه ولم يقبل منهم طاعته بشكل مباشر كما قال لملائكته: ﴿اسْجُدُوا لِلدَّمِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة/ ٣٤] فكان أول مَنْ كفر وعارض نظام الوسيلة وطاعة الله عبر طاعة أوليائه حسداً وعناداً وتكبراً.

٣ - وسنة التفاضل ثابتة في مخلوقاته لمصالح ولغايات وحكمة أرادها الله سبحانه لكي يمتحن عباده بالطاعة من حيث أراد لامن حيث أرادوا، والقرآن شاهد على هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف/ ٣٢].

وضمن هذه القوانين الإلهية يكون صاحب الأمر عين الله الناظرة إلى الخلق ونظره يعني الرحمة للعباد، وتقسيم الأرزاق، وتحقيق المصالح، والرقابة عليهم، والشاهد على أعمالهم.

ويشهد على ذلك جملة من الروايات:

منها: عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿اعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ١٠٥] قال: «هو رسول

الله ﷺ والأئمة تعرض عليهم أعمال العباد كل خميس». (١)

وكونه ﷺ شاهد على الخلق في عصره ذلك ما أكدته القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾ [الاسراء / ٧١] فقد ورد في تفسيرها عن عبد الأعلى (مولى آل سام) قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: «السمع والطاعة أبواب الخير، السامع المطيع لا حجة عليه، والسامع العاصي لا حجة له، وإمام المسلمين تمت حجته واحتجاجه يوم يلقي الله عز وجل». ثم قال: «يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾». (٢)

ويشهد على ذلك ما رواه سماعه قال: قال أبو عبد الله ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَاكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء / ٤١]. قال: «نزلت في أمة محمد ﷺ خاصة، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، ومحمد ﷺ شاهد علينا». (٣)

والمعنى الثاني: ربما يكون معنى «عين الله» أي الحافظ لدين الله حيث إن استخدام العين يستخدم مجازاً لأُمور منها أنه العين الرقيب، والمعنى الآخر كناية عن الحفظ، فعندما يقال: الجنود هم العين الساهرة أي الحارسة الحافظة للأمن. وفي بيان ذلك قال الشيخ الصدوق في معرض شرحه لقول أمير المؤمنين ﷺ

(١) بصائر الدرجات: ٤٤٧.

(٢) الكافي: ١ / ١٨٩ - ١٩٠.

(٣) الكافي: ١ / ١٩٠.

٥٧٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

«أنا علم الله... وعين الله..»^(١) قال ﷺ: وأما قوله ﷺ «عين الله» فإنه يعني به الحافظ لدين الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود/٣٧]. أي بحفظنا، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه/٣٩]. معناه على حفظي.^(٢)

وعليه فإن المعنى يكون: إن صاحب الأمر هو الحافظ لدين الله في الأرض، وربما نوفق بين كلامه ﷺ والمعنى الأول فيكون المعنى: عينه الناظرة هو الحافظ لدين الله والحافظ للحياة والكون والعباد بسبب ما أعطاهم الله سبحانه وتعالى من الولاية التشريعية والتكوينية، والحفظ هو فرع الولاية، ويشهد على ذلك جملة من الروايات:

فقد جاء في الدعاء الذي يُقرأ عصر الجمعة الصادر من الناحية المقدسة لأبي الحسن الضراب الإصبهاني في صفات سيّد المرسلين: «... الْمُفَوَّضُ إِلَيْهِ دِينَ اللَّهِ...» وهو إشارة إلى الولاية التشريعية.

وقد جاء في الزيارة الجامعة التي رواها الصدوق في الفقيه والعيون عن موسى بن عبد الله النخعي عن الإمام الهادي ﷺ:

«بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ وَبِكُمْ يَنْزِلُ الْغَيْثُ وَبِكُمْ يُمَسِّكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَبِكُمْ يَنْفُسُ الْهَمُّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ. وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَإِلَى جَدِّكُمْ وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ».

ثم يقول:

(١) التوحيد للصدوق: ١٦٤.

(٢) التوحيد للصدوق: ١٦٤.

«وَدَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِكُمْ وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوِلَايَتِكُمْ».

وهو إشارة إلى الولاية التكوينية.

وجاء في الرواية عن محمد بن الحسن الميثمي عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إِنَّ اللَّهَ أَذَّبَ رَسُولَهُ ﷺ حَتَّى قَوْمَهُ عَلَى مَا أَرَادَ ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر/٧]. فما فَوَّضَ اللَّهُ إِلَى رَسُولِهِ فَقَدْ فَوَّضَهُ إِلَيْنَا».^(١)

وعن أبي بصير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم ورثة رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم». قلت: رسول الله ﷺ وارث الأنبياء، علم كما علموا؟ فقال لي: «نعم».

قلت: فأنتم تقدرّون على أن تحيوا الموتى وتبرؤوا الأكمة والأبرص؟ فقال لي: «نعم بإذن الله»، ثم قال: «ادْنُ مِنِّي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ»، فدنوة فمسح على وجهي وعلى عيني فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في البلد، ثم قال لي: «أَتَحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَكَذَا وَلَكَ مَا لِلنَّاسِ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ تَعُودَ كَمَا كُنْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ خَالِصاً». قلت: أعود كما كنت، قال: فمسح على عيني فعدت كما كنت.

قال عليّ: فحدّث ابن أبي عمير بهذا، فقال: أشهد أنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ.^(٢)

وعليه يكون معنى «عينك الناظرة» الحافظة والشاهدة على الخلق الحافظة

(١) بصائر الدرجات: ٤٠٣.

(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٣٨٠، الكافي: ١/ ٤٧٠.

لدينهم ودنياهم «شريعةً وتكويناً».

وكما أنّ العين الظاهرة لها دورين النظر والرقابة والحفظ كذلك هو صاحب الزمان فإنّه عين الله في أرضه فهو شاهدٌ عليهم وحافظٌ لدين الله، والله العالم.

الثاني عشر: رحمة للعالمين

جاء في حديث اللوح الذي أهداه جبرائيل لرسول الله ﷺ وفيه أسماء الأئمة المعصومين وسماهم - المروي عن الصادق عن الباقر عليه السلام: «...وأكمل ذلك بابنه (م ح م د) رحمةً للعالمين...»^(١).

قال الشيخ الوحيد الخراساني (حفظه الله): ولا يمكننا أن نفهم معنى «رحمة للعالمين» إلا إذا فهمنا معنى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فبعدها اسمان من أسماء الله الحسنى «الرحمن الرحيم»، السبب في ذلك أنّ ربوبية عوالم الوجود من عوالم الملك والملكوت، لها لبّ ولها قشر، سنة الله في مخلوقاته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران/ ١٩٠]، ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس/ ٨٣]، أمّا القشر الذي هو عالم الملك فيحتاج إلى ربوبية وتربية بواسطة اسم «الرحمن» ليسير نحو تكامله، وأمّا اللب الذي هو عالم الملكوت، فيحتاج إلى ربوبية باسم «الرحيم» ليلبغ كماله.

إنّ القرآن معجزة لكافة الناس، وهو معجزة بالأخصّ للذين يفهمون! فهم الذين يدركون أنّ كمال البشرية لا يتحقّق إلاّ بالقرآن الذي نزل على قلب سيّد المرسلين ﷺ وأنّ الذي يجمع مظهر الاسمين معاً: الرحمن الرحيم، هما شخصان

في الوجود: خاتم النبيين ﷺ وخاتم الوصيين الإمام المهدي ﷺ!

هذا هو مقام الحجّة بن الحسن أرواحنا فداه، وإنّما يعرفه الإنسان إذا وصل مستوى يؤهّله لمعرفة: «رحمة للعالمين»، ويصل إلى مخ الحكمة والعلم، فيفهم أنّه حيثما ذهب في مناطق الوجود وتعقّل أنّ الفاعل الذي منه الوجود هو ذات الخالق المقدّس عزّ وجلّ، فإنّ ما به الوجود في كلّ العوالم، هو حجّة الله على خلقه الحجّة بن الحسن صلوات الله عليه. ^(١)

وهذا يعني أنّ الحياة القائمة بما فيها من الأفلاك والنظام القائم المتقن ودوران الليل والنهار ونزول الأمطار وثمر الأشجار وجريان البحار والأنهار والحياة الماديّة القائمة للبشر من توفّر العيش والنعم والرحمة والأمن بين العباد من بركة حجّة الله على الخلق الإمام المهدي بن الحسن ﷺ، وقد تواترت الروايات لفظاً ومعناً أنّه: «لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها».

وعند ظهوره يكون رحمة للعالمين حيث تتكامل العقول والأفهام والعلوم، وتظهر الأرض كنوزها، ويعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، فلا يكون غير دين الله الإسلام الذي أراده للبشريّة، وبركته تصبح الدنيا جنّة من الخضار والثمار، وتأمين السبل ويتحقّق العدل، وينتهي الفقر والأمراض والحروب وجميع مشاكل البشريّة، وحتىّ الوحوش تصبح من الحيوانات الأليفة المطيعة للإنسان.

وإن كان في هذا الخلق من نور الهداية إنّما هو ببركة فيضه ولطفه وولايته عليهم، وإن كان هناك أمن وسلام ومساجد يذكر فيها اسم الله إنّما هو بعنايته

(١) الحقّ المبين في معرفة المعصومين: ٥٩٣.

ولطفه الذي منحه الله إياه فجعله رحمةً للعالمين.

عقيد عزّ لا يُسامى

ما ذكرنا من المقامات والخصائص ما هي إلا قطرة من بحر العميق ونوره الوضّاء، وأنّى لنا إدراك قعره ونحن لم نؤتى قدرة الغوص! فنسأل الله سبحانه أن يزيدنا ويبصّرنا بمعرفته لأنّه لا تتأتّى لأحد إلاّ منه تعالى، ونحن نطلب منه كما علّمنا: «اللّهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك.. اللّهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك.. اللّهم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني»^(١).

كما أنّنا يجب أن نسعى بالمقدار الذي نستطيع أن نعرفه بالتأمّل في مناقبه وصفاته وأسمائه التي وردت في الأدعية والزيارات التي تخصّه حيث يوجد فيها كنوز من المعارف يعجز مثلي استخراجها، فأسأل الله أن يفتح قلبي وينورّه بنور معرفته.

وأنّى لنا إدراكها فهي خارجة عن قدرتنا لأنّ من أخبر عنه الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء من آدم حتّى خاتم الأنبياء عليه السلام وبشّرهم به ووعدهم النصر. على يديه بعد ما يهيئ له أسباب القدرة والنصر على أعداء الله، لا بدّ أن تكون مقاماته وصفاته بمستوى المهمّة التي وكلّه بها، والذي أعطاه هو الذي يعرفه.

وقد وردت الإشارات إلى مقاماته بشكل مطلق وبصيغة المبني للمجهول الذي يدلّ على الإطلاق وعدم الحدود.

فقد ورد في دعاء الندبة في الإشارة إليه عليه السلام:

(١) مصباح المتهجد: ٤١١.

«بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدٍ عِزٍّ لَا يُسَامَى..

بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلٍ مَجْدٍ لَا يُجَارَى..

بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ تِلَادٍ نَعَمٍ لَا تُضَاهَى..

بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيفٍ شَرَفٍ لَا يُسَاوَى..».

فهو لا يسامى ولا يجارى ولا يضاهى ولا يساوى!! وبكلمة واحدة لا يمكن

معرفته!!

فقد جاء في دعاء الندبة:

«إِلَى مَتَى أَحَارُ فَيْكَ يَا مَوْلَايَ وَإِلَى مَتَى وَأَيَّ خِطَابٍ أَصِفُ فَيْكَ وَأَيَّ

نَجْوَى...».

الفصل الحادي عشر

أصحاب الإمام الحجة عليه السلام ومنازلهم وأقسامهم

عندما يكون الحديث عن أصحاب الإمام عليه السلام يقصد بهم غالباً أصحابه الخاصون (ثلاثمائة وثلاثة عشر) وهم القيادات والوزراء وحكام البلاد، ولكن هنالك حديث عن عشرة الآلاف جندي ينطلقون معه من مكة الشريفة، أما الذين يلتحقون به في مسيرة النهضة والتحرير فرب العالمين أعلم بهم، كما يوجد حديث عن أصحابه في غيبته الذين يؤنسونه ويعملون تحت يديه وفق برنامج معين، وهناك روايات تتحدث عن أنصار يُحيون من قبورهم يلتحقون بالإمام عليه السلام، هذا عدا الملائكة والمتنظرين على مرّ الأجيال، وسوف نتحدث عن كل قسم بشيء من التفصيل.

مختارون بعدتهم من الله سبحانه تعالى:

والسؤال: هل إنهم معلومون مختارون من قبل الله سبحانه بعدتهم وأسمائهم وصفاتهم أم لا؟

عندما يتحدث القرآن عن عدة تكتمل إنما يقصد بها مجموعة خاصة معلومة عند الله تعالى ومختارة في سابق علمه.

فقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا بأبي وأمي، هم من عدة أسماؤهم في السماء معروفة وفي الأرض مجهولة...»^(١)

هم الأمة المعدودة في القرآن:

روى في تفسير القمي (١: ٣٢٣) عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَنُؤَخِّرَنَّهُمْ عَنِ الْعَذَابِ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا مَا يَجِبُ﴾ [هود/٨]، قال: «الأمة المعدودة أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر».

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده: ١٢٦/٢، المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام

٥٨٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وفي تفسير العياشي (٢: ٥٧) عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أصحاب القائم عليه السلام الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، هم والله الأمة المعدودة التي قال الله في كتابه: ﴿وَلَنُؤَخِّرَنَّهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾. قال: يجمعون له في ساعة واحدة قرعاً كقرع الخريف».

وفي تفسير القمي (٢: ٢٠٥) عن الإمام الباقر عليه السلام قال في تفسيرها: «وهم والله أصحاب القائم عليه السلام يجتمعون والله إليه في ساعة واحدة، فإذا جاء إلى البداء يخرج إليه جيش السفيناني فيأمر الله الأرض فتأخذ أقدامهم وهو قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يعني بالقائم من آل محمد عليه السلام ﴿وَأَتَى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ - إلى قوله: - ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني أن لا يعدبوا ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني من كان قبلهم من المكذبين هلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ [سبا/ ٥١-٥٤].^(١)

وفي النعماني (ص ٢٤٧) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «العذاب خروج القائم عليه السلام، والأمة المعدودة عدّة أهل بدر واصحابه». وفي تأويل الآيات (١: ٢٢٣) عن الإمام الصادق عليه السلام: «العذاب هو القائم عليه السلام وهو عذاب على أعدائه، والأمة المعدودة هم الذين يقومون معه بعدد أهل بدر».

وكونهم بهذا العدد والأسماء المعلومة عند الله سبحانه وتعالى يعني مقامهم العالي ودرجاتهم العظيمة، وأنّ هذا المقام لا يناله المتمني، ولكن هو اختيار في سابق علم الله تعالى.

(١) بحار الأنوار: ٣١٦/٥١.

كما أنّ أهل البيت عليهم السلام يعلمون هؤلاء الأصحاب بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وكيفية مجيئهم وجميع حالاتهم، فقد تحدّث أهل البيت كثيراً عن حالاتهم وصفاتهم والثناء عليهم حتّى قال أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث السابق: «بأبي وأمي هم...».

وفي الحديث التالي يُبين الإمام الصادق عليه السلام علمه بهم وبحالاتهم والثناء عليهم: روي في غيبة الطوسي (ص ٢٧٧) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يزال الناس ينقصون حتّى لا يقال (الله)، فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدّين بذنبه، فيبعث الله قوماً من أطرافها، [و] يخيئون قزعاً كقزع الخريف، والله إنّني لأعرفهم وأعرف أسماءهم وقبائلهم واسم أميرهم، ومناخ ركا بهم وهم قوم يحملهم الله كيف شاء من القبيلة الرجل والرجلين، حتّى بلغ تسعة، فيتوافون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر، وهو قول الله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/١٤٨]. حتّى أنّ الرجل ليحتبي^(١) فلا يحلّ حبوته حتّى يبلغه الله ذلك».

وفي الغيبة للنعماني (ص ٣٢٠) عن سليمان بن هارون العجلي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ صاحب هذا الأمر محفوظة له أصحابه، لو ذهب الناس جميعاً أتى الله له بأصحابه وهم الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام/٨٩]، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى

(١) أي يشدّ حزامه.

الكافرين ﴿المائدة / ٥٤﴾. (١)

وفيه (ص ٣٢٩) عن أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، أولاد العجم بعضهم يحمل في السحاب نهراً، ويعرف باسمه واسم أبيه ونسبه وحليته، وبعضهم نائم على فراشه، فيوافيه في مكة على غير ميعاد». (٢)

وابن حماد (١: ٣٩٠) عن التيمي، عن علي عليه السلام قال: «ينقض الدين حتى لا يقول أحد «لا إله إلا الله» وقال بعضهم: حتى لا يقال: الله، الله، ثم يضرب يعسوب الدين بذنبه، ثم يبعث الله قوماً قزع كقزع الخريف، إنني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركا بهم».

وفي كمال الدين (ص ٣٧٧) عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: «إنني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقال عليه السلام: «يا أبا القاسم، ما منّا إلا وهو قائم بأمر الله عز وجلّ وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله عز وجلّ به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملاها عدلاً وقسطاً، هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله ﷺ وكنيته، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب، ويجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عز وجلّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ

(١) بحار الأنوار: ٣٠٧ / ٥٢.

(٢) الغيبة للنعماني: ٣٢٩، بحار الأنوار: ٣٧٠ / ٥٢.

جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عز وجل. قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدي، وكيف يعلم أن الله عز وجل قد رضي؟ قال: «يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما».

كما أن الصادق عليه السلام وصفهم لأصحابه وأراهم إياهم قبل أن يولدوا وأراهم حالاتهم عياناً.

في الاختصاص (ص ٣٢٥) عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده رجل من أهل خراسان وهو يكلمه بلسان لا أفهمه، ثم رجع إلى شيء فهمته، فسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أركض برجلك الأرض» فإذا بحر تلك الأرض على حافتيها فرسان قد وضعوا رقابهم على قرابيس سروجهم فقال أبو عبد الله عليه السلام: «هؤلاء أصحاب القائم عليه السلام». (١)

مقامهم عند الله سبحانه وتعالى:

فإذا كان الاختيار من الله سبحانه وتعالى فلا بد أن يكونوا بأعلى الدرجات والمقامات، لأنهم الأنصار الذين يكونون مع خاتم الأوصياء وعلى أيديهم تتحقق العدالة الربانية في الأرض وجميع الأحكام الإلهية ويهيمن الدين الإسلامي على المعمورة، ويطبق الدين الإسلامي بحذافيره على الناس حيث يبعثهم الإمام المهدي عليه السلام حكّاماً وقضاة ووزراء، فلا بد أنهم في أعلى درجات

(١) دلائل الإمامة: ٤٦٠.

٥٩٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

العلم والإيمان ولهم الكرامات والآيات المباركة والروايات تصف هؤلاء وتبين مراتبهم.

أولاً: لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون:

روى الحاكم في المستدرک (٤: ٥٥٤) وصححه على شرط الشيخين، عن محمد بن الحنفية، قال: كنا عند عليٍّ عليه السلام فسأله رجل عن المهدي، فقال عليٌّ عليه السلام: «هيهات»، ثم عقد بيده سبعة، فقال: «ذاك يخرج في آخر الزمان، إذا قال الرجل الله الله قتل، فيجمع الله تعالى له قوماً قزع كقزع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم، لا يستوحشون إلى أحد ولا يفرحون بأحد يدخل فيهم، على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر».

قال أبو الطفيل: قال ابن الحنفية: أتريده؟ قلت: نعم، قال: إنه يخرج من بين هذين الخشبين. قلت: لا جرم والله لا أريهما حتى أموت، فمات بها يعني مكة حرسها الله تعالى. ^(١)

ثانياً: أنهم أفضل من أصحاب جميع الأنبياء:

ففي بصائر الدرجات (ص ١٠٤) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لقني إخواني - مرتين - فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرفنيهم الله

(١) عقد الدرر: ٥٩.

بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشدُّ بَقِيَّةً على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة». (١)

ويؤيِّده ما في صحيح مسلم النيسابوري (١: ١٥٠): «...وددت أنا قد رأينا إخواننا». قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». فقالوا: كيف تعرف مَنْ لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أنّ رجلاً له خيل غرّ محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتون غرّاً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليزدادنّ رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضالّ! أناديهم ألا هلمّ، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك! فأقول: سُحَقاً سُحَقاً».

ثالثاً: تطوى لهم الأرض ويُسَخَّر لهم السحاب:

وفي كمال الدين (ص ٦٧٢) عن المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من أصحاب القائم عليه السلام، قوله عزّ وجلّ ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ إنهم ليفتقدون عن فرشهم ليلاً فيصبحون بمكة، وبعضهم يسير في السحاب يُعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه». قال: قلت: جعلت فداك، أيهم أعظم إيماناً؟ قال: «الذي يسير في السحاب نهراً».

وفي العياشي (١: ٦٧) عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا أُوذِن الإمام دعا الله باسمه العبراني الأكبر فانتحيت له أصحابه الثلاثة والثلاثة عشر قزعاً كقزع الخريف وهم أصحاب الولاية، ومنهم مَنْ يُفتقد من

٥٩٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم مَنْ يُرى يسير في السحاب نهاراً، يُعرف باسمه واسم أبيه وحسبه ونسبه».

قلت: جعلت فداك، أيهم أعظم إيماناً؟ قال: «الذي يسير في السحاب نهاراً، وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾» (١).

رابعاً: كراماتهم وولايتهم على المخلوقات

وفي كمال الدين (ص ٦٧٣) عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كأنّي بأصحاب القائم عليه السلام وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلا وهو مطيع لهم حتى سباع الأرض، وسباع الطير، يطلب رضاهم في كل شيء حتى تفخر الأرض على الأرض، وتقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم عليه السلام» (٢).

خامساً: وهم الموعودون بالاستخلاف والتمكين في الأرض:

عن عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله جلّ جلاله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال: «هم الأئمة عليهم السلام» (٣).

وفي كفاية الأثر (ص ٥٦) عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: دخل جندب بن جنادة اليهودي - من خير - على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عما

(١) معجم احاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣٢.

(٢) وينظر: الإمامة والتبصرة: ص ١٢١، معجم احاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٢٨٢.

(٣) الكافي: ١/ ١٩٣-١٩٤.

ليس لله، وعمّا ليس عند الله، وعمّا لا يعلمه الله، فقال رسول الله ﷺ: «أمّا ما ليس لله فليس لله شريك، وأمّا ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأمّا ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود إنّه عزيز ابن الله، والله لا يعلم له ولداً». فقال جندب: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله حقاً، ثم قال: يا رسول الله، إنّي رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام فقال لي: «يا جندب، أسلم على يد محمّد واستمسك بالأوصياء من بعده»، فقد أسلمت فرزقني الله ذلك، فأخبرني بالأوصياء بعدك لأتمسك بهم.

فقال: «يا جندب، أوصيائي من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل». فقال: يا رسول الله، إنهم كانوا اثني عشر، هكذا وجدنا في التوراة، قال: «نعم، الأئمة بعدي اثنا عشر». فقال: يا رسول الله، كلّهم في زمن واحد؟ قال: «لا ولكنهم خلف بعد خلف، فإنّك لا تدرك منهم إلا ثلاثة». قال: فسمّهم لي يا رسول الله. قال: «نعم، إنّك تدرك سيّد الأوصياء ووارث الأنبياء وأبا الأئمة عليّ بن أبي طالب بعدي، ثمّ ابنه الحسن، ثمّ الحسين، فاستمسك بهم من بعدي ولا يغرنك جهل الجاهلين، فإذا كانت وقت ولادة ابنه عليّ بن الحسين سيّد العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة من لبن تشربه».

فقال: يا رسول الله، هكذا وجدت في التوراة اليا ينقطة شبراً وشبيراً فلم أعرف أساميهم، فكم بعد الحسين من الأوصياء وما أساميهم؟

فقال: «تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم، فإذا انقضت مدّة الحسين قام بالأمر بعده ابنه عليّ ويُلَقَّب بزَيْن العابدين، فإذا انقضت مدّة عليّ قام بالأمر بعده محمّد ابنه يُدعى بالباقر، فإذا انقضت مدّة محمّد قام بالأمر بعده ابنه جعفر يُدعى بالصادق، فإذا انقضت مدّة جعفر قام بالأمر بعده ابنه موسى يُدعى

٥٩٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بالكاظم، ثم إذا انتهت مدة موسى قام بالأمر بعده عليّ يدعى بالرضا، فإذا انقضت مدة عليّ قام بالأمر بعده محمد ابنه يدعى بالزكي، فإذا انقضت مدة محمد قام بالأمر بعده عليّ ابنه يدعى بالنقي، فإذا انقضت مدة عليّ قام بالأمر بعده الحسن ابنه يدعى بالأمين، ثم يغيب عنهم إمامهم).

قال: يا رسول الله، هو الحسن يغيب عنهم؟ قال: «لا ولكن ابنه الحجة».

قال: يا رسول الله، فما اسمه؟ قال: «لا يُسمّى حتّى يظهره الله».

قال جندب: يا رسول الله، وجدنا ذكرهم في التوراة، وقد بشرنا موسى ابن عمران بك وبالأوصياء بعدك من ذريّتك.

ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾

فقال جندب: يا رسول الله، فما خوفهم؟ قال: «يا جندب، في زمن كلّ واحد منهم سلطان يعتريه ويؤذيه، فإذا عجل الله خروج قائمنا يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

ثم قال ﷺ: «طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمتقين على محبتهم، أولئك وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وقال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة/ ٢٢]». (١)

سادساً: وهم الموعودون بوراثة الأرض:

(١) ينظر: كفاية الأثر: ٥٦-٦٠، بحار الأنوار: ٣٦/ ٣٠٤-٣٠٦، معجم احاديث الإمام

في الزام الناصب (١/ ٧١) عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: «الكتب كلّها ذكر» ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: «القائم عليه السلام وأصحابه». (١)

وفي تفسير القمي (٢: ١٢٦) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ/ ١٠]. قال: «أعطى داود وسليمان مالم يعط أحداً من أنبياء الله من الآيات، علّمهما منطق الطير، وآلان لهما الحديد والصّفر من غير نار، وجعلت الجبال يسبحن مع داود، وأنزل الله عليه الزبور فيه توحيد وتمجيد ودعاء، وأخبار رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ذريتهما عليهم السلام، وأخبار الرجعة والقائم عليه السلام، لقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

سابعاً: وهم القوم الموعودون في الآية: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ العياشي (١: ٣٢٦) عن سليمان بن هارون أنّه قال للإمام الباقر عليه السلام: إنّ بعض هذه العجلة يزعمون أنّ سيف رسول الله ﷺ عند عبد الله بن الحسن، فقال: «والله ما رآه هو ولا أبوه بواحدة من عينيه إلا أنّ يكون رآه أبوه عند الحسين عليه السلام، وإنّ صاحب هذا الأمر محفوظ له فلا تذهبن يميناً ولا شمالاً، فإنّ الأمر والله واضح، والله لو أنّ أهل السماء والأرض اجتمعوا على أن يحولوا هذا الأمر من موضعه الذي وضعه الله فيه ما استطاعوا، ولو أنّ الناس كفروا جميعاً

حتى لا يبقى أحد لجاء الله لهذا الأمر بأهل يكونون من أهله». ثم قال: «أما تسمع الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/ ٥٤] حتى فرغ من الآية وقال في آية أخرى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَكْفُرْنَ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾». ثم قال: «إن هذه الآية هم أهل تلك الآية»^(١).

وفي تفسير القمي (١: ١٧٠): قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قال: «هو مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾»^(٢).

ثامناً: هم الركن الشديد للإمام المهدي عليه السلام:

في العياشي (٢: ١٥٦) عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِی بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود/ ٨٠] قال: «قوة القائم، والركن الشديد: الثلاثمائة وثلاثة عشر أصحابه». وفي كمال الدين (ص ٦٧٣) عن أبي بصير: قال

(١) ومثله في: البصائر: ١٧٤ و ١٧٧ عن سليمان بن هارون بتفاوت، الإرشاد: ٢٧٤، إعلام

الورى: ٢٧٨، والاحتجاج: ٣٧١/٢، كشف الغمة: ٣٨٢/٢، البرهان: ١/ ٤٧٩،

المحجة: ٦٤، الغيبة للنعماني، الكافي: ٢٣٢/١ عن سعيد السمان، إثبات الهداة:

(٢) وعنه مجمع البيان: ٢٠٨/٣، وتأويل الآيات: ١٥٠/١.

أبو عبد الله عليه السلام: «ما كان قول لوط عليه السلام لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ إِلَّا تَمَنَّى لِقُوَّةِ الْقَائِمِ عليه السلام، ولا ذكر إلا شدة أصحابه، وإن الرجل منهم ليعطى قوة أربعين رجلاً، وإن قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبال الحديد لقلعوها، ولا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله عز وجل».

تاسعاً: هم المظلومون المأذون لهم بالقتال:

في النعماني (ص ٢٤٨) عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج/٣٩] قال: «هي في القائم عليه السلام وأصحابه».

عاشراً: هم وإمامهم عليه السلام وعد الآخرة لليهود:

تفسير القمي (٢: ١٤): ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني القائم صلوات الله عليه وأصحابه. (١)
وفي الكافي (٨: ٢٥٥) عن الحجاج، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مُظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ قال: «نزلت في الحسين عليه السلام، لو قتل أهل الأرض به ما كان سرفاً». (٢)

الحادي عشر: هم المنتصرون في الآية:

في تفسير فرات (ص ٣٩٩) عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: (وَلَمَنِ

(١) وعنه البرهان: ٢/ ٤٠٩، بحار الأنوار: ٥١/ ٤٥.

(٢) ومثله تأويل الآيات: ١/ ٢٨٠.

٥٩٨ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ [الشورى / ٤١] «القائم إذا قام انتصر من بني أُمِّيَّة والمكذَّبين والنصَّاب وهو قوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الشورى / ٤٢] .

الثاني عشر: وهم من المتوسمين في الآية:

في كمال الدِّين (ص ٦٧١) عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام القائم لم يقم بين يديه أحد من خلق الرحمن إلاَّ عرفه صالح هو أم طالح لأنَّ فيه آية للمتوسمين وهي بسبيل مقيم»^(١).

مناقب ابن شهر آشوب (٣: ٤٠٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ * وَإِنَّهَا لِبَسَائِلٍ مُّقِيمٍ ﴿الحجر/ ٧٥-٧٦﴾ قال: «فكان رسول الله المتوسم والأئمة من ذرِّيَّتي المتوسمون إلى يوم القيامة «وإنَّها لبسبيل مقيم» فذلك السبيل المقيم هو الوصي بعد النبي ﷺ»^(٢).

وفي الإرشاد (٢: ٣٨٦) وروى عبد الله بن عجلان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام قائم آل محمد ﷺ حكم بين الناس بحكم داود عليه السلام لا يحتاج إلى بينة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ويخبر كلَّ قوم بما استبطنوه، ويعرف وليَّه من عدوِّه بالتوسم، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ * وَإِنَّهَا لِبَسَائِلٍ مُّقِيمٍ ﴿٣﴾».

(١) وعنه إثبات الهداة: ٣/ ٤٩٣، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٢٥.

(٢) وعنه بحار الأنوار: ٢٤/ ١٢٧.

(٣) ونحوه روضة الواعظين: ٢٦٦، إعلام الوری: ٤٣٣، كشف الغمّة: ٣/ ٢٥٦، البرهان: ٢/ ٣٥١، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٣٩.

وفي منتخب الأنوار: ٣٤٤، عن جابر عن الباقر عليه السلام: «كأنّي أنظر إلى القائم عليه السلام وأصحابه في نجف الكوفة كأنّ على رؤوسهم الطير، شنت مزادهم^(١) وخلقت ثيابهم (متنكبّين قسيّهم)، قد أثر السجود بجباههم، ليوث بالنهار ورهبان بالليل، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، يعطى الرجل منهم قوّة أربعين رجلاً (ويعطيهم صاحبهم التوسّم)، لا يقتل أحد منهم إلّا كافراً أو منافقاً فقد وصفهم الله بالتوسّم في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾^(٢).

حالات التحاقهم ومسيرهم

كيف يلتحق الأصحاب والأنصار بالإمام المهدي على اختلاف أصنافهم؟ وأين ملتقاهم؟ وأين مسيرهم؟ وما هو هدفهم وشعارهم ومطعمهم وشرابهم؟!

نحن في الواقع لا نستطيع أن نتصوّر حالاتهم ومسيرهم بشكل واضح تماماً ولكن نستعرض الروايات التي تحدّثت عن ذلك.

والسؤال الآن: كيف يعرف الأصحاب قيام الإمام؟ وكيف يلتحقون به؟ أمّا الأحياء فيصل إليهم العلم عن طريق صحيفة مكتوب عليها «طاعة معروفة». كما جاء في الخبر عن عبدالله بن عجلان قال: ذكرنا خروج القائم عليه السلام عند أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: كيف لنا أن نعلم ذلك؟ فقال: «يصبح أحدكم

(١) شنت مزادهم: يبست قريهم، ينظر: لسان العرب: ١٣/ ٢٤١.

(٢) وعنه إثبات الهداة: ٣/ ٥٨٥، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٨٦.

٦٠٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب: طاعة معروفة». (١)

أَمَّا الْأَمْوَاتُ فَإِنَّهُمْ يُخْبَرُونَ فِي قُبُورِهِمْ بِقِيَامِهِ وَيُخَيَّرُونَ بَيْنَ الْإِلْتِحَاقِ
بِالْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ الْمَقَامِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ؟

فقد جاء في الخبر عن سيف بن عميرة قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «المؤمن
ليخبر في قبره إذا قام القائم، فيقال له: قد قام صاحبك، فإن أحببت أن تلحق به
فالحق، وإن أحببت أن تقيم في كرامة الله فأقم». (٢)

وعن المفصل بن عمر، قال: ذكرنا القائم عليه السلام وَمَنْ مَاتَ مِنْ أَصْحَابِنَا يَنْتَظِرُهُ،
فَقَالَ لَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا قَامَ أَتَى الْمُؤْمِنَ فِي قَبْرِهِ، فَيَقَالُ لَهُ: يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ
صَاحِبُكَ، فَإِنْ تَشَاءُ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ فَالْحَقْ، وَإِنْ تَشَاءُ أَنْ تَقِيمَ فِي كَرَامَةِ رَبِّكَ
فَأَقِم». (٣)

وهذا المعنى أكد عليه دعاء العهد أن المؤمن يخرج من قبره مؤثراً كفته شاهراً
سيفه مجرداً فئاته مُلبياً دعوة سيده ومولاه صاحب الزمان عليه السلام.

كيف يلتحقون به وهم في بلاد شتى؟

فإن الإمام المهدي عليه السلام أول ما يخرج ويظهر في مكة المكرمة عند بيت الله
الحرام فيوافونه هناك ويكون مركز التجمع عند الكعبة بين الركن والمقام،
وطريقة الالتحاق والسفر والمجيء عن طريق المعجزة كما يظهر من النصوص
الشريفة وهذا يُعطي القوة والقدرة لهم بحيث يتغلبون على عنصر الزمن

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٤، بحار الانوار: ٣٠٥ / ٥٢.

(٢) دلائل الإمامة: ٤٧٩.

(٣) الغيبة للطوسي: ٤٥٩.

وتعقيدات الأمن المعاصر، فهم يأتون بطريقة غير تقليدية ممّا يُفوّت الفرصة على المخابرات وأجهزة الأمن والدول فلا يأتون عن طريق الجمارك والمطارات، وإنّما يأتون عبر السحاب وعبر المياه وربّما ابتلي بعضهم بالمشي، كلّ بحسب درجات إيمانه، وأقوى هؤلاء إيماناً من يُحمل على السحاب، ويفتقدون فجأةً من بيوتهم وفراش نومهم، وغالباً ما تكون الحركة في الليل أو الفجر، ويكون مركز التجمّع في المسجد الحرام.

يجمعهم الله من المشرق والمغرب في ليلة واحدة:

ففي مختصر تاريخ دمشق (١: ٢٩٧) عن عليّ عليه السلام: «إذا قام قائم أهل محمد، جمع الله له أهل المشرق وأهل المغرب، فيجتمعون كما يجتمع قزح الخريف، فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة، وأما الأبدال فمن أهل الشام».

وفي غيبة الطوسي (ص ٤٧٧) عن الصادق عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «لا يزال الناس ينقصون حتّى لا يقال (الله) فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيبعث الله قوماً من أطرافها، يحيئون قزعاً كقزح الخريف. والله إنّي لأعرفهم وأعرف أسمائهم وقبائلهم واسم أميرهم، وهم قوم يحملهم الله كيف شاء من القبيلة الرجل والرجلين، حتّى بلغ تسعة، فيتوافون من الآفاق ثلاثاً وثلاثه عشر رجلاً عدّه أهل بدر، وهو قول الله: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حتّى أنّ الرجل ليحتبي فلا يحلّ حبوته حتّى يبلغه الله ذلك». (١)

(١) معجم احاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١٨/٥.

كيفية مجيئهم

عن الفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا أُوذِنَ الإمام دعا الله باسمه العبراني الأكبر فانتحيت له أصحابه الثلاثمائة والثلاثون عشرة قزعا كقزع الخريف وهم أصحاب الولاية، ومنهم من يفتقد من فراشه ليلا فيصبح بمكة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهارا، يُعرف باسمه واسم أبيه وحسبه ونسبه».

قلت: جعلت فداك، أيهم أعظم إيمانا؟ قال: «الذي يسير في السحاب نهارا، وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾»^(١).

يتجمعون في المسجد الحرام:

في البصائر (ص ٣٣١) عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «سيأتي من مسجدكم هذا - يعني مكة - ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، يعلم أهل مكة أنه لم يلد لهم آبائهم ولا أجدادهم، عليهم السيوف مكتوب على كل سيف كلمة تفتح ألف كلمة، تبعث الريح فتنادي بكل واحد: هذا المهدي، هذا المهدي، يقضي بقضاء آل داود ولا يسأل عليه بيعة»^(٢).

وفي غيبة النعماني (ص ٢٥٢) عن عبد الله بن حماد، عن ابن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام القائم نزلت سيوف القتال، على كل سيف اسم الرجل

(١) تفسير العياشي: ٦٧ / ١.

(٢) معجم احاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١١ / ٤.

واسم أبيه»^(١).

وفيه (ص ٣٢٧) عن أبان بن تغلب، قال: كنت مع جعفر بن محمد عليه السلام في مسجد بمكة وهو أخذ بيدي، فقال: «يا أبان، سيأتي الله بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً في مسجدكم هذا، يعلم أهل مكة أنّه لم يخلق أبائهم ولا أجدادهم بعد، عليهم السيوف مكتوب على كلّ سيف اسم الرجل واسم أبيه وحليته ونسبه، ثمّ يأمر منادياً فينادي: هذا المهدي يقضي بقضاء داود وسليمان، لا يسأل على ذلك البيّنة»^(٢).

وفيه أيضاً (ص ٣٣٠) عن عليّ بن أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «بينا شباب الشيعة على ظهور سطوحهم نيام إذ توافوا إلى صاحبهم في ليلة واحدة على غير ميعاد، فيصبحون بمكة»^(٣).

يبايعون المهدي عليه السلام بين الركن والمقام:

في العياشي (٢: ٥٧) عن عبد الأعلى الحلبي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب» ثمّ أوماً بيده إلى ناحية ذي طوى، «حتّى إذا كان قبل خروجه بليّتين انتهى المولى الذي يكون بين يديه حتّى يلقي بعض أصحابه، فيقول: كم أنتم ها هنا؟ فيقولون: نحو من أربعين رجلاً، فيقول: كيف أنتم لو قد رأيتم صاحبكم؟ فيقولون: والله لو يأوي بنا الجبال

(١) وعنه بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٥٦.

(٢) ومثله كمال الدين وتمام النعمة: ٢ / ٦٧١، الخصال: ٦٤٩.

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٠.

لأوينها معه، ثم يأتيهم من القابلة، فيقول لهم: أشيروا إلى ذوي أسنانكم واخياركم عشيرة، فيشرون له إليهم فينطلق بهم حتى يأتوا صاحبهم، ويعددهم إلى الليلة التي تليها».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «والله لكأنني أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثم ينشد الله حقه، ثم يقول: يا أيها الناس، من يحاجني في الله فأنا أولى الناس بالله، ومن يحاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، يا أيها الناس من يحاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، يا أيها الناس من يحاجني في إبراهيم فأنا أولى بإبراهيم، يا أيها الناس من يحاجني في موسى فأنا أولى الناس بموسى، يا أيها الناس من يحاجني في عيسى فأنا أولى الناس بعيسى، يا أيها الناس من يحاجني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد عليه السلام، يا أيها الناس من يحاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ثم ينتهي إلى المقام فيصلي ركعتين، ثم ينشد الله حقه».

قال أبو جعفر عليه السلام: «هو والله المضطر في كتاب الله، وهو قول الله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل/٦٢]. وجبرئيل على الميزاب في صورة طائر أبيض، فيكون أول خلق الله يبايعه جبرئيل، ويبايعه الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً».

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «فمن ابتلي في المسير وافاه في تلك الساعة، ومن لم يتل بالمسير فقد عن فراشه».

ثم قال: «هو والله قول علي بن أبي طالب عليه السلام: المفقودون عن فرشهم، وهو قول الله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ أصحاب القائم الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً»، قال: «هم والله الأمة المعدودة التي قال الله في كتابه: ﴿وَلَيُنْ أَخْرَجَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾». قال: «يجمعون في

أصحاب الإمام الحجّة ومنازلهم وأقسامهم..... ٦٠٥

ساعة واحدة قزعا كقزع الخريف فيصبح بمكة فيدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فيجيبه نفر يسير^(١).

انطلاق الحركة من مكة إلى المدينة

وعندما يبايع أصحابه والملائكة بين الركن والمقام يعلن بيانه المشهور في يوم عاشوراء ويمكث في مكة فترة ويستعمل عليها والي من أصحابه ويتوجه إلى المدينة، وفي الأثناء يتوجه جيش السفيناني لمواجهة الإمام ﷺ وفي الطريق بين مكة والمدينة ينزل الله بهم العذاب وهو خسف الأرض من تحت أقدامهم فلا يبقى منهم إلا اثنان: بشير ونذير، إمّا بشير فيخبر الإمام وأصحابه، والنذير فيخبر جماعة السفيناني بذلك.

ثمّ تضيف رواية (عبدالأعلى الحلبي السابقة) تفصيل الأحداث وتسلسلها: «ويستعمل على مكة ثمّ يسير فيبلغه أن قد قتل عامله! فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة لا يزيد على ذلك شيئاً يعني السبي، ثمّ ينطلق فيدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه وآله السلام، والولاية لعلي بن أبي طالب ﷺ والبراءة من عدوّه ولا يسمّي أحداً حتّى ينتهي إلى البداء، فيخرج إليه جيش السفيناني فيأمر الله الأرض فيأخذهم من تحت أقدامهم، وهو قول الله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ [سبا ٥١-٥٢] يعني بقائم آل محمد (وقد كفروا به) يعني بقائم آل محمد، إلى آخر السورة، ولا يبقى منهم إلا رجلان يقال لهما وتر ووتر من مراد، وجوههما في أفقيتهما يمشيان القهقري يخبران الناس بما فعل بأصحابها ثمّ يدخل المدينة فتغيب عنهم عند ذلك قريش، وهو قول عليّ

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٤١-٣٤٢.

٦٠٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

بن أبي طالب عليه السلام: والله لو دت قريش أي عندها موقفاً واحداً جزر جزور بكل ما ملكت وكل ما طلعت عليه الشمس أو غربت!

ثم يحدث حدثاً فإذا هو فعل ذلك قالت قريش: أخرجوا بنا إلى هذا الطاغية، فوالله أن لو كان محمدياً ما فعل، ولو كان علويّاً ما فعل، ولو كان فاطميّاً ما فعل! فيمنحه الله أكتافهم، فيقتل المقاتلة ويسبي الذرية، ثم ينطلق حتى ينزل الشقرة فيبلغه أنهم قد قتلوا عامله فيرجع إليهم فيقتلهم مقتله ليس قتل الحرّة إليها بشيء. ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه والولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام والبراءة من عدوّه، حتى إذا بلغ إلى الثعلبية قام إليه رجل من صلب أبيه وهو من أشدّ الناس ببدنه وأشجعهم بقلبه ما خلا صاحب هذا الأمر، فيقول: يا هذا ما تصنع؟ فوالله إنك لتجفل الناس إجمال النعم أفعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أم بماذا؟ فيقول المولى الذي ولي البيعة: والله لتسكتن أو لأضربن الذي فيه عيناك، فيقول له القائم عليه السلام: «أسكت يا فلان، إي والله إن معي عهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله، هات لي يا فلان العيبة أو الطيبة أو الزنفليجة فيأتيه بها فيقرئه العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: جعلني الله فداك، أعطني رأسك أقبله فيعطيه رأسه فيقبله بين عينيه، ثم يقول: جعلني الله فداك جدّد لنا بيعة، فيجدّد لهم بيعة». (١)

حركة الإمام عليه السلام إلى العراق:

في البصائر (ص ٢٨٠) عن أبي سعيد الخراساني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا قام القائم بمكة وأراد أن يتوجّه إلى الكوفة نادى مناديه:

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٥٧ - ٥٩.

ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً، ويحمل حجر موسى بن عمران، وهو وقر بعير، ولا ينزل منزلاً إلاّ انبعث عين منه، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظمآن روي، فهو زادهم حتى نزلوا النجف من ظهر الكوفة»^(١).

أقول: يظهر أنّ الإمام عليه السلام يرسل قائداً من أصحابه مع قوّاته المتوجّهة إلى العراق، أمّا هو فيكون عنده برنامج آخر، ويدخل العراق جواً (بسبع قباب مضيئة لا يعرف في أيّها هو!)^(٢)

فعن الإمام الباقر عليه السلام عن جابر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن / ٣٣] وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة / ٢١٠].

قال: «ينزل القائم يوم الرجفة بسبع قباب من نور لا يعلم في أيّها هو حتى ينزل ظهر الكوفة»، وفي رواية: «إنّه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق، فهذا حين ينزل»^(٣).

ومضافاً إلى جانبه الإعجازي يدلّ على أنّ الوضع الأمني يستوجب من

(١) ومثله الكافي: ٢٣١/١، الغيبة للنعماني: ٢٣٨، كمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٠،

الخرائج: ٦٩٠/٢، وفيه: ويحمل معه حجر موسى بن عمران الذي انبجست منه اثنتا عشرة عيناً، فلا ينزل منزلاً إلاّ نصبه فانبعثت منه العيون، فمن كان جائعاً شبع ومن كان ظمآناً روي.

(٢) معجم احاديث الإمام المهدي: ٤٥/٥.

(٣) تفسير العياشي: ١٠٣/١.

٦٠٨ شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الإمام المهدي عليه السلام هذا الاحتياط، فالوضع العالمي معاد له والعراق لم يتم تطهيره بعد، ويظهر أنه ينزل في النجف، فينضم إليه جيشه الذي يأتي من المدينة. ثم تضيف رواية عبد الأعلى الحلبي عن أبي جعفر تفاصيل أخرى في وصوله إلى النجف والكوفة.

قال أبو جعفر عليه السلام: «لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مُصْعِدِينَ مِنْ نَجَفِ الْكُوفَةِ ثَلَاثَ ثَمَانَةِ وَبُضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ زَبَرُ الْحَدِيدِ، جَبْرَائِيلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ، يَسِيرُ الرَّعْبُ أَمَامَهُ شَهْرًا وَخَلْفَهُ شَهْرًا، أَمَدَهُ اللَّهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَسُومِينَ، حَتَّى إِذَا صَعِدَ النَجْفَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ: تَعْبُدُوا لِيَلْتَكُم هَذِهِ فَيَبْتَغُونَ بَيْنَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ، قَالَ: خَذُوا بِنَا طَرِيقَ النَّخِيلَةِ وَعَلَى الْكُوفَةِ جَنْدٌ مُجَنَّدٌ».

قلت: جند مجند؟ قال: «إِي وَاللَّهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِالنَّخِيلَةِ فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ فَيُخْرِجُ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ بِالْكُوفَةِ مِنْ مَرَجَّتْهَا وَغَيْرِهِمْ مِنْ جَيْشِ السَّفِيَانِيِّ فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: اسْتَطَرِدُوا لَهُمْ ثُمَّ يَقُولُ كَرُّوا عَلَيْهِمْ».

قال أبو جعفر عليه السلام: «وَلَا يَجُوزُ وَاللَّهِ الْخَنْدَقُ مِنْهُمْ مَخْبَرٌ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْكُوفَةَ فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا كَانَ فِيهَا أَوْ حَنَّ إِلَيْهَا وَهُوَ قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: سِيرُوا إِلَى هَذَا الطَّاغِيَةِ، فَيَدْعُوهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَيُعْطِيهِ السَّفِيَانِيُّ مِنَ الْبَيْعَةِ سَلَمًا فَيَقُولُ لَهُ كَلْبٌ - وَهُمْ أَخْوَالُهُ - : يَا هَذَا [مَا] صَنَعْتَ؟ وَاللَّهِ مَا نَبَايَعَكَ عَلَى هَذَا أَبَدًا، فَيَقُولُ: مَا أَصْنَعُ؟ فَيَقُولُونَ: اسْتَقْبَلْهُ، فَيَسْتَقْبَلْهُ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ الْقَائِمُ عليه السلام: خُذْ حَذْرَكَ فَإِنِّي أَدَّيْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا مُقَاتِلُكَ، فَيَصْبَحُ فَيَقَاتِلُهُمْ فَيَمْنَحُهُ اللَّهُ أَكْتَافَهُمْ وَيَأْخُذُ السَّفِيَانِيُّ أَسِيرًا، فَيَنْطَلِقُ بِهِ وَيَذْبَحُهُ بِيَدِهِ.

ثم يرسل جريدة خيل إلى الروم فيستحضرون بقيّة بني أميّة، فإذا انتهوا إلى

الروم، قالوا: أخرجوا إلينا أهل ملتنا عندكم فيأبون ويقولون: والله لا نفعل، فيقول الجريدة: والله لو أمرنا لقاتلناكم، ثم ينطلقون إلى صاحبهم فيعرضون ذلك عليه، فيقول: انطلقوا فأخرجوا إليهم أصحابهم فإن هؤلاء قد أتوا بسلطان [عظيم] وهو قول الله: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ* لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ* فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدينَ﴾ [الأنبياء/ ١٢-١٥].

لا يبقى منهم مخبر ثم يرجع إلى الكوفة فيبيعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلها، فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم فلا يتعايون في قضاء.

ولا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله، وهو قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

ولا يقبل صاحب هذا الأمر الجزية كما قبلها رسول الله ﷺ وهو قول الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة/ ١٩٣].

قال أبو جعفر عليه السلام: «يقاتلون - والله - حتى يوحد الله ولا يُشرك به شيئاً، وحتى تخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد، ويُخرج الله من الأرض بذرها ويُنزل من السماء قطرها، ويُخرج الناس خراجهم على رقابهم إلى المهدي عليه السلام، ويوسع الله على شيعتنا، ولولا ما يدركهم من السعادة لبغوا، فبينما صاحب هذا الأمر قد حكم ببعض الأحكام وتكلم ببعض السنن، إذ خرجت خارجة من المسجد يريدون الخروج عليه، فيقول لأصحابه: انطلقوا فتلحقوا بهم في التمارين، فيأتونه بهم أسرى ليأمر بهم فيذبحون، وهي آخر

٦١٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

خارجة تخرج على قائم آل محمد عليه السلام انتهى. ^(١)

يبعث الإمام عليه السلام أصحابه حكّاماً على العالم:

في دلائل الإمامة (ص ٤٦٧) عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر أنّه قال: «إذا قام قائمنا بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً فيقول له: عهدك في كفّك واعمل بما ترى». ^(٢)

وفي غيبة النعماني (ص ٣٣٤) عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كلّ إقليم رجلاً يقول: عهدك في كفّك فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفّك، واعمل بما فيها، قال: ويبعث جنداً إلى القسطنطينيّة، فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء، قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة فيدخلونها فيحكمون فيها ما يريدون». ^(٣)

أقول: لا بدّ أن يكون معنى يفتحون لهم المدينة: يسلمونهم مقاليد بلدهم.

(١) ينظر: تفسير العيّاشي: ٥٦/٢ - ٦١، بحار الأنوار: ٥٢/٤٤٣ - ٤٤٥.

(٢) ومثله إثبات الهداة ٣: ٥٧٣ عن مناقب فاطمة عن أبان بن ت غلب عن أبي

عبدالله عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار: ٥٢/٣٦٥.

أصنافهم وأقسامهم

هم على درجات ومستويات واختصاصات، فكلّ صنف منهم له مهمّة خاصّة.. فبعضهم الأنبياء كالخضر- وكعيسى عليه السلام، وبعضهم بدرجة الأولياء، وبعضهم بدرجة الشهداء، وبعضهم من الأحياء، وبعضهم من الأموات، وبعضهم من الملائكة، وبعضهم من النجباء.

وفي التقسيم التالي يوضح كلّ قسم صفاته ومهمّاته واختصاصاته.

القسم الأوّل: أصحابه الخاصون الثلاثمائة والثلاثة عشر:

وهم الذين حازوا درجات الثناء والمدح في لسان القرآن الكريم والسنة المباركة، ومَرَّ ذكر صفاتهم ومقاماتهم عند الله سبحانه وتعالى. هم أوّل مَنْ يبائعون المهدي بين الركن والمقام، وهم الذين يشكّلون أركان جيش الإمام، والقيادات الميدانيّة والحكّام الذين يديرون الدولة العالميّة العادلة، فلهم من الكرامات ما يؤهّلهم للقيام بهذه المهمة الكبيرة.

رهبان الليل وفرسان النهار:

يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «كأنّهم ليوث قد خرجوا من غاب، قلوبهم مثل زبر الحديد، لو أنّهم همّوا بإزالة الجبال الرواسي لأزالوها عن مواضعها، فهم الذين وحدوا الله حقّ توحيده، لهم بالليل أصوات كأصوات الثواكل خوفاً، وخشيّة من الله تعالى، قوّام الليل، صوّام النهار، كأنّما ربّاهم أب واحد وأمّ واحدة، قلوبهم مجمعة بالمحبّة والنصيحة»^(١).

(١) إلزام الناصب: ١٧٤/٢، مجمع النورين: ٣٣١.

علاقتهم وحبهم للإمام عليه السلام:

يصفهم الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «... يتمسحون بسر-ج الإمام عليه السلام، يطلبون بذلك البركة، ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب ويكفونه ما يريد...»^(١).

وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: وهم الأحياء الذين تكتمل عدتهم قبل قيامه عليه السلام، حيث يخرجهم الله من أصلاب آبائهم وهم الذخائر والودائع الذين اختارهم ليكونوا من أنصار صاحب الزمان عليه السلام.

فعن إبراهيم الكرخي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله، ألم يكن علي عليه السلام قوياً في دين الله عز وجل؟ قال: «بلى»، قال: فكيف ظهر عليه القوم، وكيف لم يدفعهم وما منعه من ذلك؟ قال عليه السلام: «آية في كتاب الله عز وجل منعتهم». قال: قلت: وأي آية هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفتح/ ٢٥] إنه كان لله عز وجل ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع، فلما خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله، وكذلك قاتلنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عز وجل، فإذا ظهرت ظهر على من ظهر فقتله»^(٢).

والقسم الثاني: وهم الأموات الذين يبعثهم الله من قبورهم وهم من محض الإيمان محضاً وهم صنفان:

(١) بحار الأنوار: ٣٠٨/٥٢.

(٢) علل الشرائع: ١/١٤٧.

الصنف الأول: هم المسجلون من أنصاره وقد ولدوا ثم ماتوا ولكن يبعثهم الله في جيشه.

فعن المفصل بن عمر، قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومَنْ مات من أصحابنا ينتظره فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام أتي المؤمن في قبره فيُقال له: يا هذا، إنّه قد ظهر صاحبك فإن تشأ تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم»^(١).
وعن أبي عبد الله عليه السلام في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل/٨٣]
قال: «لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قبايع»^(٢) سيوفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بُعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم»^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «العجب كلّ العجب بين جمادى ورجب»، فقام رجل وقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا العجب الذي لا تزال تتعجب منه؟ فقال عليه السلام: «ثكلتك أمك وأي عجب أعجب من أموات يضربون كلّ عدو لله ولرسوله ولأهل بيته، وذلك تأويل هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة/١٣]»^(٤). وربما تفيد بعض الروايات أنّه يمكن للمؤمن السعي حتّى

(١) الغيبة للطوسي: ٤٥٩.

(٢) القبيعة: ما كان على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد.

(٣) تفسير العياشي: ٢/٢٥٩.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠/٥٣.

يكون من المسجّلين في قائمة الأنصار ولا يكون ذلك إلا بالإيمان المحض والتقوى والتسليم لأمر أهل البيت عليه السلام والعقيدة الراسخة بقيام الإمام والدعاء في ذلك حتّى يكون من الأنصار، فقد ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجّه الله من قبره وأعطاه بكلّ كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة». ^(١)

وقد وردت عبارة في الدعاء المذكور تؤكّد ما جاء في الرواية وهي: «اللّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ... اللّهُمَّ إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَتَمًا مَقْضِيًّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِ مُؤْتَزَرًا كَفَنِي شَاهِرًا سَيْفِي مُجَرِّدًا قَنَاتِي مُلَيًّا دَعْوَةَ الدَّاعِي...». ^(٢)

الصنف الثاني: فإنّ الله يبعث في الرجعة أقواماً كانوا في زمان سابق على الإسلام وكذا في صدر الإسلام - مثل أصحاب الكهف، وبعض أصحاب عيسى، وبعض الأنبياء، وبعض أصحاب رسول الله وأmir المؤمنين وأصحاب الإمام الحسين في كربلاء... فعن الأصبع بن نباتة في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه عن قيام أهل الكهف مع المهدي عليه السلام: «فبعث الله الفتية من كهفهم مع كلهم، منهم رجل يقال له مليخا، وآخر خملاها، وهما الشاهدان المسلمان للقائم عليه السلام». ^(٣)

وعن المفّض بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا مفّض، أنت وأربعة وأربعون رجلاً تحشرون مع القائم، أنت على يمين القائم تأمر وتنهى، والناس إذ

(١) المزار للمشهدي: ٦٦٣.

(٢) ينظر: المزار للمشهدي: ٦٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٧٥.

ذاك أطوع لك منهم اليوم». (١)

وعن الصادق عليه السلام قال: «ويقبل الحسين في أصحابه الذين قتلوا معه، ومعه سبعون نبياً كما بُعثوا مع موسى بن عمران، فيدفع إليه القائم الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواريه في حفرته». (٢)

وعن الفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً؛ خمسة عشر من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبا دجانة الأنصاري، ومالك الأشتر» (٣) فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً.

وهذا الأمر من أعجب العجب كما ذكره أمير المؤمنين «العجب كلّ العجب بين جمادى ورجب» ثم قال: «وأيّ العجب أعجب من أموات يضربون كلّ عدوّ لله ولرسوله ولأهل بيته».

لماذا؟ لأنّ ضعف الإيمان والعقول لا يعتقدون برجوع الأموات إلى عالم الدنيا لجهلهم بقدرة الله سبحانه وتعالى، كما ذكر الله سبحانه في كتابه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل/ ٣٨].

(١) دلائل الإمامة: ٤٦٤.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٤٨.

(٣) تفسير العياشي: ٢/ ٣٢.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

وموضوع الرجعة ثابت في العقائد الإمامية وقد تناولها العلماء في كتبهم بالتفصيل، مثل «الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة» للحرّ العاملي، و«حقّ اليقين» للسيد عبد الله شبر، وكتاب (الرجعة) للاستريآبادي، وغيرها. وهنالك مراتب ودرجات وتصنيفات للأصحاب.

منهم: أبدال الشام، ونجباء مصر، وأخبار العراق:

في أمالي المفيد (ص ٣٠) عن محمد بن سويد الأشعري، قال: دخلت أنا وفطر بن خليفة على جعفر بن محمد عليه السلام، فقرب إلينا تمرّاً فأكلنا، وجعل يناول فطراً منه ثم قال له: «كيف الحديث الذي حدّثني عن أبي الطفيل رضي الله عنه في الأبدال؟» فقال فطر: سمعت أبا الطفيل يقول: سمعت عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «الأبدال من أهل الشام، والنجباء من أهل الكوفة يجمعهم الله لشّر يوم لعدوّنا». فقال جعفر الصادق عليه السلام: «رحمكم الله، بنا يبدأ البلاء ثمّ بكم، وبنا يبدأ الرخاء ثمّ بكم، رحم الله من حبّنا إلى الناس ولم يكرهنا إليهم». ^(١)

وفي غيبة الطوسي (ص ٤٧٧) عن جابر الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يباع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيّف عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ماشاء الله أن يقيم». ^(٢)

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٤٧.

(٢) وعنه إثبات الهداة ٣: ٥١٧، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٤.

وفي تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١: ٢٩٦) عن عليّ: «قبة الإسلام بالكوفة، والهجرة بالمدينة، والنجباء بمصر، والأبدال بالشام وهم قليل». وعن أبي الطفيل قال: خطبنا عليّ عليه السلام فذكر الخوارج، فقام رجل فلعن أهل الشام، فقال له: «ويحك لا تعم، إن كنت لا عناً ففلاناً [يعني معاوية] وأشياعه، فإنّ منهم الأبدال ومنكم العصب»^(١).

القسم الثاني: أصحابه الخاصون في غيبته (الأبدال)

هؤلاء يعملون تحت يده، ويقومون بخدمته، ويتولّون المهمّات التي يكلفهم الإمام بها لتسيير شؤون الأمّة وحراستها ورعايتها. وهؤلاء الأبدال لديهم عمر محدّد، وبعد موتهم يستبدل الإمام غيرهم، وهم ثلاثون شخصاً، كما أنّ الخضر عليه السلام من أعوانه في غيبته حتّى يظهره وقد ادّخره الله ليكون معيناً ودليلاً على طول عمر الإمام عليه السلام، وعلى أنّ الغيبة ثابتة في سنن الأنبياء والأولياء.

في الكافي (١: ٣٤٠) عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة ولا بدّ له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة». وفي النعماني (ص ١٧٦) عن المفصل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين، إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم مات وبعضهم يقول قتل، وبعضهم يقول: ذهب فلا يبقى على أمره من أصحابه إلّا نفر يسير، لا يطلّع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره إلّا المولى الذي يلي أمره». قال النعماني: ولو لم يكن يروي في الغيبة إلّا هذا الحديث لكان فيه

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١/ ٢٩٧.

٦١٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

كفاية لمن تأمله. ^(١)

ويدلّ عليه أيضاً قول الإمام الباقر عليه السلام: «لابدّ لصاحب هذا الامر من عزلة، ولا بدّ في عزلته من قوّة...» ^(٢)

النفس الزكيّة في مكّة من أصحابه:

وهو الذي يُقتل شهيداً في مكّة في المسجد الحرام بين الركن والمقام، واسمه محمّد بن الحسن من نسل رسول الله ﷺ، ويبدو أنّه من أصحابه الخاصين الذين يكلفه الإمام عليه السلام بإلقاء خطاب داخل المسجد الحرام ليكون تمهيداً لنهضته المباركة ولإلقاء الحجّة على أهل مكّة وكشف أعمالهم الإرهابيّة لهم وفضحهم أمام العالم، ويكون عملهم سبباً لغضب الله عليهم وتعجيل خروج صاحب الزمان بعد خمسة عشر يوماً.

وقتل النفس الزكيّة من العلامات المحتومة المتوافقة لقرب ظهوره عليه السلام.
ففي غيبة النعماني عن حمّان بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من المحتوم الذي لابدّ أن يكون من قبل قيام القائم خروج السفّياني، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكيّة، والمنادي من السماء» ^(٣).

وعن صالح مولى بني العذراء، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:
«ليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكيّة إلاّ خمسة عشر ليلة» ^(٤).

(١) ومثله غيبة الطوسي: ٦١، بحار الأنوار: ١٥٣/٥٢.

(٢) الغيبة للطوسي: ١٦٢.

(٣) الغيبة للنعماني: ٢٧٢.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤٩.

وعن إبراهيم الجريري، النفس الزكية غلام من آل محمد اسمه: محمد بن الحسن، يقتل بلا جرم ولا ذنب، فإذا قتلوه لم يبق لهم في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر، فعند ذلك يبعث الله قائم آل محمد في عصابة لهم أدق في أعين الناس من الكحل، إذا خرجوا بكى لهم الناس، لا يرون إلا أنهم يختطفون، يفتح الله لهم مشارق الأرض ومغاربها، ألا وهم المؤمنون حقاً، ألا إن خير الجهاد في آخر الزمان. ^(١)

وقد ذكر خبر شهادة النفس الزكية الفريقان، ومن هذه الروايات رواية طويلة عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام قال: «(يقول القائم لأصحابه): يا قوم، إن أهل مكة لا يريدونني ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم، فيدعوا رجلاً من أصحابه، فيقول له: امض إلى أهل مكة، فقل: يا أهل مكة، أنا رسول فلان إليكم وهو، يقول لكم: إننا أهل بيت الرحمة ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلالة النبيين، وإننا قد ظلمنا واضطهدنا وفهرنا وابتز منا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا!

فإذا تكلم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا! فلا يدعونه حتى يخرج فيهبط من عقبة ذي طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر حتى يأتي المسجد الحرام فيصلّي فيه عند مقام إبراهيم

(١) الغيبة للطوسي: ٤٦٤ - ٤٦٥.

٦٢٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود ثم يحمد الله ويشني عليه ويذكر النبي ويصلي عليه ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس...»^(١)

القسم الثالث: الأنصار الاعتباريون

وهم المعتقدون بإمامته، المسلمون له، المنتظرون لقيامه على مرّ الأجيال فإنهم إذا ماتوا ولم يبعثوا عند قيامه فإنهم يحصلون على وسام النصر جزاءً لاعتقادهم ونيتهم الحسنة، انطلاقاً من الحديث المشهور «نية المؤمن خير من عمله». فهم يحصلون على درجة شهادة الأنصار، ولعلّها درجة اعتباريّة وبتعبير آخر يحصلون على ثواب نصره الإمام عليه السلام وسوف يتمّ الحديث عن هؤلاء وثوابهم ومنازلهم في فصل الانتظار والمعرفة.

القسم الرابع: وهم الأنصار (العقد - أولي القوة)

وهم عشرة آلاف مقاتل يتجمعون معه في مكّة ويتحرّك بهم نحو المناطق. في كمال الدين (ص ٦٥٤) عن أبي بصير، قال: سأل رجل من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام: كم يخرج مع القائم عليه السلام؟ فإنهم يقولون: إنّه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً؟ قال: «وما يخرج إلّا في أولي قوّة، وما تكون أولوا القوّة أقلّ من عشرة آلاف»

وفي تفسير العيّاشي (١: ١٣٤) عن حماد بن عثمان، قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم عليه السلام في أقلّ من الفئّة، ولا تكون الفئّة أقلّ من عشرة آلاف». وفي الخصال (ص ٤٢٤) عن العوام بن الزبير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يقبل القائم عليه السلام في خمسة وأربعين رجلاً من تسعة أحياء: من حيّ رجل، ومن

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٧.

أصحاب الإمام الحجّة ومنازلهم وأقسامهم..... ٦٢١

حيّ رجّلان، ومن حيّ ثلاثة، ومن حيّ أربعة، ومن حيّ خمسة، ومن حيّ ستة،
ومن حيّ سبعة، ومن حيّ ثمانية، ومن حيّ تسعة، ولا يزال كذلك حتّى يجتمع
له العدد». (١)

هذا هو العدد المنصوص من أنصاره وربّما التحق به مئآت الآلاف من
المؤمنين ممّن يعتقدون بالإمام عليه السلام.

القسم الخامس: أنصاره من الملائكة

أوّل إشارة وإنذار للأعداء والمخالفين هو النداء الذي يصدر من السماء باسم
المهدي ونسبه وينادى أنّ الحقّ معه، ويصدر هذا الصوت من جبرائيل يسمعه
كلّ إنسان على وجه الأرض، وهو من العلامات المحتومة لقيامه عليه السلام.
فأوّل من ينصر الإمام بجبرائيل حيث يدخل الرعب في قلوب الأعداء.
وقد ورد أنّ الإمام يأتي بسلاح الرعب ونحن لا نعلم حقيقة هذا السلاح،
ولعلّه ما يقوم به الملائكة الذين ينزلون ويعملون تحت إمرة الإمام عليه السلام.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال على المنبر: «إذا هلك الخاطب وزاغ صاحب
العصر، وبقيت قلوب تتقلّب من مخصب ومجدب، هلك المتمنّون واضمحلّ
المضمحلّون وبقي المؤمنون وقليل ما يكونون، ثلاثمائة أو يزيدون، تجاهد معهم
عصابة جاهدت مع رسول الله ﷺ يوم بدر لم تقتل ولم تمّت». (٢)

وعن عليّ بن أبي حمزة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام القائم صلوات الله
عليه نزلت ملائكة بدر وهم خمسة آلاف، ثلث على خيول شهب، وثلث على

(١) وعنه إثبات الهداة ٣: ٤٩٦، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٠٩.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٠٢.

٦٢٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

خيول بُلُق، وثَلثٌ على خيول حُوٍّ، قلت: وما الحُوُّ؟ قال: «هي الحمر». ^(١)
وعن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿أَتَى
أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل/١] قال: «هو أمرنا، أمر الله عز وجل أن لا
تستعجل به حتى يؤيده الله بثلاثة أجناد: الملائكة والمؤمنين والرعب. وخروجه
كخروج رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ
بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال/٥]». ^(٢)

ينصره الله بثلاثة عشر ألف من الملائكة الذين كانوا مع الأنبياء والذين نزلوا
عند قبر الحسين عليه السلام.

في كامل الزيارات (ص ٢٣٤) عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:
«كأني بالقائم على نجف الكوفة وقد لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله فينتفض هو بها
فتستدير عليه فيغشيها بحداجة من استبرق، ويركب فرساً أدهم بين عينيه
شمراخ، فينتفض به انتفاضة لا يبقى أهل بلد إلا وهم يرون أنه معهم في
بلادهم، فينشر راية رسول الله؛ عمودها من عمود العرش، وسائرهما من نصر-
الله، لا يهوي بها إلى شيء أبداً إلا هتكه الله، فإذا هزها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه
كزبر الحديد، ويعطي المؤمن قوة أربعين رجلاً، ولا يبقى مؤمن إلا دخلت عليه
تلك الفرحة في قبره، وذلك حين يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم،
فينحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً».
قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال: «نعم، الذين كانوا مع نوح في السفينة،

(١) الغيبة للنعماني: ٢٥١، ومثله بتفاوت يسير: إعلام الوري: ٢/ ٢٨٩.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٠٤.

أصحاب الإمام الحجّة ومنازلهم وأقسامهم..... ٦٢٣

والذين كانوا مع إبراهيم حين أُلقي في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه، وأربعة آلاف ملك مع النبي ﷺ مسوّمين وألف مردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدرّيين، وأربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين ﷺ فلم يؤذن لهم في القتال، فهم عند قبره شعث غبر يبيّونه إلى يوم القيامة، ورئسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلاّ استقبلوه، ولا يودّعه مودّع إلاّ شيّعوه، ولا يمرض مريض إلاّ عادوه، ولا يموت إلاّ صلّوا على جنازته واستغفروا له بعد موته، وكلّ هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم ﷺ إلى وقت خروجه». (١)

كيف نصبح من أنصار صاحب الزمان والشهداء بين يديه؟!

قد ورد في كثير من الأدعية لصاحب الزمان ومنها دعاء العهد: «اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابّين عنه، المسارعين إليه في قضاء حوائجه، والمتمثلين لأوامره والمحامين عنه، والسابقين إلى إرادته والمستشاهدين بين يديه...». (٢)

كيف نحول هذه الكلمات إلى حقيقة واقعية وليس إلى ألفاظ باللسان فقط؟

وهل يمكن الوصول إلى درجة الأنصار أم لا؟

الرواية تؤكد على أنّ أصحاب الإمام ﷺ هم ثلاثمائة وثلاثة عشر. فقد يتساءل المرء: وكيف لي أن أصبح من أنصاره وأصحابه بهذه القلّة القليلة وقد

(١) الغيبة للنعماني: ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ٩٦/٥٣.

٦٢٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

كتب الله أنصاره منذ الأزل، فهم أهل الإيمان والبصائر، وهم على وزن أنصار رسول الله مثل سلمان والمقداد وأنصار أمير المؤمنين وأمثال مالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر، وأمثال حبيب وبرير وزهير مع الحسين، فأنتى لي أن أكون مثل هؤلاء؟!

وللإجابة على هذا السؤال نقول:

أولاً: إن القرار بيد الإنسان نفسه فلو نوى بصدق وسعى بجِدٍّ على أن يصبح منهم فإنه سوف يصل إلى غايته لأن الله عادل يعطي الإنسان على نيّته وسعيه، فلو أوصل الإنسان نفسه إلى مستوى سلمان المحمّدي - مثلاً - في الإخلاص والطاعة والتسليم والصدق وأصلح نفسه فإن الله سبحانه سوف يشملُه بالعناية فيجعله من أولئك، خصوصاً إذا عرفنا قانون البداء، فإن الله يستجيب دعاء المؤمن ويشكر سعيه ويعطيه على قدر نيّته.

وتبدأ الإنطلاقة من صدق النيّة ثم التصميم والسعي الجدّي لهذا الأمر ولذلك نجد في تاريخ أتباع أهل البيت (عليهم السلام) نماذجاً ممن أصبحوا كباراً لم يكونوا معروفين بالتدين والإيمان من قبل لكنهم صدقوا العزم والنيّة، فأعطاهم الله مرتبة الأنصار والشهداء، أمثال الحرّ بن يزيد الرياحي الذي كان في جبهة عمر بن سعد ولكنه سرعان ما تحوّل إلى جبهة الحسين (عليه السلام)، وكذلك زهير ابن القين الذي لم يكن موالياً لأهل البيت ولكن لقاءه مع الحسين غيّرَه في لحظة واحدة، وأمثال هؤلاء كثير في تاريخ الإسلام.

ثانياً: ولأنّ النيّة تقوم مقام العمل، فإذا كان الإنسان صادقاً في نيّته وساعياً بجِدٍّ ولم يسعفه الحظّ في حياته وقد أدركه الأجل المكتوب له فقد يوفّق أن يبعثه الله من قبره ليكون من أنصاره بسبب المؤهّلات الروحيّة التي وفّرَها في نفسه،

أصحاب الإمام الحجّة ومنازلهم وأقسامهم..... ٦٢٥

ويلتحق بصفوفه ويقاتل بين يديه، وهذه حقيقة قد أكّدها دعاء العهد نفسه، فنقول في الدعاء:

«اللَّهُمَّ إِنَّ حَالَ بَنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا
فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَرًّا كَفَنِي شَاهِرًا سِنْفِي مُجَرَّدًا قَنَاتِي مُلَبِّيًا دَعْوَةَ الدَّاعِي
فِي الْحَاضِرِ وَالْبَادِي...» (١).

وقد ذكر هذه الحقيقة أمير المؤمنين عليه السلام في رواية رواها أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فيا عجباه وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء، يلبّون زمرة زمرة بالتلبية: لبيك لبيك يا داعي الله، قد أطلّوا بسكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم على عواتقهم، يضربون بها هام الكفرة وجبابرتهم وأتباعهم من جبابرة الأولين والآخرين، حتّى ينجز الله ما وعدهم في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ أي يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً من عبادي، ليس عندهم تقية...» (٢).

فهذا القسم الأوّل الذي أسعفهم الحظّ للعودة إلى الدنيا لنصرة صاحب الزمان عليه السلام.

أمّا القسم الآخر فهم الذين يدركهم الموت ولا يعودون إلى الدنيا، ولكن

(١) المصباح للكفعمي: ٥٥١.

(٢) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣٦٦.

٦٢٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

يكتبون من أنصاره والضارين بين يديه بالسيف بسبب انتظارهم ومعرفتهم وإخلاصهم في ولائهم لأهل البيت عليه السلام وصبرهم واستقامتهم على طول المدّة وشدّة المحنة، وقد أكّدت هذه الحقيقة جملة من الأحاديث، منها ما في المحاسن (١: ١٧٣) عن العلاء بن سيابة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَنْ مات منكم على أمرنا هذا فهو بمنزلة مَنْ ضرب فسطاطه إلى رواق القائم عليه السلام بل بمنزلة مَنْ يضرب معه بسيفه، بل بمنزلة مَنْ استشهد معه، بل بمنزلة مَنْ استشهد مع رسول الله ﷺ».

ثالثاً: قد لا يصل المؤمن بدرجة الأصحاب الذين هم ثلاثمائة وثلاثة عشر ولكن قد يكون من الأنصار الذين هم أقلّ رتبة من أولئك وهم العدة [عشرة آلاف].

حيث ورد في الأحاديث أنّ الإمام يتحرّك بجيش من مكّة هذا قوامه. في كمال الدين (ص ٦٥٤) عن أبي بصير سأل رجل من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام: كم يخرج مع القائم عليه السلام؟ فإنّهم يقولون: إنّ يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً؟ قال: «ما يخرج إلّا في أولى القوّة، وما تكون أولوا القوّة أقلّ من عشرة آلاف».

ويبدو أنّ مسألة الخروج من القبر ونصرة صاحب الزمان لا تخص مَنْ هم فقط بدرجة الأصحاب وإنّما قد يكونوا بمنزلة الأنصار.

كيف نكون من أنصار صاحب الزمان؟

أولاً: الإخلاص في الولاية والمعرفة والانتظار والتسليم لهم عليهم السلام وقد تقدّم عرض هذا الموضوع مسبقاً.

ثانياً: الورع والاجتهاد وحسن الأخلاق: فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال ذات يوم: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فليتنظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظرٌ، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر مَنْ أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة». ^(١)

ثالثاً: هنالك مجموعة من المستحبات والأذكار والأدعية التي يجب المواظبة عليها حتّى يكون المؤمن مؤهلاً لنصرة صاحب الزمان عليه السلام وهي كما يلي:
سورة الإسراء: ورد في المفاتيح في أعمال ليلة الجمعة عن الحسين بن أبي العلاء عن الصادق عليه السلام: «مَنْ قرأ سورة بني إسرائيل في كلّ ليلة جمعة، لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام ويكون من أصحابه». ^(٢)

دعاء العهد: عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «من دعا إلى الله (تعالى) أربعين صباحاً بهذا العهد، كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله، أخرجه الله (تعالى) من قبره، وأعطاه بكلّ كلمة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة».

اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجل فرجهم: جاء في مصباح المتعبد مرسلًا أنّه مَنْ قال بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة الظهر: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وعجل فرجهم لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام...». ^(٣)

(١) الغيبة للنعماني: ٢٠٧.

(٢) تفسير العيّاشي: ٢/٢٧٦.

(٣) مصباح المتعبد: ٣٦٨.

٦٢٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

يظهر من مجموع هذه الأعمال - القرآن والأدعية والأذكار أن المؤمن إذا قام بها وداوم عليها يوفق لنصرة القائم.

وقد ذكرنا غير مرة أن الروايات تؤكد مَنْ كان على الحقّ ويقرّ بالإمامة ويعرف أئمتّه ويواليهم وينتظر قائمهم كتب له ثواب نصرته وإن لم يدركه، وهذه الأعمال تدخل تحت هذه القاعدة كما يبدو.

ولعلّ الدوام على هذه الأعمال يجعل المؤمن يجدد نيّته ومبايعته واتّصاله وذكر القائم، وهذا هو أحد الطرق للارتباط بالولاية والانتظار.

وقد اهتمّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام بصناعة الإنسان المنتظر للقائم وإن كانت عبر الوسائل الشكليّة إذا كانت تؤدّي الغرض نفسه.

فعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لِيُعِدَّنَّ أَحَدُكُمْ لخروج القائم ولو سهماً، فإنّ الله تعالى إذا علم ذلك من نيّته، رجوت لأن ينسئ في عمره حتّى يدركه، فيكون من أعوانه وأنصاره».^(١)

ولعلّ هذا الحديث وأمثاله يشجّع ويقوي روح الأمل والانتظار، وإنّه لا بدّ من خروج صاحب الزمان ولو طال الزمان، لأنّ الاعتقاد بوعد الله يدلّ على اليقين وشدة التسليم.^٢

(١) الغيبة للنعماني: ٣٣٥.

^٢ انتهى الفصل الحادي عشر تم الاستفادة من (المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام) ٣٤١ - ٣٧١، علماً أنا خرجنا النصوص من مصادرها الأصلية.



الفصل الثاني عشر

تكاليفنا في زمن الغيبة

أولاً: الانتظار

أكّدت نصوص القرآن والسنة على أهميّة الانتظار واعتبرته أفضل أعمال الأمة وأحسن العبادة وإنّه الفرج الأكبر، كما جاء عن النبي ﷺ قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عزّ وجلّ»^(١).

وقال ﷺ أيضاً: «أفضل العبادة انتظار الفرج»^(٢).

فيا ترى ماذا يعني الانتظار، مفهوماً وحكماً؟

نحاول من خلال جمع النصوص القرآنيّة والروايات أن نصل إلى مفهوم واضح وذلك من خلال تقسيم هذه النصوص إلى طوائف وأقسام لكي نصل إلى النتيجة والحكم.

ما معنى الانتظار لغة؟

قال ابن منظور: والنظر والانتظار، ويقال نظرتُ فلاناً وانتظرته بمعنى واحد، فإذا قلت انتظرت فلم يجاوزك فعلك فمعناه وقفت وتمهلّت. وقال الفراء: تقول العرب: أنظرنى أي انتظرنى قليلاً، ويقول المتكلم لمن يُعجله أنظرنى..^(٣)

وفي المنجد: انتظره: ترقّبه، توقّعه، تأنّى عليه^(٤).

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٥.

(٣) لسان العرب: ٥ / ٢١٦.

(٤) المنجد: ٨١٧ (م/ نظر).

٦٣٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وقال الفيروزآبادي: ونظره وانتظره وتنظره: تأتي عليه^(١).

خلاصة الأقوال: الألفاظ التي وردت مترادفة ومتقاربة وهو: التوقّف والتمهّل والتأني، والترقّب والتوقّع فإذا جاء الفعل بصيغة الأمر (أنتظر) أي تمهّل ولا تعجل وترقّب ولا تيأس وبمعنى آخر فإذا كان المنتظر في حالة العجلة يقال له اصبر وتأني وتروى ولمن استبطأ عليه يقال له كن مترقّباً ولا تيأس.

الانتظار في النصوص:

والنصوص تؤيد المعنى اللغوي:

فعن محمد بن الحسين، عن البنظي، قال: قال الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَرْقُبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود/٩٣] فانتظروا إني معكم من المنتظرين، فعليكم بالصبر فإنه إنّما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم»^(٢).

وفي خبر الأعمش قال الصادق عليه السلام: «من دين الأئمة الورع والعفة والصلاح - إلى قوله: - وانتظار الفرج بالصبر»^(٣).

الانتظار = الصبر:

هاتين الروايتين فسّرت وقرنت الانتظار بالصبر وعدم اليأس من طول الانتظار، وجاء عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في الأربعمئة التي علّم فيها أصحابه أربعمئة مسألة وهي من الروايات الصحيحة السند، قال عليه السلام: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله،

(١) القاموس المحيط: ١٤٤ / ٢ - ١٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٩.

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٢.

فإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ انتظار الفرج».

وقال أيضاً: «مزاولة قلع الجبال أيسر من مزاولة ملك مؤجَّل، ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الاعراف/١٢٨] لاتعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم»^(١).

اليأس والعجلة:

وقد أشارت الروايات السابقة إلى مفهوم الانتظار وهي تعالج حالتين:

١ - الانتظار في مقابل اليأس والقنوط من رحمة الله وتحتَّ على عدم القسوة من طول الغيبة لأنَّهما طريق الانهيار وتزلزل العقيدة بالفرج من الله سبحانه وإصلاح الظلم والفساد على يد وليه القائم عليه السلام، وقد أكَّد المعنى اللغوي هذه الحقيقة بما جاء إنَّه «الترقُّب» وهو يعني أنَّ الإنسان المؤمن يجب أن يكون في حالة دائمة من توقُّع الفرج وترقُّبه وعدم القنوط واليأس.

إنَّ خطر اليأس يجعل الإنسان يكذب بوعد الله وهو أكبر الذنوب، بينما ربَّ العالمين أعطى الأمل للمؤمنين ووعدهم بالنصر والاستخلاف.. في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾

٢ - الحالة الثانية وهي عدم الاستعجال قبل الأوان لأنَّها من الصفات المذمومة عند الله عزَّ وجلَّ، وقد أمر بالصبر والترقُّب والانتظار لكي لا يعجل الإنسان ويقدم أمره على أمر الله سبحانه وتعالى والعجلة ليست من صفاته، وخصوصاً في موضوع إصلاح الأرض ومنَّ عليها وأنَّه عزَّ وجلَّ قدَّر الأمور

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٣.

٦٣٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وفق حكمة بالغة، ولا بدّ أن تبلغ أوانها، وأنّ العباد إذا استعجلوا في أمورهم قبل الأوان المناسب أضروا بأنفسهم وعرضوها للهلاك وهذا يعني أنّ المظلومين يقدّمون مزيداً من الضحايا والخسائر من دون فائدة لأنّهم لا يبلغون أمراً قبل أوانه.

يقول العلامة الكوراني:

مشروع إنهاء الظلم على الأرض وإقامة دولة العدل الإلهي مشروعٌ ضخمٌ، وهو جزءٌ أساسيٌّ من المخطّط الربّاني لحياة الإنسان ومستقبله، لكنّه يحتاج في استيعابه إلى رقي فكري، وفي تحمّله إلى رسوخ إيمان وقوّة أعصاب.

ولذلك كانت مشكلة الناس في الأديان أنّهم يستعجلون نصر- الله تعالى وعقوبته للظالمين، بينما بنى الله عزّ وجلّ فعله على قوانين وحكم خاصّة، ولذلك اهتمّ النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام بتربية المؤمنين على توسيع أفقهم العقلي والذهني والشعوري وضبط أعصابهم، والتسليم لأمر الله تعالى وانتظار الفرج^١.

في الكافي (١: ٣٦٩) عن إبراهيم بن مُهزّم، عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرنا عنده ملوك آل فلان، فقال: «إنّما هلك الناس من استعجلهم لهذا الأمر، إنّ الله عزّ وجلّ لا يعجل لعجلة العباد، إنّ لهذا الأمر غاية ينتهي إليها، فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا».

وعليه فإنّ الله سبحانه لا يعجل لعجلة العباد، ولذا فيجب التخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى، بالصبر والأناة وضبط الأعصاب حتّى يأتي الفرج من الله سبحانه.

في غيبة النعماني بسنده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول

(١) ينظر المعجم الموضوعي في احاديث الامام المهدي عليه السلام: ٤١٣.

الله عز وجل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ قال: «هو أمرنا أمر الله لا يستعجل به يؤيده ثلاثة أجناد: الملائكة، والمؤمنون، والرُّعب، وخروجه ﷺ كخروج رسول الله ﷺ وذلك قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾. (١)

معنى الانتظار وكيفيته:

يظهر من مفهوم الانتظار في اللغة والنصوص أن له بُعدين:

الأول: يرتبط بالمفهوم والاعتقاد.

والثاني: يرتبط بالنفس والسلوك.

وقد أراد الشرع أن يعالج في الإنسان المؤمن خصوصاً حالتين من نقاط ضعفه وهي اليأس والعجلة، وإنّ عليه أن يعالج اليأس بالتسليم والتصديق لأمر الله فلا يقسو قلبه من طول الأمل وطول الانتظار والغيبة، فعليه بالاستقامة، وإنّ عليه أن يعالج العجلة بالصبر وضبط الأعصاب، وتربية النفس بالأخلاق والسلوك التي ترضي الله سبحانه وتعالى، وترضي رسوله وأهل بيته وإمام زمانه، كي يكون من الموسومين بالمنتظرين.

وعليه فالإنتظار هو امتداد للاعتقاد بالإمام المهدي ﷺ، الإمام الثاني عشر- بلا فصل الذي ولد في زمن أبيه وغاب عن الأنظار حتّى يأذن الله تعالى له، وإنّ الواجب على المؤمن هو التصديق بهذا الاعتقاد، ولزومه الانتظار الذي هو فرع الاعتقاد والتصديق بوعد الله سبحانه، وإنّه لا يجوز إنكار ذلك لأنّه يساوي تكذيب الوعد الإلهي ويؤدّي إلى اليأس من تحقيق النصر- الإلهي على يد وليّه القائم ﷺ، ومن المعلوم إنّ اليأس من رحمة الله وفرجه من المحرّمات فيكون

(١) الغيبة للنعماني: ٢٠٤.

٦٣٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

الانتظار مصداق واعتراف وتصديق بالوعد الإلهي.

أما كَيْفِيَّتُهُ فهو حاله نفسيّة وسلوكيّة.

قال الميرزا محمد تقي الاصفهاني صاحب كتاب (مكيال المكارم):

«هو كَيْفِيَّةٌ نفسانيّةٌ ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره، وضدّه اليأس، فكُلُّما كان الانتظار أشدَّ كان التهيؤ أكّد، ألا ترى أنّه إذا كان لك مسافر تتوقّع قدومه ازداد تهيؤك لقدومه كلّما قرب حينه، بل ربّما تبدّل رقادك بالسهاد لشدّة الانتظار، وكما تتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة، كذلك تتفاوت مراتبه من حيث حبّك لمن تنتظره، فكُلُّما اشتدّ الحبّ ازداد التهيؤ للحبيب، وأوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلّق بحفظ نفسه، ولا يشعر بما يصيبه من الآلام الموحجة، والشدائد المفظعة.

فالمؤمن المنتظر لقدوم مولاه كلّما اشتدّ انتظاره ازداد جهده في التهيؤ لذلك بالورع والاجتهاد، وتهذيب نفسه عن الأخلاق الرذيلة، واقتناء الأخلاق الحميدة حتّى يفوز بزيارة مولاه ومشاهدة جماله في زمن غيبته كما اتّفق ذلك لجمع من الصالحين الأخيار...^(١)

مقام الانتظار والمنتظرين عند الله عز وجل

والروايات في ذلك على طوائف:

الطائفة الأولى: الانتظار سنّة الله للمرسلين:

النصوص مدحت الانتظار واعتبرته أفضل الأعمال وأفضل العبادات وهو الفرج لأنّ الله أمر نبيّه أن ينتظر مع المنتظرين والمترقّبين ومن يكون معه الله في

(١) مكيال المكارم: ١٣٦-١٣٧.

أمر فهو عين الفرج.

ولولا أنّ الترقّب والانتظار من الصفات والأعمال المحبوبة عنده لما كلف نبيّه أن يكون مع المنتظرين والمرتبين.

العيّاشي (٢: ٢٠) عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس/٢٠]؟ أوليس تعلم أنّ انتظار الفرج من الفرج؟» ثم قال: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [هود/٩٣]»

العيّاشي (٢: ١٣٨) عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن شيء في الفرج، فقال: «أوليس أنّ انتظار الفرج من الفرج، إنّه يقول: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾»^(١).

الطائفة الثانية: انتظار الفرج شرط قبول الأعمال

والذي يظهر من الأحاديث أنّ انتظار الفرج ليس من الأمور الحسنة والمفضّلة في الأعمال فقط وإنّما هو شرط لقبول الأعمال لأنّه جزء من الاعتقاد الذي يجب أن يصدق به المؤمن، ويتّصف به قلبياً وهو روح الأمل وعدم اليأس بالفرج من الله سبحانه حيث قطع على نفسه وعداً بقيام الإمام الحجة عليه السلام وظهوره على الظالمين..

فهذا الوعد يجب على المؤمن التمسّك به ولا ييأس منه، واليأس يساوي التكذيب بما جاء في كتاب الله سبحانه وبما جاء من رسوله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤٥.

٦٣٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وهذه العقيدة هي التي يؤمن بها آل البيت ويذكرون بها المؤمنون المخلصين، فقد جاء أبو الجارود للباقر يسأله عن الدين والعقيدة التي يجب أن يتمسك بها فأجابه بأن الانتظار للقائم أحد الشرائط في ذلك:

ففي الكافي (٢: ٢١) عن أبي الجارود، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا بن رسول الله، هل تعرف مودتي لكم وانقطاعي إليكم وموالياتي إياكم؟ قال: فقال: «نعم»، قال: فقلت: فإني أسألك مسألة تحبيني فيها فإني مكفوف البصر - قليل المشي - ولا أستطيع زيارتكم كل حين، قال: «هات حاجتك»، قلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله عز وجل به أنت وأهل بيتك لأدين الله عز وجل به؟ قال: «إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة، والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عز وجل به؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لوليّنا، والبراءة من عدونا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع».

ولذا صار من ضرورات الدين الترقّب وتوقّع انتظار الفرج لوليّ الله الإمام المهدي حتّى لا يكون المؤمن غافلاً وقاسياً في قلبه عن أمر الله تعالى، لأنّه أمر من الله سبحانه إلى أنبيائه ورسله بإبلاغ أقوامهم بانتظار خروج القائم بالحق المهدي بن الحسن عليه السلام.

الطائفة الثالثة: الانتظار أحب الأعمال وأفضلها عبادة عند الله تعالى

في عيون أخبار الرضا عليه السلام: (١: ٣٩) قال رسول الله ﷺ: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل ^(١)».

وفي كمال الدين (ص ٣٧٧) بسنده إلى النبي ﷺ: «أفضل العبادة انتظار

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٢.

الفرج».

الخصال في الأربعمئة (ص ٦١٦): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ انتظار الفرَج»^١

أقول: ولعلَّ الأفضليَّة هنا من حيث الأهميَّة ودرجة الثواب والتقرُّب والطاعة لله سبحانه وتعالى لأنَّ هذه العبادة تجعل الإنسان مسلِّم لأمر الله مرتقب لفرجه باستمرار، ولا يعني أنَّها مقدِّمة على سائر الواجبات.

الطائفة الرابعة: منازل المنتظرين وصفاتهم ودرجاتهم وجزاؤهم عند الله سبحانه وتعالى:

قد ذكرنا أنَّ حقيقة الانتظار هي السكون وعدم الاستعجال والترقب لصاحب الأمر حتَّى مجيئه، فإنَّ الملتزمين المؤمنين بصفة الانتظار هم مطيعون مسلمون لأهل البيت، لأنَّهم لا يتقدِّمون على أمرهم ولا يستعجلون ما لم يعجله الله تعالى ولا يسبقون أهل البيت عليه السلام، ولأنَّهم بهذه الصفة فإنَّ الروايات قد أثنت عليهم ووصفتهم بالصفات الحميدة وبيَّنت درجاتهم ومنازلهم وثوابهم بسبب انتظارهم، الروايات كثيرة جدًّا نكتفي ببعض منها:

١- بهم يدفع الله البلاء ويسقي الغيث: روى الصدوق بسنده إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيأطوبى للثابتن على أمرنا في ذلك الزمان، إنَّ أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري جل جلاله فيقول: عبادي وإمائي آمنتم بسرِّي وصدَّقتم بغيبِّي، فأبشروا بحسن الثواب منِّي، فأنتم عبادي وإمائي حقًّا، منكم أتقبَّل وعنكم أعفو ولكم أغفر

٦٤٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي». قال جابر: فقلت: يا بن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: «حفظ اللسان ولزوم البيت»^(١) أقول: هذا المدح والثناء من الله سبحانه وتعالى للمتطهرين يكشف رضاه عنهم وعن فعلهم وإثمهم حجة على العباد، ولذلك يدفع الله بهم العذاب عن الخلق.

كما أن ذيل الحديث فيه أمرٌ للمؤمنين بضروره التقيّة (حفظ اللسان) (ولزوم البيت) ولعلّها تشير إلى الأوقات الحرجة من حفظ اللسان بعدم التعرّض لحاكم الجور ولزوم البيت بعدم الاستعجال في الخروج لحربه، ومثل هذه الروايات تربي المؤمنين المواليين على الصبر والاستقامة على الانتظار وعدم استعجال الأمور قبل أوانها.

٢- المنتظرون أفضل كل أهل زمان:

لماذا؟

لأنهم عارفون مسلمون مصدّقون لما جاء من عند الله تعالى وأهل بيته عليه السلام ولأنهم كذلك فقد أعطاهم الله العقل والفهم والمعرفة والبصيرة حتّى أصبحت عندهم الغيبة بمنزلة المشاهدة.

وجاء في حديث طويل عن الامام زين العابدين: «... يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، فإن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣٠.

بالسيف، أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عز وجل سرّاً وجهراً»^(١)

وقال عليه السلام: «انتظار الفرّج من أعظم الفرّج»^(٢).

٣- الإمام الباقر عليه السلام: المتّظر المحتسب كالمجاهد مع الإمام عليه السلام:

في تأويل الايات (٢: ٦٦٥) عن العياشي عن الحرث بن المغيرة، قال: كنّا عند أبي جعفر عليه السلام فقال: «العارف منكم هذا الأمر المتّظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد عليه السلام بسيفه».

ثمّ قال: «بل والله كمن جاهد مع رسول الله ﷺ بسيفه ثم قال بل والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ في فسطاطه، وفيكم آية من كتاب الله». قلت: وأي آية جعلت فداك؟ قال: «قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ وَالشّٰهَدَاءُ عِنْدَ رَبّهِمْ﴾ [الحديد/١٩]». ثمّ قال: «صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم».

وفي المحاسن (١: ١٧٣) عن عبد الحميد الواسطي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتّى أوشك الرجل منّا يسأل في يديه! فقال: «يا عبد الحميد، أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلى والله ليعلننّ الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا».

قال: فقلت: فإنّ متّ قبل أن أدرك القائم؟ فقال: «القائل منكم إن أدركت

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٩.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٩.

٦٤٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

القائم من آل محمد نصرته كالمقارع معه بسيفه، والشهيد معه له شهادتان»^(١).

٤ - المنتظر بمنزلة الشهيد مع رسول الله والقائم وإن لم يدركه:

عن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم عليه السلام»^(٢).

وفي المحاسن (للبرقي) عن السندي عن جده قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في مَنْ مات على هذا الأمر منتظراً له؟ قال: «هو بمنزلة مَنْ كان مع القائم في فسطاطه» ثم سكت هنيئة ثم قال: «هو كمن كان مع رسول الله ﷺ»^(٣).

وروى الصدوق بسنده إلى عمرو بن ثابت، قال: قال علي بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام: «من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأُحد»^(٤).

٥ - المنتظرون المسلمون إخوان رسول الله ﷺ:

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: «اللّهُمَّ لَقْنِي إِخْوَانِي» - مرّتين - فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: «لا إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرّفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمّهاتهم، لأحدهم أشدّ بقيّة على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالحباض على جمر الغضا، أولئك مصابيح

(١) بحار الأنوار: ١٢٦/٥٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٥/٥٢.

(٣) المحاسن: ١٧٣.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٣.

الذبحى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة»^(١).

٦ - المنتظرون هم المتقون الذين يؤمنون بالغيب:

عن يحيى بن أبي القاسم، قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فقال: «المتقون شيعة علي عليه السلام والغيب فهو الحجة الغائب، وشاهد ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ فأخبر الله عز وجل أن الآية هي الغيب، والغيب هو الحجة، وتصديق ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون/ ٥٠] يعني حجة»^(٢).

٧ - كالمشحط بدمه في سبيل الله:

جاء في شرح الاخبار: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمشحط بدمه في سبيل الله»^(٣).

٨ - أولياء الله لا خوف عليهم وطوبى لهم:

عن أبي بصير، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام/ ١٥٨] قال: «يعني يوم خروج القائم المنتظر منّا».

ثم قال عليه السلام: «يا أبا بصير، طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته،

(١) بصائر الدرجات: ١٠٤.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ١٨.

(٣) الخصال: ٦٢٥.

٦٤٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^(١).

٩ - هلك المستعجلون ونجا المنتظرون:

في غيبة النعماني بسنده إلى أبي المرفف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «هلكت المحاضير»، قلت: وما المحاضير؟ قال: «المستعجلون، ونجا المقرَّبون، وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإنَّ الفتنة على من أثارها، وإِنَّهم لا يريدونكم بجائحة إلاَّ أتاهاهم الله بشاغل إلا من يعرض لهم»^(٢).

وفي معاني مفردات هذا الحديث قال العلامة المجلسي رحمته الله: «المحاضير» جمع المحضير وهو الفرس الكثير العدو.

و«المقرَّبون» بكسر الراء المشددة أي الذين يقولون الفرج قريب أو يدعو لقربه، أو بفتح الراء أي الصابرون الذين فازوا بالصبر بقربه تعالى. «وثبت الحصن» أي استقرَّ حصن دولة المخالفين. «الفتنة على من أثارها» أي يعود ضرر الفتنة على من أثارها أكثر من غيره.

وروى النعماني بسنده عن صالح بن نبط وبكر المثني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنَّه قال: «هلك أصحاب المحاضير، ونجا المقرَّبون وثبت الحصن على أوتادها، إنَّ بعد الغمَّ فتحاً عجبياً»^(٣).

قال النعماني رحمته الله: انظروا رحمكم الله إلى هذا التأديب من الأئمة عليهم السلام وإلى أمرهم ورسمهم في الصبر والكفِّ والانتظار للفرج وذكرهم هلاك المحاضير

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٨، تفسير نور الثقلين: ١ / ٧٨١، كمال الدين وتام النعمة: ٣٥٧.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٠٣.

(٣) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٣٩.

والمستعجلين، وكذب المتمينين، ووصفهم نجاة المسلمين، ومدحهم الصابرين الثابتين، وتشبيههم إياهم على الثبات بثبات الحصن على أوتادها. فتأدّبوا رحمكم الله بتأديبهم، ومثّلوا أمرهم وسلّموا لقولهم، ولا تجاوزوا رسمهم..^(١)

الطائفة الخامسة: لزوم الانتظار على المؤمنين:

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلّا به؟» قلت: بلى، فقال: «شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا يعني الأئمة خاصّة، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقاء عليه السلام»^(٢).

وبنفس المضمون تقريباً عن أبي الجارود، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا بن رسول الله، هل تعرف مودّتي لكم وانقطاعي إليكم وموالياتي إياكم؟ قال: فقال: «نعم»، قال: فقلت: فإنّي أسألك مسألة تحييني فيها فإنّي مكفوف البصر - قليل المشي - ولا أستطيع زيارتكم كلّ حين، قال: «هات حاجتك»، قلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله عزّ وجلّ به أنت وأهل بيتك لأدين الله عزّ وجلّ به؟ قال: «إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة، والله لأعطيتك ديني ودين آبائي الذي ندين الله عزّ وجلّ به؛ شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ والإقرار بما جاء من عند الله، والولاية لوليّنا، والبراءة من عدوّنا، والتسليم

(١) الغيبة للنعماني: ٢٠٨.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٠٧.

لأمرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع»^(١).

الطائفة الخامسة كشفت أنه لا يقبل عمل المؤمن إلا بشروط فيا ترى هذه الشروط من باب الأفضلية والمحبة فقط أو من باب الإلزام؟
قال الميرزا الاصفهاني صاحب (مكيال المكارم) في المقام الثاني «في وجوب انتظار القائم على كل أحد» وقد استدلل بالروايات المتقدمة في الطائفة الخامسة، واستدل أيضاً بالرواية التالية:

ومما يدل على وجوب الانتظار ما رواه الشيخ الصدوق في (كمال الدين) بإسناده عن عبد العظيم الحسين، قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره، فابتدأني فقال لي: «يا أبا القاسم، إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي»^(٢)
واستدل أيضاً:

وفيه بسندين صحيحين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أقرب ما يكون العباد من الله عز وجل وأرضى ما يكون عنهم إذا فقدوا حجة الله عز وجل فلم يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجج الله عز وجل ولا بيناته، فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً، وإن أشد ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجة، فلم يظهر لهم، وقد علم أن أولياءه لا يرتابون ولو علم أنهم يرتابون ما غيب عنهم حجته طرفه عين ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار

(١) الكافي: ٢/ ٢١.

(٢) مكيال المكارم: ٢/ ١٣٦.

الناس» (١)

وقال أيضاً في المقام الخامس في بيان حكم ضد الانتظار وهو اليأس: «فنقول: إنه يتصور على أقسام:

الأول: اليأس من أصل ظهور القائم بالكلية، ولا شبهة في حرمة ذلك اتفاقاً لأن ظهور القائم وقيامه من ضروريات مذهب الإمامية بأجمعهم بل يحتمل أن يكون أصل ظهور القائم من ضروريات دين الإسلام، لأن الأحاديث فيه متواترة عن خير الأنام من طرق الخاص والعام بل اعترف علمائهم بهذا المرام وإنما الخلاف في تعيين شخصه ووجوده فعلاً، في قبال العامة القائلين بأنه سيوجد، فإنكاره بالكلية تكذيب النبي ﷺ.

ويشهد لما ذكرنا ما حكاه المجلسي رضوان الله عليه في (البحار ٥١: ١١٤) عن ابن أبي الحديد الذي هو من أعيان العلماء العامة أنه قال: قد وقع اتفاق الفرق من المسلمين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا على المهدي، انتهى.

القسم الثاني: اليأس من ظهور القائم ﷺ في مدة معينة بحسب الحدسيات والوهميات بأنه يقال مثلاً إن القائم ﷺ لا يظهر إلا بعد خمسين سنة، ولازم ذلك عدم الانتظار في تلك المدة، والظاهر من ملاحظات الأحاديث الآمرة بالانتظار في كل صباح ومساء حرمة هذا القسم من اليأس لظهور الأمر في الوجوب، وترك الواجب محرماً قطعاً.

ثم استدلل بروايات كثيرة منها رواية حماد بن عثمان المروية في الإقبال عن الصادق ﷺ قال: «توقع أمر صاحبك ليلك ونهارك، فإن الله كل يوم هو في

شأن، لا يشغله شأن عن شأن»^(١).

أقول: لم أجد في كلمات الفقهاء بحثاً يتعلّق بحكم الانتظار بشكل مستقل ولعلّهم اعتبروه جزء الاعتقاد بالمهدي وغيبته وما يترتّب على ذلك من الامتحان وتهذيب النفس والتسليم لأمر الله سبحانه، ومهما يكن فإن الروايات أكّدت على أهميّة الانتظار وإن يتسم المؤمن بهذه الصفة الممدوحة من الله عزّ وجلّ، وأن يكون همّه الذي يشغله صباحاً ومساءً، ولا يغفل عن ذلك وأن يهيئ نفسه لنصرة صاحب الزمان عليه السلام.

التكليف الثاني: معرفة إمام الزمان عليه السلام

ماذا يعني المعرفة؟

وما هي المعرفة الواجبة؟

قد ورد في الروايات المتواترة عند الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»^(٢).

ما هي أسس المعرفة للإمام عليه السلام؟

تقوم المعرفة على مقدّمات وأسس اعتقاديّة لا بدّ منها وهي:

أولاً: إنّما يعرف الله مَنْ عرف إمام زمانه: هذه هي الحقيقة الناصعة التي لا غبار عليها!

وكيف يعرف الإنسان ربّ العالمين من دون إمام يأتّم به ويصدّقه ويدعن إليه ويأخذ بأقواله وأفعاله.

(١) مكيال المكارم: ١٤٣/٢.

(٢) الكافي: ٢١/٢.

فإنَّ المعرفة مترابطة ومتسلسلة، وإنَّ الأساس هو معرفة الله سبحانه وتعالى، فإذا لم يعرف الله حقَّ المعرفة فإنَّه يعبد غير الله لأنَّ الله وضع طريقاً إلى معرفته وهو معرفة الرسول ﷺ وإمام الزمان والتصديق لهما وطاعتهما، وهذا هو الطريق الموصل للمعرفة الحقيقية.

فلا يمكن الفصل بين معرفة الله ومعرفة الإمام.

ولذا ورد في الحديث عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنَّما يعرف الله عزَّ وجلَّ ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منَّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عزَّ وجلَّ ولا يعرف الإمام منَّا أهل البيت فإنَّما يعرف ويعبد غير الله، هكذا والله ضلالاً»^(١).

ثانياً: المعرفة قائمة على أساس التصديق والإيمان والاتباع: لأنَّ المعرفة ليست هي نظريَّات في الذهن أو خيال أو أوهام وإنَّما هي إيمان بما جاء من عند الله وتصديق وإذعان، لأنَّ المعرفة الأساسيَّة هي من الله ليس للعباد فيها دخل، وقد ألهم عباده هذه المعرفة وفطروهم عليها في عالم الذرِّ، ومنها معرفة الإمام، ومن وظيفتنا التصديق بما جاء من الله ورسوله والأئمة الهداة، وهذه هي المعرفة الحقَّة لله سبحانه وتعالى.

فقد ورد في الروايات عن أبي حمزة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنَّما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنَّما يعبده هكذا ضلالاً». قلت: جعلت فداك، فما معرفة الله؟ قال: «تصديق الله عزَّ وجلَّ، وتصديق رسوله ﷺ، وموالة علي عليه السلام، والالتزام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عزَّ وجلَّ من

٦٥٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

عدوهم، هكذا يعرف الله عز وجل^(١).

وهل يكفي الإيمان بالله ورسوله وعدم الإيمان بالإمام عليه السلام؟

جاء عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال: «إن الله عز وجل بعث محمداً عليه السلام إلى الناس أجمعين رسولاً وحجة الله على جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمد رسول الله واتبعه وصدقه، فإن معرفة الإمام منّا واجبة عليه، ومن لم يؤمن بالله ورسوله ولم يتبعه ولم يصدقه ويعرف حقها فكيف يجب عليه معرفة الإمام وهو لا يؤمن بالله وبرسوله ويعرف حقها؟!»

قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ويصدق رسوله في جميع ما أنزل الله، يجب على أولئك حق معرفتكم؟

قال: «نعم، أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟»

قلت: بلى، قال: «أترى أن الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلا الشيطان، لا والله ما ألهم المؤمنين حقاً إلا الله عز وجل^(٢).

ثالثاً: التسليم المطلق ونبذ القياس والرأي: روى الصدوق بسنده إلى أبي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «إن دين الله عز وجل لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي - به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني

(١) الكافي: ١ / ١٨٠.

(٢) الكافي: ١ / ١٨٠ - ١٨١.

والقرآن العظيم وهو لا يعلم»^(١).

بعد المعرفة والتصديق يأتي التسليم لأقوال الأئمة عليهم السلام، وهذه هي نظرة الإنسان المؤمن لأنه لا يستطيع معرفة الخفايا والغيب من العلم والدين وخصوصاً المتشابهات والاعتقادات التي لا نعرف كنهها، وحقيقتها المغيبة عنا.. فإذا ستر عنا بعض الغيبات ولم نستطيع معرفة المتشابهات فلا بد من التوقف والتسليم وعدم الخوض في أمور ليست بوسع الإنسان إتيانها. وهذا لا يكون إلا بالتخلي عن منهج القياس والرأى واستخدام العقول القاصرة عن طاقتها، والاذعان والتسليم والطاعة. ومن هذه القضايا معرفة الإمام وما يتعلق به من أمور في خصوص الولادة والغيبة والقيام والكرامات والمعاجز وأقواله وأحاديثه وأدعيته وما صدر عنه من التوقيعات.

أمّا الإيمان ببعض والاعتقاد ببعض بناءً على قياس أو رأي، فهو من المشكلات الكبيرة في منهج المعرفة الدينية.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ وأهل بيته تفاصيل كثيرة عن الإمام الحجة ومنها موضوع الاسم والولادة والغيبة فأمرنا بالطاعة الائتنام في الغيبة وعدم التكذيب وإلا أدى إلى تكذيب النبي ﷺ وأدى إلى حبط عمل الإنسان المؤمن حيث إنّ الروايات المتعددة المتواترة لفظاً ومعناً قد صرّحت أنّه «من بات وليس له إمام مات ميتة جاهليّة» وموت الجاهليّة يساوي الضلالة والكفر والنفاق.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٤.

ما حكم إنكار غيبة صاحب الزمان؟

غيبة الإمام المهدي عليه السلام من الأسرار الغيبية التي أمرنا أهل البيت عليهم السلام التسليم لها والتصديق بها وعدم البحث عن العلل المستورة عنها، وقد اعتبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أن صاحب الزمان من ضرورات الدين يمثلها اسماً وكنية وصفة ومنهجاً وأقوالاً، وطاعته عين طاعته، ومعصيته معصية النبي، وإنكار غيبته يساوي إنكار النبي صلى الله عليه وآله.

والرواية التالية تسلط الضوء على ذلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القائم من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشماله شمالي، وسننه سنتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عز وجل، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني ومن كذبه فقد كذّبني ومن صدّقه فقد صدّقني...» ^(١).

والرواية تسلط الضوء على منكر الإمام في الغيبة وليس بشكل مطلق، فقد يكون هناك من يعتقد بالإمام المهدي ولكن ليس بالشكل والمضمون الذي يريده أهل البيت عليهم السلام فهو يقيس برأيه ويفصل إمام الزمان حسب رأيه ومفهومه لا المفهوم الذي صورته الروايات؛ فمن أنكر الإمام في زمان الغيبة فقد أنكر النبي صلى الله عليه وآله.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤١١، إعلام الوري: ٢/ ٢٢٧.

لماذا يصبح منكر الغيبة منكرًا للنبي ﷺ؟

١ - عندما ينكر المكلف غيبة صاحب الزمان فإنه يخالف الحديث المشهور بين المسلمين «مَنْ مات وليس يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»^(١).
وقد ورد في الروايات تفسير «ميتة جاهليّة» يعني كفر ونفاق وضلال، وعندما ينكر ولادة الإمام المهدي ﷺ فإنّ لازمه إنكار غيبته فعندها يكون بلا إمام يأتّم به فيصبح من المحبطين في أعمالهم ومن المرتدّين على أعقابهم إلى الجاهليّة.

فعن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر ﷺ يقول: «كلّ من دان لعبادة الله بجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله تعالى فسعيه غير مقبول، وهو ضالّ متحيّر، والله شائن لأعماله، ومثله كمثل شاة من الأنعام ضلّت عن راعيها...».

ثمّ قال: «هكذا والله يابن مسلم من أصبح من هذه الأمّة لا إمام له من الله عزّ وجلّ أصبح تائهاً، متحيّراً ضالاً، إن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق...»^(٢).

ولذا جاء عن الرسول يحذّر المؤمنين من الشكّ في ولادة القائم وأن لا يجعلوا للشيطان عليهم سبيلاً، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً ليغيبنّ القائم من ولدي بعهد معهود إليه منّي حتّى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجة، ويشكّ آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه

(١) الغيبة للنعماني: ١٢٦.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٢٧.

٦٥٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

فلتتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً يشككه فيزيله عن ملّتي ويخرجه من ديني»^(١).

٢ - لأنّ إنكار الغيبة إنكار الحقيقة التي أخبرت عنها النصوص المستفيضة المتواترة القطعية عن النبي وآله الطاهرين، وإنكار أقوال النبي يساوي تكذيبه وعدم تصديقه ولازمه الكفر بما جاء من عندهم عليهم السلام.

مع أنّ الروايات في هذا الباب هي بالآلاف وليست بالعشرات وإنكار المسلّمات والضروريّات يعني عناد الإنسان وضلاله.

٣ - إنكار غيبة الإمام الحجة عليه السلام التشكيك بالحقائق والسنن الربّانية التي أخبر عنها في القرآن من غيبات الأنبياء عليهم السلام وإنكار الحقيقة الساطعة أنّ الأرض لا تخلو من إمام مفترض الطاعة من الله سبحانه.

٤ - إنكار الغيبة يعني التشكيك في قدرة الله سبحانه وتعالى من أنّه لا يستطيع أن يطيل أعمار أوليائه، وهو مناف لما هو ثابت من أنّ الله سبحانه أطال عمر النبي نوح عليه السلام وأبقى الخضر حيّاً لكي يستدلّ به على بقاء وطول عمر صاحب الزمان..

٥ - إنكار الغيبة إنكار لكلّ ما صدر عن الحجة عليه السلام من أقوال وتوقعات وكرامات ومعاجز وأدعية وزيارات وآثار وأعمال وأوامر وإقرارات، وقد أثبت العلماء والمحدثين والفقهاء آثار الإمام حيث إنهم يبنون عليها تكاليف شرعية من واجبات ومحرمات ومستحبات ومكروهات ومباحات. وإنكاره يعني إنكار لكثير من الآثار والأعمال التي تحققت في الواقع كبناء المساجد وأعمال الخير ومساعدة المؤمنين وإغاثةهم وإجابة دعواتهم.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٥١، بحار الانوار: ٥١ / ٦٨.

٦ - وإنكار الغيبة إنكار وتكذيب لمئات الفقهاء العظام من الطائفة المحقة التي ثبتوا فيها لقاءاتهم بإمام الزمان عياناً وإجابةً على أسئلتهم مشافهةً، بالإضافة إلى المنامات الصادقة لكثير منهم وللمؤمنين عامة.

٧ - إنكارها يعني إنكار لكثير من آيات القرآن النازلة في عموم الأئمة وفيه خاصّة مثل سورة القدر وآية ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد/٧] وغيرهما كثير.

٨ - إنكار الغيبة يعني إنكار الدين الذي جاء من ربّ العالمين حيث أمرنا بالتسليم للنبي وأوصيائه من بعده وللفقهاء من نوابهم العامّين في كلّ زمان..

فهل بقي شيء من الدين بعد إنكار الغيبة!!

وعليه فإنّ منكرها كما جاء عنهم عليه السلام يُصبح من الكفّار والمنافقين الضالّين!!
المعرفة الضرورية:

هل يمكن بلوغ كمال معرفة الإمام عليه السلام؟ لا يمكن بلوغ المعرفة الكاملة بأيّ حال من الأحوال! ولذا لابدّ من التنبيه على أمور مهمّة:

أولاً: لابدّ من التمسك بالأُسُس في المعرفة التي سلفت وهي التصديق بما جاء من الله ورسوله والأئمة الطاهرين وأنّ معرفتهم متّصلة ومتراپطة لا يمكن التفكيك بينهما، وإنّ المعرفة يجب أن يطلبها المؤمن من ربّه سبحانه وتعالى لأنّها هي الأساس والباقي إنّما هو متفرّع من ذلك ولذا فقد ورد في الدعاء المعروف في زمان الغيبة: «اللّهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللّهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهم

عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني»^(١).
وهذا الدعاء من التكاليف للمؤمنين لأنّه يأتي في سياق المعرفة والثبات على العقيدة بالغيبة ولذا فإنّ الإمام الصادق عليه السلام في زمانه قد أوضح أهميّة هذا الدعاء كونه ينير قلب المؤمن ويزيد في بصيرته وثباته.

فعندما سأله زرارة: ماذا أصنع في ذلك الزمان لو أدركته؟ قال: جعلت فداك، إن أدركت ذلك الزمان أيّ شيء أعمل؟ قال عليه السلام: «يا زرارة، إن أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء» وساق الدعاء السابق^(٢).

كما أنّه لابدّ من التسليم والصبر لما أمرونا به في زمان الغيبة وغيرها حتّى نكون نعم المواليين الذين يدخلون الفرح والسرور على قلوبهم (عليهم السلام) وهو موجب لرضاهم عنّا.

ولأنّنا لا يمكن أن نصل إلى المعرفة الكاملة للإمام فلا بدّ من التسليم والتصديق والتوقّف عن الأمور التي لا نبلغها بعقولنا، وحيث ورد إنّ دين الله لا يصاب بالعقول فإنّ وظيفتنا الأساسيّة التسليم والطاعة والأخذ بما قالوا والانتهاز عمّا نهوا عنه.

ثانياً: ما هو أدنى المعرفة الضروريّة في الإمامة؟ يجيبنا على التساؤل إمامنا الصادق عليه السلام، حيث يقول: «... وأدنى معرفة الإمام أنّه عدل النبي إلّا درجة النبوة ووارثه، وإنّ طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله والتسليم له في كلّ أمر والردّ إليه والأخذ بقوله، ويعلم أنّ الإمام بعد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وبعده الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ بن الحسين ثمّ محمد بن عليّ ثمّ أنا ثمّ من بعدي

(١) الكافي: ١ / ٣٣٧

(٢) الكافي: ١ / ٣٣٧.

موسى ابني وبعده ولده عليّ، وبعد علي محمد ابنه وبعد محمد عليّ ابنه وبعد عليّ الحسن ابنه والحجة من ولد الحسن»^(١).

وعن أبي سلمة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلا معرفتنا ولا يعذر الناس بجهالتنا، مَنْ عرفنا كان مؤمناً، وَمَنْ أنكرنا كان كافراً، وَمَنْ لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة فإنه يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء»^(٢).

وأدنى المعرفة للإمام هي الطاعة والتصديق والتسليم والاتباع لهم.. والبراءة من أعدائهم والإيمان بالأئمة الاثني عشر- إلى آخرهم المهدي والاعتقاد بغيته وظهوره وإنه امتداد للنبي اسماً وفعلاً وصفة وسيرة وقولاً....

جاء عنه عليه السلام أنه قال: «القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي وشماله شمالي وستته سنتي، يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربّي عزّ وجلّ، مَنْ أطاعه فقد أطاعني وَمَنْ عصاه فقد عصاني، وَمَنْ أنكره في غيبته فقد أنكرني، وَمَنْ كذّبه فقد كذّبني، وَمَنْ صدّقه فقد صدّقني...»^(٣).

منازل وجزاء العارفين لإمام زمانهم:

المعرفة الحقّة تأتي في الدرجة الأولى للمكلّف وهي أساس الدّين والعقيدة، لأنّها تعطي الإنسان البصيرة بالحقّ وأهله وأصحابه فلا يسقط في الفتن ولا

(١) كفاية الأثر: ٢٦٣، بحار الأنوار: ٣٦ / ٤٠٧

(٢) الكافي: ١ / ١٨٧.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٤١١.

٦٥٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

يخضع للضغوطات، ولا ييأس من طول الغيبة ولا يقسو قلبه ولا يكون من المستعجلين الذين يسبقون إمام زمانهم في القيام، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لهم منازل ومراتب عالية فجعلهم بمنزلة المنتظرين وإن ماتوا قبل أن يدركوا القائم وجعلهم بمنزلة الشهداء والمجاهدين الذين يقاتلون تحت لواء رسول الله ﷺ ولواء القائم.

ولأن المعرفة هي الأساس لسلامة الإنسان وحسن عاقبته فقد جعلها الأنبياء أهم من مسألة الانتظار، وهذا التفضيل يأتي من الأئمة لكي يثبتوا شيعتهم عليها وعدم استعجال الأمور قبل أوانها.

١ - المعرفة والانتظار... من الفرج

فقد يتمنى المؤمن الفرج سريعاً لا لكي يظهر الحق سريعاً وإنما هو لنفاد الصبر والعجلة.

ولذا فإن الأئمة الأطهار كانوا يربون شيعتهم قبل ولادة الإمام القائم بسنوات طويلة على الصبر والثبات والالتزام بمعرفة الأئمة، وفيها يحصلون روح الفرج لأن المؤمن عندما يكون على الحق فإن الله معه.

ففي الكافي (١: ٣٧١) عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: جعلت فداك، متى الفرج؟ فقال: «يا أبا بصير، وأنت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فرج عنه لانتظاره»^(١)

٢ - لا فرق على المؤمن إن مات قبل ظهور الإمام ﷺ أو بعده إذا كان عارفاً لإمامه

الكافي (١: ٣٧١): عن إسماعيل بن محمد الخزاعي قال سألت أبو بصير أبا عبد

(١) بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٢.

الله ﷺ وانا اسمع فقال: تراني أدرك القائم ﷺ؟ فقال: «يا أبا بصير، ألتست تعرف إمامك؟» فقال: إي والله، وأنت هو، وتناول يده، فقال: «والله ما تبالي يا أبا بصير ألا تكون محتبياً بسيفك في ظل رواق القائم ﷺ»^(١).

وفي الكافي (٨: ١٤٦) عن مالك الجهنني، قال: قال لي أبو عبدالله ﷺ: «يا مالك، أما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفوا وتدخلوا الجنة؟ يا مالك إنه ليس من قوم ائتموا بإمام في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا أنتم ومن كان على مثل حالكم.. يا مالك، إن الميت والله منكم على هذا الأمر شهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله».

وفي الكافي (١: ٣٧٢) عن علي بن هاشم، عن أبيه، عن أبي جعفر ﷺ قال: «ما ضر من مات منتظراً لأمرنا ألا يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره». وفي تأويل الآيات الظاهرة (٢: ٦٦٥) عن الحسين بن أبي حمزة، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبدالله ﷺ: جعلت فداك، قد كبر سنّي ودق عظمي واقترب أجلي وقد خفت أن يدركني قبل هذا الأمر الموت! قال: فقال لي: «يا أبا حمزة، أو ما ترى الشهيد من قتل؟» قلت: نعم جعلت فداك، فقال لي: «يا أبا حمزة، من آمن بنا وصدق حديثنا وانتظر أمرنا كان كمن قتل تحت راية القائم، بل والله تحت راية رسول الله ﷺ».

وفي غيبة النعماني (ص ٢٠٧) عن أبي بصير، عن أبي عبدالله ﷺ أنه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجل من العباد عملاً إلا به؟» فقلت: بلى، فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله

(١) الغيبة للنعماني: ٣٥١.

٦٦٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا يعني الأئمة خاصة، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم عليه السلام.

ثم قال: «إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء».

ثم قال: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم آيتها العصابة المرحومة».

وفي الغيبة للطوسي (ص ٢٧٧) عن عبدالله بن عجلان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من عرف بهذا الأمر ثم مات قبل أن يقوم القائم كان له أجر مثل من قتل معه».

٣. العارف من أهل الحكمة وإن مات كمن هو مع القائم في فسطاطه

في إعلام الدين (ص ٤٥٩): سأله أبو بصير عن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة/ ٢٦٩] ما عنى بذلك؟ فقال: «معرفة الإمام واجتناب الكبائر، ومن مات وليس في رقبته بيعة لإمام مات ميتة جاهليّة، ولا يعذر الناس حتّى يعرفوا إمامهم، فمن مات وهو عارف بالإمامة لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، فكان كمن هو مع القائم في فسطاطه». قال: ثم مكث هنيئاً ثم قال: «لا بل كمن قاتل معه»، ثم قال: «لا بل والله كمن استشهد مع رسول الله ﷺ» ^(١).

٤. العارف المنتظر كمن استشهد مع رسول الله ﷺ والقائم:

وفي المحاسن (ص ١٧٣) عن العلاء بن سيابة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «من مات منكم على أمرنا هذا فهو بمنزلة من ضرب فسطاطه إلى رواق القائم عليه السلام»

(١) وعنه بحار الأنوار: ٢٧ / ١٢٦.

بل بمنزلة من يضرب معه بسيفه، بل بمنزلة من استشهد معه، بل بمنزلة من استشهد مع رسول الله ﷺ.

وفي الكافي (١: ٣٧١ ونحوه ٣٧٢): عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾؟ فقال: «يا فضيل، اعرف إمامك فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرك تقدّم هذا الأمر أو تأخر، ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه». قال: وقال بعض أصحابه: «بمنزلة من استشهد مع رسول الله ﷺ»^(١).

المؤمن شهيد وإن مات على فراشه

روي في أمالي الطوسي (ص ٦٧٦) عن يحيى بن العلاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كل مؤمن شهيد وإن مات على فراشه فهو شهيد، وهو كمن مات في عسكر القائم». قال: «أحبس نفسه على الله ثم لا يدخله الجنة»^(٢).

التكليف الثالث: الثبات على المعرفة والولاية والانتظار

يجب عدم التزلزل والضلالة والانحراف واستعجال الأمور واليأس من الفرج لأن المؤمن في زمان الغيبة في بوتقة امتحان لصبره وتحمله واستقامته. ولأن سنة الله في أوليائه أن يجري عليهم الامتحان ليتبين الصادق من الكاذب والمخلص من غيره، ومن إيمانه بوزن الجبال، ومن دينه بمقدار جناح

(١) ومثله الغيبة للنعماني: ٣٢٩، الغيبة للطوسي: ٢٧٦، وعنهما إثبات الهداة ٣: ٥١٥،

بحار الأنوار: ٥٢ / ١٣١، و١٤١ و١٤٢.

(٢) عنه بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٤.

بعوضة.

وحيث إنّ لكلّ واحد من هؤلاء جزاء ومراتب، فإنّ الثابتين يزيدهم من فضله ودرجاته، أمّا الضعفاء والذين ضلّوا وخرجوا عن فئة المؤمنين المنتظرين فقد خسروا خسراناً كبيراً.

وقد كشفت الروايات أنّ الكثير من غير المخلصين سوف ينهارون بسبب ضغوطات الحياة وطول الأمد.

ولذا فإنّ أهل البيت يحذّرون شيعتهم من تشكيك المشكّين ومن يعمل على إزالتهم عن دينهم.

ففي العلل للصدوق بسنده إلى عليّ بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلكم أحد عنها.

يا بني، إنّّه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبته حتّى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنّما هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه، ولو علم آبائكم وأجدادكم ديناً أصحّ من هذا لا تبعوه».

فقلت: يا سيّدي، من الخامس من ولد السابع؟

قال: «يا بني، عقولكم تصغر عن هذا، وأحلامكم تضيق عن حمله، ولكن إنّ تعيشوا فسوف تدركوه»^(١).

وفي غيبة الطوسي روى بسنده عن جابر الجعفي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى يكون فرجكم؟ فقال: «هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتّى تغربلوا ثمّ تغربلوا ثمّ تغربلوا - يقولها ثلاثاً - حتّى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى

(١) علل الشرائع: ٢٤٤ - ٢٤٥.

الصفو»^(١).

ثواب الثابتين على الولاية:

وبعد بيان التحذير وما يقع فيه الناس من الامتحان والفتنة، تبين الروايات ثواب الثابتين على الولاية في زمن الغيبة.

والصدوق في (كمال الدين) بإسناده إلى سيّد العابدين، أنّه قال: «مَنْ ثَبَتَ عَلَى وَلَايَتِنَا فِي غِيْبَةِ قَائِمِنَا عليه السلام أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِثْلَ شَهِدَاءِ بَدْرٍ وَأُحُدٍ»^(٢).

طوبى للثابتين:

أيضاً بسنده عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغِيْبُ عَنْهُمْ إِمَامُهُمْ، فَيَا طُوبَى لِلثَّابِتِينَ عَلَى أَمْرِنَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، إِنَّ أَدْنَى مَا يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ أَنْ يَنَادِيَهُمُ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ: عِبَادِي وَإِمَائِي أَمْتَمْتُ بِسَرِّي، وَصَدَّقْتُمْ بَغِيْبِي، فَأَبْشَرُوا بِحَسَنِ الثَّوَابِ مِنِّي، فَأَنْتُمْ عِبَادِي وَإِمَائِي حَقًّا، مِنْكُمْ أَتَقَبَّلُ وَعَنْكُمْ أَعْفُو وَلَكُمْ أَغْفِرُ وَبِكُمْ أَسْقِي عِبَادِي الْغِيْثَ وَأُدْفَعُ عَنْهُمْ الْبَلَاءَ، وَلَوْلَاكُمْ لَأَنْزَلْتُ عَلَيْهِمْ عَذَابِي».

قال جابر: فقلت: يا بن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: «حَفْظُ اللِّسَانِ وَلِزُومُ الْبَيْتِ»^(٣).

(١) الغيبة للطوسي: ٢٢٩، عنه بحار الأنوار: ٥٢ / ١١٣.

(٢) كمال الدين: ٣٢٣، عنه بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٥.

(٣) كمال الدين: ٣٣٠، عنه بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٥.

ما تكليفنا حتى نحافظ على ديننا ونثبت على الحق؟

١ - الدعاء لأنفسنا بالثبات والمعرفة:

ولأنّ الامتحان شديد والفتن والشبهات ترشق المؤمن من كلّ حدب وصوب، فلا يسعنا حيثنّذ إلاّ الدعاء والالتجاء إلى ربّ العالمين لإنقاذنا من الهلكة والمحنة!

وأشدّ ما يواجه المؤمنين هم أهل الضلال والشبهات والمشكّكين، وأصحاب الرأي والتأويل الباطل والتكلف الذين لا يأخذون ولا يسلمون إلى علوم أهل البيت عليه السلام.

حيث يجهدون أنفسهم على تشويه الحقائق وتشويش الرؤية واضعاف اليقين بالمسلمات ويسعون في المقابل نشير الأفكار الإلحادية والفلسفة المعادية للدين. وقد سبق أهل البيت عليه السلام الزمان عندما أشاروا لنا بأهميّة الدعاء لأنّه أعظم الأسلحة إطلاقاً!! وهو سلاح الأنبياء الذي يرذّبه القضاء وقد أبرم إبراماً. إنّه الدعاء الذي يرجع الإنسان إلى عهده وفطرته الأولى التي فطر الناس عليها، وإذا ما تمسك الناس بفطرتهم فإنّ جميع المعاول تتكسر ولا تنال من إيمان المؤمنين!!

انظروا إلى هذا الحديث الذي يُعلّم فيه الصادق عليه السلام أحد أبرز الموالين وهو زرارة كيف يتصرّف لو كان في ذاك الزمان والموقف أي عند التشكيك بغيبة الإمام المهدي وولادته!!

فقد روى الصدوق عليه الرحمة بإسناده عن زرارة ابن اعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم»، قلت له: ولم؟ قال: «يخاف» وأوماً بيده إلى بطنه؛ ثم قال: «يا زرارة، وهو المنتظر، وهو الذي يشكّ الناس في ولادته، منهم من يقول: هو حمل، ومنهم من يقول: هو غائب، ومنهم من يقول:

ما ولد، ومنهم مَنْ يقول: قد ولد قبل وفاة أبيه بستين، غير أنّ الله تبارك وتعالى يحبّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون».

قال زرارة: فقلت: جعلت فداك، فإن أدركت ذلك الزمان فأَيُّ شيء أعمل؟ قال: «يا زرارة، إن أدركت ذلك الزمان فأدم هذا الدعاء: «اللّهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تُعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللّهم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني».

ثمّ قال: «يا زرارة، لا بدّ من قتل غلام بالمدينة»، قلت: جعلت فداك، أليس يقتله جيش السفيناني؟ قال: «لا ولكن يقتله جيش بني فلان، يخرج حتّى يدخل المدينة فلا يدري الناس في أيّ شيء دخل، فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لم يمهلهم الله عزّ وجلّ، فعند ذلك فتوقّعوا الفرج»^(١).

وروى أيضاً بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ستصيبيكم شبهة فتبقون بلا علم يُرى ولا إمام هُدى، ولا ينجو منها إلّا من دعا بدعاء الغريق»، قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: «تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا الله يا رحمن يا رحيم، يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك. فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ مقلب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول لك: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(٢).

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٢-٣٤٣، عنه بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٢، عنه بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٨.

٦٦٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

أقول: يتبين من ذيل الحديث أنه لا يجوز للإنسان تغيير النص الوارد من أهل البيت سواءً بزيادة أو نقيصة أو تغيير، ثم ينسبه إلى الإمام المعصوم.

٢ - ولتحقيق الثبات على ولاية أهل البيت في زمن الغيبة هنالك شروط أخرى:

فصلتها الروايات، نشير إليها إشارة فقط لأنها أمور تتكرر ومطلوبه في كل زمان ومكان.

إنّ الولاية تتكامل بالبراءة من أعداء أهل بيت محمد عليه السلام، والتسليم لهم، وحفظ أسرارهم، والعمل على التكافل مع المؤمنين ومعاونتهم والعمل بالورع والاجتهاد.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجلّ العباد عملاً إلاّ به؟» فقلت: بلى، فقال: «شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا يعني الأئمة خاصّة، والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقاءهم عليهم السلام».

ثم قال: «إنّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء».

ثم قال: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة» ^(١).

التكليف الرابع: الدعاء - الزيارة - الصلاة عليه

هنالك من الأدعية والزيارات والصلوات المختصّة به وهي كثيرة، وبعضها

(١) الغيبة للنعماني: ٢٠٧، بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٠.

مشارك مع سائر الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وأهم ما توفره وتصنعه هذه البرامج الروحية هي إضاءة الروح لأنها تتصل بعالم النور الذي يضيء الدنيا به، فنحن كلما زدنا في دعائنا له ومعرفتنا به وارتباطنا به تتقوى الرابطة والعلاقة به، فنعيش همومه وقضاياها، ونتعاهد به، وفي نهاية المطاف تزداد بصيرتنا في ديننا، وأن نوفق لرضاه ومعرفته، وأن نكون من أنصاره، وقد ورد من تكاليفنا في زمن غيبته أن ندعوا له بتعجيل الفرج لأن أمره بيد الله سبحانه، وهذا أقل ما نستطيع القيام به له عليه السلام، ومن مميزات الأدعية والزيارات له عليه السلام إنها تبين صفاته ومقاماته وأعماله وحالاته في غيبته وما يقوم به عند قيامه من هدم حصون الشرك والضلالة وظهور الدين كما أنها تتضمن الدعاء له بالحفظ والسلامة والنجاة من الظالمين، والطلب من رب العالمين بتعجيل فرجه، وأن نكون من أنصاره وأعوانه، ولكل دعاء أو زيارة اختصاص وامتياز ومعنى تركّز عليه وتريد إيصاله إلى القارئ.

وهنا نورد بعض الأدعية والزيارات وخاصة كل واحد منها:

الأول: دعاء العهد

ويمتاز هذا الدعاء أنه يجدد العهد والبيعة للإمام المنتظر عليه السلام، والطلب من الله عز وجل أن نكون من أنصاره وأعوانه، ولذا فقد روى في المصباح لابن طاووس الرواية عن الصادق عليه السلام وعنه القمي في المفاتيح: مَنْ دعا إلى الله تعالى أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله من قبره، وأعطاه بكل كلمة ألف حسنة ومحى عنه ألف سيئة، وهو هذا:

«اللَّهُمَّ رَبَّ النُّورِ الْعَظِيمِ وَرَبَّ الْكُرْسِيِّ الرَّفِيعِ وَرَبَّ الْبَحْرِ الْمُسْجُورِ وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَرَبَّ الظِّلِّ وَالْحُرُورِ وَمُنْزِلَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَرَبَّ

الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ.. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْكَرِيمِ وَبِنُورِ
 وَجْهِكَ الْمُنِيرِ وَمُلْكِكَ الْقَدِيمِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ يَا حَيًّا قَبْلَ كُلِّ حَيٍّ وَيَا حَيًّا بَعْدَ كُلِّ حَيٍّ وَيَا حَيًّا حِينَ لَا
 حَيٍّ يَا مُحْيِيَ الْمَوْتِ وَمُيْتِ الْأَحْيَاءِ يَا حَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَانَا الْأَمَامَ
 الْهَادِيَ الْمُهْدِي الْقَائِمَ بِأَمْرِكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ عَنْ جَمِيعِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا سَهْلِهَا وَجَبَلِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا
 وَعَنْيَ وَعَنْ وَالِدَيَّ مِنَ الصَّلَوَاتِ زِنَةَ عَرْشِ اللَّهِ وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ وَمَا أَحْصَاهُ عِلْمُهُ
 وَأَحَاطَ بِهِ كِتَابُهُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أُجَدِّدُ لَهُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا وَمَا عِشْتُ مِنْ أَيَّامِي
 عَهْدًا وَعَقْدًا وَبَيْعَةً لَهُ فِي عُنُقِي لَا أَحُولُ عَنْهَا وَلَا أَزُولُ أَبَدًا. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ
 أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَالذَّابِّينَ عَنْهُ وَالْمُسَارِعِينَ إِلَيْهِ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِهِ وَالْمُحَامِلِينَ عَنْهُ
 وَالسَّابِقِينَ إِلَى إِرَادَتِهِ وَالْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ. اللَّهُمَّ إِنْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَوْتُ
 الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي مُؤْتَرِّرًا كَفَنِي شَاهِرًا
 سَيْفِي مُجَرَّدًا قِنَاتِي مُلَبِّيًّا دَعْوَةَ الدَّاعِي فِي الْحَاضِرِ وَالْبَادِي. اللَّهُمَّ ارْنِي الطَّلْعَةَ
 الرَّشِيدَةَ وَالْغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ وَاكْحُلْ نَاطِرِي بِنَظَرَةٍ مِنِّي إِلَيْهِ وَعَجِّلْ فَرَجَهُ وَسَهِّلْ
 مَخْرَجَهُ وَأَوْسِعْ مِنْهَجَهُ وَاسْلُكْ بِي مَحَجَّتَهُ وَأَنْفِذْ أَمْرَهُ وَاشْدُدْ أَرْزَهُ. وَاعْمُرِ اللَّهُمَّ بِهِ
 بِلَادَكَ وَأَخِي بِهِ عِبَادَكَ فَإِنَّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا
 كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ)؛ فَأَظْهِرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِيَّكَ وَابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكَ الْمُسَمَّى بِاسْمِ
 رَسُولِكَ ﷺ حَتَّى لَا يَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ إِلَّا مَرْقَهُ وَيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُحَقِّقَهُ.
 وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مَفْرَعًا لِمَظْلُومِ عِبَادِكَ وَنَاصِرًا لِمَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِرًا غَيْرَكَ وَمُجَدِّدًا لِمَا
 عَطَلَ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِكَ، وَمُشِيدًا لِمَا وَرَدَ مِنْ أَعْلَامِ دِينِكَ وَسُنَنِ نَبِيِّكَ ﷺ
 وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مِمَّنْ حَصَّنَتْهُ مِنْ بَأْسِ الْمُعْتَدِينَ.. اللَّهُمَّ وَسِّرْ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا ﷺ
 بِرُؤُوسِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى دَعْوَتِهِ وَارْحَمِ اسْتِكَانَتَنَا بَعْدَهُ. اللَّهُمَّ اكْشِفْ هَذِهِ الْغَمَّةَ عَنْ

هَذِهِ الْأُمَّةُ بِحُضُورِهِوَعَجَّلْ لَنَا ظُهُورَهُ(فرجه) إِنَّمُمْ يَرُونَهُ بَعِيداً وَرَأَهُ قَرِيباً
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

ثمّ تضرب على فخذك الأيمن بيدك ثلاث مرّات وتقول: «الْعَجَلُ الْعَجَلُ يَا
مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ»^(١).

الثاني: دعاء الندبة

قال القمي: أفرد السيّد بن طاووس في كتاب مصباح الزائر فصلاً لأعمال
السرّداب المقدّس فأثبت فيه ستّ زيارات ثمّ قال: ويلحق بهذا الفصل دعاء
النّدبة وما يزار به مولانا صاحب الأمر عليه السلام في كلّ يوم بعد فريضة الفجر..
ثمّ قال القمي: ويستحب أن يُدعى به في الأعياد الأربعة (أي عيد الفطر
والأضحى والغدير ويوم الجمعة) وهو:

واسم هذا الدعاء يعطي المضمون الحقيقي له حيث إنّهُ يُذكر بمظلوميّة أهل
البيت عليهم السلام وما يعانیه صاحب الأمر من الحزن العميق والبكاء الطويل والهمّ
والغمّ لهذه المصائب.. والمواظبة على هذا الدعاء يجعلنا نؤدّي حقّاً واحداً من
حقوق صاحب الزمان وهو أن نشاركه حزنه وهمّه والاستعداد معه لأخذ ثارات
أجداده، والدعاء هو:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّم تَسْلِيماً.
اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ
وَدِينِكَ إِذْ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا

(١) مصباح الزائر: ٤٥٥-٤٥٦.

اضْمِحْلَالَ بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيَّيَّةِ وَزُخْرُفِهَا
وَزِبْرِجِهَا فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ الْوَفَاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ
لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيِّ وَالشَّانَ الْجَلِيلِيَّ وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمُ مَلَائِكَتَكَ وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ
وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرِيعَةَ (الذرائع) إِلَيْكَ وَالْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ
فَبَعْضُ أَسْكَنْتَهُ جَنَّكَ إِلَى أَنْ أَخْرَجْتَهُ مِنْهَا وَبَعْضُ حَمَلْتَهُ فِي فُلْكَكَ وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ
آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِرَحْمَتِكَ وَبَعْضُ اخْتَذَتْهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلًا وَسَأَلَكَ لِسَانَ صِدْقٍ
فِي الْآخِرَةِ (الْآخِرِينَ) فَأَجَبْتَهُ وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِيًّا، وَبَعْضُ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةِ
تَكْلِيمٍ وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رِذَاءً وَوَزِيرًا وَبَعْضُ أَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأَتَيْتُهُ
الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَكُلُّ شَرَعْتَ لَهُ شَرِيعَةً وَنَهَجْتَ لَهُ مِنْهَا جَاءً وَتَخَيَّرْتَ
لَهُ أَوْصِيَاءَ مُسْتَحْفَظًا بَعْدَ مُسْتَحْفَظٍ مِنْ مُدَّةٍ إِلَى مُدَّةٍ إِقَامَةً لِدِينِكَ وَحُجَّةً عَلَى
عِبَادِكَ وَلِتَلَّا يَزُولَ الْحَقُّ عَنْ مَقَرِّهِ وَيَغْلِبَ الْبَاطِلُ عَلَى أَهْلِهِ وَلَا يَقُولَ أَحَدٌ لَوْلَا
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا مُنْذِرًا وَأَقَمْتَ لَنَا عِلْمًا هَادِيًا فَتَتَّبَعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ
وَنُخْزَى، إِلَى أَنْ انْتَهَيْتَ بِالْأَمْرِ إِلَى حَبِيبِكَ وَنَجِيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
فَكَانَ كَمَا انْتَجَبْتَهُ سَيِّدَ مَنْ خَلَقْتَهُ وَصَفْوَةَ مَنْ اصْطَفَيْتَهُ وَأَفْضَلَ مَنْ اجْتَبَيْتَهُ وَأَكْرَمَ
مَنْ اعْتَمَدْتَهُ، قَدَّمْتَهُ عَلَى أَنْبِيَائِكَ وَبَعَثْتَهُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ عِبَادِكَ وَأَوْطَأْتَهُ مَشَارِقَكَ
وَمَغَارِبَكَ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الْبُرَاقَ وَعَرَجْتَ بِرُوحِهِ (بِهِ) إِلَى سَمَائِكَ وَأَوْدَعْتَهُ عِلْمَ مَا
كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى انْقِضَاءِ خَلْقِكَ ثُمَّ نَصَرْتَهُ بِالرُّعْبِ وَحَفَفْتَهُ بِجَبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ
وَالْمُسَوِّمِينَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ وَوَعَدْتَهُ أَنْ تُظْهِرَ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ
وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَوَّأْتَهُ مَبَوَّأَ صِدْقٍ مِنْ أَهْلِهِ وَجَعَلْتَ لَهُ وَهُمْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ
لِلَّذِي بَبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ
آمِنًا، وَقُلْتُ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا،
ثُمَّ جَعَلْتَ أَجْرَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتُ: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَقُلْتَ: مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ، وَقُلْتَ: مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا، وَكَانُوا هُمُ السَّبِيلَ إِلَيْكَ وَالْمَسْلَكَ إِلَىٰ رِضْوَانِكَ.

فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقَامَ وَلِيُّهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا هَادِيًا إِذْ كَانَ هُوَ الْمُنْذِرَ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ، فَقَالَ وَالْمَلَأُ أَمَامَهُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ. وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ أَنَا نَبِيَّهُ فَعَلِيٌّ أَمِيرُهُ، وَقَالَ: أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَسَائِرِ النَّاسِ مِنْ شَجَرِ شَتَّى، وَأَحَلَّهُ مَحَلَّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَرَوَّجَهُ ابْنَتُهُ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَأَحَلَّ لَهُ مِنْ مَسْجِدِهِ مَا حَلَّ لَهُ، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَهُ، ثُمَّ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ فَقَالَ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي لَحْمِكَ مِنْ لَحْمِي وَدَمِكَ مِنْ دَمِي وَسِلْمُكَ سِلْمِي وَحَرْبُكَ حَرْبِي، وَالْإِيْمَانُ مُحَالِطٌ لَحْمِكَ وَدَمِكَ كَمَا خَالَطَ لَحْمِي وَدَمِي، وَأَنْتَ عَدَا عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي وَأَنْتَ تَقْضِي دِينِي وَتُنْجِزُ عِدَاتِي وَشِيعَتُكَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ مُبَيَّضَةٍ وَجُوهُهُمْ حَوْلِي فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ جِيرَانِي، وَلَوْ لَا أَنْتَ يَا عَلِيٌّ لَمْ يُعْرِفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي، وَكَانَ بَعْدَهُ هُدًى مِنَ الضَّلَالِ وَنُورًا مِنَ الْعَمَى وَحَبْلَ اللَّهِ الْمُتَيْنِ وَصِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، لَا يُسْبِقُ بِقَرَابَةٍ فِي رَحِمٍ وَلَا بِسَابِقَةٍ فِي دِينٍ وَلَا يُلْحَقُ فِي مَنْقَبَةٍ (مِنْ مَنَاقِبِهِ) يَخْذُو حَذْوَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا وَيُقَاتِلُ عَلَى التَّأْوِيلِ وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، قَدْ وَتَرَ فِيهِ صَنَادِيدَ الْعَرَبِ وَقَتَلَ أَبْطَاهُمْ وَنَاوَشَ دُوبَانَهُمْ فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقَادًا بِدَرِيَّةٍ وَخَيْرِيَّةٍ وَحَنِينِيَّةٍ وَغَيْرُهَا فَأَضَبَتْ عَلَى عِدَاوَتِهِ وَأَكْبَتْ عَلَى مُنَابَذَتِهِ حَتَّى قَتَلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ.

وَلَمَّا قَضَىٰ نَحْبَهُ وَقَتْلَهُ أَشَقَى الْأَخْرَيْنَ يَتَّبِعُ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ لَمْ يُمَثَّلْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْهَادِينَ بَعْدَ الْهَادِينَ وَالْأُمَّةُ مُصَرَّةٌ عَلَى قَطِيعَةِ رَحِمِهِ وَإِقْصَاءُ وَلَدِهِ إِلَّا الْقَلِيلَ مِمَّنْ وَفَى لِرِعَايَةِ الْحَقِّ فِيهِمْ؛ فَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ وَسُيِّ مَنْ سُيِّ وَأَقْصِيَ مَنْ أَقْصِيَ، وَجَرَى الْقَضَاءُ هُمْ بِمَا يُرْجَى لَهُ حُسْنُ الْمُثُوبَةِ إِذْ كَانَتْ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَسُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لِمَفْعُولٍ، وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ؛ فَعَلَى الْأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا فَلْيَبْكُوا الْبَاكُونَ وَإِيَّاهُمْ فَلْيَنْدُبِ النَّادِبُونَ، وَلْيُثْلِغْهُمْ فَلْتَذْرِفِ الدُّمُوعُ وَلْيَصْرُخِ الصَّارِخُونَ وَيَضْجِ الصَّاجُونَ وَيَعْجِ الْعَاجُونَ.

أَيْنَ الْحَسَنُ، أَيْنَ الْحُسَيْنُ، أَيْنَ أَبْنَاءَ الْحُسَيْنِ؟ صَالِحٌ بَعْدَ صَالِحٍ وَصَادِقٌ بَعْدَ صَادِقٍ، أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ، أَيْنَ الْخَيْرَةُ بَعْدَ الْخَيْرَةِ، أَيْنَ الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ، أَيْنَ الْأَقْمَارُ الْمُنِيرَةُ، أَيْنَ الْأَنْجُمُ الزَّاهِرَةُ، أَيْنَ أَعْلَامُ الدِّينِ وَقَوَاعِدُ الْعِلْمِ، أَيْنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعِثْرَةِ الْهَادِيَةِ، أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دَابِرِ الظُّلْمَةِ، أَيْنَ الْمُنتَظَرُ لِإِقَامَةِ الْأَمْتِ وَالْعَوَجِ، أَيْنَ الْمُزْتَجَى لِإِزَالَةِ الْجُورِ وَالْعُدْوَانِ، أَيْنَ الْمُدْخَرُ لِتَجْدِيدِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ، أَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لِإِعَادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ، أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِأَحْيَاءِ الْكِتَابِ وَحُدُودِهِ، أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّينِ وَآهْلِهِ، أَيْنَ قَاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدِينَ، أَيْنَ هَادِمُ أُنْبِيَةِ الشُّرْكِ وَالنِّفَاقِ، أَيْنَ مُبِيدُ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالطُّغْيَانِ، أَيْنَ حَاصِدُ فُرُوعِ الْغِيِّ وَالشَّقَاقِ، أَيْنَ طَامِسُ آثَارِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ، أَيْنَ قَاطِعُ حَبَائِلِ الْكِذْبِ وَالْإِفْتِرَاءِ، أَيْنَ مُبِيدُ الْعِنَادِ وَالْمُرْدَةِ، أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالْتَّضْلِيلِ وَالْإِلْحَادِ، أَيْنَ مُعِزُّ الْأَوْلِيَاءِ وَمُذِلُّ الْأَعْدَاءِ أَيْنَ جَامِعُ الْكَلِمَةِ عَلَى التَّقْوَى، أَيْنَ بَابُ اللَّهِ الَّذِي مِنْهُ يُوتَى، أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِيَاءُ، أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَيْنَ صَاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَنَاشِرُ رَايَةِ الْهُدَى، أَيْنَ مُؤَلَّفُ شَمْلِ

الصَّلاحِ وَالرِّضا، أَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ الْأَنْبياءِ (وَأَبْناءِ الْأَنْبياءِ)، أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ
الْمُقْتُولِ بِكَرْبلاءِ، أَيْنَ الْمُنْصُورُ عَلَى مَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِ وَافْتَرى، أَيْنَ الْمُضْطَرُّ الَّذِي
يُجَابُ إِذَا دَعَا، أَيْنَ صَدْرُ الْخَلَائِقِ ذُو الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، أَيْنَ ابْنُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ
عَلِيِّ الْمُرْتَضَى وَابْنُ حَدِيجَةَ الْعَرَاءِ وَابْنُ فَاطِمَةَ الْكُبْرَى.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي لَكَ الْوَقَاءُ وَالْحِمَى يَا بَنَ السَّادَةِ الْمُقَرَّبِينَ، يَا بَنَ النُّجَبَاءِ
الْأَكْرَمِينَ، يَا بَنَ الْهُدَاةِ الْمُهْدِيِّينَ، يَا بَنَ الْخَيْرَةِ الْمُهْذَبِينَ، يَا بَنَ الْعَطَارِفَةِ الْأَنْجَبِينَ،
يَا بَنَ الْأَطَائِبِ الْمُطَهَّرِينَ، يَا بَنَ الْخُضارِمَةِ الْمُتَجَبِّينَ، يَا بَنَ الْقَمَاقِمَةِ الْأَكْرَمِينَ، يَا بَنَ
الْبُدُورِ الْمُنِيرَةِ، يَا بَنَ الشُّرُجِ الْمُضِيئَةِ، يَا بَنَ الشُّهَبِ الثَّاقِبَةِ، يَا بَنَ الْأَنْجَمِ الزَّاهِرَةِ،
يَا بَنَ السُّبُلِ الْوَاضِحَةِ، يَا بَنَ الْأَعْلَامِ اللَّائِحَةِ، يَا بَنَ الْعُلُومِ الْكَامِلَةِ، يَا بَنَ الشُّنَنِ
الْمُشْهُورَةِ، يَا بَنَ الْمَعَالِمِ الْمَثُورَةِ، يَا بَنَ الْمُعْجَزَاتِ الْمَوْجُودَةِ، يَا بَنَ الدَّلَائِلِ الْمُشْهُودَةِ،
يَا بَنَ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، يَا بَنَ النَّبَأِ الْعَظِيمِ، يَا بَنَ مَنْ هُوَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَى اللَّهِ عَلِيٌّ
حَكِيمٌ.

يَا بَنَ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ، يَا بَنَ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَاتِ، يَا بَنَ الْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَاتِ
الْبَاهِرَاتِ، يَا بَنَ الْحُجَجِ الْبَالِغَاتِ، يَا بَنَ النِّعَمِ السَّابِغَاتِ، يَا بَنَ طَهٍ وَالْمُحْكَمَاتِ،
يَا بَنَ يَسٍ وَالذَّارِيَّاتِ، يَا بَنَ الطُّورِ وَالْعَادِيَّاتِ، يَا بَنَ مَنْ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ذُنُوءًا وَاقْتِرَابًا مِنْ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى.

لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى، بَلْ أَيْ أَرْضُ تُقَلِّكَ أَوْ تُرَى، أَبْرَضُوا
أَوْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طَوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرَى وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيسًا
وَلَا نَجْوَى. عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِي الْبَلَوِيوَلَا يَنَالُكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا
شَكْوَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَارِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا،
بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةٌ شَائِقٌ يَتَمَنَّى مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ذَكَرَا فَحَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدِ

عَزَّ لَا يُسَامِي، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلٍ مَجْدٍ لَا يُجَارَى، بِنَفْسِي- أَنْتَ مِنْ تِلَادٍ نَعَمٍ لَا تُضَاهَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيفٍ شَرَفٍ لَا يُسَاوَى.

إِلَى مَتَى أَحَارُ فَيْكَ يَا مَوْلَايَ وَإِلَى مَتَى وَآيَ خِطَابٍ أَصِفُ فَيْكَ وَآيَ نَجْوَى عَزِيزٍ عَلَيَّ أَنْ أَجَابَ دُونَكَ وَأَنَاغَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيكَ وَيَحْذُلَكَ الْوَرَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونُهُمْ مَا جَرَى، هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ، هَلْ مِنْ جَزُوعٍ فَأُسَاعِدَ جَزَعَهُ إِذَا خَلَا، هَلْ قَدِيتَ عَيْنٌ فَسَاعَدْتُهَا عَيْنِي عَلَى الْقَدَى، هَلْ إِلَيْكَ يَا بَنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتَلْقَى، هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمَنَا بَعْدَهُ فَتَحْظَى، مَتَى نَرِدُ مِنْهَا هَلْكَ الرَّوِيَّةَ فَتَرَوَى، مَتَى نَنْتَفِعُ^(١) مِنْ عَذَابٍ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدى، مَتَى تُغَادِيكَ وَتُرَاوِحُكَ فَتَقَرَّ عَيْنًا، مَتَى تَرَانَا وَتَرَكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِيَاءَ النَّصْرِ تُرَى، أَتَرَانَا نَحْفُ بِكَ وَأَنْتَ تَوْمُ الْمَلَأَ وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَذْلًا وَأَذَقْتَ أَعْدَاءَكَ هَوَانًا وَعِقَابًا، وَأَبْرَتِ الْعُنَاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ وَقَطَعْتَ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَاجْتَشَّتْ أَصُولُ الظَّالِمِينَ وَنَحْنُ نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ كَشَّافُ الْكُزْبِ وَالْبَلَوَى وَإِلَيْكَ أَسْتَعِذُّ فَعِنْدَكَ الْعُدْوَى، وَأَنْتَ رَبُّ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا فَأَغِثْ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ عُبَيْدَكَ الْمُبْتَلَى، وَأَرِهِ سَيِّدُهُ يَا شَدِيدَ الْقُوَى وَأَزِلْ عَنْهُ بِهِ الْأَسَى وَالْجَوَى، وَبَرِّدْ غَلِيلَهُ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وَمَنْ إِلَيْهِ الرَّجْعَى وَالْمُنْتَهَى.

اللَّهُمَّ وَنَحْنُ عِبِيدُكَ التَّائِقُونَ إِلَى وَلِيِّكَ، الْمَذْكُورُ بِكَ وَبَنِيِّكَ، خَلَقْتَهُ لَنَا عِصْمَةً وَمَلَاذًا وَأَقَمْتَهُ لَنَا قِوَامًا وَمَعَاذًا، وَجَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَّا إِمَامًا فَبَلِّغْهُ مِنَّا تَحِيَّةً وَسَلَامًا، وَزِدْنَا بِذَلِكَ يَا رَبِّ إِكْرَامًا، وَاجْعَلْ مُسْتَقَرَّهُ لَنَا مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا، وَأَتِمِّمْ

(١) في جميع النسخ بالفاء (ننتفع) ولكن الظاهر أنها بالقاف بقرينة كلمة (الصدى) في آخر

الجملة، ويشهد بذلك تعلق (من) الجارّة بها دون الباء «منه».

نِعْمَتِكَ بِتَقْدِيمِكَ إِيَّاهُ أَمَامَنَا حَتَّى تُورِدَنَا جَنَّاتِكَ وَمُرَافَقَةَ الشُّهَدَاءِ مِنْ خُلَصَائِكَ.
 اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَصَلِّ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَرَسُولِكَ السَّيِّدِ
 الْأَكْبَرِ وَعَلَى أَبِيهِ السَّيِّدِ الْأَصْغَرِ وَجَدَّتِهِ الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ صَلِّ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلِّمْ وَعَلَى مَنْ اصْطَفَيْتَ مِنْ آبَائِهِ الْبَرَّةِ وَعَلَيْهِ أَفْضَلَ وَأَكْمَلَ
 وَأَتَمَّ وَأَدْوَمَ وَأَكْثَرَ وَأَوْفَرَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْفِيائِكَ وَخَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ
 وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلَاةً لَا غَايَةَ لِعَدَدِهَا وَلَا نَهَايَةَ لِمَدِّهَا (وَلَا نَفَادَ لِمَدِّهَا).
 اللَّهُمَّ وَأَقِمْ بِهِ الْحَقَّ وَأَدْحِضْ بِهِ الْبَاطِلَ وَأَذِلْ بِهِ أَوْلِيَاءَكَ وَأَذِلْ بِهِ أَعْدَاءَكَ،
 وَصَلِّ اللَّهُمَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَصَلَّةً تُؤَدِّي إِلَى مُرَافَقَةِ سَلَفِهِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ
 بِحُجْرَتِهِمْ وَيَمْكُثُ فِي ظِلِّهِمْ، وَأَعِنَّا عَلَى تَأْدِيَةِ حُقُوقِهِ إِلَيْهِ، وَالْاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ،
 وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِرِضَاهُ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَدُعَاءَهُ وَخَيْرَهُ مَا
 نَنَالُ بِهِ سَعَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَفَوْزاً عِنْدَكَ، وَاجْعَلْ صَلَاتَنَا بِهِ مَقْبُولَةً وَذُنُوبَنَا بِهِ
 مَغْفُورَةً، وَدُعَاءَنَا بِهِ مُسْتَجَاباً، وَاجْعَلْ أَرْزَاقَنَا بِهِ مَبْسُوطَةً، وَهُمُومَنَا بِهِ مَكْفِيَةً،
 وَحَوَائِجَنَا بِهِ مَقْضِيَةً، وَأَقْبِلْ إِلَيْنَا بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَأَقْبِلْ تَقَرُّبَنَا إِلَيْكَ، وَانْظُرْ
 إِلَيْنَا نَظْرَةَ رَحِيمَةٍ نَسْتَكْمِلُ بِهَا الْكَرَامَةَ عِنْدَكَ ثُمَّ لَا تَصْرِفْهَا عَنَّا بِجُودِكَ، وَاسْقِنَا
 مِنْ حَوْضِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِكَأْسِهِ وَبِيَدِهِ رِيّاً رَوِيّاً هَنِئِئاً سَائِغاً لَا ظَمَأَ
 بَعْدَهُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ» ^(١).

الثالث: الدعاء في زمن الغيبة

ومن امتيازات هذا الدعاء إنه يزيد معرفة المؤمن بإمام زمانه، ويثبتته على ولايته والاعتقاد بغيبته، ويرسخ في قلبه روح الانتظار والأمر بخروجه عليه السلام.

(١) مصباح الزائر: ٤٤٦-٤٥٣، مفاتيح الجنان: ٦٠٦-٦١٢.

روى الصدوق (رضوان الله عليه)، قال: حدثنا أبو محمد الحسين بن أحمد المكتب، قال: حدثنا أبو علي بن همام بهذا الدعاء وذكر أن الشيخ العمري قدس روحه أملاه عليه وأمره أن يدعو به وهو الدعاء في غيبة القائم عليه السلام.

«اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ. اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِن لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي. اللَّهُمَّ لَا تُؤْتِنِي مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي. اللَّهُمَّ فَكَمَا هَدَيْتَنِي لَوْلَايَةِ مَنْ فَرَضْتَ عَلَيَّ طَاعَتَهُ مِنْ وَلَايَةِ وَلَاةٍ أَمْرِكَ بَعْدَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى وَآلَيْتُ وَلَاةَ أَمْرِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَلِيًّا وَمُحَمَّدًا وَجَعَفَرًا وَمُوسَى وَعَلِيًّا وَمُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُجَّةَ الْقَائِمَ الْمُهْدِيَّ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ اللَّهُمَّ فَتُبِّتْنِي عَلَى دِينِكَ وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ وَلِيَّ قَلْبِي لِيُؤَيِّدَ أَمْرَكَ وَعَافِنِي مِمَّا امْتَحَنْتَ بِهِ خَلْقَكَ وَتُبِّتْنِي عَلَى طَاعَةِ وَلِيِّ أَمْرِكَ الَّذِي سَتَرْتَهُ عَنْ خَلْقِكَ وَبِإِذْنِكَ غَابَ عَنْ بَرِّيَّتِكَ، وَأَمْرِكَ يَنْتَظِرُ، وَأَنْتَ الْعَالَمُ غَيْرُ الْمَعْلَمِ بِالْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ أَمْرِ وَلِيِّكَ فِي الْأَذْنِ لَهُ بِإِظْهَارِ أَمْرِهِ وَكَشْفِ سِتْرِهِ فَصَبِّرْنِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا أَحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَلَا كَشْفَ مَا سَتَرْتَ، وَلَا الْبَحْثَ عَمَّا كَتَمْتَ، وَلَا أَنْزِعَكَ فِي تَذْيِيرِكَ، وَلَا أَقُولَ لِمَ وَكَيْفَ وَمَا بَالُ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَا يَظْهَرُ وَقَدْ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَوْرِ، وَأُفَوِّضُ أُمُورِي كُلَّهَا إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُرِينِي وَلِيَّ أَمْرِكَ ظَاهِرًا نَافِذًا لَأَمْرِكَ مَعَ عِلْمِي بِأَنَّ لَكَ السُّلْطَانَ وَالْقُدْرَةَ وَالْبُرْهَانَ وَالْحُجَّةَ وَالْمُشِيَّةَ وَالْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ فَافْعَلْ ذَلِكَ بِي وَبِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ ظَاهِرِ الْمَقَالَةِ وَاضِحِ الدَّلَالَةِ هَادِيًا مِنَ الضَّلَالَةِ شَافِيًا مِنَ الْجَهَالَةِ، أَبْرِزْ يَا رَبِّ مُشَاهَدَهُ وَتُبِّتْ قَوَاعِدَهُ

وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَقَرُّ عَيْنُهُ بِرُؤْيَيْهِ وَأَقِمْنَا بِخِدْمَتِهِ وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ وَاحْشُرْنَا فِي رُؤْمَرَتِهِ.
اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ وَذَرَأْتَ وَبَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ،
وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ
بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَوَصِيَّ رَسُولِكَ عَلَيْهِ
وَالِهِ السَّلَامُ.

اللَّهُمَّ وَمُدِّ فِي عُمُرِهِ وَزِدْ فِي أَجَلِهِ وَأَعِنِّهِ عَلَى مَا أَوْلَيْتَهُ وَاسْتَرْعَيْتَهُ وَزِدْ فِي
كَرَامَتِكَ لَهُ فَإِنَّهُ الْهَادِي وَالْمُهْتَدِيُّ وَالْقَائِمُ الْمُهْدِي وَالطَّاهِرُ التَّقِيُّ الزَكِيُّ النَّقِيُّ
الرَّضِيُّ الْمُرَضِيُّ الصَّابِرُ الشَّكُورُ الْمُجْتَهِدُ.

اللَّهُمَّ وَلَا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ لِطُولِ الْأَمَدِ فِي غَيْبَتِهِ وَانْقِطَاعِ خَبَرِهِ عَنَّا وَلَا تُنْسِنَا
ذِكْرَهُ وَانْتِظَارَهُ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَقُوَّةَ الْيَقِينِ فِي ظُهُورِهِ وَالِدُعَاءَ لَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ حَتَّى
لَا يَقْطُنَا طَوْلُ غَيْبَتِهِ مِنْ قِيَامِهِ وَيَكُونُ يَقِينُنَا فِي ذَلِكَ كَيَقِينُنَا فِي قِيَامِ رَسُولِكَ
صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ وَحْيِكَ وَتَنْزِيلِكَ، فَقَوِّ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ
حَتَّى تَسْلُكَ بِنَا عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَاجَ الْهُدَى وَالْمَحَجَّةِ الْعُظْمَى وَالطَّرِيقَةِ الْوَسْطَى،
وَقَوِّنَا عَلَى طَاعَتِهِ وَتَبَتُّنَا عَلَى مُتَابَعَتِهِ وَاجْعَلْنَا فِي حِزْبِهِ وَأَعْوَانِهِ وَأَنْصَارِهِ وَالرَّاضِينَ
بِفِعْلِهِ وَلَا تَسْلُبْنَا ذَلِكَ فِي حَيَاتِنَا وَلَا عِنْدَ وَفَاتِنَا حَتَّى تَتَوَفَّانَا وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ
لَا شَاكِّينَ وَلَا نَاكِثِينَ وَلَا مُرْتَابِينَ وَلَا مُكْذِبِينَ.

اللَّهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَهُ وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ وَأَنْصُرْ نَاصِرِيهِ وَاخْذُلْ خَاذِلِيهِ، وَدَمِّدْ عَلَى
مَنْ نَصَبَ لَهُ وَكَذَّبَ بِهِ، وَأَظْهَرِ بِهِ الْحَقَّ وَأَمِتْ بِهِ الْجُورَ، وَاسْتَنْقِذْ بِهِ عِبَادَكَ
الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الذُّلِّ، وَأَنْعَشْ بِهِ الْبِلَادَ وَأَقْتُلْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ وَأَقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ
الصَّلَاةِ وَذَلِّلْ بِهِ الْجَبَّارِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَأَبْرِ بِهِ الْمُنَافِقِينَ وَالنَّائِثِينَ وَجَمِيعَ
الْمُخَالِفِينَ وَالْمُلْحِدِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا

وَجَبَلَهَا حَتَّى لَا تَدَعَ مِنْهُمْ دَيَّاراً وَلَا تُبْقِيَ لَهُمْ آثَاراً طَهَّرَ مِنْهُمْ بِلَادَكَ وَأَشْفَى مِنْهُمْ صُدُورَ عِبَادِكَ وَجَدَّدَ بِهِ مَا امْتَحَى مِنْ دِينِكَ وَأَصْلَحَ بِهِ مَا بَدَّلَ مِنْ حُكْمِكَ وَغَيَّرَ مِنْ سُنَّتِكَ حَتَّى يَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ غَضّاً جَدِيداً صَحِيحاً لَا عَوَجَ فِيهِ وَلَا بَدْعَةَ مَعَهُ حَتَّى تُطْفِئَ بِعَدْلِهِ نِيرَانَ الْكَافِرِينَ فَإِنَّهُ عَبْدُكَ الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ وَارْتَضَيْتَهُ لِنَصْرِ دِينِكَ وَاصْطَفَيْتَهُ بِعِلْمِكَوَعَصَمْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبَرَّأْتَهُ مِنَ الْعُيُوبِ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى الْغُيُوبِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ وَطَهَّرْتَهُ مِنَ الرَّجْسِ وَنَقَّيْتَهُ مِنَ الدَّنَسِ.

اللَّهُمَّ فَصِّلْ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ وَعَلَى شِيعَتِهِ الْمُتَّجِبِينَ وَبَلِّغْهُمْ مِنْ آمَالِهِمْ مَا يَأْمُلُونَ وَاجْعَلْ ذَلِكَ مِنَّا خَالِصاً مِنْ كُلِّ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ وَرِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ حَتَّى لَا نُرِيدَ بِهِ غَيْرَكَ وَلَا نَطْلُبَ بِهِ إِلَّا وَجْهَكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا وَغَيْبَةَ إِمَامِنَا وَشِدَّةَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا وَوُقُوعَ الْفِتَنِ بِنَا وَتَظَاهَرَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَقَلَّةَ عَدَدِنَا.

اللَّهُمَّ فَافْرِجْ ذَلِكَ عَنَّا بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ وَنَصْرٍ مِنْكَ تُعِزُّهُ وَإِمَامٍ عَدْلٍ تُظْهِرُهُ إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذَنَ لَوْلِيِّكَ فِي إِظْهَارِ عَدْلِكَ فِي عِبَادِكَ وَقَتْلِ أَعْدَائِكَ فِي بِلَادِكَ حَتَّى لَا تَدَعَ لِلْجَوْرِ يَا رَبِّ دِعَامَةً إِلَّا قَصَصْتَهَا وَلَا بَقِيَّةً إِلَّا أَفْنَيْتَهَا وَلَا قُوَّةً إِلَّا أَوْهَنْتَهَا وَلَا رُكْنًا إِلَّا هَدَمْتَهُ وَلَا حَدًّا إِلَّا فَلَطْتَهُ وَلَا سِلَاحًا إِلَّا أَكَلَلْتَهُ وَلَا رَايَةً إِلَّا نَكَّسْتَهَا وَلَا شُجَاعًا إِلَّا قَتَلْتَهُ وَلَا جَيْشًا إِلَّا خَذَلْتَهُ وَارْمِهِمْ يَا رَبِّ بِحَجَرِكَ الدَّامِغِ وَاضْرِبْهُمْ بِسَيْفِكَ الْقَاطِعِ وَبَأْسِكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، وَعَذِّبْ أَعْدَاءَكَ وَأَعْدَاءَ وَلِيِّكَ وَأَعْدَاءَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِيَدِ وَلِيِّكَ وَآيَدِي عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ اكْفِ وَلِيِّكَ وَحُجَّتَكَ فِي أَرْضِكَ هَوْلَ عَدُوِّهِ وَكَيْدَ مَنْ أَرَادَهُ وَامْكُرْ بِمَنْ

مَكَرَ بِهِ وَاجْعَلْ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَى مَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءاً وَاقْطَعْ عَنْهُ مَا دَتَتْهُمْ وَأَرْعِبْ لَهُ قُلُوبَهُمْ وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ وَخُذْهُمْ جَهْرَةً وَبَغْتَةً وَشَدِّدْ عَلَيْهِمْ عَذَابَكَ وَأَخْزِهِمْ فِي عِبَادِكَ وَالْعَنَّهُمْ فِي بِلَادِكَ وَأَسْكِنَهُمْ أَسْفَلَ نَارِكَ وَأَحِطْ بِهِمْ أَشَدَّ عَذَابِكَ وَأَصْلِهِمْ نَاراً وَاحْشُ قُبُورَ مَوْتَاهُمْ نَاراً وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نَارِكَ فَإِنَّهُمْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ وَأَصْلُوا عِبَادَكَ وَآخَرُوبَا بِلَادَكَ.

اللَّهُمَّ وَأَخِي بَوْلِيكَ الْقُرْآنَ وَأَرِنَا نُورَهُ سَرْمَداً لَا لَيْلَ فِيهِ وَأَخِي بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ وَاشْفِ بِهِ الصُّدُورَ الْوُغِيرَةَ، وَاجْمَعْ بِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ عَلَى الْحَقِّ وَأَقِمْ بِهِ الْحُدُودَ الْمُعْطَلَةَ وَالْأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ حَتَّى لَا يَبْقَى حَقٌّ إِلَّا ظَهَرَ وَلَا عَدْلٌ إِلَّا زَهَرَ وَاجْعَلْنَا يَا رَبِّ مِنْ أَعْوَانِهِ وَمُقَوِّ سُلْطَانِهِ وَالْمُؤْتَمِرِينَ لِأَمْرِهِ وَالرَّاضِينَ بِفِعْلِهِ وَالْمُسْلِمِينَ لِأَحْكَامِهِ وَمَنْ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى التَّقِيَّةِ مِنْ خَلْقِكَ وَأَنْتَ يَا رَبِّ الَّذِي تَكْشِفُ الضَّرَّ وَتُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاكَ وَتُنْجِي مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ فَاكْشِفِ الضَّرَّ عَنْ وَلِيِّكَ وَاجْعَلْهُ خَلِيفَةً فِي أَرْضِكَ كَمَا صَمَنْتَ لَهُ.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِنْ خُصَمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنْ أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْخُنْقِ وَالْغَيْظِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ذَلِكَ فَأَعِزَّنِي وَأَسْتَجِيرُ بِكَ فَأَجِرْنِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي بِهِمْ فَائِزاً عِنْدَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(١).

الرابع: دعاء الحفظ والتأييد لصاحب الزمان في زمن الغيبة
وقد ذكر الشيخ الطوسي في مصباح التهجد في أعمال يوم الجمعة عن

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٥١٢-٥١٥.

الرضا عليه السلام إنه كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف بهذا الدعاء وذكر السيد في مصباح الزائر في أعمال السر-داب الذي هو محل غيبة الإمام عليه السلام:

«اللَّهُمَّ اذْفَعْ عَن وَلِيِّكَ وَخَلِيفَتِكَ وَحُجَّتِكَ عَلَى خَلْقِكَ وَلِسَانِكَ الْمُعَبِّرِ عَنْكَ النَّاطِقِ بِحُكْمَتِكَ وَعَيْنِكَ النَّاطِرَةِ بِإِذْنِكَ وَشَاهِدِكَ عَلَى عِبَادِكَ الْجُنْحَجَاحِ الْمُجَاهِدِ الْعَائِدِ بِكَ الْعَابِدِ عِنْدَكَ وَأَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ وَبَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَأَبَاءَهُ وَأَئِمَّتَكَ وَدَعَائِمَ دِينِكَ وَاجْعَلْهُ فِي وَدِيعَتِكَ الَّتِي لَا تَضِيعُ وَفِي جِوَارِكَ الَّذِي لَا يُخْفَرُ وَفِي مَنَعِكَ وَعِزِّكَ الَّذِي لَا يُقْهَرُ وَأَمْنَهُ بِأَمَانِكَ الْوَثِيقِ الَّذِي لَا يُخْذَلُ مَنْ أَمَّنْتَهُ بِهِ، وَاجْعَلْهُ فِي كَنَفِكَ الَّذِي لَا يَرَامُ مَنْ كَانَ فِيهِ وَانْصُرْهُ بِنَصْرِكَ الْعَزِيزِ وَأَيِّدْهُ بِجُنْدِكَ الْغَالِبِ وَقُوَّةِ بَقْوَتِكَ وَأَرْدِفْهُ بِمَلَائِكَتِكَ وَوَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَلْبِسْهُ دِرْعَكَ الْحَصِينَةَ وَحَقَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ حَقًّا.

اللَّهُمَّ اشْعَبْ بِهِ الصَّدْعَ وَارْتُقْ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَمِثْ بِهِ الْجُورَ وَأَظْهِرْ بِهِ الْعَدْلَ، وَزَيِّنْ بِطُولِ بَقَائِهِ الْأَرْضَ، وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ وَانْصُرْهُ بِالرُّعْبِ وَقَوِّ نَاصِرِيهِ وَاخْذُلْ خَاذِلِيهِ وَدَمِّمْ مَنْ نَصَبَ لَهُ وَدَمَّرْ مَنْ غَشَّاهُ وَقَتْلْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ وَعُمُدَهُ، وَدَعَائِمَهُ، واقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الضَّلَالَةِ وَشَارِعَةَ الْبِدْعِ وَمُيْتَةَ السُّنَّةِ وَمَقْوِيَةَ الْبَاطِلِ، وَذَلِّلْ بِهِ الْجَبَّارِينَ وَأَبِرْ بِهِ الْكَافِرِينَ، وَجَمِّعِ الْمُلْحِدِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا حَتَّى لَا تَدَعَ مِنْهُمْ دِيَارًا وَلَا تُبْقِيَ لَهُمْ آثَارًا.

اللَّهُمَّ طَهِّرْ مِنْهُمْ بِلَادَكَ وَاشْفِ مِنْهُمْ عِبَادَكَ وَأَعِزَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخِي بِهِ سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَدَارِ سَ حُكْمِ النَّبِيِّينَ وَجَدِّدْ بِهِ مَا امْتَحَى مِنْ دِينِكَ وَبُدِّلْ مِنْ حُكْمِكَ

حَتَّى تُعِيدَ دِينَكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ جَدِيداً غَضّاً مُحَضّاً صَاحِحاً لَا عَوَجَ فِيهِ وَلَا بَدْعَةَ
مَعَهُ وَحَتَّى تُنِيرَ بَعْدْلَهُ ظُلَمَ الْجَوْرِ وَتُطْفِئَ بِهِ نِيرَانَ الْكُفْرِ وَتُوضِحَ بِهِ مَعَاقِدَ الْحَقِّ
وَمُجْهَوَلَ الْعَدْلِ فَإِنَّهُ عَبْدُكَ الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَهُ عَلَى غَيْبِكَ
وَعَصَمْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبَرَّأْتَهُ مِنَ الْعُيُوبِ وَطَهَّرْتَهُ مِنَ الرَّجْسِ وَسَلَّمْتَهُ مِنَ
الدَّنَسِ.

اللَّهُمَّ فَإِنَّا نَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَوْمَ حُلُولِ الطَّامَةِ أَنَّهُ لَمْ يُذْنِبْ ذَنْباً وَلَا أَتَى
حَوْباً وَلَمْ يَزْتَكِبْ مَعْصِيَةً وَلَمْ يُضَيِّعْ لَكَ طَاعَةً وَلَمْ يَهْتِكْ لَكَ حُرْمَةً وَلَمْ يُبَدِّلْ لَكَ
فَرِيضَةً وَلَمْ يُغَيِّرْ لَكَ شَرِيعَةً وَأَنَّهُ الْهَادِي الْمُهْتَدِي الطَّاهِرُ النَّقِيُّ الرَّضِيُّ
الْمَرْضِي.

اللَّهُمَّ أَعْطِهِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَّتِهِ وَجَمِيعِ رَعِيَّتِهِ مَا تُقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ
وَتُسَرُّ بِهِ نَفْسُهُ وَتَجْمَعُ لَهُ مُلْكُ الْمُلْكِ كُلُّهَا قَرِيبُهَا وَبَعِيدُهَا وَعَزِيزُهَا وَذَلِيلُهَا حَتَّى
تُجْرِيَ حُكْمَهُ عَلَى كُلِّ حُكْمٍ وَتَغْلِبَ بِحَقِّهِ كُلَّ بَاطِلٍ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَاجَ الْهُدَى وَالْمَحَجَّةِ الْعُظْمَى وَالطَّرِيقَةَ
الْوُسْطَى الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِهَا التَّالِي، وَقَوِّنَا عَلَى طَاعَتِهِ وَتَبَتَّنَا عَلَى
مُتَابَعَتِهِ وَآمُنْ عَلَيْنَا بِمُتَابَعَتِهِ وَاجْعَلْنَا فِي حَزْبِهِ الْقَوَّامِينَ بِأَمْرِهِ، الصَّابِرِينَ مَعَهُ،
الطَّالِبِينَ رِضَاكَ بِمُنَاصَحَتِهِ حَتَّى تَحْشُرَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَمُقَوِّبَةِ
سُلْطَانِهِ

اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ ذَلِكَ لَنَا خَالِصاً مِنْ كُلِّ شَكٍّ وَشُبْهَةٍ وَرِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ حَتَّى
لَا نَعْتَمِدَ بِهِ غَيْرَكَ وَلَا نَطْلُبَ بِهِ إِلَّا وَجْهَكَ وَحَتَّى نُحِلَّنَا مَحَلَّهُ وَتَجْعَلَنَا فِي الْجَنَّةِ مَعَهُ
وَأَعِزَّنَا مِنَ السَّامَةِ وَالْكَسَلِ وَالْفَتْرَةِ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَنْتَصِرُ بِهِ لِدِينِكَ وَتُعِزُّ بِهِ نَصْرَ
وَلِيِّكَ وَلَا تَسْتَبْدِلَ بِنَا غَيْرَنَا فَإِنَّ اسْتِبْدَالَكَ بِنَا غَيْرَنَا عَلَيْكَ يَسِيرٌ وَهُوَ عَلَيْنَا كَبِيرٌ.

٦٨٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

وصلي على وليك وولادة عهدك والأئمة من والده ومد في اعمارهم وزد في
اجالهم وبلغهم اقصى اعمالهم انك على كل شيء قدير»^(١).

الخامس: أدعية الفرج المشهورة لدى عموم الشيعة

منها ما أورده الكليني في الكافي عن محمد بن عيسى بإسناده عن
الصالحين عليه السلام قال: تكرر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان هذا الدعاء
ساجداً وقائماً وقاعداً وعلى كل حال وفي الشهر كله وكيف أمكنك ومتى
حضرك من دهرك كقول بعد تحميد الله تبارك وتعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله:
«اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةَ^(٢) فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيّاً وَحَافِظاً
وَنَاصِراً وَدَلِيلاً وَقَائِداً وَعَونا [عِيناً] حَتَّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا
طَوِيلًا»^(٣).

ومنها دعاء الفرج: وهو دعاء علمه صاحب الأمر عليه السلام لرجل محبوس
فخلص:

«اللهم عَظُمَ الْبَلَاءُ، وَبَرِحَ الْخَفَاءُ، وَانْكَشَفَ الْغَطَاءُ، وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ،
وَصَاقَتِ الْأَرْضُ وَمُنِعَتِ السَّمَاءُ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى، وَعَلَيْكَ
الْمُعْوَلُ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أُولِي الْأَمْرِ الَّذِينَ
فَرَضْتَ عَلَيْنَا طَاعَتَهُمْ وَعَرَفْتَنَا بِذَلِكَ مَنْزِلَتَهُمْ فَفَرِّجْ عَنَّا بِحَقِّهِمْ فَرَجاً عَاجِلاً

(١) مصباح الزائر: ٤٥٧ - ٤٥٩.

(٢) الوارد في نسخه هذه الرواية (فلان بن فلان) والظاهر هو من أجل التحفظ والالتزام
بالتقية لعدم التصريح باسم صاحب الزمان حيث أمرت الروايات أن تقولوا: (الحجة
من آل محمد).

(٣) الكافي ٤: ١٦٢ باب الدعاء العشر الأواخر من شهر رمضان.

قَرِيبًا كَلَمَحَ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا
كَافِيَايَ، وَأَنْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ، يَا مَوْلَانَا يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ الْأَمَانَ الْأَمَانَ،
الْعَوْتُ الْعَوْتُ الْعَوْتُ، أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي، السَّاعَةَ السَّاعَةَ السَّاعَةَ، الْعَجَلَ
الْعَجَلَ الْعَجَلَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ»^(١).

(١) مصباح الكفعمي: ١٧٦.

باب الزيارات

والزيارات هي إحدى منابع المعرفة للأئمة، ومعرفة صفاتهم، ومقامهم عند الله سبحانه وتعالى. وآثارها على الزائر كثيرة.

- ١ - منها أنها تزيد في ولاية المؤمن والبراءة من عدوهم.
 - ٢ - تجعل الموالى المحبّ يجدد العهد والبيعة لهم والاستعداد لنصرتهم.
 - ٣ - طلب الحاجات والتوسل بهم إلى الله سبحانه وتعالى.
- وزيارات الإمام الحجة كثيرة نورد بعضها حيث إن لكل زيارة امتياز وطعم خاص والزيارات هي:

الزيارة الأولى: السلام على ولي الله

ثم ائت سرداب الغيبة وعليك السكينة والوقار وصل ركعتين في عرصة السرداب وقل:

«الله أكبرُ اللهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَاللهُ الْحَمْدُ الْحَمْدُ اللهُ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَعَرَفْنَا أَوْلِيَاءَهُ وَأَعْدَاءَهُ وَوَفَّقَنَا لَزِيَارَةِ أَئِمَّتِنَا وَلَمْ يَجْعَلْنَا مِنَ الْمُعَانِدِينَ النَّاصِيِينَ وَلَا مِنَ الْغُلَاةِ الْمُفَوِّضِينَ وَلَا مِنَ الْمُرْتَابِينَ الْمُقْصِرِينَ.

السَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ اللهِ وَابْنِ أَوْلِيَائِهِ، السَّلَامُ عَلَى الْمُدَّخِرِ لِكِرَامَةِ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَبَوَارِ أَعْدَائِهِ، السَّلَامُ عَلَى النُّورِ الَّذِي أَرَادَ أَهْلُ الْكُفْرِ إِطْفَاءَهُ فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ بِكُرْهِهِمْ وَامدّه بِالْحَيَاةِ حَتَّى يُظْهِرَ عَلَى يَدَيْهِ الْحَقَّ بِرَغْمِهِمْ. أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ اصْطَفَاكَ صَغِيرًا وَأَكْمَلَ لَكَ عُلُومَهُ كَبِيرًا وَأَنَّكَ حَيٌّ لَا تَمُوتُ حَتَّى تُبْطَلَ الْجَبْتَ وَالطَّاغُوتَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى خُدَامِهِ وَأَعْوَانِهِ عَلَى غَيْبَتِهِ وَنَائِيهِ وَاسْتُرْهُ سِتْرًا عَزِيزًا وَاجْعَلْ لَهُ مَعْقِلًا حَرِيزًا وَأَشْدِدِ اللَّهُمَّ وَطْأَتَكَ عَلَى مُعَانِدِيهِ وَاحْرُسْ مَوَالِيَهُ وَزَائِرِيهِ. اللَّهُمَّ كَمَا جَعَلْتَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ مَعْمُورًا فَاجْعَلْ سِلَاحِي دُونَ نَصْرَتِهِ مشهوراً [بنصرته مشهوراً] وَإِنْ حَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبَادِكَ حَتْمًا وَأَقْدَرْتَ بِهِ عَلَى خَلِيقَتِكَ رَغْمًا فَابْعَثْنِي عِنْدَ خُرُوجِهِ ظَاهِرًا مِنْ

حُفِرْتِي مُؤْتَزراً كَفَيْتِي حَتَّى أَجَاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الصِّفِّ الَّذِي أَثْنَيْتَ عَلَى أَهْلِهِ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتُ كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ.

اللَّهُمَّ طَالَ الْإِنْتَظَارُ وَشِمِتَ بِنَا الْفُجَّارُ وَصَعِبَ عَلَيْنَا الْإِنْتِصَارُ. اللَّهُمَّ أَرِنَا وَجْهَ وَلِيِّكَ الْمُتِمُّونَ فِي حَيَاتِنَا وَبَعْدَ الْمُنُونِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَدِينُ لَكَ بِالرَّجْعَةِ بَيْنَ يَدَيْ صَاحِبِ هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْعَوْتَ الْعَوْتَ الْغَوْتَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ قَطَعْتُ فِي وَصْلَتِكَ الْخُلَّانَ وَهَجَرْتُ لِرِيزَارَتِكَ الْأَوْطَانَ وَأَخْفَيْتُ أَمْرِي عَنْ أَهْلِ الْبُلْدَانِ لِتَكُونَ شَفِيعاً عِنْدَ رَبِّكَ وَرَبِّي وَإِلَى آبَائِكَ وَمَوَالِيٍّ فِي حُسْنِ التَّوْفِيقِ لِي وَإِسْبَاغِ النِّعْمَةِ عَلَيَّ وَسَوْقِ الْأَحْسَانِ إِلَيَّ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أَصْحَابِ الْحَقِّ وَقَادَةِ الْخَلْقِ وَاسْتَجِبْ مِنِّي مَا دَعَوْتُكَ وَأَعْطِنِي مَا لَمْ أَنْطِقْ بِهِ فِي دُعَائِي مِنْ صَلَاحِ دِينِي وَدُنْيَايَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ».

ثم ادخل الصفة وصل ركعتين وقل:

«اللَّهُمَّ عَبْدُكَ الزَّائِرُ فِي فَنَاءٍ وَلِيِّكَ الْمَزُورِ الَّذِي فَرَضْتَ طَاعَتَهُ عَلَى الْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ وَأَنْقَذْتَ بِهِ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا زِيَارَةً مَقْبُولَةً ذَاتَ دُعَاءٍ مُسْتَجَابٍ مِنْ مُصَدِّقٍ بِوَلِيِّكَ غَيْرِ مُرْتَابٍ.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَلَا بَزِيَارَتِهِ وَلَا تَقْطَعْ أَثْرِي مِنْ مَشْهَدِهِ وَزِيَارَةِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ. اللَّهُمَّ أَخْلِفْ عَلَيَّ نَفَقَتِي وَانْفَعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي فِي دُنْيَايَ وَآخِرَتِي لِي وَلَا خَوَانِي وَأَبَوِيَّ وَجَمِيعِ عِزَّتِي أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمَامُ الَّذِي يُفُوزُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَيَهْلِكُ عَلَى يَدَيْهِ الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ. يَا مَوْلَايَ يَا بَنَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ جِئْتُكَ زَائِراً لَكَ وَلِإِيكَ وَجَدَّكَ مُتَيْقِناً الْفَوْزِ بِكُمْ مُعْتَقِداً إِمَامَتَكُمْ.

اللَّهُمَّ اكْتُبْ هَذِهِ الشَّهَادَةَ وَالزِّيَارَةَ لِي عِنْدَكَ فِي عَلَيٍّ وَبَلِّغْنِي بِلَاغِ الصَّالِحِينَ

وَأَنْفَعْنِي بِحُبِّهِمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(١).

الزيارة الثانية: الحق الجديد

ذكرها السيّد بن طاوس رحمه الله وهي أن تقول:

«السَّلَامُ عَلَى الْحَقِّ الْجَدِيدِ وَالْعَالَمِ الَّذِي عِلْمُهُ لَا يَبِيدُ. السَّلَامُ عَلَى مُخَيِّ
الْمُؤْمِنِينَ وَمُبِيرِ الْكَافِرِينَ. السَّلَامُ عَلَى مَهْدِيِّ الْأُمَمِ وَجَامِعِ الْكَلِمِ. السَّلَامُ عَلَى
خَلْفِ السَّلَفِ وَصَاحِبِ الشَّرَفِ. السَّلَامُ عَلَى حُجَّةِ الْمُعْبُودِ وَكَلِمَةِ الْمَحْمُودِ.
السَّلَامُ عَلَى مُعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ وَمُذِلِّ الْأَعْدَاءِ. السَّلَامُ عَلَى وَارِثِ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتِمِ
الْأَوْصِيَاءِ. السَّلَامُ عَلَى الْقَائِمِ الْمُتَنَزِّهِ الْغَائِبِ الْمُشْتَهَرِ. السَّلَامُ عَلَى السَّيْفِ الشَّاهِرِ
وَالْقَمَرِ الزَّاهِرِ وَالنُّورِ الْبَاهِرِ. السَّلَامُ عَلَى شَمْسِ الظَّلَامِ وَبَدْرِ التَّامِ. السَّلَامُ عَلَى
رَبِيعِ [الأيام] وَنَضْرَةِ الْأَيَّامِ وَنَضْرَةِ الْأَنَامِ. السَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ الصَّمْصَامِ
وَفَلَاقِ الْهَامِ. السَّلَامُ عَلَى [صاحب] الدِّينِ الْمَأْثُورِ وَالْكِتَابِ الْمُسْطُورِ. السَّلَامُ
عَلَى بَقِيَّةِ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَحُجَّتِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُنتَهَى إِلَيْهِ مَوَارِيثُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَدَيْهِ
مَوْجُودُ آثَارِ الْأَصْفِيَاءِ. السَّلَامُ عَلَى الْمُؤْتَمِنِ عَلَى السِّرِّ وَالْوَلِيِّ لِلْأَمْرِ. السَّلَامُ عَلَى
الْمُهْدِيِّ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ الْأُمَمَ أَنْ يَجْمَعَ بِهِ الْكَلِمَ وَيُلَمَّ بِهِ الشَّعَثَ
وَيَمْلَأَ بِهِ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا وَيُمْكِّنَ لَهُ وَيُنْجِزَ بِهِ وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ.

أَشْهَدُ يَا مَوْلَايَ أَنَّكَ وَالْأَيُّمَةُ مِنْ آبَائِكَ أَتَمَّتِي وَمَوَالِيَّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
يَقُومُ الْأَشْهَادُ، أَسْأَلُكَ يَا مَوْلَايَ أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صَلَاحِ شَأْنِي
وَقَضَاءِ حَوَائِجِي وَغُفْرَانِ ذُنُوبِي وَالْأَخْذِ بِيَدِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي
وَلِإِخْوَانِي الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٢).

(١) المزار: ٦٥٧-٦٥٩، بحار الأنوار: ٩٩/١٠٣-١٠٤.

(٢) مصباح الكفعمي: ٤٩٧-٤٩٨.

ثم صل صلاة الزيارة بما قدّمناه، أي اثنتي عشرة ركعة، تسلم بعد كل ركعتين منها وتسبح تسبيح الزهراء عليها السلام وأهد ثوابها إلى مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه، فإذا فرغت فقل:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى حُجَّتِكَ فِي أَرْضِكَ وَخَلِيفَتِكَ فِي بِلَادِكَ الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ وَالْقَائِمِ بِقِسْطِكَ وَالْفَائِزِ بِأَمْرِكَ وَلِيِّ الْمُؤْمِنِينَ وَمُبِيرِ الْكَافِرِينَ وَمُجَلِّي الظُّلْمَةِ وَمُنِيرِ الْحَقِّ وَالصَّادِعِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالصَّدِّقِ وَكَلِمَتِكَ وَعَيْنِكَ فِي أَرْضِكَ الْمُتَرَقِّبِ الْخَائِفِ الْوَلِيِّ النَّاصِحِ سَفِينَةِ النَّجَاةِ وَعَلَمِ الْهُدَى وَنُورِ أَبْصَارِ الْوَرَى وَخَيْرِ مَنْ تَقَمَّصَ وَارْتَدَى وَالْوَتْرِ الْمُتَوَرِّ وَمُفْرِجِ الْكَرْبِ وَمُزِيلِ الْهَمِّ وَكَاشِفِ الْبَلَوِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَيِّمَةِ الْهَادِينَ وَالْقَادَةِ الْمَيَّامِينَ مَا طَلَعَتْ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ وَأَوْرَقَتِ الْأَشْجَارُ وَأَيَّنَعَتِ الْأَنْثَارُ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَغَرَدَتِ الْأَطْيَارُ. اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِحُبِّهِ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَتَحْتَ لِيَاكِهِ إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» ^(١).

الصلوات عليه: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ الْحَسَنِ وَوَصِيِّهِ وَوَارِثِهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِكَ وَالْغَائِبِ فِي خَلْقِكَ وَالْمُنْتَظَرِ لِإِذْنِكَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَقَرِّبْ بَعْدَهُ وَأَنْجِزْ وَعْدَهُ وَأَوْفِ عَهْدَهُ وَكَاشِفِ عَنْ بَأْسِهِ حِجَابَ الْغَيْبَةِ وَأُظْهِرْ بِظُهُورِهِ صَحَائِفَ الْمَحَنَةِ وَقَدِّمْ أَمَامَهُ الرُّعْبَ وَثَبِّتْ بِهِ الْقَلْبَ وَأَقِمْ بِهِ الْحَرْبَ وَأَيِّدْهُ بِجُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَسَلِّطْهُ عَلَى أَعْدَاءِ دِينِكَ أَجْمَعِينَ وَالْهَمُّ أَنْ لَا يَدْعَ مِنْهُمْ رُكْنًا إِلَّا هَدَّهَ وَلَا هَامًا إِلَّا قَدَّهَ وَلَا كَيْدًا إِلَّا رَدَّهَ وَلَا فَاسِقًا إِلَّا حَدَّهَ وَلَا فِرْعَوْنًا إِلَّا أَهْلَكَهَ وَلَا سِرًّا إِلَّا أَهْتَكَهَ وَلَا عِلْمًا إِلَّا نَكَّسَهُ وَلَا سُلْطَانًا إِلَّا كَسَبَهُ وَلَا

رُخَاً إِلَّا قَصَفَهُوْلاً مَطْرَدًا إِلَّا خَرَقَهُ وَلَا جُنْدًا إِلَّا فَرَقَهُ وَلَا مِنْبَرًا إِلَّا أَحْرَقَهُوْلاً سَيْفًا
إِلَّا كَسَرَهُ وَلَا صَنْمًا إِلَّا رَضَّهْهُ وَلَا دِمَاءً إِلَّا أَرَاقَهُ وَلَا جَوْرًا إِلَّا أَبَادَهُ وَلَا حِصْنَ إِلَّا
هَدَمَهُ وَلَا بَابًا إِلَّا لَرَدَمَهُ وَلَا قَصْرًا إِلَّا خَرَبَهُ وَلَا مَسْكَنًا إِلَّا فَتَشَهُ وَلَا سَهْلًا إِلَّا
أَوْطَاهُ وَلَا جَبَلًا إِلَّا صَعَدَهُ وَلَا كَنْزًا إِلَّا أَخْرَجَهُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^(١).

بعدها تقرأ هذا الدعاء المروي عنه عليه السلام:

«اللَّهُمَّ عَظُمَ الْبَلَاءُ وَبَرِحَ الْخَفَاءُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ وَمَنَعَتِ
السَّمَاءُ وَإِلَيْكَ يَا رَبَّ الْمُشْتَكَى وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ فِي الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الَّذِينَ فَرَضْتَ عَلَيْنَا طَاعَتَهُمْ فَعَرَفْتَنَا بِذَلِكَ مَنْزِلَتَهُمْ فَرِّجْ عَنَّا بِحَقِّهِمْ
فَرَجًا عَاجِلًا كَلِمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ
انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ وَاتَّقِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ
الْعَوْتُ الْعَوْتُ الْغَوْثُ الْغَوْثُ أَذْرِكْنِي أَذْرِكْنِي أَذْرِكْنِي»^(٢).

الزيارة الثالثة: زيارة آل ياسين

وهي من الزيارات المهمة جدًا التي يزار بها مولانا صاحب العصر (عجل الله
فرجه الشريف) وفيها مضامين عالية حيث تسلط الضوء على خصائص وحالاته
وصفاته عليه السلام وواجباتنا تجاهه، وكذا الدعاء الذي بعد الزيارة أيضاً. وقد أورده
الشيخ عباس القمي منذ أعمال السرداب، قال: وزره عليه السلام بما روى عنه نفسه
الشريفة كما عن الشيخ الجليل أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج
إنه خرج من الناحية المقدسة إلى محمد الحميري بعد الجواب عن المسائل التي
سألها:

(١) بحار الأنوار: ٩٩ / ١٠٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٧٥.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا لِأَمْرِهِ تَعْقِلُونَ [وَلَا مِنْ أَوْلِيَائِهِ تَقْبَلُونَ] حِكْمَةً
بَالِغَةً فَمَا تُغْنِي النُّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ السَّلَامَ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ
الصَّالِحِينَ» (١).

إذا أردتم التوجه بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى:

«سَلَامٌ عَلَى آلِ يَس، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللَّهِ وَرَبَّانِي آيَاتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
بَابَ اللَّهِ وَدِيَانَ دِينِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ وَنَاصِرَ حَقِّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
حُجَّةَ اللَّهِ وَدَلِيلَ إِرَادَتِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَالِي كِتَابِ اللَّهِ وَتَرْجُمَانِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
فِي آنَاءِ لَيْلِكَ وَأَطْرَافِ نَهَارِكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا
مِيثَاقَ اللَّهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي صَمِنَهُ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمُنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمُنْصُوبُ وَالْعَوْتُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ وَعَدًا غَيْرَ
مَكْذُوبٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْعُدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقُومُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ
حِينَ تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقْنُتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَرْكَعُ
وَتَسْجُدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تُكَبِّرُ وَتَهَلِّلُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تُسَبِّحُ - وَتُصْبِحُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى النَّهَارَ إِذَا
تَجَلَّى، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمَامُ الْمُأْمُونُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُقَدَّمُ الْمُأْمُولُ، السَّلَامُ
عَلَيْكَ بِجَوَامِعِ، السَّلَامُ أَشْهَدُكَ يَا مَوْلَايَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَا حَبِيبَ إِلَّا هُوَ وَأَهْلُهُ وَأَشْهَدُكَ يَا مَوْلَايَ
أَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّتَهُ وَالْحُسَيْنَ حُجَّتَهُ وَالْحُسَيْنَ حُجَّتَهُ وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ
حُجَّتَهُ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتَهُ وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتَهُ وَمُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ حُجَّتَهُ

وَعَلِيَّ بْنَ مُوسَى حُجَّتُهُ وَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ وَعَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُوَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللَّهِ أَنْتُمْ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَأَنْ رَجَعْتُمْ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهَا يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَأَنَّ نَاكِراً وَنَكِيراً حَقٌّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ الشَّرَّ حَقٌّ وَالْبَعْثَ حَقٌّ وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ وَالْمِرْصَادَ حَقٌّ وَالْمِيزَانَ حَقٌّ وَالْحُسْرَ حَقٌّ وَالْحِسَابَ حَقٌّ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ بِهِمَا حَقٌّ.

يَا مَوْلَايَ شَقِيٍّ مَنْ خَالَفَكَمْ وَسَعِدَ مَنْ أَطَاعَكُمْ فَاشْهَدْ عَلَيَّ مَا أَشْهَدُكَ عَلَيْهِ وَأَنَا وَلِيُّكَ لَكَ بَرِيءٌ مِنْ عَدُوِّكَ فَالْحَقُّ مَا رَضِيتُمُوهُ وَالْبَاطِلُ مَا أَسْخَطْتُمُوهُ وَالْمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ وَالْمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ فَتَنْفِسي مُؤْمِنَةٌ بِاللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِرَسُولِهِ وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِأئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِكُمْ يَا مَوْلَايَ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ وَنُصْرَتِي مُعَدَّةٌ لَكُمْ وَمَوَدَّتِي خَالِصَةٌ لَكُمْ آمِينَ آمِينَ»^(١).

ثم اقرأ هذا الدعاء بعد هذه الزيارة وهو:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ رَحْمَتِكَ وَكَلِمَةِ نُورِكَ وَأَنْ تَمْلَأَ قَلْبِي نُورَ الْيَقِينِ وَصَدْرِي نُورَ الْإِيْمَانِ وَفِكْرِي نُورَ النَّبَاتِ وَعَزْمِي نُورَ الْعِلْمِ وَقُوَّتِي نُورَ الْعَمَلِ وَلِسَانِي نُورَ الصَّدَقِ وَدِينِي نُورَ الْبَصَائِرِ مِنْ عِنْدِكَ وَبَصَرِي نُورَ الضِّيَاءِ وَسَمْعِي نُورَ الْحِكْمَةِ وَمَوَدَّتِي نُورَ الْمُوَالَاةِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَتَّى أَلْقَاكَ وَقَدْ وَفَيْتَ بِعَهْدِكَ وَمِيثَاقِكَ فَلْتَسْعِنِي رَحْمَتَكَ يَا وَلِيَّيَا حَمِيدُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ حُجَّتِكَ فِي أَرْضِكَ وَخَلِيفَتِكَ فِي بِلَادِكَ وَالِدَّاعِي إِلَى سَبِيلِكَ وَالْقَائِمَ بِقِسْطِكَ وَالشَّائِرَ بِأَمْرِكَ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ وَبَوَارِ الْكَافِرِينَ وَمُجَلِّي الظُّلْمَةِ وَمُنِيرَ الْحَقِّ وَالنَّاطِقَ بِالْحِكْمَةِ وَالصَّدَقِ وَكَلِمَتِكَ التَّامَّةِ فِي أَرْضِكَ

الْمُرْتَقِبِ الْخَائِفِ وَالْوَلِيِّ النَّاصِحِ سَفِينَةِ النِّجَاةِ وَعَلِمِ الْهُدَى وَنُورِ أَبْصَارِ الْوَرَى
وَخَيْرِ مَنْ تَقَمَّصَ وَارْتَدَى وَمُجَلِّي الْعَمَى الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا
مُلِئْتَ ظُلْمًا وَجَوْرًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ وَابْنِ أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ فَرَضْتَ طَاعَتَهُمْ وَأَوْجَبْتَ حَقَّهُمْ
وَأَذْهَبْتَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرْتَهُمْ تَطْهِيرًا.

اللَّهُمَّ أَنْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ لِدِينِكَ وَأَنْصُرْ بِهِ أَوْلِيَائَكَ وَأَوْلِيَاءَهُ وَشِيعَتَهُ وَأَنْصَارَهُ
وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ مِنْ شَرِّ كُلِّ بَاغٍ وَطَاغٍ وَمِنْ شَرِّ جَمِيعِ خَلْقِكَ وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَاحْرُسْهُ وَامْنَعْهُ مِنْ أَنْ يُوَصَلَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ
وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَآلَ رَسُولِكَ وَأَظْهِرْ بِهِ الْعَدْلَ وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ وَأَنْصُرْ نَاصِرَهُ
وَاخْذُلْ خَاذِلِيهِ وَأَقْصِمْ قَاصِمِيهِ وَأَقْصِمْ بِهِ جَبَابِرَةَ الْكُفْرِ وَأَقْتُلْ بِهِ الْكُفَّارَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَجَمِيعَ الْمُلْحِدِينَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا بَرًّا
وَبَحْرًا وَامْلَأْ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا وَأَظْهِرْ بِهِ دِينَ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاجْعَلْنِي
اللَّهُمَّ مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ وَاتَّبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَأَرِنِي فِي آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا
يَأْمُلُونَ وَفِي عَدُوِّهِمْ مَا يَحْذَرُونَ إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ» (١).

الزيارة الرابعة: سلام الله الكامل

وقد ذكرها السيّد في المصباح، وأوردها الشيخ القمي في باب الاستغاثة
بالحجة عليه السلام وقال: قال السيّد علي خان في الكلم الطيب: هذه استغاثة بالحجة

صاحب العصر (صلوات الله عليه) صلّ أينما كنت ركعتين بالحمد وما شئت من السور ثم قف مستقبلاً القبلة تحت السماء وقل:

«سَلَامُ اللَّهِ الْكَامِلُ التَّامُّ الشَّامِلُ الْعَامُّ، وَصَلَوَاتُهُ الدَّائِمَةُ وَبَرَكَاتُهُ الْقَائِمَةُ التَّامَّةُ عَلَى حُجَّةِ اللَّهِ وَوَلِيَّهِ فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ، وَخَلِيفَتِهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَسُلَالَةِ النَّبَوَّةِ وَبَقِيَّةِ الْعِثْرَةِ وَالصَّفْوَةِ، صَاحِبِ الزَّمَانِ، وَمُظْهِرِ الْإِيمَانِ، وَمُلَقِّنِ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ، وَمُطَهِّرِ الْأَرْضِ، وَنَاشِرِ الْعَدْلِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ، وَالْحُجَّةِ الْقَائِمِ الْمُهْدِيِّ، الْأَمَامِ الْمُنْتَظَرِ الْمُرْضِيِّ، وَابْنِ الْأَيْمَةِ الطَّاهِرِينَ، الْوَصِيِّ ابْنِ الْأَوْصِيَاءِ الْمُرْضِيِّينَ، الْهَادِيِ الْمُعْصُومِ ابْنِ الْأَيْمَةِ الْهَادِيَةِ الْمُعْصُومِينَ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُعِزَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعِفِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُدِلَّ الْكَافِرِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ الظَّالِمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ الْأَيْمَةِ الْحُجَّجِ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ سَلَامٌ مُخْلِصٌ لَكَ فِي الْوِلَاءِ، أَشْهَدُ أَنَّكَ الْأَمَامُ الْمُهْدِيُّ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَأَنْتَ الَّذِي تَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا بَعْدَ مَا مَلَأْتَ ظُلْمًا وَجَوْرًا، فَعَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَكَ، وَسَهَّلَ مَخْرَجَكَ، وَقَرَّبَ زَمَانَكَ، وَكَثَّرَ أَنْصَارَكَ وَأَعْوَانَكَ، وَأَنْجَزَ لَكَ وَعْدَكَ فَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَرُبُّدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ

أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، يَا مَوْلَايَ حَاجَتِي كَذَا وَكَذَا (واذكر حاجتك عوض كلمة كذا وكذا) فَاشْفَعْ لِي فِي نَجَاحِهَا، وادع بما احببت وتنصرف ولا تحول وجهك حتى تخرج من الباب. ^(١)

الزيارة الخامسة: زيارة البيعة

يزار بها كل يوم بعد صلاة الفجر وهي:

«اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلَايَ صَاحِبَ الزَّمَانِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا حَيْثُمْ
وَمِثْتُهُمْ وَعَنْ الْيَدَيَّ وَوُلْدِي وَعَنِّي مِنَ الصَّلَوَاتِ وَالتَّحِيَّاتِ زِنَةَ عَرْشِ اللَّهِ
وَمَدَادِ كَلِمَاتِهِ وَمُنْتَهَى رِضَاهُ وَعَدَدَ مَا أَحْصَاهُ كِتَابُهُ وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ. اللَّهُمَّ إِنِّي
أَجِدُّ لَهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ عَهْدًا وَعَقْدًا وَبَيْعَةً فِي رَقَبَتِي. اللَّهُمَّ كَمَا
شَرَّفْتَنِي بِهَذَا التَّشْرِيفِ وَفَضَّلْتَنِي بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ وَخَصَصْتَنِي بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَصَلِّ
عَلَى مَوْلَايَ وَسَيِّدِي صَاحِبِ الزَّمَانِ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَشْيَاعِهِ وَالذَّائِبِينَ
عَنْهُوَ اجْعَلْنِي مِنَ الْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ فِي الصِّفِّ الَّذِي نَعَتَ
أَهْلَهُ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتَ: صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ عَلَى طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ
وَأَلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. اللَّهُمَّ هَذِهِ بَيْعَةٌ لَهُ فِي عُنُقِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إلزام الناصب في اثبات الحجة الغائب: الشيخ علي اليزدي الحائري (ت ١٣٣٣هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور.
- ٣- المنجد في اللغة والأعلام: لويس معلوف ، ط ١ / ١٩٧٣ م / المطبعة الكاثوليكية - بيروت.
- ٤- القاموس المحيط: الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ).
- ٥- سنن الترمذي: الامام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر- والتوزيع، بيروت - لبنان .
- ٦- سر السلسلة العلوية: الشيخ أبي نصر- سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان (٣٤١هـ)، تحقيق وتقديم وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٣٧١ ش، الناشر: انتشارات الشريف الرضي.

فهرس المصادر والمراجع ٦٩٥

٧- البداية والنهاية: الامام الحافظ ابي الفداء إسماعيل بن كثير

الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، ط ١، ١٤٠٨هـ -

١٩٨٨م، الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٨- رسائل في الغيبة: الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق علاء آل جعفر،

الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ

/ ١٩٩٣م.

٩- المعجم الموضوعي للأحاديث الإمام المهدي (عج): الشيخ علي

الكوراني العاملي، ط ٢، ١٤٢٧هـ.

١٠- بحار الانوار: تحقيق: محمد الباقر البهودي، الناشر: دار أحياء التراث

العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣/ ١٩٨٣م.

١١- الكافي: الشيخ الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري،

الناشر: دار الكتب الاسلامية، طهران، ط ٤، ١٣٦٢ش، مطبعة

الحيدري.

١٢- شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد المعتزلي، تحقيق: الشيخ حسن

التميم، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، ط ٥، ١٣٦٣ش / ١٩٦٣م،

- ٦٩٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ١٣- مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم: للميرزا محمد تقي الإصفهاني، مؤسسة الأعلمي، المحققة، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ١٤- الإمام المهدي من المهد إلى الظهور: العلامة السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ١٥- النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب: المحدث الشيخ حسين النوري، المطبعة أنوار الهدى، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ١٦- قادتنا كيف نعرفهم: السيد محمد هادي الميلاني، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- ١٧- منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: الشيخ لطف الله الصافي، مؤسسة السيدة المعصومة، ط ١، ١٥ شعبان ١٤١٩هـ.
- ١٨- أعلام الهداية «الإمام المهدي المنتظر خاتم الأوصياء»: لجنة تأليف من المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، طباعة مركز الطباعة والنشر- للمجمع العالمي لأهل البيت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ١٩- الامالي: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (٣٨١هـ) تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة

فهرس المصادر والمراجع ٦٩٧

البعثة، قم المشرفة، الناشر: مركز الطباعة والنشر- في مؤسسة البعثة،
ط١، ١٤١٧هـ.

٢٠- كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن
الحسين بن موسى بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح
وتعليق: علي اكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر- الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين، قم المشرفة، طبع سنة ١٤٠٥هـ / ١٣٦٣ش .

٢١- عصر الظهور: الشيخ علي الكوراني العاملي، الناشر: مكتب الاعلام
الاسلامي، قم المشرفة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٢- تناقضات الألباني الواضحات: حسن بن علي السقاف، الناشر دار
الإمام النووي، عمان- الأردن، ط٤، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٢٣- علل الشرائع: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن
موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتقديم: السيد محمد
صادق بحر العلوم، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها -
النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٢٤- كشف الغمة: المؤلف ابن ابي الفتح الاربلي، الناشر: دار الاضواء
بيروت - لبنان.

- ٦٩٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ٢٥- الحق المبين في معرفة المعصومين عليه السلام: بحوث مستفادة من محاضرات
الشيخ وحيد الخراساني، تأليف: الشيخ علي الكوراني العاملي، الناشر:
دار الهدى، قم المشرفة، ط ٢، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٢٦- بصائر الدرجات: المحدث الشيخ محمد بن الحسن الصفار القمي،
تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي،
منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم المشرفة، ١٤٠٤ هـ.
- ٢٧- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: الشيخ علي بن محمد ابن الصباغ
المالكي، نشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٢ هـ
- ٢٨- كتاب الغيبة: الشيخ محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب (النعمان)،
تحقيق: فارس حسون كريم، الناشر: انوار الهدى، قم المشرفة، مطبعة
مصر، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- ٢٩- المهدي في القرآن: آية الله السيد صادق الشيرازي، الناشر: مؤسسة
برهيزكار للطباعة والنشر، قم المشرفة، ط ٧.
- ٣٠- مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي، الناشر: مؤسسة الاعلمي،
بيروت، ط ٢، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

فهرس المصادر والمراجع ٦٩٩

٣١- لسان العرب: ابن منظور، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ

العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٢- تفسير البرهان: المحدث السيد هاشم البحراني، مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣٣- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي، دار الكتب

الإسلامية، طهران، ط٣، ١٤١٢هـ.

٣٤- موسوعة الامام المهدي، تاريخ الغيبة الكبرى : السيد محمد الصدر،

مطبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٤١٢هـ -

١٩٩٢م.

٣٥- كتاب الغيبة: الشيخ الطوسي، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، علي

احمد ناصح، الناشر: مؤسسة المعارف الاسلامية، مطبعة بهمن، قم

المشرفة، ط١، ١٤١١هـ.

٣٦- غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام:

السيد أبو المكارم هاشم ابن السيد سليمان البحراني الموسوي

التوبلي (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق: السيد علي عاشور.

- ٧٠٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ٣٧- دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الناشر: مركز الطباعة والنشر- في مؤسسة البعثة، قم المشرفة، ط ١، ١٤١٢هـ.
- ٣٨- معاني الاخبار: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين في قم المشرفة، سنة الطبع ١٣٧٩هـ / ١٣٣٨ش.
- ٣٩- الارشاد: الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ٤٠- شرح اصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني، تحقيق: الميرزا ابو الحسن العراقي، ضبط وتصحيح: علي عاشور، الناشر: دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

فهرس المصادر والمراجع ٧٠١

٤١- خلاصة عبقات الانوار: المؤلف السيد حامد نقوي، الناشر: مؤسسة

البعثة- قسم الدراسات الاسلامية، طهران، مطبعة سيد الشهداء، قم

المشرفة، سنة الطبع ١٤٠٦ هـ

٤٢- الخصال: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن

موسى بن بابويه القمي (٣٨١ هـ) تصحيح وتعليق: علي اكبر غفاري،

سنة الطبع ١٨ ذي القعدة ١٤٠٣ هـ- ١٣٦٢ ش.

٤٣- علامات المهدي المنتظر: الشيخ مهدي حمد الفتلاوي، دار الهادي

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ/ ٢٠٠١ م.

٤٤- كفاية الأثر في النص على الاثني عشر: الخزاز القمي، تحقيق: السيد

عبد اللطيف الحسيني الخوئي الكوهكمري.

٤٥- كتاب القطرة من بحار مناقب النبي والعترة رحمه الله، السيد أحمد

المستنبط، مطبعة أمير، الطبعة الثانية المحققة ١٤١٢.

٤٦- إعلام الوری بإعلام الهدی: أمين الإسلام الطبرسي، تحقيق مؤسسة

آل البيت، الناشر: مؤسسة آل البيت ﷺ لآحياء التراث، قم المشرفة،

مطبعة ستاره قم، ط ١، ١٤١٧ هـ.

- ٧٠٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ٤٧- منتهى الآمال: المحدث الشيخ عباس القمي، طبع ونشر- مؤسسة النشر الاسلامي، قم المشرفة، ط ٥، ١٤٢٢هـ.
- ٤٨- قصص وخواطر: الشيخ عبد العظيم المهدي البحراني، منشورات ذوي القربى، مطلب سليا نزاده، طبعة منقحة ومزيدة، ط ٦، ١٤٢٤هـ/ ١٣٨٢م.
- ٤٩- تفسير مجمع البيان: أمين الإسلام الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين والاختصاصيين، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ٥٠- التبيان في تفسير القرآن: شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥١- تفسير من هدى القرآن، آية الله السيد محمد تقي المدرسي، دار محبي الحسين، طهران، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- ٥٢- تفسير نور الثقلين: المحدث عبد علي بن جمعة الحويزي، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر: مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر- والتوزيع، قم المشرفة، مطبعة: مؤسسة إسماعيليان، ط ٤، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠ش.

فهرس المصادر والمراجع ٧٠٣

٥٣- تفسير القمي: لأبي الحسن علي بن ابراهيم القمي (٣٢٩هـ)، تحقيق

وتصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، الناشر:

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٨٧هـ، مطبعة النجف.

٥٤- كتاب الصافي في تفسير القرآن: الفيض الكاشاني، دار الكتب

الإسلامية، مطبعة مروي، ط ١، ١٤١٩هـ.

٥٥- الجامع الصحيح: للامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم

القشيري النيسابوري، الناشر: دارالفكر، بيروت - لبنان.

٥٦- شمس خلف السحاب: ماهر ال شبر، بحث في غيبة الامام المهدي

عج.

٥٧- كتاب المجروحين: للامام الحافظ محمد بن حبان بن احمد ابي حاتم

التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، نشر-و

توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

٥٨- مناقب ال ابي طالب: المؤلف ابن شهر اشوب، تحقيق: لجنة من

اساتذة النجف الاشرف، الناشر: مطبعة الحيدرية - النجف الاشرف.

سنة الطبع ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م.

- ٧٠٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ٥٩- كتاب الفقه: آية الله السيد محمد الحسين الشيرازي، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
- ٦٠- الحدائق الناضرة: المحدث الفقيه الشيخ يوسف البحراني، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م.
- ٦١- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: العلامة الحلي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- ٦٢- وسائل الشيعة: المحدث الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ٦٣- مستدرک الوسائل: المحدث النوري، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- ٦٤- رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل: السيد علي الطباطبائي، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ٦٥- روضة الواعظين: الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تقديم: العلامة الجليل السيد محمد مهدي

فهرس المصادر والمراجع ٧٠٥

السيد حسن الخرسان تحقيق: السيد محمد مهدي السيد حسن

الخرسان، الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم المشرفة.

٦٦- الاحتجاج: أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق

وتعليق: السيد محمد باقر الخرسان، بدون طبعة: (١٣٨٦ هـ -

١٩٦٦ م)، الناشر: دارالنعمان للطباعة والنشر النجف الاشرف.

٦٧- جنة المأوى في ذكر من فاز بقاء الحجة عليه السلام : العلامة الحاج ميرزا

حسين النوري

٦٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: العلامة علاء الدين علي المتقي

بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ)، تحقيق وضبط

وتصحيح وتفسير: الشيخ بكرى حياقي، الشيخ صفوة السقا،

الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

٦٩- الهداية الكبرى: ابي عبد الله الحسين بن حمدان الخصبي (٣٣٤ هـ)،

الناشر: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر - والتوزيع، بيروت، مطبعة

مؤسسة البلاغ، ط ٤، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

٧٠- جلاء العيون: المؤلف السيد عبد الله شبر (١٢٤٢ هـ)، الناشر: دار

المنتظر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٨ / ٢٠٠٧ م.

- ٧٠٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ٧١- المعجم الصغير: الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (د.ت).
- ٧٢- سليم بن قيس الهلالي: التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي (ق ١)، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني.
- ٧٣- المسترشد: محمد بن جرير الطبري (ق ٤)، تحقيق: الشيخ احمد المحمودي، ط ١، ١٤١٥هـ، مطبعة سلمان الفارسي - قم، الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور.
- ٧٤- قرب الإسناد: الشيخ الجليل ابي العباس عبد الله بن جعفر الحميري (ت ٣٠٠هـ) تحقيق ونشر: مؤسسة البيت للإحياء التراث - قم، ط ١، ١٤١٣هـ، مطبعة مهر - قم.
- ٧٥- كشف اليقين في فضائل امير المؤمنين: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦)، تحقيق: حسين الدركاهي، ابا محمد حسن حسين آبادي، ط ١ ١٤١١هـ - ١٩٩١م، طهران - إيران.
- ٧٦- البيان في أخبار صاحب الزمان: للحافظ الكنجي الشافعي (ق ٧)، تحقيق وتقديم: الشيخ مهدي احمد الفتلاوي، ط ١، ١٤٢١هـ -

فهرس المصادر والمراجع ٧٠٧

٢٠٠٠م، الناشر: دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم، لبنان-

بيروت.

٧٧- حق اليقين في معرفة أصول الدين السيد عبد الله شبر ١٢٤٢هـ،

الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط ١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م،

بيروت - لبنان.

٧٨- الفصول العشرة: الشيخ المفيد : تحقيق: الشيخ فارس حسون، الناشر:

دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤١٤هـ -

١٩٩٣م.

٧٩- كشف الحق او الاربعون: العالم الجليل محمد صادق الخاتون آبادي،

(ت ١٢٧٢هـ)، ترجمة وتحقيق: السيد ياسين الموسوي تقديم مركز

الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ط ٤، ١٤٢٩هـ، مطبعة ثامن

الحجج عليه السلام، الناشر: مؤسسة السيد المعصومة عليها السلام.

٨٠- اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: للشيخ محمد بن الحسن بن علي

بن الحسين الحر العاملي، (ت ١١٠٤هـ)، تقديم: شهاب الدين

المرعشي النجفي، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت -

لبنان، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- ٧٠٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ٨١- المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي: تأليف مركز الرسالة، ط ١،
١٤١٧ هـ، مطبعة: مهر- قم، الناشر: مركز الرسالة، قم- ايران.
- ٨٢- خاتمة المستدرك: الميرزا النوري، ت ١٣٢٠ هـ، تحقيق: مدرسة آل البيت
لاحياء التراث، ط ١، ١٤١٦ هـ، مطبعة: ستارت قم، الناشر: مؤسسة
آل البيت للاحياء التراث.
- ٨٣- تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي، (ت ٣٥٢ هـ)، تحقيق:
محمد كاظم، ط ١، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر
التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران.
- ٨٤- المصباح المنير: الفيومي، ط ٥، مطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٢ م.
- ٨٥- الاعلام: خير الدين الزركلي، (ت ١٤١٠ هـ)، الناشر: دار العلم
للملايين، بيروت- لبنان.
- ٨٦- المجد في انساب الطالبين: علي بن محمد العلوي العمري، (ت
٤٩٠ هـ) تحقيق: الدكتور احمد المهدي الدامغاني، اشراف: الدكتور
السيد محمود المرعشي، ط ١، ١٤٠٩ هـ، مطبعة سيد الشهداء، الناشر:
مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم المقدسة.

فهرس المصادر والمراجع ٧٠٩

٨٧- سر السلسلة العلوية: ابي نصر البخاري، (ت ٣٤١هـ)، تحقيق وتقديم

وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٣١٧ش،

الناشر: انتشارات الشريف الرضي.

٨٨- الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي، (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق:

مؤسسة الامام المهدي عليه السلام باشراف السيد محمد باقر الموحد

الأبطحي، الناشر: مؤسسة الامام المهدي - قم المقدسة، ط ١،

١٤٠٩هـ.

٨٩- فقه الرضا عليه السلام: المؤلف: علي بن بابويه، (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: مؤسسة

آل البيت عليهم السلام لآحياء التراث - قم المشرفة، ط ١، ١٤٠٦هـ، الناشر:

المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام - مشهد المقدسة.

٩٠- المقنع: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى

بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة

الامام المهدي عليه السلام، مطبعة اعتماد، ١٤١٥هـ، الناشر: مؤسسة الإمام

الهادي عليه السلام.

- ٧١٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ٩١- خلاصة عبقات الأنوار: السيد حامد النقوي، تحقيق: الامام السيد حامد حسين الكهنوي، الناشر: مؤسسة البعثة - قسم الدراسات الاسلامية، طهران - ايران، مطبعة الخيام، ١٤٠٥ هـ.
- ٩٢- مختصر بصائر الدرجات: الحسن بن سليمان الحلي، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الاشرف، ط ١، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م.
- ٩٣- المواقف: الإيجي (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجليل، مطبعة لبنان - بيروت دار جليل، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٩٤- عيون اخبار الامام الرضا (عليه السلام): الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (٣٨١ هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: الشيخ حسين الاعلمي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، الناشر: مؤسسة الاعلمي، مطبعة مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنان.
- ٩٥- لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، الناشر: نشر - أدب الحوزة - قم - ايران.
- ٩٦- عمدة الطالب: ابن عنبه جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨ هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية، ط ٢، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.

فهرس المصادر والمراجع ٧١١

٩٧- الشجرة المباركة لانساب الطالبيّة: العلامة فخر الدين الرازي

(ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر مكتبة المرعشي،

ط ٢، ١٤١٩هـ.

٩٨- نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: شرح الشيخ محمد عبده،

الناشر: دار الذخائر - قم - ايران، المطبعة: النهضة - قم، ط ١،

١٤١٢هـ - ١٣٧٠ش.

٩٩- المحاسن: احمد بن محمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤هـ)، تحقيق

وتصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، (د.ط)، ١٣٧٠هـ -

١٣٣٠ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

١٠٠- المزار: محمد بن المشهدي: (ن ٦١٠)، تحقيق: جواد القيومي

الاصفهاني، ط ١، ١٤١٩، مطبعة مؤسسة النشر - الاسلامي، الناشر:

نشر القيوم - قم - ايران.

١٠١- كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: جواد

القيومي، ط ١، ١٤١٧، الناشر: مؤسسة نشر - الفقاهة، مطبعة النشر -

الاسلامي.

- ٧١٢..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ١٠٢ - رسالة في المحكم والمتشابه المعروف بتفسير النعماني: السيد المرتضى-
علم الهدى، الناشر: دار الشبستري للمطبوعات، قم.
- ١٠٣ - تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد
القادر عطا، ط ١ / ١٤١٧ - ١٩٩٧م، الناشر: دار الكتب العلمية -
بيروت لبنان.
- ١٠٤ - فردوس الاخبار: الحافظ شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي،
ط ١ / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، دار الفكر للطباعة والنشر- والتوزيع،
بيروت لبنان.
- ١٠٥ - مقتل الحسين: ابي المؤيد الموفق بن احمد المكي اخطب خوارزم (ت
٥٦٨هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ محمد السماوي، تصحيح دار انوار
الهدى، الناشر: انوار الهدى، ط ٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، مطبعة مهر.
- ١٠٦ - ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى: العلامة الحافظ محب الدين أحمد
بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ)، الناشر: مكتبة القدسي - القاهرة،
١٣٥٦هـ.
- ١٠٧ - المهدي في القران والسنة: آية الله السيد صادق الشيرازي، الناشر:
مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧.

فهرس المصادر والمراجع ٧١٣

١٠٨ - من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر- الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٠٩ - تأويل الايات: شرف الدين الحسيني (ت ٩٦٥)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، الناشر: مدرسة الامام المهدي (عج)- الحوزة العلمية- قم المقدسة، اشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الاصفهاني.

١١٠ - الفتن: نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٨٨)، تحقيق وتقديم: الدكتور سهيل زكار، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر- والتوزيع - بيروت- لبنان، ١٤١٤-١٩٩٣ م.

١١١ - منتخب الأنوار المضيئة: السيد بهاء الدين النجفي (ت ٨٠٣)، تحقيق: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، الناشر: مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، مطبعة: اعتماد- قم، ط ١، ١٤٣٠-١٣٧٨ ش.

١١٢ - تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر (ت ٥٧١)، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر- والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ.

٧١٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

١١٣ - المزار: شيخ الفقهاء الامناء وصفوة الشهداء من العلماء محمد بن مكّي

العاملي الجزيني الشهير في الافاق بالشهيد الاول (ت ٧٨٦)،

تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الناشر: مدرسة الإمام المهدي -

عليه السلام قم المقدسة، المطبعة: أمير - قم، ط ١، ١٤١٠ هـ.

١١٤ - غريب الحديث: ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ)، تحقيق: دكتور عبد الله

الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية قم، ط ١، ١٤٠٨ هـ.

١١٥ - المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم

النيسابوري (ت ٤٦٠)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشي، اشراف:

الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة ، بيروت - لبنان.

١١٦ - مصباح الزائر: جمال العارفين رضي الدين السيد علي بن موسى بن

طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء

التراث ، قم، ١٤١٦ هـ - ١٣٧٥ ش، الناشر: مؤسسة ال البيت عليهم

السلام لإحياء التراث، مطبعة استارة ، قم.

١١٧ - جنة الامان الواقية وجنة الايمان الباقية المشتهر بالمصباح: الشيخ تقى

الدين ابراهيم بن علي بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي (٩٠٥ هـ) ،

فهرس المصادر والمراجع ٧١٥

ط٣، ١٤٣٠هـ - ١٩٨٣، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان .

١١٨ - مصباح المتهجد: الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن
الطوسي المشتهر بشيخ الطائفي والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، ط١،
١٤١١هـ - ١٩٩١م، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت - لبنان .

١١٩ - كفاية الطالب في مناقب ال ابي طالب ويليهِ البيان في اخبار صاحب
الزمان: الحافظ ابي عبيد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي
الشافعي (٦٥٨هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور الشيخ محمد
هادي الاميني، الناشر: شركة الكتبي للطباعة والنشر - والتوزيع،
بيروت - لبنان، ط٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢٠ - المعجم الكبير: للحافظ ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني(ت
٣٦٠هـ)، تحقيق وتخرّيج: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، الناشر: دار
احياء التراث العربي.

١٢١ - المعجم الاوسط: للحافظ ابي القاسم سليمان بن احمد الطبراني(ت
٣٦٠هـ)، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، الناشر: دار الحرمين
للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- ٧١٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب
- ١٢٢ - موسوعة الإمام المهدي، تاريخ الغيبة الصغرى : السيد محمد الصدر،
مطبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٤١٢ هـ -
١٩٩٢ م.
- ١٢٣ - الجرح والتعديل: الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبى محمد عبد الرحمن
بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت
٣٢٧ هـ)، ط ١، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م، مطبعة دائرة المعارف العثمانية -
بحيدر آباد الدكن - الهند، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ١٢٤ - المناقب: الموفق بن أحمد بن محمد بن مكى البكري الحنفي
الحوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي -
الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٢٥ - دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه: الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن
الجوزي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق وتقييم: حسن السقاف، ط ٣،
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، الناشر: دار الإمام النووي - عمان - الأردن .
- ١٢٦ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج
يوسف المزي (ت ٧٤٢ هـ)، ط ٤، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، تحقيق:

فهرس المصادر والمراجع ٧١٧

الدكتور بشار عواد معروف ، الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت -
لبنان.

١٢٧ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمرو
البغدادى (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفى، إميل بديع
يعقوب، ط ١، ١٩٩٨م ، مطبعة: بيروت - دار الكتب العلمية ،
الناشر: دار الكتب العلمية.

١٢٨ - مجموعة الرسائل: الشيخ لطف الله الصافى الكلباىكانى.

١٢٩ - الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمى (ت ١٣٥٩هـ)، تقديم: محمد
هادى الأمينى، الناشر: مكتبة الصدر - طهران.

١٣٠ - الأخبار الطوال: أبى حنيفة أحمد بن داوود الدينورى (ت ٢٨٢هـ)،
تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشىال، ط ١،
١٩٦٠م، الناشر: دار إحياء الكتب العربى .

١٣١ - المعارف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق:
الدكتور ثروت عكاشة مطبعة القاهرة، الناشر: دار المعارف.

٧١٨..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

١٣٢ - قصص الأنبياء: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)،

تحقيق: الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، الناشر: الهادي،

ط ١، ١٤١٨هـ - ١٣٧٦ش، مطبعة مؤسسة الهادي.

١٣٣ - العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: رضي الدين علي بن يوسف

المطهر الحلي (ت ٧٠٥-ن)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، إشراف:

السيد محمود المرعشي، ط ١، ١٤٠٨هـ، مطبعة: سيد الشهداء عليه السلام،

الناشر: مكتبة آية المرعشي العامة.

١٣٤ - مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: أبي الحسن علي بن محمد بن

الطيب الشافعي المالكي الواسطي الشهير بابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ)،

ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر-

والتوزيع.

١٣٥ - جمع الجوامع: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

السيوطي (ت ٩١١هـ)، تخريج وتعليق وظبط: خالد عبد الفتاح شبل،

الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ -

٢٠٠٠م.

فهرس المصادر والمراجع ٧١٩

١٣٦ - مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده

عليه السلام: الشيخ الفقيه أبي الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي

المعروف بابن شاذان، تحقيق: نبيل رضا علوان، الناشر: مؤسسة

أنصاريان للطباعة والنشر - قم ط ٤، - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.»

١٣٧ - منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل: الحاج الشيخ عباس القمي،

ترجمة: نادر التقي، الناشر: مؤسسة المحبين للطباعة والنشر، ط ١،

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٣٨ - كتاب الله واهل البيت في حديث الثقلين: مدرسة الامام باقر العلوم،

تحقيق: لجنة التحقيق في مسئلة الامامة، الناشر: دليل ما، ط ١،

١٤٢٢ هـ المطبعة نكارش.

١٣٩ - إقبال الأعمال: السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن

طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الناشر:

مكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي،

١٤١٤ هـ.

١٤٠ - مستند الشيعة في أحكام الشريعة: أحمد بن محمد مهدي النراقي (ت

١٢٤٥ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - مشهد

٧٢٠..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

المقسة، ط ١، ١٤١٥ هـ، مطبعة ستارة، الناشر: مؤسسة آل البيت

عليه السلام لإحياء التراث - قم.

١٤١ - الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة: محمد بن جمال الدين المكي

العاملي المعروف بالشهيد الاول (ت ٧٨٦ هـ)، تحقيق: جلال الدين

علي الصغير.

١٤٢ - سنن أبي داود: أبْنُ الأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِي (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق

وتعليق: سعيد محمد اللحام، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، الناشر: دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٤٣ - مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: محمد بن طلحة الشافعي (ت

٦٥٢ هـ)، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية.

١٤٤ - الأمالي: شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)،

تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة للطباعة والنشر.

والتوزيع، ط ١، ١٤١٤ هـ، الناشر دار الثقافة - قم.

١٤٥ - مناهج البيان في تفسير القرآن: آية الله الشيخ محمد باقر الملكي

الميانجي، ط ١، ١٤١٧ هـ، مؤسسة الطباعة والنشر - وزارة الثقافة

والإرشاد - طهران.

فهرس المصادر والمراجع..... ٧٢١

١٤٦ - الإمامة الإلهية: بحوث آية الله الشيخ محمد السند ، تأليف: السيد محمد

علي بحر العلوم، ط ٢ ، منشورات الاجتهاد - قم ، مركز التوزيع :

الغدير للطباعة والنشر والتوزيع

فهرسة المحتويات

❖ استهلال	١١
❖ بحث تمهيدي	١٧
ما هي أسباب التشكيك في الحقائق الثابتة؟	١٧
❖ الفصل الأول: ضرورة الخلافة والحجة في الأرض	٢٧
مدخل:	٢٩
تاريخ الأرض وساكنيها والأستخلاف:	٣٠
الملائكة أمام الامتحان الإلهي:	٣١
معالم وخصائص الخلافة والإمامة الإلهية:	٣٧
أولا: اختيار وجعل الخليفة من مختصات الله تعالى	٣٧
المعنى الاصطلاحي «للخليفة» لا يطابق المراد القرآني:	٤٢
ثانيا: مركز الخلافة على وجه الأرض على جميع المخلوقات:	٤٦
ثالثا: الخليفة واحد في كل زمان:	٤٧
رابعا: الخليفة افضل الخلق وهو وسيلة الله والحب الممدود	٤٨
خامسا: الخليفة المخصوص بالعلم من الله وهو أعلم الخلق:	٥١
أهل البيت ورثة علم الأنبياء:	٥٤
أهل البيت عليهم السلام ابواب العلم:	٥٦
سادسا: الخلافة و الإمامة للصفوة من الخلق (الأنبياء و الأوصياء و ذراريهم)	٥٧
أهل البيت عليهم السلام خلفاء الله الذين يرثون الأرض ومن عليها:	٦٠
سابعاً : الخليفة هو المطاع بأمر الله تعالى	٦١
ثامناً : غيبة الخلفاء امتحان للخلق:	٦٤
الغيبة سنة الله الجارية في الأولين والآخرين:	٦٦

فهرسة المحتويات..... ٧٢٣

تاسعا: الخليفة الحجة في الأرض قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق: ٦٩

عاشرا: كون الخليفة إماماً معصوماً من الله تعالى: ٧٢

ما هي مهام الخليفة ووظائفه للناس؟ ٧٦

كيفية عرض الأعمال عليهم؟ ٨٨

اهتمام الأئمة بشيعتهم: ٨٩

من أنكر واحداً فقد أنكر الجميع: ٩٩

❖ الفصل الثاني: الغيبة؛ آثارها وفوائدها ١٠٣

وجه الشبه بين غيبة الإمام (عليه السلام) والشمس المجللة بالسحاب: ١٠٦

مقارنة بين نور الشمس ونور الإمام القائم عجل الله فرجه: ١٠٧

فوائد الغيبة: ١١٠

وظائف الإمام تجاه مواليه حال الغيبة: ١١٦

الإمام المهدي (عليه السلام) والشيخ المفيد (رحمته): ١١٨

إجاباته عن أسئلة مخيرة للعلماء: ١٢١

أمره سلام الله عليه للشيخ الصدوق بتأليف كتاب في الغيبة: ١٢٣

تشرف الشيخ الأنصاري بقاء الإمام الحجة ليسأله عن بعض المطالب: ١٢٤

كيف نلقى الإمام في الموسم؟ وهو غير معروف: ١٤٠

قصة الحسن بن وجناء النصيبي: ١٤٣

حضور الإمام (عليه السلام) ماتم أهل البيت وخصوصاً يوم عاشوراء: ١٤٤

الإمام صاحب الزمان (عليه السلام) يُشارك في عزاء طويريج: ١٤٥

❖ الفصل الثالث: علّة الغيبة ١٥٩

الغيبة سرٌّ من أسرار الله: ١٦٢

ما هي حكمة استمرار أمد الغيبة؟ ١٨١

لماذا يجري الله سنن الأنبياء في القائم (عليه السلام)؟ ١٨٢

٧٢٤..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

١٨٤..... تطابق حكمة غيبات الأنبياء ﷺ وغيبة القائم ﷺ:

١٩٣..... صفات الثابتين في الغيبة من الشيعة:

١٩٨..... ماذا يعني اكتمال عدّة الأنصار؟:

٢١٦..... علامات خاصّة لا بدّ منها لحظة الثورة:

❖ الفصل الرابع: ماذا تعني غيبة الإمام ﷺ؟..... ٢١٩

٢٢١..... النظرية الأولى: خفاء الشخص:

٢٢٢..... النظرية الثانية: خفاء العنوان:

٢٢٤..... قانون المعجزات:

❖ الفصل الخامس: معرفة النسب والاسم..... ٢٢٩

٢٣١..... أولاً: النسب المبارك:

٢٣٢..... محاولات التشكيك والتحريف وأهدافها؟!

٢٣٤..... ما هو الحديث المحرّف الذي حاولوا به تضييع نسب الإمام ﷺ؟!

٢٤٠..... ما هي الغاية من تحريف الحديث؟:

٢٤١..... محاولات إبعاد المهديّة عن أهل البيت وادّعاؤها لأناس:

٢٨١..... أحاديثهم الموضوعة تحريفٌ لحديث صحيح!

٢٨٩..... ثانياً: الاسم المبارك:

٢٩١..... لماذا سُمّي الإمام باسم رسول الله ﷺ؟:

٢٩٢..... هل هناك خلاف في اسم الإمام المهدي ﷺ؟:

٢٩٣..... الحكمة من عدم التصريح بالاسم الشريف؟:

٢٩٨..... ما هو حكم التصريح باسمه المبارك: هل هو الحرمة أم الإباحة؟:

❖ الفصل السادس: ولادة النور..... ٣٢١

٣٢٥..... الأدلّة على ولادة الإمام المهدي ﷺ:

فهرسة المحتويات.....	٧٢٥
أحوال السيِّدة نرجس وقصَّة رؤياها:.....	٣٤٦
وصول السيِّدة نرجس إلى سرِّ مَنْ رأى ولقاؤها الإمام الهادي (عليه السلام):.....	٣٥١
كيفية الحمل بإمام العصر (عليه السلام) وولادته:.....	٣٥١
الإمام يجيب عمّا في ضمير السائل وهو ابن أربع سنين:.....	٣٨٦
الإمام يُخبر عن المال الحلال من الحرام:.....	٣٨٧
علم الإمام بنقص المال:.....	٤١٨
تشرف العلامة الحليّ بخدمة الإمام الحجّة (عليه السلام):.....	٤٢٩
الإمام (عليه السلام) يكتب للعلامة الحليّ كتاباً:.....	٤٣٠
صاحب الزمان (عليه السلام) يعطي العلامة محمّد تقي المجلسي الصحيفة السجادية الكاملة في عالم الرؤيا.....	٤٣٣
❖ الفصل السابع: معاني أسمائه وألقابه المباركة.....	٤٤٣
❖ الفصل الثامن: شمائله الجسميّة والمعنويّة.....	٤٦١
❖ الفصل التاسع: مقام الإمام المهدي (عليه السلام) عند الله.....	٤٨٧
الإمام المهدي (عليه السلام) أحد سبعة سادة أهل الجنّة.....	٤٨٩
الإمام المهدي (عليه السلام) مختارٌ مصطفى من الله عزّ وجلّ:.....	٤٩٢
المهدي (عليه السلام) محدّثٌ محدّث الملائكة:.....	٤٩٧
أخذ الله الميثاق للمهدي (عليه السلام):.....	٤٩٧
المهدي (عليه السلام) أحد أربعة أمر الله نبيّه أحبّهم:.....	٤٩٨
تُرافق المهدي (عليه السلام) غمامةٌ تُظِلُّه وفيها ملك:.....	٤٩٩
تظهر على يده معجزات الأنبياء (عليهم السلام):.....	٥٠٠
مقامه عند أهل البيت (عليهم السلام):.....	٥٠١
مقامه في الجنّة:.....	٥٠١

٧٢٦..... شمس الإمامة وراء سحب الغيب

عظمة الملك الذي يعطيه الله لوليّه المهدي ﷺ: ٥٠١

❖ الفصل العاشر: معرفة الإمام المهدي ﷺ ومقاماته..... ٥٠٩

مقام الإمامة: ٥١١

مَنْ هو الإمام المنتظر؟ ٥١٥

الإمام وموارث الأنبياء: ٥٢٨

ماذا يعني «خير لكم إن كنتم مؤمنين»؟ ٥٣١

ما هي العلاقة بين أسماء الله وكلماته التامة؟: ٥٣٨

الإمام المهدي ﷺ ذروة الكلمات التامة!: ٥٤٠

ماذا يحدث عند عودة الماء المعين إلى الأرض؟ ٥٤٤

هل الطرق بعدد أنفاس الخلائق كما يقولون؟! ٥٥٤

ماذا يعني إنّه صلوات الله عليه باب إلى الله؟ ٥٥٥

أخذ الميثاق من الأنبياء، وخصوصاً أولي العزم: ٥٦٤

عقيد عزّ لا يُسامى ٥٨٠

❖ الفصل الحادي عشر: أصحاب الإمام الحجة ﷺ ومنازلهم وأقسامهم

..... ٥٨٣

مختارون بعدّتهم من الله سبحانه تعالى: ٥٨٥

هم الأئمة المعدودة في القرآن: ٥٨٥

مقامهم عند الله سبحانه وتعالى: ٥٨٩

حالات التحاقهم ومسيرهم ٥٩٩

كيف يلتحقون به وهم في بلاد شتى؟ ٦٠٠

يجمعهم الله من المشرق والمغرب في ليلة واحدة: ٦٠١

كيفية مجيئهم ٦٠٢

٧٢٧	 فهرسة المحتويات
٦٠٢	 يتجمعون في المسجد الحرام:
٦٠٣	 يبايعون المهدي عليه السلام بين الركن والمقام:
٦٠٥	 انطلاق الحركة من مكة إلى المدينة
٦٠٦	 حركة الإمام عليه السلام إلى العراق:
٦١٠	 يبعث الإمام عليه السلام أصحابه حكّاماً على العالم:
٦١١	 أصنافهم وأقسامهم
٦١١	 رهبان الليل وفرسان النهار:
٦١٢	 علاقتهم وحبّهم للإمام عليه السلام:
٦٢٣	 كيف نصبح من أنصار صاحب الزمان والشهداء بين يديه؟! :
٦٢٦	 كيف نكون من أنصار صاحب الزمان؟ :
٦٢٩	❖ الفصل الثاني عشر: تكاليفنا في زمن الغيبة
٦٣١	 أولاً: الانتظار
٦٣١	 ما معنى الانتظار لغة؟ :
٦٣٥	 معنى الانتظار وكيفيته:
٦٣٦	 مقام الانتظار والمتظرين عند الله عزّ وجلّ
٦٤٨	 التكليف الثاني: معرفة إمام الزمان عليه السلام
٦٥٢	 ما حكم إنكار غيبة صاحب الزمان؟ :
٦٥٣	 لماذا يصبح منكر الغيبة منكراً للنبي؟ :
٦٦١	 المؤمن شهيد وإن مات على فراشه
٦٦٤	 ما تكليفنا حتّى نحافظ على ديننا ونثبت على الحق؟ :
٦٨٤	❖ باب الزيارات
٦٩٤	❖ فهرس المصادر والمراجع